صناعة الأزمة

قراءة في أوراق العنف

بقلم الدكتور

أحمد عبد الرحمن



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : صناعة الأزمة.. قراءة في أوراق العنف

المؤلف : د. أحمد عبد الرحمن

رقم الايداع / ٢٠١٦/١٧٣٠١

الترقيم الدولى / ٣-٣٣-٦٥٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٦



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٣٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

الإهداء

❖ إلى الذين بحثوا عن السنة العصماء ، وتمسكوا بالشريعة الغراء ووقفوا على الحقيقة كشمس الضياء ، مستلهمين سيرة سلفنا العظماء

❖ إلى الذين سألوا ، ويسألون عن الطريق للعيش في سلام.. والدوران مع الإسلام ، وفقهوا وقائع الدهور وحوادث الأيام، فقاموا يفتشون عن حلول للأزمة طامعين في كشف الغمة عن هذه الأمة

❖ إلى الذين ألجموا عواطفهم بنظرات العقول ، وأطفأوا نيران النوازع برحمات الرسول ، فغدوا مفاتيحا للخير ، مغاليقا للشر، أوصدوا بينهم وبين الفتنة بابا ، وشيدوا دونهم ودون الهوى حاجزا و حجابا ، وأضحوا شموسا لازالت تضيء ، و إلى الوسطية أبدا تفيء ، وإذا خطاهم تجلى الدروب ، وسيماهم تزيح الكروب ، فعطروا بعبير أنفاسهم الأكوان والناس ، وصاروا للحكمة الأساس والنبراس ، فنالوا من الله الرضا جزاء التجرد والإخلاص ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ وإذا بأنوار الفطنة تبدد عنهم ظلمات الفتنة، وكأن لأحدهم نفسًا تضيء وهمة تتوقد .

إلى أبنائي ، وكل أبنائي ليعرفوا وغيرهم صحيح الطريق .

المؤلف

د / أحمد عبد الرحمن

(حمادة عبد الرحمن)

القاهرة-١٥ من مايو لعام ٢٠١٦م

01061048990

المقدِّمة

الحمد لله الذى نصب الأدلة على وحدانيته، وهدى القلوب والأرواح إلى معرفته ومحبته ، وأرشد العقول لمشاهدته فى آثار رحمته ، واصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس يبلغون دعوته ورسالته ، وكلفهم بالنصح لخلقه وبيان عظيم دعوته، والكشف عن مظاهر حكمته ودلائل قدرته ، فأرسل رسله ناصحين ، وبعثهم مصلحين ، ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، فمن الناس من أطاعهم ووالاهم ، ومنهم من عصاهم وعاداهم ، فلم يفت فى عضدهم تكذيب المكذبين ، كما لم يبطروا بإجابة المستجيبين ، وعاشوا حياتهم لله راجين خائفين ، مبلغين محتسبين ، ناصحين مخلصين ، مشفقين على الخلق أجمعين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، ولى الصالحين ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، خير الناصحين ، الذى جمع مهمته ورسالته فى كلمتين فقال ﷺ : « **الدين النصيحة** » ، هكذا الدين كله نصيحة ، فقام ﷺ فنصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، وتركنا على المحجة البيضاء النقية ، ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها إلا هالك ، ولايلزمها إلا كل منيب سالك .

وإذا كانت النصيحة مطلوبة على كل الأحوال فإنما تكون أشد طلبا عند نزول النوازل ، وحلول البلاءات ، واصطلام الفتن ، وتلبس الحق بالباطل، ولربما يعلو صوت الباطل حينا أو تكون له الجولة أحيانا ، فيظل الناس يتساءلون أين الحق؟ وأين أهله ؟ أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ وأيهم خير مقاما وخير مردا ؟ أيهم أهدى سبيلا وأقوم قيلا ؟ وتشتد حاجة الناس إلى معرفة الحق من الباطل ، وتمييز المصلحة من المفسدة متى علا الهتاف ، وازداد الصخب ، وتزاحم على

الأسماع الضجيج ، واختلطت الأصوات حتى أن كثيرا من الناس أصبحوا لايفرقون بين دعوة ودعاية ، ولا يميزون بين غواية وهداية ، وتشابه عليهم دجل الدجالين وصدق الأولياء الصالحين .

إن الله لم يكن أبدا ليدع الناس حيارى تائهين ، ولا ليجعل عباده أبدا فتنة للقوم الظالمين ، كيف وهو الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، لايضل ربى ولاينسى ؟

لقد خرجت التظاهرات ، وطالبت بعزل الرئيس محمد مرسى ، وتأزم الموقف ، وتدخلت القوات المسلحة منحازة لمطالب الجماهير ، وتم عزل الرئيس ، وقبل عزله بأسبوع تقريبا اعتصم أنصاره فى الميادين ، اعتصموا فى ميدان رابعة العدوية وفى ميدان النهضة ، بجوار جامعة القاهرة ، وازدادت الأمور تأزما وتعقيدا ، وأطل الخطر برأسه يتهدد الأمة والشباب ، وكما هو معلوم متى علت الهتافات واشتدالضجيج خفت صوت العقل ، وزاغ البصر و اضطربت البصيرة ، وانزوت الحكمة منكفئة على نفسها ، فلا أحد يفكر ولا أحد يتعقل ، ولا أحد يتدبر بعين فاحصة أو نظرة متعقلة ، إلا من رحم ربى وقليل ماهم .

يعلم الله كم حاولت جهدى أن أبلغ صوتى ، أن يصل ندائى إليهم ، لكن دون جدوى بالرغم من كثرة المناقشات ، وتعدد الحوارات ، وتكرار الكلام .

يعلم الله كم من الشباب سألنى عن هذا الاعتصام جائز هو ؟ أم ممنوع ؟ هل يشاركون فيه أم لا؟ هل هناك جدوى من الاعتصام ؟أم أنه لافائدة ترجى من ورائه ؟ و هل سيتحقق من خلاله مصلحة الإسلام والوطن ؟

سألونى كثيرا .. وكانت إجابتى واضحة وواحدة ...« هذا الاعتصام غير جائز ، غير صحيح، غير مفيد، لن يحقق مصلحة، بل ستعم مفاسده البلاد والعباد » .

إن كل من يشارك فى هذا الاعتصام قد جانبه الصواب ، وخالف صوت العقل ونداء الحكمة ، وانساق وراء الشعارات وعمى عن الحقائق ، وصادم قواعد

ومقاصد الشريعة الغراء » .

قلتها لهم بوضوح .. « لاتشاركوا فى هذا الاعتصام ، ولاتساعدوا فيه فمساعدتكم هذه ليست من العمل الصالح في شيء ».

قلتها لهم : -

« لاتعرضوا أنفسكم للموت ، لا تعرضوا بلادكم للحرب والفتن ، لاتعرضوا تدينكم للإهانة والتشهير ، لاتعرضوا نساءكم للاستهزاء والتحقير ، و لاتحرقوا قلوب أطفالكم بسبب اليتم الذى قد يحل بهم ».

ولكن كثر الإلحاح فى السؤال ، وفتن الكثير بالخطب الرنانة والعبارات الساخنة ، والشعارات الحماسية ، التى كانوا يسمعونها تلقى من منصة رابعة والنهضة، وبدون التعرض هل هذه العبارات والخطب التى قيلت جائزة أم غير جائزة ؟ مشروعة أم ممنوعة ؟ - وهى غير جائزة ، وغير مشروعة - ، بصرف النظر عن التعرض لذلك بقى أن نسأل : هذه الخطب العنترية الرنانة هل يقدر أصحابها على تنفيذها ؟ هل يقدرون على تحويلها إلى واقع ؟ لقد جزمت يومها وهاأنا أكرر جزمى قائلا : « إن هذه الخطب العنترية ، والكلمات الحماسية ، والعبارات الساخنة الملتهبة ليست إلا شعارات جوفاء، لن يقدرأ صحابها على تطبيقها، ولن يقدروا على تحمل تبعاتها ، بل إنها ستجلب على قائليها الدمار، لأن المجتمع والعالم سيعاملان قائليها على أنهم عمالقة جبارون ، فى حين أنهم ضعفاء قليلون ، وبالتالى ستوجه لأصحابها ضربة قاصمة ، لن يقدروا على تحملها ولاطاقة لهم بها ».

أقول هذا وقد قلته يومها ، مع قطعى وجزمى ويقينى بأن ماجرى فى اعتصام رابعة من قبل أصحابه غير جائز، ولا يباح أبدا من وجهة نظرى مثل هذا الاعتصام ، بالصورة التى جرى عليها ، ولابالوضع الذى كان عليه .

إننى بلا شك حزين على النفوس التى أزهقت أثناء عملية الفض من الطرفين ،

وآسف بالغ الأسف للمشاهد المروعة التى رأيناها، ولكن فى نفس اللحظة ، وبنفس القوة أقول لدعاة الاعتصام : «ويحكم أين غابت عقولكم ؟ كيف وصلتم بأنفسكم وبالشباب إلى هذه الدرجة ؟ كيف صممتم على استمرار الاعتصام حتى وصلت الأزمة إلى طريقها المسدود ؟. لقد قابلت بعضهم ، وذكروا لى مبررات ، هى أقرب للوهم منها إلى الحقيقة لكنهم للأسف مقتنعون بها.

ومنذ الأيام الأولى للاعتصام كتبت على صفحات التواصل الاجتماعى مانعا من الاعتصام، وصارفا الناس عنه، كذلك تحدثت في الخطب والدروس ، ثم قمت بنشر عدة فيديوهات مصورة صوتا وصورة ، ناشدت دعاة الاعتصام والشباب بفضه وإنهائه، والعودة إلى مساجدهم وأوطانهم ومجتمعاتهم،

كان البيان الأول بعنوان « نصيحة للميدان » وقد نشرته فى اليوم الثانى من شهر رمضان ٢٠١٣م أثناء اعتصام رابعة والنهضة .

فى العاشر من رمضان من الشهر الكريم انتهزت هذه المناسبة وناشدت المعتصمين للمرة الثانية بإنهاء الاعتصام ، وذلك من خلال فيديو بعنوان : «العاشر من رمضان بين الأمس واليوم» .

وظللت أراقب الأحداث ، ورأيتها كل يوم تمضى إلى الأسوأ ، فجاء البيان الثالث قبل عيد الفطر من نفس الشهر ، ولايزال الاعتصام مستمرا ، لكن الدولة قد أعلنت جديتها فى فضه بعد العيد ، فاستبقت واقعة الفض وأصدرت البيان الثالث قبل انتهاء رمضان المعظم وحملته عنوان:

« النداء الأخير » قاصدا بذلك لفت أنظارهم إلى احتمال فوات الفرصة وضياعها من أيديهم ، وأنهم قادمون على أزمة لامخرج لهم منها ، وفتنة لاأرى فيها بصيص نور ، وهذه هى فرصتهم الأخيرة للنجاة من الأزمات والفكاك من الظلمات .

صدرت النداءات الثلاثة : « نصيحة للميدان ..و العاشر من رمضان بين

الأمس واليوم ..ثم النداء الأخير ..» ونشرتها على المواقع الإليكترونية ، دون أدنى استجابة ، ودون أى بصيص أمل في إنهاء الاعتصام ، فعلمت أن القوم ماضون فى طريقهم المشؤوم حتى يلقوا الحتوف .

وفعلا استيقظ الناس على فض الاعتصام بالقوة ، وكان ماكان، ووقف القوم يتباكون ويصرخون، لكن قد فات الأوان بعدما غابت تلك النفوس المشرقة التى تستكشف الفتنة قبل وقوعها ، لقد غابت تلك النفوس التى تنير لأصحابها سبيلهم بما تحمله من ضياء الصفاء ، فهى لاتصدر عن هوى ولاتنظر إلى مصلحة ، فلاتنتصر الدعوات إلا حينما يعقد أصحابها مع الله عقدا ليس للشيطان ولاللنفس ولالدنيا ولالللهوى والجهل فيه أى نصيب .

مرت الأيام ولازالت أحداث فض رابعة تصور كأنها كربلاء العصر ، يطير القوم بالصور والفيديوهات هنا وهناك ، والأناشيد الحزينة تخيم على الأجواء ، ودموع القوم تنهمر ، وليتهم أفاقوا، ولكن رحم الله الإمام ابن القيم حيث قال عن القلب : « ...وكذلك إذا قوى نوره وإشراقه انكشفت له صور المعلومات وحقائقها على ماهى عليه فاستبان حسن الحسن بنوره وآثره بحياته ، وكذلك قبح القبيح ....» ولقد حذر النبى ﷺ فيما صح عنه من حديث حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « **تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مربادا كالكوز مجخيا ، لايعرف معروفا ولاينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه ، وقلب مثل الصفا لاتضره فتنة مادامت السموات والأرض** » .

يقول ابن القيم معلقا على الحديث : « ومعنى قوله كالكوز مجخيا أى: مكبوبا منكوسا فإذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان به إلى الهلاك أحدهما اشتباه المعروف عليه بالمنكر ، فلايعرف معروفا

ولاينكر منكرا وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة والحق باطلا والباطل حقا .

والثانى : تحكيمه هواه على ماجاء به الرسول ﷺ وانقياده للهوى واتباعه له ». ثم قال ابن القيم : « وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان وأزهر فيه مصباحه فإذا عرضت عليه فتنة أنكرها فازداد نوره وإشراقه وقوته » راجع إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم .

ولقد قسم الصحابة القلوب إلى أربعة كما ورد عن حذيفة قوله وهو صحيح «القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهر ، فذلك قلب المؤمن ، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر وبصر ثم عمى ، وقلب تمده مادتان مادة إيمان ومادة نفاق ، وهو لما غلب عليه منها » ، فقوله قلب أجرد أى تجرد وسلم مما سوى الحق ، ...فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغى .....وأشار بالقلب الذى به مادتان إلى القلب الذى لم يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه سراجه ، حيث لم يتجرد للحق المحض ، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه ...والحكم للغالب عليه وإليه يرجع . وحتى يسلم المرء من ذلك لابد له مع أى عمل من ديوانين كما قال ابن القيم : « مامن فعلة وإن صغرت إلا وينشر لها ديوانان : لم ؟ وكيف ؟ أى لم فعلت ؟ وكيف فعلت؟ فالأول سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه هل هو حظ عاجل من حظوظ العمل وغرض من أغراض الدنيا ،.......أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى وابتغاء الوسيلة إليه ؟ ....والثانى : سؤال عن متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك التعبد ، أى هل كان ذلك العمل مما شرعته لك على لسان رسولى ، أم كان عملا لم أشرعه ولم أرضه ؟ فالأول سؤال عن الإخلاص والثانى سؤال عن المتابعة فإن الله سبحانه لايقبل عملا إلا بهما . انتهى من إغاثة اللهفان بتصرف يسير ..

وبرغم ما ذكرناه فوجئنا بمن يطالب الشباب بالنزول فى مظاهرات تحت شعار الثورة الإسلامية، رافعين المصاحف فى أيديهم .

رأيت الخطر يتهدد كتاب الله، فقد يسقط على الأرض، وقد يمتهن ويداس أثناء الأحداث والصدام بين أجهزة الأمن وبين المتظاهرين رافعى المصاحف ، وهنا سيلتقط هؤلاء المتظاهرون الصور ، وينشرون الفيديوهات عن انتهاك حرمة المصحف ، وعن كفر وردة الضباط والجنود الذين هم بحسب رأيهم لايحترمون المصحف الشريف ولايعظمونه .

رأيتها تجارة رخيصة ، ومحاولة دنيئة من قوم لم يرعوا للقرآن حرمته، ولا لنسائهم كرامة، ولا لأطفالهم حقا، فعرضوا النساء والأطفال للإهانة والقتل، وهاهم يعرضون المصحف لذات المصير، ولم تردعهم النار التى اشتعلت فى مسجد رابعة أثناء فض اعتصامهم المشؤوم فحاولوا تكرار المأساة مع كتاب الله تعالى.

أصدرت البيان الرابع فى فيديو مصور وأسميته : « دماء على المصحف »، وفعلا خيب الله مسعاهم، ولم ينزل معهم أحد ، وكفى الله كتابه مكر الماكرين ، واستهتار العابثين .

لقد جمعت هذه النصائح الأربع في فصل بعنوان «صرخات في ميدان الموت » ، وأفردت كل نصيحة منها بمبحث مستقل، يحمل نفس العنوان المذكورعلى الفيديو الخاص به ، وأضفت فصولا جديدة أحدها بعنوان «يداك أوكتا وفوك نفخ » ، وفصلا بعنوان « التحرير فى كشف شبهات التفجير » وفصلا باسم « ظلام من الغرب » و آخر بعنوان « هكذا فلنبلغ الإسلام » ثم فصلا آخيرا بعنوان «الدين الحقيقى والدين الصناعى »، ليكتمل بذلك عندنا ستة فصول ،مهدت لها جميعا بتمهيد ، «سميته الدين النصيحة»، لتصبح بذلك فصولا سبعا باعتبار التمهيد فصلا وإن لم نسمه فصلا ، وقدمت لها جميعها بمقدمة، ثم وضعت عنوانا

للملاحق ، وختمت بخاتمة قصيرة، وقائمة بالمراجع ثم فهارس للموضـوعات ، لقد جاءت رحلة هذا الكتاب قلبنا فيها صفحات من تاريخ العنف تكللت بظـلام الجهل تارة ، وبظلمـات الهـوى والعنـاد والاستبداد بـالرأى تـارات ، توشـحت بوشاح الحداد والبكاء ساعة ، وتدثرت بدثار الكذب والخداع ساعات ، وسادت سفاهة الحلم وحداثة السن ، وبلاهة الفكر ، وخفـة الـرأى ، وتقلبـت العواطـف بأقوام كما تتقلب بالريشة العواصـف الطـوام ، رأينـا جراحـات في بلـد الحـرمين الشريفين ، وعاينا حرقة وصرخات في مصر الكنانة ، وغاصت السيقان في الـدماء البريئة إلى الركب في جزائر المليون شهيد ، وارتفع الأمان وغاب السلام في بغـداد الرشيد ، وعمت الحسرات والندامة شام الكرامـة ، ورفرفـت الرايـات السـود ، والأكف السود ، من قلوب يلفها السواد فكانت ظلمات بعضها فـوق بعـض ، إذا أخرج المرء يده لم يكد يراها ، لكن لم تنتهى بنا الرحلة عـلى هـذه الصـورة القاتمـة البهيمة ، وإنما رأينا نورا ينبثق في الأفق ، وبصيصا يلوح في النفق ، سـمعنا صـوت الأزهر يجلجل في أوربا ، وسمعناه في أندونيسيا ، يصدع ويفضح جماعـات العنـف والإرهاب ، ويزيل اللثام عن عظمـة الإسـلام ، ورأينـا علمـاء الشـريعة تـتجلى أنوارهم في كل مكان تكشف لنا الطريق ، وتزيح ظـلام التكفيـر وركـام التفجيـر ، وسمعنا خادم الحرمين الشريفين يقولها : نحن جميعا ضد الإرهاب ، وإسلامنا منه براء ، وأبى الله إلا أن يثلج صـدورنا أكثـر بشـهادة العديـد مـن علمـاء ومفكـرى وساسة الغرب ، فجاءت شهاداتهم للإسلام ونبى الإسلام - وهما غنيـان عنهـا - نورا على نور ، فالحمد كلـه لـك يـارب أن نـورت حياتنـا بالإسـلام ، وشـرحت صدورنا بالإيمان ، وأصلحت بالنا بالإذعان لـك ، وشـرفتنا بالانتسـاب إلى الأمـة الوسط لنكون شهداء على الناس ويكون الرسول علينا شهيدا .

أطلقت على هذه الموضوعات جميعها اسم :

«صناعة الأزمة»

«قراءة في أوراق العنف»

واخترت بعض الأحداث التى جرت وآثرت أن تكون متباعدة في زمنها متنوعة في مكانها خلصنا منها أن جماعات العنف هدفها واحد، وأساليبها متشابهة، وأنه ليس ثمة فارق كبير بينها مهما اختلفت مسمياتها «تعرضت لأحداث اقتحام الحرم المكى الشريف على يد جهيمان وأتباعه، وكذلك قلبت بعض أوراق العنف التى جرت وقائعها في مصر فترة التسعينات، ولم أنس قتل السفير المصرى في العراق، وعرجت على تفجيرات الرياض ببلاد الحرمين الشريفين عام ٢٠٠٣م، كما تعرضت بكلام طويل لما جرى من قتل وقتال على أرض الجزائر في التسعينيات من القرن الماضى، ثم مباحث أخرى عظيمة النفع تخدم الموضوع وعقدت مقارنة بين الدين الحقيقى الذى ينشر أنواره على الأكوان والإنسان، وبين الدين الصناعى الذى يرخى ظلامه عى العقول والأذهان والوجدان، ولقد وصف الله تعالى نبيه ورسالته قائلا ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ لقد شفعت كل حدث أو حديث مما ورد بالكتاب بذكر أقوال العلماء وفقهاء الإسلام لنربط الأحداث بموقف الشريعة منها وحكم الفقهاء عليها ليميز الله الخبيث من الطيب، وتتجلى أمامنا الطريق، وسوف يحكم التاريخ على كل أحد بما اقترفت يداه، والله خير الحاكمين وهو أرحم الراحمين . .

أسأل الله تعالى أن يجعل عملى كله صالحا، وأن يجعله لوجهه خالصا، وألا يجعل لنفسى ولا لأحد فيه شيئا؛ كما أرجو أن ينفعنى الله به وغيرى يوم الدين، وماكان فيه من خير فهو من الله وحده، وله الفضل والمنة، وماكان من خطأ فمن نفسى، والله تعالى منه برىء، وكذلك رسوله ﷺ، كما أبرأ إلى الله من كل عيب أو

نقص أو نقيصة فيه ، أو في غيره من أعمالي، وقد صدر كتابي الأول «نظرات في التفكير والتكفير» وهذا هو الكتاب الثاني ، وإني لأستغفر الله من كل كلمة قد تكون وردت في غير موضعها ، أو قيلت في غير أهلها ، أو كانت بغير حق ، ومستعد لتصحيحها ، فلست أريد إلا الحق ، والحق فقط ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ والله تعالى ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ و ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ وإني لأدعو الله تعالى لي ولغيري بما دعا به سيد الدعاة محمد ﷺ: **« اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا ، وارزقنا اجتنابه ، ولاتجعله ملتبسا علينا فنضل ، واجعلنا للمتقين إماما ، اللهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شر نفوسنا ، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير».**

«سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين»

كتبه

د / أحمد عبد الرحمن

(حمادة عبد الرحمن)

القاهرة ١٥ من مايو ٢٠١٦ م .

٠١٠٦١٠٤٨٩٩٠ م

تمهيد

الدين النصيحة

«الدين النصيحة»، هكذا لخصها وحددها رسول الله ﷺ، أن النصيحة هى الدين، وأن جماع الدين يقوم بالنصيحة، فبها يكون الرشاد، ويهتدى العباد، ويسود الأمن والإيمان فى البلاد، وهى وظيفة المرسلين، وخلق الدعاة والمصلحين، وعليها جبلت النفوس، وإليها تشرأب الرؤوس ، ويحتاجها الرئيس والمرؤوس، ولما كانت النصيحة لاغنى عنها، ولايسع أحدا تركها ما قدر عليها، كان هذا الفصل التمهيدى ، الذى تضمن بعضا من أحكامها، وآدابها، وأخلاقها، ونماذج من النصيحة النافعة لسلف هذه الأمة وعلمائها، وقد عثرت عليه فى موقع صيد الفوائد، بقلم الأستاذ عبده فايد فضممته إلى هذا الكتاب، شاكرا لصاحبه وناشره، آملا فى نفعه وكفايته ،وقد عرضه الكاتب فى عدة محاور على النحو التالى :

المِحْور الأول: أهمية النصيحة.

المحور الثاني: تعريف النصيحة .

المحور الثالث: أهمِّيتها.

المحور الرابع: لمن تكون النصيحة ؟

المحور الخامس: حُكمها.

المحور السادس: شُروطها.

المحور السابع: آدابُ النصيحة.

المحور الثامن: العوامل المؤثِّرة في قبول النصيحة.

المحور التاسع: نماذج رائعة من نصائح السَّلَف .

والى تفاصيل ذلك :

المحور الأول: أهمية النصيحة:

جاء في الحديث عن أبي رقية تميم بن أوسٍ الدَّاري رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «الدِّين النصيحة»، قلنا: لِمَن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين، وعامَّتِهم»؛ رواه مسلم.

وهذا الحديث الشريف رواه خمسةٌ من أجِلاَّء الصحابة، هم: تميم بن أوس الداريُّ، وابن عُمر، وأبو هريرة، وثوبانُ، وابن عبَّاس -رضي الله عنهم جميعًا- وهذا يدلُّك على أهمية النَّصيحة.

ومِمَّا يدلك أيضًا على أهمية النصيحة أنَّه قد جاءتْ أحاديثُ أخرى في الحثِّ عليها عن عددٍ من الصحابة؛ منهم: جرير بن عبدالله، وحُذيفة بن اليمَان، وأنَس بن مالك، وأبو أمامة، وأبو أيُّوب، وغيرُهم رضي الله عنهم جميعًا.

وفي هذا الحديث يُخبِر النبيُّ - ﷺ - أن النصيحة هي الدِّين كلُّه؛ ذلك أن الدِّين كُلَّه نُصْح؛ فالصَّلاة، والصِّيام، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وبَذْلُ السَّلام، وإحسان الكلام؛ كلُّ ذلك نصح، قال ابن رجب - رحمه الله -: «هذا يدلُّ على أن النصيحة تشمل خِصالَ الإسلام والإيمان والإحسان التي ذُكِرَت في حديث جبريل - عليه السلام - وسمَّى ذلك كلَّه دينًا» (جامع العلوم والحكم ج١ ص٢١٠).

وقال النوويُّ - رحمه الله -: «هذا حديثٌ عظيم الشَّأن، وعليه مَدارُ الإسلام... وأمَّا ما قاله جماعاتٌ من العلماء أنَّه أحدَ أرباعِ الإسلام؛ أيْ: أحَدُ الأحاديثِ الأربعة التي تَجمع أمورَ الإسلام، فليس كما قالوه، بل المدارُ على هذا وَحْدَه» (شرح مسلم ج٢ ص٣٧).

المحور الثاني: تعريف النصيحة:

١ - النصيحة لغةً: مأخوذة من مادة « نصح » التي تدلُّ على ملائمةٍ بين شيئين، وإصلاحٍ لَهما، وأصل ذلك النَّاصح، وهو الخيَّاط ، والنصيحة: خلاف الغِشِّ، يُقال: نصحته أنصحه.

وقال الرَّاغب: «النُّصح مأخوذٌ من قولهم: نصحتُ له الـود؛ أيْ: أخلصـتُه، أو من قولهم: نصحت الجِلد: خِطْتُه».

وقال ابنُ منظور: «نَصَحَ الشيءُ: خلص، والنَّاصح الخالِص من العمل وغيره» (لسان العرب ج٧ ص٤٤٣٨ والمفردات للأصفهانى ص٤٩٤).

٢- واصطلاحًا: قال الخطابيُّ - رحمه الله -: «النصيحة كلمة يعبَّر بها عن جملةٍ، هي إرادة الخير للمنصوح له» (معالم السنن ج٤ ص١٢٥، ١٢٦).

وقال الراغبُ رحمه الله: النُّصح تَحرِّي فعلٍ أو قول فيه صلاحُ صاحبه» (المفـردات ٤٩٤).

وقال محمد بن نصر رحمه الله: «قال بعضُ أهل العلم: جِمَاعُ تفسير النَّصيحة هـو عناية القلب للمنصوح، مَن كان»(جامع العلوم والحكم ج١ ص٢٢٠).

وقال الجرجانِيُّ رحمه الله: «هي الدُّعاء إلى ما فيه الصَّلاح، والنهي عمَّا فيه الفساد» (التعريفات ص ٣٦٠).

المحور الثالث: أهمية النصيحة

للنَّصيحة أهمية عظيمة في دين الإسلام، وتظهر أهميتُها من خلال الأمور الآتية:

أوَّلاً: أنَّها عِمادُ الدِّين وقوامه؛ لقوله ﷺ: «الدِّين النَّصِيحَة».

ثانيًا: أنَّها وظيفةٌ من وظائف الأنبياء؛ فقد ذكر الله - تبارك وتعالى - في القرآن الكريم على لسان نوحٍ عليه السلام قولَه لقومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وقال سبحانه على لسان هود عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٨]، وقال سبحانه على لسان صالِح عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٩]، وقال سبحانه على لسان شعيبٍ عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٩٣]... وهكذا هي طريقة كلِّ مَن سار على دربِهم من العلماء والأولياء،

وسائر الصُّلَحاء.

ثالثًا: أن النبيَّ ﷺ أخذ البيعةَ عليها؛ فعن جَرِير بن عبدالله رضي الله عنه قال: «بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة، والنُّصح لكلِّ مسلم»؛ رواه البخاريُّ ومسلمٌ، فالنَّصيحة قرينةُ الصَّلاة والزَّكاة؛ ولذلك فقد أخذ النبيُّ ﷺ البيعةَ عليها.

رابعًا: أنَّها دليلٌ على الخيريَّة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠]، وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لا خيرَ في قومٍ ليسوا بناصحين، ولا خير في قوم لا يحبُّون الناصحين» [رسالة المسترشدين ص٧١]، فالنصيحة دليلٌ على خيريَّة القائمين بها، وعلى خيرية المستجيبين لها.

خامسًا: أن القائمين بها خُلَفاء الله في أرضه؛ قال الحسَنُ البصريُّ رحمه الله: «ما زال لله ناسٌ يَنصحون لله في عباده، ويَنصحون لعباد الله في حقِّ الله عليهم، ويَعملون له في الأرض بالنَّصيحة، أولئك خُلفاء الله في الأرض» [شرح البخارى لابن بطال ج١ ص ١٣٠].

سادسًا: أنَّها صفةٌ من صفات المؤمنين الصَّادقين: «المؤمنون نصَحةٌ، والمنافقون غشَشة».

سابعًا: أنَّها دليل على المحبَّة والتآلُف، قال الحارث المحاسبيُّ - رحمه الله -: «اعلم أن مَن نصحك فقد أحبَّك، ومن داهنك فقد غشَّك، ومن لم يَقبل نصيحتك فليس بأخٍ لك»[رسالة المسترشدين ٧١]..

المحور الرابع: النصيحة لمن تكون؟

لَمَّا سمع الصحابةُ - رضوان الله عليهم - الرسولَ - ﷺ - يقول: «الدِّين النصيحة»، سألوه فقالوا: «لِمَن يا رسول الله؟»؛ أي: لِمَن تكون؟ فأجابَهم - عليه الصَّلاة والسَّلام - بأنَّها تكون لخمسة أصناف:

الصِّنف الأول: «لله» : وكيف تكون النَّصيحة لله؟

تكون: بالإيمان به حقَّ الإيمان، وأنَّ له الأسماءَ الحسنى، والصفاتِ العُلى، ونفي جميع العيوبِ والنَّقائص عنه، والقيام بأداء فرائضه، واجتناب مَحارمه، والاعتراف بنِعَمِه، والقيام بِشُكرها.

الصنف الثاني: «ولكتابه» : وذلك بالإيمان بأنَّه كلامُ الله، وأنه محفوظٌ من التَّبديل والتغيير إلى قيام الساعة، وأنه ناسخٌ لِجميع الكتب المتقدِّمة، وتحكيمه في كلِّ صغيرة وكبيرة، وتعلمه وتعليمه، وتحكيمه، وحفظ حدوده وحروفه.

الصنف الثالث: «ولرسوله» : وذلك بالتصديق برسالتِه، وأنَّه أفضلُ الأنبياء والمُرسَلين، وخاتَمُ النبيِّين، وطاعته - عليه الصَّلاة والسَّلام - في أمره ونَهْيه، ونُصرته حيًّا وميتًا، ومُعاداة مَن عاداه، ومُوالاة من والاه، وإحياء سُنَّتِه، وبَثٌّ دعوته، ونشر شريعته، ونفي التُّهمة عنه، ومَحبَّة أهل بيته وصحابته، ومُجانبة مَن ابتدع في دينه.

الصنف الرابع: «ولأئمَّة المسلمين» : والمقصود بأئمة المسلمين هنا طائفتان:

الطائفة الأولى: وُلاة أمر المسلمين الحُكَّام العدول: وتكون النَّصيحة لهم بإعانتهم على الحقِّ، وطاعتهم في طاعة الله، ودفع الظُّلم عنهم، وجمع الكلمة عليهم ما داموا قائمين بأمر الله.

الطَّائفة الثانية: العلماء: وتكون النَّصيحة لهم بِنَشر علمهم، وإحسان الظنِّ بِهم، وتقديرهم واحترامهم، وإعطائهم حقوقَهم، والدِّفاعِ عنهم، وغير ذلك.

الصنف الخامس: «وعامَّتِهم» : وذلك بِتَعْبيدهم لِخالقهم، وتعليمهم ما يَنفعهم، وتَحذيرهم مِمَّا يضرُّهم، وكفِّ الأذى عنهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، والدِّفاع عن أموالِهم، وأعراضهم، وحُبِّك لهم ما تُحِبُّ لنفسك، وما أشبه ذلك .

المحور الخامس: حكم النصيحة

اختلف العلماءُ في حكم النَّصيحة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنَّها فرضُ عين، وهو قول ابن حزمٍ الظَّاهري [رسالة الجامع ج٢ص٥٦].

القول الثاني: فرض كفاية، وهو قول ابن بطَّال [شرح مسلم ج٢ص٣٩ ، وشرح البخارى ج١ص١٢٩].

القول الثالث: أنَّها فرضٌ مرَّةً، وأخرى نافلةٌ، فالمفروضة هي: شِدَّة العناية من النَّاصح باتِّباع محبَّة الله في أداء ما افترَض، ومُجانبةِ ما حرم، والنافلة هي: إيثار محبَّتِه على محبَّة النَّفس، وهو قول ابن رجب[جامع العلوم والحكم ج١ص٢٢٠].

وقد فسَّر ابنُ رجب - رحمه الله - كلامه - هذا بقوله: «فالفرض منها مُجانبة نَهيِه، وإقامةُ فرضه بجميع جوارحه ما كان مُطيقًا له، وأمَّا النصيحة التي هي نافلةٌ لا فرض، فبَذْل المَجهود بإيثار الله على كلِّ محبوبٍ بالقلب وسائر الجوارح؛ حتَّى لا يكون في الناصح فضلٌ عن غيره؛ لأنَّ الناصح إذا اجتهد لم يُؤْثِر نفسه عليه، وقام بكلِّ ما كان في القيام به سرورُه ومَحبَّتُه، فكذلك النَّاصح لربِّه» [جامع العلوم والحكم ج١ ص ٢٢٠-٢٢١].

وقال ابن بطَّال - رحمه الله -: «والنَّصيحة فرضٌ يُجْزِئ فيه مَن قام به، ويَسقط عن الباقين، والنَّصيحة لازمةٌ على قَدْر الطَّاقة إذا علم النَّاصحُ أنه يُقبل نصحُه، ويُطاع أمْرُه، وأَمِن على نفسه المكروه، وأمَّا أن خشي الأذى فهو في سعةٍ منها» [شرح البخارى لابن بطال ج١ ص ١٢٩].

وعليه فنقول: أن الأصل في النصيحة أنَّها فرضُ كفايةٍ؛ إذا قام بها مَن يكفي سقط الإثمُ عن الآخر، وتكون فرضَ عينٍ في الأحوال التالية:

الحالة الأولى: إذا طلَبَها منك أخوك المسلم؛ لِحديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن

رسول الله - ﷺ - قال: «حَقُّ المسلم على المسلم ستٌّ، قيل: ما هُنَّ يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيتَه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجِبْه، وإذا استنصحك فانصَح له، وإذا عطس فحَمِد الله فشمِّتْه، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتَّبِعه» رواه مسلم.

قوله: «وإذا استنصَحَك»؛ أي: طلب منك النَّصيحةَ، «فانصَحْه»، وهذا دليلٌ على وجوب نصيحة مَن يستنصِحُه، وعدم الغشِّ له.

الحالة الثانية: عند رؤية المُنكَر الذي سكت عنه النَّاس، وعلمته أنت بحيث لا يترتَّبُ على إنكارِه مُنكَرٌ أكبرُ؛ لقوله - ﷺ -: «مَن رأى منكم منكرًا فليُغيِّره بيده، فإنْ لَم يستطع فبلسانه، فإن لَم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلمٌ.

وقوله: «فليغيِّرْه» أمرٌ، والأمر دليل على الوجوب، فمن رأى منكرًا، وكان قادِرًا على تغييره وجب عليه إنكارُه- قلت «بضوابطه الصحيحة» .

الحالة الثالثة: عند عِلْم الإنسان بالخطَر الذي لا يَعْلمه غيرُه، ولا يتفطَّن له إلا هو، ويعني ذلك أنَّه إن كان لا يعرف هذا المنكرَ إلا هو؛ فهنا وجب عليه النُّصح وجوبًا عينيًّا؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولَمَّا كان النبيُّ - ﷺ - هو وحده من البشَرِ الذي يَعلم هذا الخير؛ تعيَّن عليه بلاغُه، قال الإمام النوويُّ - رحمه الله -: «قد يتعيَّن - أيِ: الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر - كما إذا كان في موضعٍ لا يَعلم به إلا هو، أو لا يتمكَّن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجتَه أو ولده أو غلامه على منكرٍ أو تقصير في المعروف »[شرح مسلم للنووى ج٢ ص ٢٣]

المحور السادس : «شروط النصيحة»

ذكر العلماءُ - رحمهم الله - شروطًا في حقِّ الناصح وفي حقِّ المنصوح، ومن هذه الشُّروط الآتي:

الشرط الأول: الإسلام: الأصل في النَّاصح أن يكون مسلمًا، عالِمًا بِما يَنصح

به، وعمَّا ينهى عنه، وأمَّا بالنسبة للمنصوح، فيرى بعضُ العلماء أنَّه لا بد أن يكون مسلِمًا؛ قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «ليس على المسلم نصحُ الذمِّي» [جامع العلوم والحكم ج١ص٢٢٥]، واستدَلُّوا بحديث جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - الذي فيه: «والنُّصح لكلِّ مسلم»؛ رواه البخاريُّ.

وذهب ابنُ حجر - رحمه الله - إلى عدم اشتراطِ الإسلام، وأن التقيُّد بالإسلام للأغلب؛ حيثُ قال: والتقيُّد بالمسلم للأغلب، وإلاَّ فالنُّصح للكافر معتبَرٌ بأن يُدعَى إلى الإسلام، ويُشار عليه بالصَّواب[فتح البارى ج١ص١٤٠].

الشرط الثاني والثالث: البلوغ والعقل: ويُشترط فيهما أن يكونا بالِغَيْن؛ لأنَّ البلوغ والعقل مناط التَّكليف، وقد رفع الإثم والحرج عن ثلاثةٍ؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «رُفِعَ القلم عن ثلاثةٍ: الصبِي حتَّى يحتلم...» رواه أبو داود وابن ماجه، وصحَّحه الألبانِيُّ في «صحيح ابن ماجه» برقم (١٦٦٠).

المحور السابع : « آداب النصيحة »

للنَّصيحة آداب ينبغي التأدُّب بِها، ومراعاتُها، ومن أهَمِّها ما يأتِي:

أوَّلاً: الإخلاص لله تعالى؛ وذلك بأن يَقصد النَّاصِحُ بنصحه وجْهَ الله - عزَّ وجلَّ - لقوله الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾[الزمر: ٢].

ثانيًا: الرفق واللِّين، ينبغي للناصح أن يتحلَّى بالرفق واللِّين؛ كما يقول النبيُّ ﷺ: «ما كان الرِّفقُ في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم.

وقد نفى الله عن نبيِّه الغلظةَ والشِّدة، فقال: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال عبدالعزيز بن أبي روَّاد: «كان مَن كان قبلكم إذا رأى الرَّجلُ مِن أخيه شيئًا يأمره في رفق، فيُؤجَر في أمره ونَهيِه، وإنَّ أحدَ هِؤلاء يخرق بصاحبه، فيستغضب أخاه، ويَهتك سِتره»[جامع العلوم والحكم ج١ ص٢٢٥].

وقد ذَهَب بعضُ العلماء إلى وجوب الرِّفق في النَّصيحة؛ قال الغزاليُّ - رحمه الله -: ويدلُّك على وجوب الرِّفق ما استَدلَّ به المأمونُ إذْ وعظه واعظٌ، وعنَّف له في القول، فقال: يا رجل! ارفق؛ فقد بعَث اللهُ مَن هو خيرٌ منك إلى من هو شَرٌّ منِّي، وأمره بالرِّفق؛ قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، فلْيَكن اقتداءُ المُحتسب في الرِّفق بالأنبياء - عليهم الصَّلاة والسَّلام [إحياء علوم الدين ج٢ ص٣٣٤].

وليتَ الدُّعاة النُّصحاء، والخُطباء البلغاء، والمرشدين النُّبلاء يقتدون بالنبيِّ - ﷺ - في قصَّة الشابِّ الذي جاء إلى النبيِّ - ﷺ - يَستأذنه في الزِّنا، فما كان منه - عليه الصَّلاة والسَّلام - إلا أن قام بِنُصحه بالرِّفق واللِّين؛ فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن غلامًا شابًّا أتى النبيَّ - ﷺ - فقال: يا نَبيَّ الله، تأذن لي في الزِّنا؟ فصاح الناسُ به، فقال النبيُّ - ﷺ -: «قرِّبوه، ادْنُ»، فدنا حتَّى جلس بين يديه، فقال النبيُّ - ﷺ - : «أتحبُّه لأمِّك؟!» فقال: لا، جعلني الله فداك! قال: **«كذلك الناس لا يحبُّونه لأمَّهاتهم، أتحبُّه لابنتك؟»** قال: لا، جعلني الله فداك! قال: **«كذلك الناس لا يحبُّونه لبناتِهم، أتحبه لأختك؟»** قال: لا، جعلني الله فداك! قال: **«كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم»**، فوضع رسولُ الله - ﷺ - يده على صدره، وقال: **«اللَّهم طهِّر قلبه، واغفر ذنبه، وحصِّن فَرْجَه»**، فلم يكن شيءٌ أبغض إليه منه؛ رواه أحمد، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٧٠).

ثالثًا: أن تكون النصيحة سرًّا؛ لأنَّ النُّصح أمام الناس يولِّد ردودَ أفعال، ورُبَّما لا تقبل النَّصيحة، بل يزداد الأمر سوءًا؛ ولذلك فقد كان سلَفُنا الصالح - رضوان الله عليهم - يَحرصون على النُّصح سرًّا؛ قال بعضهم: «من وعَظ أخاه فيما بينه وبينه، فهي نصيحة، ومَن وعظه على رؤوس الناس فإنَّما وبَّخه».

وقال الفُضيل بن عياض رحمه الله: المؤمن يَستر ويَنصح، والفاجر يهتك ويُعيِّر.

ولله دَرُّ الشافعي رحمه الله إذا يقول: «من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانَه، ومن وعظه علانيةً فقد فضحه وشانه».

وسُئِل ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن أمر السُّلطان بالمعروف، ونَهيه عن المُنكَر، فقال: إن كنتَ فاعلاً ولا بدَّ، ففيما بينك وبينه [جامع العلوم والحكم ج١ ص٢٢٥].

وقد أنشد الإمام الشافعي شعرًا، فقال :

تَعَمَّدْنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي
وَجَنِّبْنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَهْ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ
مِنَ التَّوْبِيخِ لاَ أَرْضَى اسْتِمَاعَهْ
فَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي
فَلاَ تَغْضَبْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَه

وقال ابنُ حزم: «وإذا نصحْتَ فانصح سرًّا لا جهرًا، وبتعريضٍ لا تصريح، إلا أن لا يَفهمَ المنصوحُ تعريضَك، فلا بدَّ من التصريح»[الأخلاق والسير ص ٤٤].

وقد قال الله تعالى لإمام النَّاصحين – عليه الصَّلاة والسَّلام –: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]؛ أيْ: وانصَحْهم فيما بينك وبينهم بكلامٍ بليغ، رادعٍ لهم [تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٤٧].

رابعًا: اختيارُ الأحوال والأزمنة المُناسِبة: فعلى النَّاصح أن يكون فَطِنًا لبيبًا في اختيار الأحوال والأزمنة المُناسبة، وعليه أن يتقمَّص الفُرَص السَّانحة، فاختيار

الحـال والزَّمـان المناسـب مـن أكبـر الأسـباب لقبـول النَّصـيحة، قـال ابـن مسـعودٍ ﷺ : «إنَّ للقلـوب شـهوة وإقبـالاً، وفتـرةً وإدبـارًا، فخُـذوها عنـد شهوتِها وإقبالِها، وذَرُوها عند فترتها وإدبارها»، فهنيئًا لذلك الداعية الـذي يَعـرف متـى تُـدْبِر القلـوب ومتـى تُقْبِـل، فيُحسِـن الإنكـار، ويُجيـد مُخاطبـة القلـوب» [فقه الدعوة في إنكار المنكر ١١٤، ١١٥].

وقد كان النبيُّ - ﷺ - يتخوَّل أصحابَه بالموعظة أحيانًا؛ مَخافة السَّآمة عليهم.

المحور الثامن : «العوامل المؤثِّرة في قبولِ النصيحة »

إذا أردتَ أن تكون نصيحتُك مقبولةً ونافعة، وتـؤتي ثِمارَهـا، فعليـك بالتـأدُّب بآدابها، ومن أهَمِّها ما يأتي:

أوَّلاً: التأدُّب بآداب النصيحة التي سبق ذِكْرُها.

ثانيًا: التثبُّت والتأكُّد من أن الشخص المرادَ نُصْحُه قد وقع منه الخطأ والزَّلل فعلاً.

ثالثًا: القُدوة الحسنة، وذلك بأن يكـون الناصـح عـاملاً بِمـا يـأمر النـاسَ بـه، وتاركًـا لِمـا يَنهـى النـاسَ عنـه، قـال أبـو بكـر الآجُـرِّي - رحمه الله -: «ولا يكـون ناصـحًا لله ولرسـوله ولأئمَّـة المسـلمين وعـامتهم إلا مَـن بـدأ بالنصـيحة لنفسه، واجتهدَ في طلب العلم والفقه؛ لِيَعرف بـه مـا يجـب عليـه، ويَعلـم عـداوة الشَّيطان له، وكيف الحذَرُ منه، ويعلم قبيحَ ما تَميـل إليـه الـنَّفسُ؛ حتَّـى يُخالفهـا بعِلم» [شرح البخارى لابن بطال ج١ ص١٣٠].

وقد وبَّخ اللهُ تعالى بني إسرائيلَ على تناقُضِ أقوالِهم مـع أفعـالهم، فقـال: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال النبي - ﷺ -: «يُؤتَى بالرَّجُل يوم القيامة فيُلقى في النـار، فتنـدلق أقتـابُ بطنه، فيدور بِها كما يدور الحمار في الرَّحى، فيجتمع إليـه أهـلُ النـار، فيقولـون:

يا فلان، ما لك؟ ألَم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: بلى، كنتُ آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»؛ روه مسلم.

ورحم الله أبا الأسودِ الدُّؤلِيَّ حين قال:

يَـا أَيُّهَـا الرَّجُـلُ الْمُعَلِّـمُ غَيْـرَهُ
هَـلاَّ لِنَفْسِـكَ كَـانَ ذَا التَّعْلِـيمُ
تَصِفُ الـدَّوَاءَ لِـذِي السَّقَامِ مِنَ الضَّنَا
كَـيْ يَشْـتَفِي مِنْـهُ وَأَنْـتَ سَـقِيمُ
لاَ تَنْـهَ عَـنْ خُلُـقٍ وَتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ
عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْـتَ عَظِـيمُ
ابْـدَأْ بِنَفْسِـكَ فَانْهَهَـا عَـنْ غَيِّهَـا
فَـإِذَا انْتَهَـتْ عَنْـهُ فَأَنْـتَ حَكِـيمُ
فَهُنَـاكَ يُقْبَـلُ مَـا تَقُـولُ وَيُقْتَـدِي
بِـالْقَوْلِ مِنْـكَ وَيَنْفَـعُ التَّعْلِـيمُ

رابعًا: إشعار المنصوح بالشَّفقة والمحبَّة، فذلك هَدْيُ الأنبياء - عليهم السَّلام - فقد كانوا يقولون لأقوامهم: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، ويدخل في ذلك: الابتسامةُ الصَّادقة في وجه المنصوح قبل نصيحته، والكلمةُ الطيبة، والثَّناءُ عليه، وتعديدُ مَحامدِه، أو الهديَّة.

خامسًا: إنزال الناس منازِلَهم، وذلك باتِّخاذ الأسلوب المناسب معهم، فكما هو معلومٌ أن الناس ليسوا على درجةٍ واحدة، بل هم درجاتٌ متفاوتة، فيتَّخِذ مع كلِّ واحد أسلوبًا يناسبه؛ فإمام المسلمين يسلك في نصحه أسلوبًا مناسِبًا لمقامه، والعالِمُ يَسلك في نصحه أسلوبًا يناسبه، والأب والأم يتَّخذ معهما أسلوبًا يناسبهما

ويليق بِهما، والجاهل يتخذ معه أسلوبًا يفيده، والمعانِد يتخذ معه أسلوبًا يليق به... وهكذا.

سادسًا: المصداقيَّة في النصيحة؛ قال تعالى حاكيًا عن فرعون أنَّه قال لقومه: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فظاهِرُ قوله أنَّه صادقٌ في نصح قومه، وأنَّه يرشِدُهم إلى ما فيه نفعُهم! ولكنَّه في الحقيقة كاذبٌ دجَّال؛ حالُه كحال إبليس اللَّعين حينما قال لأبينا آدمَ وأُمِّنا حوَّاء: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف: ٢١]، وهو أكذب الكاذبين!

فهذه جملةٌ من العوامل المفيدة والنافعة، والمؤثِّرة في قبول المنصوح لنصيحة النَّاصح.

المحور التاسع: نماذج رائعة من نصائح السلف:

لقد سطر لنا تاريخُنا الإسلامي الزاهر نماذِجَ رائعةً في أخذ السَّلف بالأسلوب المؤثِّر في قبول النَّصيحة، والاستجابة لَها، وإليك بعضًا من تلك النَّماذج الفريدة.

النَّموذج الأول: الحسن والحسين رضي الله عنهما :

يُروى أن الحسنَ والحسين رضي الله عنهما رأيَا رجلاً كبيرًا في السنِّ يتوضَّأ، وكان لا يُحْسِن الوضوء، فأرادا تعليمَه، فذهبا إليه، فادَّعيا أنَّهما قد اختلفا: أيُّهما حسَنُ الوضوء أكثر مِن أخيه؟ وأرادا مِنه أن يَحكم بينهما، فأمر أحدَهما بالوضوء، ثم أمر الآخَر، ثم قال لهما: أنا الذي لا أعرف الوضوء، فعَلِّماني إيَّاه!

النموذج الثاني: جرير بن عبدالله رضي الله عنه :

عن إبراهيم بن جرير البجليِّ عن أبيه، قال: غَدا أبو عبدالله - أيْ: جرير - إلى الكناسة؛ لِيَبتاع منها دابَّة، وغدا مولًى له، فوقف في ناحية السُّوق، فجعلت الدوابُّ تمرُّ عليه، فمرَّ به فرسٌ، فأعجبه، فقال لمولاه: انطلق فاشتَرِ ذلك الفرس، فانطلقَ مولاه، فأعطى صاحبه به ثلاثمائة درهم، فأبى صاحبُه أن يبيعه، فقال: هل لك أن

تنطلق إلى صاحب لنا ناحيةَ السُّوق؟ قال: لا أُبالي، فانطلقا إليه، فقال له مولاه: إنِّي أَعطيتُ هذا بفرسه ثلاثمائة درهم، فأبى، وذكر أنه خيرٌ من ذلك، قال صاحب الفرس: صدَق، أصلحك أفترى ذلك ثمنًا؟ قال: «لا، فرَسُك خير من ذلك، تبيعه بخمسمائة؟» حتى بلغ سبعمائة درهم، أو ثمانمائة، فلما أن ذهب الرجل أقبل على مولاه، فقال له: «ويحك! انطلَقْت لتبتاع لي دابّة، فأعجبتني دابَّةُ رجل، فأرسلتُك تشتريها، فجئتَ برجلٍ من المسلمين تقوده، وهو يقول: ما ترى؟ ما ترى؟ وقد بايعتُ رسولَ الله - ﷺ - على النُّصح لكلِّ مسلم»؛ رواه الطبراني في «الكبير».

النموذج الثالث: الإمام مالك بن أنس ؒ :

يُروى أن إمامَ دارِ الهجرةِ مالِك بن أنس ؒ كتب إلى الخليفة هارونَ الرَّشيدِ برسالةٍ يَنصحه فيها، يقول: أمَّا بعد، إنِّي كتبتُ إليك بكتاب لَم آلُكَ فيها رشدًا، ولم أدَّخِر فيها نصحًا؛ تحميدًا لله، وأدبًا عن رسول الله، فتدبَّرْه بعقلك، وردِّد فيه بصرَك، وأَرْعِه سمعك، ثُمَّ اعقله قلبك، وأحضر فهمك، ولا تغيبن عنه ذهنك؛ فإنَّ فيه الفضلَ في الدُّنيا، وحُسْنَ ثواب الله في الآخرة، اذكر نفسك في غمرات الموت، وكربة ما هو نازلٌ لديك منه، وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه، ثم الحساب، ثم الخُلود بعد الحساب.

وأعِدَّ لله - عزَّ وجلَّ - ما يسهِّل عليك أهوالَ تلك المشاهد وكُرَبَها؛ فإنَّك لو رأيتَ سخط الله تعالى وما صار إليه الناس من ألوان العذاب، وشدَّة نعمته عليهم، وسمعتَ زفيرهم في النار، وتسابُقهم مع كُلوح وجوههم، وطول غمِّهم، وتقلُّبهم في دركاتِها على وجوههم، لا يسمعون ولا يُبصرون، ويدعون بالويل والثُّبور، وأعظم حسرةٍ إعراضُ الله عنهم، وانقطاعُ رجائهم، وإجالته إيَّاهم بعد طول الغمِّ بقوله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، احذر بطانة السُّوءِ وأهلَ الرَّدى على نفسك؛ فإنَّه بلَغني عن عمر بن الخطَّاب ؓ أنه قال: شاوِرْ في أمرك الذين يَخافون الله .

احذر بطانة السوء وأهل الرَّدى على نفسك؛ فإنه بلغني عـن النبـيِّ - ﷺ - أنـه قال: «**ما من نبيٍّ ولا خليفة إلا وله بطانتان؛ بطانةٌ تأمره بـالمعروف وتنهـاه عـن المنكر، وبطانةٌ لا تألوه خَبالاً**» [صححه الألبانى في الصحيحة برقم ١٦٤١].

ثُم قال: «لا تَجرَّ ثيابك؛ فإنَّ الله لا يحبُّ ذلك، فقد بلغَني عن النبِيِّ - ﷺ - أنه قال: «**من جرَّ ثوبه خُيَلاء لم يَنظر الله إليه يوم القيامة**»؛ رواه مسلم.

أطِع الله في معصية الناس، ولا تُطِع الناس في معصية الله؛ فقد بلغني عـن النبـي - ﷺ - أنه قال: «**لا طاعة لِمَخلوقٍ في معصية الخالق**»؛ رواه مسلم.

فهذه أمور تتعلَّق بالنصيحة، ينبغي على كـلِّ مسـلم ناصـحٍ أن يتحلَّـى بهـا، وأن يكون ناصحًا أمينًا.

اللَّهم إنا نسألك القيامَ بأمرك، والبُعدَ عن نَهيِك، والعمـلَ بِمـا يقرِّبنـا منـك يـا أرحم الراحمين، اللهم إنا نعوذ بك من سخطك والنار، ونسألك رضاك والجنَّـة يـا ذا الجلال والإكرام.

ربنا آتِنا في الدُّنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذاب النار.

الفصل الأول

صرخات في ميدان الموت

أجدنى مشدودا لاختيار هذا العنوان ، وأجدك مشدوها مندهشا من هذه التسمية ، كأنك تريد أن تسأل لماذا صرخات فى ميدان الموت ؟ وحتى لايذهب بك الفكر بعيدا ، وحرصا منى أن أرفع عنك عناء التخمين والتخرصات أقول لك، هذا هو العنوان الأساس الذى سبق واخترته للكتاب ، وسر اختيارى له أن معظم مباحث هذا الفصل عبارة عن نداءات صدرت أثناء اعتصام رابعة والنهضة ، صدرت بالترتيب الذى هى عليه الآن بين يديك ، نصيحة للميدان ، العاشر من رمضان بين الأمس واليوم ، النداء الأخير، هذه النداءات أو الصرخات الثلاثة صرخت بها على المعتصمين فى الميدان وهم فى أشد أوقاتهم تحمسا للاعتصام والاستمرار فيه ، وهم يصدرون تصريحاتهم النارية بالتهديد والوعيد ، وهم يطلقون فتاواهم بالتكفير ، ويلوحون بالأحزمة الناسفة للتفجير ، لكنهم كما قلت سابقا لم يسمعوا ، لاصرخاتى ولانداءات غيرى ، لم يسمعوا إلا أنفسهم ، ولم يستجيبوا إلا لرأيهم وعاطفتهم ثم أصدرت النداء الرابع « دماء على المصحف » ، فى وقت لاحق عندما دعوا للتظاهر رافعين المصاحف فى شهر صفر ، فتذكرت رفع المصاحف فى اعتصام النهروان تحت شعار الحكم لله ، فقد كان أيضا فى شهر صفر ، رأيت المصحف حاضرا فى المناسبتين فكان هذا التحذير «دماء على المصحف» ولئن ذكرت لك المناسبة فإنى لم أخبرك بعد بسبب اختيار هذا العنوان بالذات .

فقد حملنى على هذا الاختيار عدة أمور منها ، أن المعتصمين فى رابعة والنهضة كانوا يتنادون بالموت والاستشهاد كما يقولون من أجل الشريعة والشرعية ، ثم إنهم سيروا الأطفال والنساء حاملين أكفانهم على أيديهم استعدادا للموت ، كما رأيناهم يرصون جثث الموتى بعضها بجوار بعض ويستدعون الإعلام لتصويرها، وللأسف رأينا بعض الموتى يتحركون داخل أكفانهم لتنكشف الكذبة وينفضح الادعاء، إن الله يعلم نبيه ﷺ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]، هكذا محياى قبل مماتى ، بينما هؤلاء كانوا يهتفون « الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» ، فالحياة فى سبيل الله غاية فى الإسلام ، بينما الغاية عندهم هى « الموت فى سبيل الله » بل هى أسمى الأمانى كما يقولون ، رأيت كل ذلك أثناء

فترة الاعتصام ، وتذكرت اعتصام النهروان تحت شعار « الحكم لله » أى نصرة الشريعة ورأيت نفس الدعوى حاصلة فى اعتصام رابعة والنهضة ، ورأيت آلافا من الخوارج القدامى يقتلون فى اعتصامهم الخاطىء فحذرت اللاحقين من مصير السابقين ، ثم كانت عملية الفض التى راح ضحيتها العشرات من الشباب البرىء الذى وثق فى قيادة الاعتصام وحسن سياستهم وحكمتهم فى تقدير الأمور ، وقد وعدوه برجوع مرسى، حتى أنهم كانوا يقولون عن تولى المستشار عدلى منصور رئاسة الجمهورية « هذا فأل خير بعودة مرسى منتصرا إلى القصر، وهذه رسالة من الله أن مرسى عاد إلى القصر منصورا على أعدائه » هكذا قالوا ، لكنه لم يرجع .

ووعدوا الشباب أنهم سيحيلون الأرض لهيبا تحت أقدام العسكر، لكنها اشتعلت نارا فى خيامهم واعتصامهم ، بل والتهمت المسجد الذى جعلوه مقرا لهم ، وغرفة عمليات لتسيير مظاهراتهم ، ومأوى لاجتماع قادتهم ، وانتظر الشباب ماذا سيأتى ؟ فلم يكن شىء مما توقعوه ، ووعدهم به قادة الاعتصام وإنما جاءهم الموت والقتل من حيث لم يحتسبوا ، لما كان ذلك اخترت هذا العنوان « صرخات فى ميدان الموت » أصرخ فيهم وأنبههم ، وجعلته فى عدة مباحث ، خصصت كل مبحث لنداء من النداءات ، ولصرخة من الصرخات ، إنها صرخات نذير تبصر الأمور قبل حصولها ، وجلى الله له العواقب قبل حلولها فهتف فى أهل الميدان كما هتفت النملة فى قومها ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨] لقد استجاب مجتمع النمل للنداء ، لكن معتصمو الميدان « جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا » ، وكانت النهاية التى عايناها جميعا ، ولازالت كربلاء رابعة والنهضة تتجدد كل عام ، هكذا سارت الأحداث ، وهذا ماحذر منه العقلاء والمجربون ، لكن لاحياة لمن تنادى ، فإلى هذه المباحث نسمع خلالها دوى الصرخات ، ونحس حرقة الزفرات ، ونبصر سيل العبرات ، ونشتم رائحة الدم على الأرصفة والطرقات ، ونقف على مدى حماقة وعناد وخداع القيادات ، نرى نور الحكمة والعقل ضد ظلمات الحماقة والهوى ، والله حسبنا ونعم الوكيل .

الفصل الأول

نصيحة للميدان

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[البقرة :١٨٥]

انطلاقا من دينى وضميرى ، من علمى وعقلى ، من رحلتى وتجاربى ، أبعث برسالتى ، وأ توجه بحديثى إلى أطراف المشهد كافة فى مصر، الإسلامى منهم وغيرهم، الإخوانى منهم والسلفى، الجهادى منهم والجماعاتى، إلى القادة فيهم والأ فراد :

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنفال:٢٥]

إن الحرب عمياء لاترى، صماء لاتسمع، حمقاء لاتعقل، بكماء لاتتكلم، مهلكة لاتبقى ولاتذر .

إن صوت الرصاص إذا علا خفت صوت الأذان، وإذا اشتعل لهيب النيران خبا نور القرآن .

ولاتزال المساجد مفتحة مادامت السيوف فى غمدها، وإن المآذن تبقى مشرعة مالم تدوى حولها القذائف .

وإن الدماء لم تزل معصومة مالم يغب صوت العقل، ولازالت الأعراض محترمة مالم تنتهك حرمة.

وإن لقمة العيش تظل موجودة مابقى هناك الأمان .

وإذا ساد منطق القوة غابت قوة المنطق، ولايزال المرء فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما، ولأن تنقض الكعبة حجرا حجرا أهون عند الله من قتل نفس بغير حق .

إن الذين يجرون بلادهم إلى حرب مسعورة إنما يشعلون النار بأستار الكعبة، بل كأنما يحرقون القرآن(1) .

وعليه : -

فإننى أناشد العقلاء، والحكماء، والعلماء، والزعماء، والشباب :

أوقفوا هذا الزحف إلى الجحيم، أطفؤوا نار الحرب، أنقذوا الناس من أتون السعير، وامنعوا السير إلى الخراب والدمار.

احقنوا الدماء التى حرمها الله بالنص فلا تستحل بالرأى والاجتهاد .

إننى أخاطب مهندس عاصم عبد الماجد ..دكتور طارق الزمر .. دكتور صفوت عبد الغنى :

لقد أعلنتم مبادرة وقف العنف، ودعوتم للتصالح مع المجتمع، دون قيد أو شرط، وقمتم بتدريس ذلك لقواعدكم داخل السجون.

ف ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النحل :٩١، ٩٢] .

لاتسوقوا الشباب الطاهر البرىء الذى أولاكم ثقته، وأسلم لكم زمامه، ودان لكم بالسمع والطاعة، لاتسوقوه إلى المذبح وأنتم تضحكون .

(١) وهل هناك أشد من التسبب في قتل حملة القرآن وإطفاء نوره دون مبرر صحيح من شرع أو عقل أو مصلحة راجحة؟

لاتقدموا الرؤوس لتقطع، والرقاب لتشنق، والجماجم لتتناثر وأنتم عليها ترقصون، وبها تتغنون .

لاتذيقوا الشباب مرارة السجن، بعدما طعموا حلاوة الكرامة ، وتنسموا عبير الحرية .

إن السجن مقبرة الرجال، فلا تدخلوهم إليه يموتون .

أنقذوهم أن يقبعوا ثانية خلف القضبان، يمزقهم سوط السجان ، وما أدراك ماقسوة السجان ؟

واعلموا: أن من أطلق نفسا من قيدها فكأنما أحيا موؤودة من قبرها ، وأن من قتلها فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا .

إن النفوس أمانة فى أعناقكم، فـ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٦].

ولن يغفر لكم المجتمع، ولن يسامحكم التاريخ، أنكم قدمتم الشباب إلى الموت والذبح مرة بعد أخرى، سواء فى شبابكم أو حال شيخوختكم .

أما إخوانى وأبنائى من الشباب الطاهر النظيف :

انظروا ماذا تفعلون ؟، والى أى مصير تقادون ؟

وعلى أى طريق تسيرون ؟

إن قتلتم شعبكم فسوف تعدمون وتلعنون .

وإن سجنتم فسوف تندمون وتقهرون .

وإن قتلتم فسوف تخسرون، ولاتفوزون .

لاتسلموا أنفسكم إلى الذل واللعنة والخسارة.

لاتحرموا أسركم منكم وتفجعوا أهلكم فيكم .

لاتحرموا المجتمع من جهدكم وخيركم.

لاتقطفوا المستقبل قبل أن يبدأ، فتحرموه.

واستفيدوا من الماضى، ولاتنسوه .

وحافظوا على الحاضر مهما كان قليلا، لئلا تفقدوه .

كونوا كالزهرة، تنشر العبير ولاترهق الغصن.

كونوا كالنحلة، تخرج العسل دون أن تكسر العود.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٣٠]

أيها الشباب الطاهر الأمين ..

لقد جاء رمضان، وحانت الفرصة، اخرجوا من الميادين وادخلوا إلى المحاريب.

عودوا إلى مساجدكم، إلى قرآنكم، إلى الدعوة والدعاء، إلى تعليم الناس الخير، وبذل المعروف إلى الغير .

إن خروجكم من الميدان ليس انسحابا من المعركة، بل هو دوران مع الشرع، وبحث عن مصلحة الدين والأهل والنفس، والوطن والمجتمع .

نزهوا صورة الإسلام أن تشوه ..

حافظوا على الدعاة والعلماء أن يهانوا .

لقد انسحب الحسن بن علي رضي الله عنهما من حربه مع معاوية رضي الله عنه، وهوأفضل من معاوية فقال له الذين لايعلمون:

« جلبت على الناس العار »، فأجابهم بقوله :

« العار خير من النار»

فقالوا له : « يامذل المؤمنين» فأجاب : « من الذل فررت» .

إن عودتكم إلى مساجدكم ليست قدحا فى دينكم، ليست طعنا فى شجاعتكم، بل هى الدين والحق والشجاعة.

ففروا إلى دينكم، إلى أهليكم، إلى أوطانكم، إلى مجتمعكم، إلى مستقبلكم، ولاتقدموا أنفسكم وقودا فى معركة فى غير ميدانها .

قد يقولون لكم: « أنتم جنود الله » .

وأنا لكم ناصح أمين :

أنتم بطهارتكم بنقائكم بإخلاصكم بإيمانكم قد تكونون فعلا جنود الله، ولكن فى المعركة الخطأ، وبالتالى فلستم جنود الله .

لأن جنود الله ينفذون أمره الصريح، فى مجاله الصحيح، فهل من أمر الله أن نقدم مصلحة الجماعة، أو الحزب على وحدة الدولة وسلامة الوطن، وأمن المجتمع ؟

هل رفع السلاح ضد إخوانكم فى الدين والوطن من أمر الله والرسول ﷺ يقول: « من حمل علينا السلاح فليس منا »؟ البخارى .

هل إضاعة الدعوة بعدما ضاعت منكم السلطة والدولة من أمر الله فى شىء ؟

هل الدخول فى معركة لاطاقة لكم بها من الإسلام ؟

وقد قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ البقرة .

هل دخولك السجن أو موتك تحت دبابة، أو فجيعة أمك فيك، أوترميل زوجك، أو تيتيم أولادك، من بعدك هل هذا من أمر الله ؟ وهل هناك مبرر لذلك ؟

إن هناك وسائل كثيرة لرفع الظلم إن وجد، ليس من الضرورى أن تحمل السلاح .

إن خسارة جولة فى المباراة لايعنى بالضرورة اعتزال الرياضة،أو تكسير الملعب، أو ضرب المشاهدين .

إن خسارة المحامى لقضية مهما كانت مهمة، ومهما كان صاحب حق ليس مبررا لاعتزال المحاماة، أو حرق المحكمة ولاقتل الخصوم .

لماذا لانفكر قليلا ؟، ولماذا ننسى سريعا ؟

لقد رفعت الجماعات الإسلامية قديما شعارها «...وتستوعب ماسبقها من تجارب».

فهل طبقت قياداتها ذلك ؟

هل استوعبت تجربة الإخوان مع النقراشى، وماترتب عليها من حل الجماعة، وسجن أعضائها، وقتل مرشدها ؟

هل استوعبت تجربة الإخوان مع عبد الناصر، وعشرات الإعدامات، ومئات القتلى وآلاف المسجونين ؟

هل استفادت من تجربة الفنية العسكرية مع السادات، وماحدث فيها من شدائد وبلاء ؟

هل استفادت من تجربة شكرى مصطفى ،وقتله للشيخ الذهبى، وما جرى من تفجيرات وإعدامات وسجن ؟

هل استفادت من تجاربها مع حسنى مبارك فى الثمانينات والتسعينات، وماترتب على ذلك من قهر وقتل، وسجن وإغلاق للمساجد ؟

هل استفادت من تجربة حماة مع حافظ الأسد، وسقوط أكثر من ثلاثين ألف قتيل ؟

هل استفادت من تجربة جبهة الإنقاذ فى الجزائر، ووقوع أكثر من مائة وعشرين ألف قتيل، وانتهت جبهة الإنقاذ ؟

هكذا قالوا فهل استفادوا من التجارب ؟

لقد خرجت الجماعات الإسلامية من السجن، وغيرت شعارها إلى قوله تعالى :

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]

فهل مايحدث الآن إقامة للدين ؟

هل مايجرى على الساحة الآن منع للتفرق ؟

هل تقسيم المجتمع إلى فرق وأحزاب، والعداوة المستعرة بينهم، والدعاء على المخالفين بالموت والهلاك، هل ذلك من إقامة الدين ، ومنع التفرق ؟

هل محاولة تمزيق الجيش المصرى، الدرع الواقى للوطن، خير أجناد الأرض، المرابط إلى يوم القيامة، الذى هزم التتار والصليبيين واليهود، هل هذا إقامة للدين ومنع للتفرق ؟

هل التهديد بقطع الرؤوس، وإعلان الجهاد ضد المسلمين، من اقامة الدين ومنع التفرق ؟

هل طلب النصرة من الخارج إقامة للدين، ومنع للتفرق ؟

هل قتل المسيحيين، واقتحام المؤسسات إقامة للدين ومنع للتفرق ؟

هل زرع المتفجرات هنا وهناك إقامة للدين، وتحقيق للوحدة ؟

إننى أذكركم بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف].

يا علماء الإسلام وشيوخ الأزهر :

جاء دوركم، وهذا يومكم الذى كنتم توعدون .

بينوا للناس صحيح الدين ،علموا الشباب الحق والحكمة، وانزلوا لهم فى كل شارع وميدان وأسمعوهم قول الله تعالى : ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨].

أيها المثقفون والسياسيون :

لاداعي للتشفى، ولامجال للشماتة، ولامبرر للإقصاء، احتضنوا الجميع، علموهم السياسة بتؤدة وصبر، فأنتم بذلك تؤمنون المستقبل، وتبنون الحاضر للأجيال .

ويا حكام مصر :

إن كثيرا من الشباب فى الميادين يخشى على نفسه السجن، والملاحقة الأمنية، فقدموا لهم الضمانات، واكسبوا ثقتهم ،وفوتوا الفرصة على دعاة الفتنة وسماسرة المواقف، الذين يجاهدون بدماء غيرهم، ويتاجرون بالقيم النبيلة لتحقيق مكسب رخيص .

ويا شعب مصر الواعى : التف حول قيادتك، واسمع إلى علمائك، حافظ على وحدتك، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠] ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢] .

انشروا السلام فى شهر السلام ،شهر الصيام، وكل عام والجميع بخير .

المبحث الثاني

العاشر من رمضان بين الأمس واليوم

في مثل هذا اليوم منذ أربعين عاما، في العاشر من رمضان لعام ١٩٧٣، من الميلاد كانت مصر والأمة العربية والإسلامية على موعد مع النصر، النصر المؤزر والوحيد خلال القرن الماضى، بل خلال عدة قرون .

حيث انتصر الجيش المصرى العربى الإسلامى على اليهود، أشد الناس عداوة للذين آمنوا .

الذين احتلوا الأرض ، و هتكوا العرض، ذبحوا الشيخ الكبير، والطفل الصغير، بل وسبوا الله تعالى .

وتجرع العالم العربى والإسلامى مرارة الهزيمة ، واحتسى كأس الذل ، ولبس لباس العار والانكسار، وسادت أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لايقهر .

وظلت الأمة ممسكة بقلبها، تعد أنفاسها، تترقب ساعة الصفر، لتنفض عن رؤوسها غبار الهزيمة ، وتعود إلى مجدها التليد.

﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝٨ ﴾ [الأنفال: ٨] .

وجاء اليوم الموعود، في العاشر من رمضان ليحرز الجيش المصري النصر ، ويعبر قناة السويس ، ويزيل خط بارليف ، ويتقدم فى سيناء ، وانقلب الأمر ، وإذا جولدمائير رئيسة وزراء إسرائيل تصرخ باكية :

« أغيثونا إسرائيل تحترق »

وكان النصر، وانتهت أسطورة الجيش الذى لايقهر، وأصبح الشعب يتغنى

بنصره وعبوره، وعلا صوت المذياع :

الله اكبر باسم الله باسم الله

أذن وكبر باسم الله باسم الله

الله أكبر أذن وكبر

وقل يارب ...

وأذان ع المدنة باسم الله باسم الله

بيحى جهادنا باسم الله باسم الله

والجيش ولادنا باسم الله باسم الله ..

وردد الشعب مع إذاعاته

عاش اللى قال للرجال عدوا القنال

عاش اللى حول صبرنا حرب ونضال

عاش اللى قال الكلمة بحكمة فى الوقت المناسب

عاش العرب اللى فى ليلة أصبحوا ملايين تحارب .

إنها فرحة شعب ،وعزة أمة، ونصرة حق، وأ من مجتمع، وقفت وراءه عدة أسبا ب ، أذكرها فى عجالة، لعل ذكرها ينفع اليوم بعد أربعة عقود ، عسى أن نستفيد من الماضى لنعيش الحاضر ونبنى المستقبل .

أ ولا : وجود القيادة القادرة الواعية ، التى تدرك دورها ،وتعلم واجبها ، وتقدر ظروفها ، وتملك المناورة والدهاء ، وخداع العدو حتى لقب بالثعلب ، تمثلت هذه القيادة فى الرئيس السادات ، وهو مايعرف فى السياسة الشرعية بالقدرة والكفاءة على العمل .

ثانيا : براعة القيادة فى إعادة بناء الجيش بعد هزيمة ١٩٦٧م ، على مستوى القيادات والأفراد تدريبا وإعدادا وعتادا ، ووضع الخطط الحربية الفاعلة .

ثالثا : تأهيل الجيش نفسيا، وبناؤه معنويا، ومعالجة الآثار النفسية للهزيمة ، وترسيخ معانى القدرة على النصر، وإمكان تغيير الواقع وعدم الاستسلام له، وأن النصر قريب .

رابعا : نجاح القيادة المصرية فى إيجاد صف عربى وإسلامى داعما للمعركة، ماليا ومعنويا وعسكريا ، بالرجال والمعدات ، والتنسيق بين الجبهتين الشرقية والغربية، وتوظيف كافة الإمكانات العربية والإسلامية فى المعركة .

خامسا : تماسك الجبهة الداخلية ، خاصة بدول المواجهة بين القيادة السياسية، والمؤسسات العسكرية والأمنية ، والقاعدة الشعبية حتى خرجت الجماهير إلى الشارع تطالب القيادة بالحرب ، حتى تسترد كرامتها وأرضها .

سادسا : إدخال العامل الدينى والإيمانى فى المعركة ، حتى تسمى الرئيس السادات بالزعيم المؤمن ، وظهر وهو يؤدى الصلوات ، ويقرأ القرآن ، وأطلق التيار الإسلامى للعمل، وعلا الحديث عن الشهادة والموت، وصار لغة الإعلام والشارع والبيت والمدرسة والمسجد ، حتى تشرب المجتمع شعبه وجيشه وقيادته هذه المعانى النبيلة ، وانعكس ذلك على شعار المعركة « الله أكبر » يقولها المسلم والمسيحى فى حربهما ضد اليهود، أعداء الإسلام وأعداء المسيح ، حتى إن هتاف الله أكبر كان يخلع قلوب الجنود من جيش إسرائيل .

سابعا : نزول العلماء والدعاة إلى ميدان المعركة ، وترددهم على المعسكرات لإلقاء المحاضرات الدينية للجنود والضباط ، بل كانوا يبيتون بين صفوف الجيش، ولاننسى دور الإمام عبد الحليم محمود، وفضيلة الشيخ الشعراوى ، وكذلك العلامة محمد الغزالى ، ومادور الشيخ حافظ سلامة ، والمقاومة الشعبية بالسويس بخاف على الجميع .

ثامنا : الاختيار الجيد لعنصر الوقت ، لتبدأ الحرب فى شهر رمضان شهر الإنتصارات فى تاريخ الأمة ، وكذلك يوم عيد الغفران عند اليهود ، حيث هم مشغولون فى لهوهم ولعبهم ، ليجتمع لنا الثقة بالنصر وغفلة العدو، فنلحق بهم الهزيمة .

تاسعا : اغتنام عامل الزمن ، واقتناص الفرصة لإحراز أعلى درجات النصر فى أقصر مدة زمنية، والحساب الدقيق لوقت المعركة، وتم الهجوم على أكثر من محور وجبهة ، وبمجرد إحساس القيادة باحتمال اهتزاز الجبهة ، أو تراجع الإمكانات وتقلص الإمدادات ، إلا وقبلت وقف إطلاق النار ، للحفاظ على ما أحرزته من نصر ، ولتبدأ مرحلة جديدة من الحرب عن طريق الدبلوماسية والمفاوضات .

عاشرا : تحديد الهدف وتوحيده ، والسعى لتحقيقه ، وتقدير طبيعة المرحلة ، حتى أنه لم تسجل أية حالات من السرقة أو النهب أو الجريمة خلال فترة الحرب ، وعاش الكل كأنه على خط النار، الكل يضحى بنفسه ودمه وماله ووقته ومطالبه وأهدافه ، الكل ينسى نفسه ليحقق لوطنه وأمته النصر الموعود ، وانهزم اليهود .

ترى كيف عادت ذكرى العاشر من رمضان لهذا العام ؟

أ) هل توفر لمصر قيادة واعية قادرة على إدارة المرحلة ؟ أم أنها تعانى جراء سنة كاملة من قيادة الغباء والجهل واليد المرتعشة والرؤى الضبابية والخطط العشوائية والعناد والاستكبار بدأ ت من ٣٠ / ٦ / ٢٠١٢ وحتى ٣٠ / ٦ / ٢٠١٣ م.

ب) هل جاءت ذكرى النصر وقد نجحت مصر فى بناء جبهة عربية وإسلامية قوية وموحدة وداعمة ؟ أم تقطعت الروابط ، وانصرمت الحبال ، وقامت الخصومات ، وتنازلنا عن علاقاتنا بأ شقائنا العرب لحساب صداقة زائفة ودعم موهوم من إيران ؟

ج) هل جاءت ذكرى العاشر من رمضان وجبهتنا الداخلية قوية متماسكة وموحدة، وجسور الثقة قائمة بين الشعوب والحكومات؟ أم أن نفرا منا يشقون المجتمع شقين، ويقسمونه إلى فسطاطين، من وافقنا فهو معنا ومنا، ومن خالفنا فهو الخائن الفاسق المنافق، الذى لاحق له فى الحياة، فضلا عن المشاركة والحضور، وصارت أمتى شيعا وأحزابا يتناحرون، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢] ؟

ء) هل جاءت ذكرى النصر وعلماء الإسلام وشيوخ الأزهر حضور شهود، وكلمة العلماء مجتمعة على قيادتها ومع شعبها؟ أم أن نفرا من حملة العلم ودعاته انسلخوا عن أمتهم وقيادتهم، ورضوا بولاءات ضيقة، وساد خطاب يفرق ولايجمع، وينفر ولايؤلف، وصدرت فتاوى التكفير، وظهرت لغة التحريض، كل ذلك باسم الدين الذى لايعملون به، ويتاجرون فيه، ويخدعون البسطاء بالحديث عنه، وأسبغوا على أنفسهم القداسة والسيادة، وإذا بشيوخ الأزهر يلعنهم الدهماء على المنصات، ويهتف ضدهم بدلا أن نجتمع عليهم.

ف) هل جاءت ذكرى العاشر من رمضان وسائر الشعب يحترم جيشه، الذى روى الأرض بالدم، وحمى العرض بالعمر، وصنع النصر بالمعجزة، ورسم البسمة على الوجوه، بعدما مسح من العين الدموع؟ أم أن ثلة منا انزوت تتهم الجيش بالخيانة، وتطلق عليه الرصاص، وتتوعد بتدميره وشقه، كل ذلك وهم فى غضبهم وغيهم يعمهون، وعن مصالحهم يبحثون، ولأهوائهم يقدمون، ولشعوبهم يلعنون ويروعون، وباسم الإسلام يعلنون عن قيام جيش مصر الحر، وباسم الإسلام يستنفر شذاذ الآفاق من كل واد وكهف ليقاتل جيش مصر خير أجناد الأرض، وسمعنا رجلا فى بلاد الخليج يدعو لقتال جيشه وشعبه، كما دعى غيره من قبل فى أمريكا لقتال جيشه وشعبه.

إن ناسا عز عليهم أن تنتصر أمتهم، أو تفرح شعوبهم، فرأيناهم يدبرون بليل، ويحيكون المؤامرات، وفى عام ١٩٨١م انطلقت الرصاصات لتقتل الرئيس السادات، صانع نصر العاشر من رمضان، وكأنهم يكرهون أعداء اليهود، وإذا

السلاح المصرى فى وجه الرئيس المصرى ، بدلا أن يتوجه وراء الحدود .

وهل هزيمة اليهود ، وتحرير الأرض ، وحفظ العرض ، واسترداد كرامة الأمة، هل جزاء ذلك هو القتل والاغتيال ؟ وهل هذا هو الإسلام ؟

إن السنين الطويلة لم تنسهم الحقد والخصومات الموهومة ، فجاءوا عام ٢٠١٣م ليعلنوا الجهاد ضد الجيش المصرى والشعب المصرى ، ويهددون بقطع الرؤوس والسحق والتدمير .

بالأمس قتلوا الرئيس ، واليوم يقاتلون الجيش والشعب ، جريا وراء فهمهم الخاطىء للدين والقرآن الذى حرم أن يشير المسلم إلى أخيه بحديدة ، فمابالنا بطلقات الرصاص ؟ كل ذلك يحدث أمام سمع وبصر رجل يقول إنه رئيس ، وبمباركة رجال يتصدرون المشهد السياسى ، وبفتاوى أنصاف المتعلمين ، الذين يسبون شيوخ الأزهر جهارا نهارا ، ويصفونهم بالكهان والمنافقين ، وكأنهم وحدهم قديسون ، أو ملائكة مقربون .

ق) لقد جاء احتفال أكتوبر فغابت عنه أسرة الرئيس السادات ، وغاب عنه قادة أكتوبر، ونظرت إلى المدرجات لأرى قاتل السادات جالسا فى الصفوف الأولى ، وكأننا نرفع شعار المرحلة :

كل من جاهد وهزم اليهود فلامجال له بيننا .

كل من انتصر لأمته وكرامته فلامجال له بيننا .

كل من استرد الأرض المغصوبة فلامجال له بيننا .

أما من قتل قائد حرب رمضان ..من رفع السلاح فى وجه الوطن ..من روع المسلمين والمواطنين يوم العيد .. فهو منا ونحن منه .

فالموت للشرفاء المجاهدين ، والكرامة للقتلة والسفاحين .

فهل هذا معقول ؟ هل هذا مقبول ؟ أليس منكم رجل رشيد ؟

ل) لقد جاءت ذكرى العاشر من رمضان ولسنا صفا واحدا ، ولا يؤمنا إمام واحد، ولايجمعنا إفطار واحد ، ولانصلى تراويح واحدة ، جاءت وفريق منا فى الميادين ، ينادون بالجهاد والموت شهداء من أجل حماية الشرعية – الشرعية الدستورية وليست الشريعة – لقد مر يوم والشعب كله واقفا على خط النار، قيادة وحكومة وجيشا وشعبا ، جميعهم يجاهد يموت شهيدا ، فى معركة الحق ، فى الميدان الصحيح ضد الصهيونية المغتصبة ، واليوم يقف بعضنا ضد قيادته ، ضد جيشه ، بل ضد الأغلبية الكاثرة من شعبه ، الذى ما خذلهم يوما ، ما وماتخلى عنهم فى موقف ، وإنما كان يتلهف للسير وراءهم ، وقد رآهم مواكب النور ، وعلمهم مظلومين فسعى لنصرتهم ، .لقد ندبوا الشعب للتصويت بنعم على الإعلان الدستورى الأول من أجل الاستقرار ، فقال الشعب معهم نعم ولم ير الاستقرار .

لقد دعوا الشعب لنصرتهم فى انتخابات البرلمان بحجة أنهم أنصار الله ، وحملة شريعته-، فقال لهم الشعب نعم ، وإذا بهم أنصار الحزب والجماعة وسعاة التمكين والإقصاء .

لقد أيدهم الشعب فى انتخابات الشورى ، من أجل بناء دولة المؤسسات والحريات فرأى الفوضوية ، وانتهاك القوانين ، وتحرير البلاغات ضد المعارضين.

وجاءت أم الهزائم معركة الرئاسة ، واختارهم الشعب فرارا من نظام مبارك ، وطلبا لمشروع النهضة ذى المرجعية الإسلامية ، فغاب مبارك واستمرت سياساته وأساليبه ، وطارت النهضة من مصر إلى أثيوبيا تبنى السد ليجف علينا النهر ، وتم الالتفاف على المرجعية الإسلامية ، وزادت القروض الربوية ، والحفلات الغنائية وتراخيص الملاهى الليلية ، وبيع الخمور وفرض الضريبة عليها ، ورفض عرض القوانين على هيئة كبار العلماء ، وانتهكت السيادة المصرية ، وأهينت المؤسسات الوطنية ، وظهرت المحسوبية والحزبية ، ونشطت العمليات الإرهابية ، وأهملت الرموز الدينية ، فهل هذه هى المرجعية الإسلامية ؟ هل هذه مرجعية إسلامية وقد استبدلتم بالشريعة الشرعية ؟

لقد أيدهم الشعب فى الاستفتاء على الدستور ، رجاء للعجلة أن تـدور، لأجـل مصر تعيش فى النـور ، فـرأى الغطرسـة والغـرور ، والتوعـد بالويـل والثبـور، وسمع خطاب التكفير بحضرة أولياء الأمور .

لقد استدعوا الشعب فلـم يخـذلهم ، ونـادوا فلبـاهم ، ووعـدوه فمـا وفـوا، تحدثوا معه فما صدقوا ، وعاد الشعب بعدما أفاق ، فرأى تجـارة باسـم الـدين ، وتكسبا باسم الفضيلة ، وبناءا للأشخاص على حساب القيم ، وعلى جراح الوطن .

عاد الشعب بعدها صفر اليدين ، عاد بخفى حنين ، ثم قام يقـول كلمتـه فى ٣٠ يونية لعل السكارى يفيقون .

فهل يرجعون ؟ أم يتمادون حتى نرى الشعب الذى حملهم على الأعناق يرجمهم بالأحجار فى الطرقات بعدما ألقوه من فوق العمارات ؟

إن المعركة اليوم خلافها بالأمس ، ليست المعركة اليوم مع أجهزة أمنية يمكن الإفلات منها بإنشاء تنظيم سرى بعمل فى الظلام ، فإذا انكشـف تنـادى أصـحابه بالظلم والتلفيق .

ليسـت المعركـة مـع القـوات المسـلحة فيصـفونها يـا لعـدوان والانقـلاب ، ومحاولة فرض الأحكام العرفية أو القفز على السلطة .

إن المعركة اليوم بينكم وبين الشعب ، وللأسف تم اسـتدراجكم لمواجهتـه ، بعدما وقف هو إلى جانبكم مرات ومرات .

قد تتعقبكم الأجهـزة الأمنيـة فيتعـاطف معكـم المواطنـون ، قـد يضـطهدكم الجيش فتنحاز إليكم الجماهير .

أمـا وقـد لفظـتكم شـعوبكم ، ونبـذكم أهلـوكم ، وخاصـمكم جيـرانكم ، وحاصرتكم مجتمعاتكم ، وقلتكم الجماهير، فأين تذهبون ؟

ومن ذا الذى ينصركم من الناس ؟ وينجيكم من غضبة الشعب ؟

قد يقول أحدكم : ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] .

قد يقول ذلك ، وينسى أن الخليل قالها لأناس كافرين ، أما خصومكم وشعوبكم فهم مسلمون ، فليس المقام مقامها ولا المجال مجالها .

قد تقولون : الله ينصرنا .

وأقول لكم : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

فهل أفعالكم هذه نصرة لله ، نصرة للرسول ، نصرة لشريعته ؟ نصرة لأمتكم وأوطانكم ومجتمعاتكم ؟ أم أنها نصرة للأشخاص والحزب والجماعة ؟

قد يقول قائل : نريد أن نحيا فى أمن وأمان .

وأجيبكم : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]

لاداعى للظلم ، لاداعى للعدوان ، لاداعى للانتحار ، فكل ذلك نقيض الأمن نقيض الهداية .

راجعوا أنفسكم ، لقد لفظكم مجتمعكم المسلم ، وإن ألسنة الخلق أقلام الحق ، وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح .

لقد شهد عليكم الناس فعودوا إلى حضن الوطن ، عودوا جزءا من النسيج الوطنى ، حتى لو خرجتم أو أخرجتم من نسيج السلطة .

إن شعوبكم أحق بكم ، وأقرب إليكم ، وأحنى عليكم من الكرسى ، إن لحمتكم مع الوطن قد تعيدكم إلى السلطة ، أما حربكم من أجل الكرسى فسوف يسقطكم من قلوب وعيون الشعب . وشر الناس من أم قوما وهم له كارهون .

عودوا إلى الله ، عودوا إلى الوطن ، عودوا إلى المجتمع ، عودوا إلى العقل ،

عودوا إلى الحكمة ، عودوا إلى التاريخ ، فهو شاهد أن من خاصم شعبه فقد خسر.

أعيدوا إلى العالم صورة العاشر من رمضان ، صورة الوحدة ، صورة المواطنة صورة الحب ، صورة الأمن ، صورة البسمة تعلو الوجوه ، صورة التعالى على الأغراض ، والتخلص من الأهواء ، صورة العبور بالأمة لتنسى جراحها وآلامها ، و لتبنى مجدها وتصوغ مستقبلها .

اعبروا بها لا تعبروا عليها ..انهضوا بشعوبكم ولا تناهضوها ..ادعموا جيشكم ولا ترهقوه... اشتروا الوطن ولا تبيعوه... شيدوا البنيان ولا تهدموه ...أ و قدوا شمعة ولاتحاولوا إطفاء الشمس ...لاتكرروا أخطاء الأمس.

هذه كلمتى إليكم ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر:٤٤]

حمى الله الدين

حمى الله الوطن

حمى الله الجيش

حمى الله الشعب

هدى الله الشارد

وحد الله الصف

نصر الله الحق والحقيقة

وهبى يارياح النصر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المبحث الثالث

النداء الأخير

﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣١].

كلمات أبعث بها من قلبى ، ممزوجة بدموعى بدمى، بكل جوانحى ، أملا أن تلقى أذانا واعية ، وقلوبا عاقلة ، وعقولا متفكرة .

إلى الذين يقتلون ويحرقون ويخربون ويروعون :

إن كنتم مسلمين فالإسلام قد حرم القتل .

إن كنتم عقلاء فالعقل يأبى عليكم التحريق.

إن كنتم على علم فآثارة من علم تنكر التخريب.

إن كنتم آدميين فالآدمية والإنسانية لاترضى الرعب والترويع.

إن كنتم مصريين فالوطن يفرض على بنيه التعايش.

إن كنتم ساسة فالسياسة تعنى الإبقاء على شعرة معاوية.

إن كنتم دعاة فالدعوة رحمة وهداية ، وليست قسوة وجباية.

إن كنتم مصلحين فالمصلحون لايجلبون المفاسد.

إن كنا بنى رحم فالرحم تأبى القطيعة .

خبرونى من أنتم ؟ وماذا تريدون ؟

أين الإسلام الذى انتسبنا إليه وتسمينا به ؟

أين العقل والحكمة التى تغنينا بها ؟

أين العلم الذى تظاهرنا وتفاخرنا به كثيرا ؟

أين الآدمية والإنسانية التى كرمها الله تعالى ؟

أين الوطنية التى قلنا إننا قدمنا دماءنا وأعمارنا من أجلها ؟

أين السياسة التى تعلمنا فيها فن الممكن ؟

أين الدعوة التى ندعوا إليها الناس ؟

أين الإصلاح الذى تنشدون ؟ أين الخير الذى تحملون ؟

أين الإخوة التى هى أخت الإيمان ؟

لماذا نستبدل بها الشقاق الذى هو شقيق الكفر

إن كنتم تبغون البقاء والاستمرار فكيف تسعون حثيثا إلى الموت والانتحار ؟

إن كنتم طلاب دنيا فلم تحرمون أنفسكم منها ؟

إن كنتم تريدون الله لماذا لاتتصفون بصفاته ؟

إن كنتم تتبعون الرسولﷺ فأين أخلاقه فيكم ؟

كيف تخاصمون أصهار نبيكم أصهار الخليل إبراهيم ؟

قبل أن تحدثونا عن الله والرسول والإسلام أرونا ذلك فى أخلاقكم وأعمالكم وأحوالكم ، لأن دلالة العمل أقوى من دلالة الكلام .

هل القتل والتحريق والتخريب والترويع هى الحقيقة التى أخفيتموها طوال السنين؟

هل هذا هو الخير الذى تحملون ؟ أما ترضون أن تبقوا حتى على ورقة التوت ؟ نبؤونى بعلم إن كنتم صادقين .

إن التاجر الفاشل هو الذى لايحقق ربحا من تجارته ، كيف بمن يخسر رأسماله؟

إن دولتكم وشعبكم وجيشكم ومؤسساتكم هى رأسمالكم فكيف تحرقونه ؟ أما يكفى أنكم لم تحققوا ربحا ومكسبا ؟

العاجز هو من يخسر الأصدقاء ، فكيف بمن يخسر أهله وأسرته ؟ إن الشعب والمواطنين هم أهلوكم وأسركم فلاتخسروهم .

إن الذى يبدد ماله دون فائدة هو السفيه ، فكيف بمن يبدد عمره ودينه ، ودمه ووطنه وأهله فى غير مصلحة ، ولايجنى إلا الشوك والموت واللعنات ؟

لقد علمتنا الحياة أن القائد الناجح يحمى جنوده ، ويحفظ أتباعه ، وهكذا كان رسول الله ﷺ فكيف تسوقون أنفسكم وأبناءكم وإخوانكم إلى الموت وأنتم تنظرون ؟

إن كثرة القتلى ليست دليل بطولة ، إن جريان الدم ليس علامة على التضحية ، وليس دائما قربانا إلى الله .

إن قطرة دم تسيل فى غير موضعها تلعن من أراقها ، ومن تسبب فيها ، ومن أفتى بها .

وقد تزهق النفوس فى غير معركة ثم تشتعل النار فى أصحابها ليخسروا بذلك الدارين ، فلا أحدهم أبقى على حياته ولا هو حقق غايته ، .ولاهو سكن جنته .

ياقومنا أفيقوا .

إن الإسلام والعقل والشجاعة والمروءة والإنسانية والوطنية والرحم جميعها تناديكم تهتف بكم «احقنوا الدماء» .

لاتحرقوا ، لاتخربوا ، لاتشقوا عصا الوطن ، لاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ، والله لايحب الفساد .

إننى لن أناقشكم هل أنتم مظلومون أم ظالمون ؟ فالآن لاجدوى من المناقشة.

لكننى أؤكد لكم أن عدالة القضية إن وجدت لاتعنى حتمية الحرب والاقتتال.

ثمة حلول كثيرة يعرفها الإسلام ، ويؤيدها العقل ، ويثبتها التاريخ ، لكنها

تحتاج إلى الشجاعة والتجرد ونسيان النفس .

إن الذين يعبدون الأصنام مشركون، وكذلك الذين يعبدون الأشخاص والكيانات[1] .

إن القائد الذى يظل يشحن ويحرض أفراده وإخوانه إلى درجة يصعب عليه معها الرجوع ويقطع على نفسه طريق العودة إلى الحق والعقل فيتمادى فى خطأه وغيه مجاراة لأتباعه ، وخوفا من انقلابهم عليه وانفضاضهم من حوله ، فيرضيهم على حساب الحق ، إن من يفعل ذلك هو فى الحقيقة عابد لهؤلاء الأفراد ، أسير لديهم ، وإن ظهر فى ثوب القادة والأمراء ، هو عبد لأنه لم يقدر على مخالفة الجماهير ، وقدم مرادهم على مراد الله ورسوله[2] .

إن الأفراد الذين يذوبون فى قياداتهم وكياناتهم حتى أنهم لايتصورون فى حقهم الخطأ ، ويضفون عليهم القداسة والعصمة ، فضلا أن يفكروا فى مناقشتهم أو مراجعتهم ، ويبررون أوامرهم وتصرفاتهم مهما أخطأوا ، مهما ترتب عليها من فساد ، فأحدهم لايقتنع أبدا بمخالفتهم للحق ، ومجافاتهم الحقيقة ، لايفكر لحظة فى نصحهم وردهم عن غيهم ، وينسجون حولهم الأساطير والهالات ، ويتقربون إلى الله بامتثال أوامرهم دون النظر إلى صحتها أو خطئها ، هؤلاء الأفراد ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

إننى أناشد الجميع قيادات وأ فرادا كيانات وجماعات ، راجعوا أنفسكم ، تحرروا من كل قيد ، تخلصوا من كل أسر ، تعالوا على كل هوى ، دوروا مع الشرع لامع البشر ، مع الرسول لامع الرجال ، انتموا للأمة لا للكيانات الجزئية ، ولا للجماعات الصغيرة ، ولا للأحزاب الضيقة.

اجعلوا ولاءكم لأمتكم لأوطانكم ولشعوبكم .

أخى الحبيب : قد يقول لك أميرك اقتل ، ولكن الله يعلمك أن القتل حرام .

---

(١) ذلك إذا استحلوا طاعتهم واتباعهم في معصية الله تعالى .

(٢) إن رضي بذلك واعتقده بقلبه .

قد يأمرك شيخك أن تحرق ، والرسول ينهى عن الإحراق .

قد يوصيك قائدك بالتخريب ، والقرآن يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ .

فإلى من تسمع ؟ ومن تجيب ؟ أتلبى نداء الأمراء ؟ أم تجيب داعى السماء ؟ كما قال موسى عليه السلام : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه : ٨٤].

قد يقول لك الأتباع قاتل ، لاتتراجع ، تقدم للحرب ، إنا معك مقاتلون ، ولكن القرآن يقول لك: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ٧٧] ، العقل يقول لك الحرب أولها أمور صغار، ولكن آخرها خراب ودمار.

الرحم تقول لك : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢،٢٣]

المصلحة تقول لك : ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء: ١٢٨]

فمن تجيب ؟ تجيب الجماهير ؟ أم تطيع الحكيم الخبير ؟

اسمع نداء الله ، نداء العقل ، نداء المصلحة ، نداء الرحم .

ياقوم إنى لكم ناصح أمين ، بأرواحكم وأعماركم وحياتكم وأسركم ومستقبلكم والله ضنين ، فهل تسمعون ؟

فكروا قليلا فيما تفعلون ، راجعوا القرآن الذى تحفظون ، اسألوا الرسول الذى تتبعون ، اقرأوا التاريخ الذى تعرفون .

هل تقسمون أوطانكم بأيديكم ؟ هل تجلبون الاحتلال إلى بلادكم ؟ ينهب أرضكم ، ويهتك عرضكم ، ويسرق خيركم ، ويقضى على إسلامكم ، يقتل شبابكم ، ويهدم مساجدكم ؟

أنسيتم الخمور التى شربت على أعتاب المساجد أيام الاحتلال ؟

أنسيتم يوم أن دخلت الخيل الأزهر ؟

أنسيتم مئات الصبايا التى سيقت إلى المواخير فى معسكرات المحتل ؟

هل غاب عنكم العراق والسودان والصومال وأفغانستان ؟ أتدفعون أرض الأنبياء إلى نفس المصير ؟ هل هذا جزاء الأرض التى استضافت الأنبياء ، وحكمها المرسلون ؟ وتزوج منها الخليلان محمد وإبراهيم عليهما السلام ؟

إن الأرض التى كلم الله عليها موسى، وتجلى سبحانه لها لاتستحق ذلك .

هل هذا جزاء البلد الذى أنقذ نيله موسى من الغرق ، وأنجى بحره موسى من القتل؟

هل هذا جزاء دولة كست الكعبة المشرفة عشرات السنين ؟

هل هذا جزاء دولة استردت الحجر الأسود من يد القرامطة بعدما غصبوه ؟

هل هذا جزاء دولة هزمت التتار والصليبيين واليهود ؟

هل هذا جزاء دولة هزمت الرافضة العبيديين ؟

هل هذا جزاء قوم هم أخوال العرب ، أخوال إسماعيل الذبيح عليه السلام ؟

هل هذا جزاء بلد ينبع نيله من الجنة ، ويطعم الشعوب طوال التاريخ ؟

هل هذا جزاء بلد لايدخل أرضه المسيخ الدجال ؟

إنكم بممارسة القتل والحرق والتخريب والترويع تخسرون كل شىء .

تخسرون وطنكم الذى مزقتموه ، وشعبكم الذى عاديتموه ، ودينكم الذى خالفتموه ، وربكم الذى عصيتموه ، ونبيكم الذى تركتم شريعته .

لن تجدوا أسركم التى شردت ، بل لن تجدوا أنفسكم ، لقد قتلتموها ، ولا مستقبلكم الذى ضيعتموه .

لن تجدوا الجنة ، لأنها على من استحل الدماء حرام.

لن تجدوا سوى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣].

إننى أناشدكم :

عودوا إلى حضن الوطن

قبل أن يفوتكم القطار

عودوا قبل فوات الأوان

إنها الفرصة الأخيرة النداء الأخير .

عودوا قبل أن تغرق السفينة

فعند الغرغرة لاتنفع التوبة.

أعود أذكركم :

ستخسرون كل شىء

الدعوة والدولة

الدين والدنيا

الأهل والوطن

الماضى والحاضر

الغد والمستقبل

ستخسرون أنفسكم

ذلك إذا صممتم على إكمال المشوار الأسود حتى تبلغوا نهاية الحتوف ، وساعتها سيقول قائلكم : ﴿ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ [الفجر: ٢٤]

قد يشترى المرء بيتا جميلا ، أو سيارة فارهة ، أو منصبا رفيعا ، أو شهرة ذائعة ،

أو مؤيدين وأنصارا ، لكنه أبدا لن يشترى وطنا ، لأن الأوطان لاتشترى .

لن يشترى دينا صحيحا ، لأن الدين الحق لايساوم عليه ، ولايعرض فى الأسواق ليتاجر به .

لن يشترى الحب ، لأنه أسمى من كل الحياة .. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٣].

فلن تصنعوا لأنفسكم وجودا بغير مراد الله .

ولن تملكوا البلاد بغير إعانة الله

ولن تكسبوا قلوب الخلق حتى تكسبوا محبة الحق .

إننى أحذركم من استخدام المساجد فتسقطوا هيبتها فى قلوب الناس ، . وتذهبوا قدسيتها فى نفوسهم ، فيجترؤوا عليها ، فتبوؤوا بإثم :

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١١٤].

لا تستخدموا النساء والأطفال فى أعمالكم فيرخصوا عند الناس ، ويجترىء عليهم السفهاء ، وتغرون بهم الآخرين ، ثم تبكون على حرمة النساء والنقاب والأطفال فتحظوا بحديث :

« كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول »

أنتهى إلى ما بدأت به ندائى ، النداء الأخير .

﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف] .

فهل تسمعون ؟

المبحث الرابع

دماء على المصحف

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله ، الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، إمام المتقين ، وناصر الحق بالحق إلى يوم الدين.

وبعد:

إن ناسا من المسلمين أقحموا المقدسات الإسلامية فى صراعهم السياسى ، أو المذهبى ، أو الدينى مع الآخرين آملين بذلك أن ينتصروا ، أو أن يوقعوا خصومهم فى مأزق يسقطون فيه .

لكن للأسف لا أغنت عنهم تلك المقدسات شيئا ، ولاهم استطاعوا حمايتها والحفاظ عليها ، ولابقيت المقدسات مهابة معظمة .

بل لم تنل تلك المقدسات إلا الإهانة ، وانتهاك الحرمات ، وإسقاط هيبتها فى قلوب الخلق . وربما صارت المقدسات وسيلة حق أريد بها الباطل أو أفضت إليه.

إن جند الشام رفعوا المصاحف فى حربهم ضد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فلم تنف عنهم كونهم فئة باغية ، بنص حديث رسول الله ﷺ عن عمار ابن ياسر رضي الله عنه أنه تقتله الفئة الباغية ، وفعلا قتله جيش الشام رغم رفعهم المصاحف .

وبرفع المصحف فى الحرب ظهر شعار الحكم لله ، وتبلورت فرقة الخوارج الذين نادوا بنصرة القرآن ، وقبول تحكيمه ، وإذا بأمير المؤمنين يقول موضحا حقيقتهم: « الحكم لله كلمة حق أريد بها باطل » وقتل على أثر ذلك أمير المؤمنين وهو فى الطريق إلى المسجد .

إن قوما خرجوا على عثمان بحجة مخالفته القرآن ، فرأيناهم يتسورون عليه الدار وهو جالس يقرأ مصحفه ، فركلُوا المصحف بأقدامهم ، وطعنوا الخليفة بالسيف ، فسال دمه الشريف على كتاب الله ، وبالتحديد على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾. [البقرة]

وإذا من زعموا الخروج على عثمان نصرة للمصحف هم أنفسهم من ينتهكون حرمته ، وسالت الدماء تغطى كتاب الله .

فهل انتصر المصحف الذى أقحمه الثوار فى المعركة ؟ هل حافظوا على حرمته؟ هل صانوا له مكانته ؟ .

لقد احتمى ابن الزبير بالمسجد الحرام فى حربه لبنى أمية ، فحاصر الحجاج ابن يوسف الثقفى البيت الحرام ، وضرب الكعبة بالمجانيق ، واشتعلت فيها النيران ، واقتيد ابن الزبير رضي الله عنهما ليصلب على قارعة الطريق ، يمر عليه الناس يترحمون ، ولم يتحقق لابن الزبير غايته وهدفه ، فلاهو حمى الكعبة ، ولاهو دفع عنها ، وسقطت هيبة الكعبة من قلوب بعض الخلق ، لاجتراء جيش الحجاج عليها بعدما أقحمت فى الصراع [(١)].

أما جهيمان العتيبى : وما أدراك من جهيمان ؟ ذلك الرجل الذى دخل بأتباعه وسلاحه إلى الحرم المكى ليبايع المهدى بالخلافة ، ليملأ الأرض عدلا من وجهة نظره ، واعتصم هو ورجاله بالسلاح داخل الحرم ليسقط الظلم ، ويقيم العدل حسب رأيه .

فماذا كانت النتيجة ؟

قتل جهيمان وأتباعه

فزع الحجيج وروعوا

---

(١) لم يتوقع ابن الزبير أن يجترئ الحجاج على الكعبة ويضربها بالمجانيق كما حدث.

قصف المسجد وتهدمت مآذنه ، وتم اقتحامه من قبل قوات الأمن ، التى لازالت فيه إلى اليوم ولم تكن تجرؤ أن تقترب منه فضلا أن تتواجد فيه .

أيها الشباب :

يامن تنادون برفع المصاحف فى المظاهرات يوم الثامن والعشرين من نوفمبر:

إن كنتم لاتعرفون التاريخ ولاتصدقون مايقال.

فسلوا أبناء الصعيد عن إخفائهم السلاح داخل المساجد فى التسعينات ، وكذلك سلوا أهالى إمبابة . سلوهم ماذا ترتب على ذلك من اقتحام المساجد وإغلاق أبوابها بالطوب أمام المصلين ، بسبب إقحامها فى الصراع مع الحكومة والأجهزة الأمنية .

سلوا طالبان باكستان عما حدث داحل المسجد الأحمر عندما اختبؤوا بداخله ؟ وكم من الدماء أريقت بساحته ؟ وكيف اقتحمته قوات الأمن ؟

إننى أذكركم بما حدث فى مسجد رابعة بعدما جعلتموه مركزا للاعتصام ، وغرفة عمليات لإدارة المظاهرات ، لقد رأينا النار تلتهمه وتشتعل فيه ، وتبادل الطرفان الاتهامات ، لكن كانت الحقيقة التى لا اختلاف عليها أن المسجد قد احترق .

أما إنى لا أبيح لأحد أن يقتحم مسجدًا ، أو يضرم فيه نارًا ، أو يهين مصحفًا ، أو يلطخه بالدم بحال من الأحوال .

لكن وفى نفس الوقت لا أقر إقحام المقدسات الإسلامية فى صراع سياسى ، بأى شكل من الأشكال وأحذر قائلا :

« اعلموا أنه متى أقحمت المقدسات فى الصراع فإنها ستنتهك ...هذا هو الحاصل والواقع .

إن المصاحف والمساجد تظل مقدسة معظمة لايقربها أحد مالم يقحمها فريق

فى حلبــة الصــراع السياســى ، فــإذا أقحمــت ســقطت ، وذهبــت قدســيتها ، والمقحمون لها شركاء فى إهانتها ، وان بكوا هم على ذلك .

لاتخرجوا بالمصاحف لأ نها : ستنتهك........ ستهان ......ستلطخ بالـدماء وساعتها ستبكون على حرمتها ، أو تشهرون بخصومكم ، وكـل ذلـك لـن يغنـى عنكم شيئا ولا عن غيركم. ، لاعند الله ولاعند الناس .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعـه ، وأرنـا الباطـل بـاطلا وارزقنـا اجتنـاه ، ولاتجعله ملتبسا علينا فنضل ، وخلصنا من حظ نفوسنا ، يارب .

والسلام عليكم ورحمة الله

٢٣-١١-٢٠١٤م

الفصل الثاني

يداك أوكتا وفوك نفخ

يُضرب هذا المثَلُ لِمَن كان سبب هلاكه مِنْه.

وأَوْكَتا :من الإيكاء، وهو شَدُّ رأس السقاء بحبل ونحوه، ومنه حديث اللُّقَطة، وفيه :(اعرف وِكاءَها) والوكاء الخيط الذي تشدُّ به الصُّرَّة.

ونَفَخ :من النفخ، وهو إخراج الهواء من الفم.

وأصل المثل - فيما يَذكرون -:- أن قومًا كانوا في جزيرة من جزائر البحر في الدَّهر الأول، وكان دُونَها خليجٌ من البحر، فأتى قومٌ يريدون أن يَعبروا إليهم، فلم يَجدوا معْبرًا، فجعلوا ينفخون أسقيتهم، ثم يَعْبرون عليها.

وكان معهم رجلٌ عَمدَ إلى سِقائه، فأقَلَّ النفخ فيه، وأضْعَفَ الإيكاء والربْطَ له، فلما توسَّط الماء جعلَتِ الرِّيح تخرج حتى لم يَبق في السِّقاء شيء، وأوشك على الغرق، وغَشِيه الموت فنادى رجلا من أصحابه أن يافلان إنى قد هلكت ؟ فقال : ماذنبى ؟ «يداك أوكتا وفوك نفخ » فصار قوله مثلا وقيل غير ذلك

ولقد تمثل بهذا المثَلِ الشعراءُ في شِعرهم، ومِن ذلك قول الكُمَيت:-

صَـهِ لِجَـوَابِ مَـا قُلْـتُمْ وَأَوْكَـتْ أَكُفُّكُــمُ عَلَــى مَــا تَنْفُخُونَــا
إِذَا كَانَـــتْ جُلُـــودُكُمْ لِئَامَـــا فَــأَيَّ ثِيَــابِ مَجْــدٍ تَلْبَسُــونَا

وقال آخَرُ في ذلك : - :

دُعَـاؤُكَ حَـذْرَ الْبَحْـرِ أَنْـتَ نَفَخْتَـهُ بِفِيـكَ وَأَوْكَتْـهُ يَـدَاكَ لِتَسْـبَحَا

فمن أوقع نفسه في مأزق وأزمة ثم طلب من الآخرين إنقاذه من أزمته فلابد أن يكون حظه من ذلك اللوم والتقريع، وقد يتخلى عنه الناس فلايعبأون بندائه ، ولايستجيبون لدعائه لأنه هو الذى أورد نفسه المهالك ، ولن يكون الناس أحرص عليه من نفسه ، والناظر في تاريخ جماعات العنف يجدهم ولأول وهلة لهم السبق في صناعة الأزمات وإحلال أنفسهم وغيرهم الورطات ، ثم في الوقت نفسه يجدهم يذهبون شرقا وغربا يستصرخون العالم مسلميه وغير مسلميه

لإنقاذهم والسعى لإنهاء أزمتهم التى أوقعوا هم أنفسهم ومجتمعاتهم فيها ، فأنت تراهم في الوقت الذى فتحت فيه المملكة السعودية مثلا أحضانها ، وسخرت كل طاقاتها لخدمة الحرمين الشريفين ، والقيام على شؤون الزوار حتى عم الأمن والأمان ، وتحدث بخبره المشاة والركبان ، نجد جماعات العنف يقتحمون الحرم حاملين السلاح ، ويروعون الحجيج والمعتمرين ، ولايستجيبون لنصح ناصح ، ولايرجعون إلى علم عالم ، ويظلون على تشددهم وإرهابهم وظلمهم للناس وظلامهم ، حتى تضطر القوات العسكرية والأجهزة الأمنية إلى التدخل لإنهاء الموقف بعد مرور ما يناهز العشرين يوما من بداية الأحداث تقريبا ، وتظل عناصر الأمن والاستخبارات متواجدة في ساحات الحرمين إلى اليوم ، وستظل كذلك إلى أجل يعلمه الله .

وتجد جماعات العنف ما إن يروا بلادهم ودولهم تضع أقدامها للبدء في إقامة بعض المشروعات القومية التى تعود ببعض النفع على المواطن الفقير إلا وتجد هذه الجماعات يتربصون بالدولة وبمشروعها القومى ، فيتهدد خطرهم مثلا قناة السويس ، وخطوط الغاز ، والمترو ومحطات الكهرباء ، ولايكاد يدخل موسم الصيف ويتوافد السياح من هنا ومن هناك إلا وترى جماعات العنف يخطفون السياح ويقتلونهم ، ويضربون المنشآت السياحية ، مما يضطر الدول لسحب رعاياها . ولا تكاد دولهم يتحسن موقفها الدولى والإقليمى إلا وتراهم يعتدون على السفارات ، ويسبون حكومات الدول الأخرى ، بل ويقومون بأعمالهم الإرهابية ضد مصالح هذه الدول في الداخل والخارج ، مما يهدد بتوتر العلاقات بين دولهم وبين دول العالم .

ولا يكاد المرء يرى بصيص نور لتحسن الأوضاع المعيشية والاقتصادية للمجتمع إلا وترى جماعات العنف يسيرون المظاهرات ، ويقطعون الطرق ، ويحرقون المحلات ، ويسطون على البنوك ومكاتب البريد ، بهدف ضرب الاقتصاد الوطنى .

ولاتكاد تجد دولة تبنى جيشها وأجهزتها ومؤسساتها التى تحمى الأرض ، وتؤمن الإنسان وتصون العرض ، وترد شيئا من الحقوق ، إلا وترى جماعات العنف يهاجمون وحدات الجيش وأكمنة الشرطة ، ويغتالون الخفراء والكتاب والقضاة ، لتظل الدولة مشلولة الأركان لاتقدر على تسيير أمور الحياة اليومية للمواطنين ، مما يشجع الناس على التذمر والتجمهر فيستغل دعاة العنف هذه الفعاليات لتصعيد الأوضاع وإحداث القلاقل داخل الدولة .

ولاتكاد ترى جماعات العنف يدخلون إلى دولة سواء بصورة قانونية أو غير قانونية إلا و ينقضون العهد ، ويخلفون الوعد ، ويتآمرون ضد الدولة التى استضافتهم ووفرت لهم الملاذ والمسكن ، فتراهم يفجرون هنا ويخربون هناك ، ما يؤدى إلى تضييق الخناق على الجاليات المسلمة في الغرب والعالم ، فيستغل دعاة العنف ذلك في إزكاء نار الصراعات الدينية . ولا تكاد تجد دولة تحاول جمع شملها ، وتوحيد كلمتها فينزلها دعاة العنف ، إلا وتراهم يقتلون أبناء الطوائف الأخرى واتباع المذاهب المخالفة ، ويعتدون على نسائهم ، ليجروا هذه الدول إلى أتون الحرب الطائفية والمذهبية تنفيذا لمبدأ : «فرق تسد» .

ولا تجد دولة أخذت تتنفس عبير الحرية ورائحة الديمقراطية ، إلا ويشعل دعاة العنف فيها فتنة الصراع السياسى ، ويؤججون نار الاستقطاب ، ويمارسون سياسة الإقصاء والإزراء والتخوين ، فتعم الفوضى وتصادر بعدها الحريات ، ليستغلها دعاة العنف ذريعة للحرب ضد الدكتاتورية والاستبداد .

إنهم غالبا صناع الأزمات قبل أن يكونوا أصحاب حلول ، وفى كل أزمة يصنعونها تراهم بعدها يصرخون ويولولون ، مطالبين بإنقاذ الموقف وإنهاء الأزمة ولايتورعون عن أى وسيلة توصلهم إلى مايريدون حتى لو كانت هذه الوسيلة هى استعداء العالم ضد أوطانهم وجيوشهم وحكوماتهم ، بل ولو كانت تقسيم الأوطان وقتل الإنسان وتغييب الأمان ، ومخالفة القرآن ، المهم عند جماعات العنف أن ينتصروا على خصومهم بأى وسيلة شريفة أو غير شريفة ،

وأكثرهم إلى غير الشريفة أقرب ، وتراهم في كل مرة يكررون خطأهم ولا يعترفون بخطاياهم ولا يستفيدون من تجاربهم ولا من تجارب غيرهم وكأنهم يغمضون عيونهم عن نور الشمس . .

وفى هذا الفصل نعرض لمجموعة من الأزمات والأحداث التى صنعتها جماعات العنف على فترات متباعدة بعضها عن بعض ، ونرى موقف جماعات العنف من هذه الأزمات وتلك المواقف ، وكذلك نعرض لآراء الفقهاء والعلماء حيال هذه الأحداث لنكشف بنور العلم ظلام الجهل ، وبضياء التجرد غياهب الهوى ، وبصفاء الرحمة عتمة القسوة ، وننظر في نهاية كل حدث هل استفادت جماعات العنف من مواقفها ؟ هل استفادت من نصائح العلماء ؟ هل استوعبت جماعات العنف دروس التاريخ ؟ ولنفرد كل حدث بمبحث مستقبل لئلا تتداخل خيوط الأحداث بعضها ، وليكن أول الأحداث التى نعرض لها في المبحث الأول : فتنة الحرم المكى .

المبحث الأول

فتنة الحرم المكي

الثلاثاء ١/ محرم ١٤٠٠هجرية - ١٧ محرم ١٤٠٠ هجرية

تلك التى وقعت في أوائل الثمانينات من القرن العشرين بساحة الحرم المكى الشريف .

وتتلخص الأحداث في احتلال مجموعة من المسلحين للحرم المكى ، وإغلاق أبوابه ، ومنع المصلين من الخروج إلا بعد مبايعة رجل معهم اسمه محمد عبدالله ، أراد المسلحون مبايعته بالمهدية فيما كان خطيبٌ مجهولٌ يتحدث عن «المهدي» وعلاماته، ومميزاته، وأهدافه، وكيفية مبايعته، ويسرد بعض الأحاديث التى تصف المهدي؛ في محاولة منه لإقناع الناس بمهديهم المزعوم.

ومما ذكر في خطبته:

أولاً: أن المهدي اسمه: محمد بن عبد الله.

ثانيا: نسبه من قريش، من أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم، من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها.

ثالثاً: أن الله تعالى يخْرِجُهُ في ليلةٍ.

رابعاً: أنه أجلى الجبهة، أقنى الأنف.

خامساً: أنه يظهر إلى من ملأ الأرض ظلماً وجوراً، فيملؤها هو قسطاً وعدلاً.

سادسا: أنه يُبايَع بين الركن والمقام.

ومما كان ينادي به خطيبُ القوم: «...فاعلموا أيها المسلمون.. أنه انطبقت هذه الصفات كلها.. على هذا المهدي الذي سوف تبايعون بعد لحظات بين الركن والمقام، وهو موجود معنا الآن، وكذلك أخوكم جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، وهو موجود أيضاً معنا الآن».

هذه الكلمات السابقة، مقتبسة من الخطبة الشهيرة التى أُلقيت على مسامع المصلين والمعتمرين، ألقاها خطيب الفتنة. وقد أشهروا السلاح في وجه الحجيج والمعتمرين ، واحتلوا المآذن ، وصوبوا أسلحتهم وقتلوا وأصابوا العديد من الناس ومن قوات الأمن .

ناشدهم العلماء والفقهاء والسياسيون لإنهاء الأزمة لكنهم لم يستجيبوا لنصح ناصح ، وغشيتهم ظلمات البدع بعدما غضوا طرفهم عن أنوار السنة ، وصمموا على إقامة الخلافة الراشدة بزعامة المهدى الذى يزعمون ، وظلوا على موقفهم المتشدد حتى تمكنت القوات من القضاء عليهم بالقتل وبالاعتقال ، بعد رفضهم الاستسلام بناءا على فتوى للعلماء ، وتم تخليص الحجيج والمعتمرين ، وتطهير المسجد الحرام من آثارهم ، ورغم ذلك خرجوا من ظلمة ليدخلوا في أخرى ويشيع بعضهم أن المهدى لم يمت ولكنه هرب واختفى ليعود بعد سنين كما تزعم الشيعة في مهدى السرداب ، لكن سلطات المملكة كشفت هذه الخرافات ونشرت صورة محمد عبد الله المهدى المزعوم بعد قتله في الأحداث ، وكان لفقهاء الإسلام في العالم كله مواقفهم الرافضة للفتنة ولكننا نسوق هنا فقط بعضا من هذه الأقوال والبيانات التى أصدرها العلماء لإيضاح الموقف الشرعى الصحيح من الأحداث التى وقعت داخل الحرم.

أولا : بيان هيئة كبار العلماء :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

بيان من هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام :

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لانبي بعده ، محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فبمناسبة انعقاد مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الخامسة عشرة في مدينة الرياض في النصف الأول من شهر صفر عام ١٤٠٠هـ. للنظر في الأعمال المدرجة في جدول أعمال هذه الدورة رأت الهيئة أن من واجبها إصدار بيان بشأن الاعتداء على المسجد الحرام من قبل الفئة المعتدية الضالة التي كفى الله المؤمنين شر عدوانها فتم القضاء عليها بفضل الله وكرمه.

فإن هيئة كبار العلماء بهذه المناسبة تستنكر من هذه الفئة المعتدية الظالمة فعلها الآثم وعدوانها الغادر، وتعتبرها بذلك قد ارتكبت عدة جرائم أهمها مايلي:

١ - انتهاك حرم الله وجعله ميدانا للقتل والقتال ، وتحويله من حرم آمن إلى ساحة حرب تسوده الفوضى والفزع والاضطرابات والقتل والقتال ، متجاهلين مافي ذلك من الوعيد الشديد والإجرام البالغ .، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] ، وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: « أن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، لايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ، ولا يعضد بها شجرا ، فإن أحدًا ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا أن الله أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب».

٢- سفك دماء المسلمين في بلد الله الحرام مكة المكرمة وفي حرمه الآمن ، حيث قتل فيه على أيديهم وبسبب فتنتهم العشرات من المسملين معصومي الدم والمال.

٣- الإقدام على القتال في البلد الحرام ، وفي الشهر الحرام ، قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٤- الخروج على إمام المسلمين وولي أمرهم ، وهم مع إمامهم وتحت ولايته وسلطانه في حال من الاستقرار والتكاتف والتآلف ، والتناصح واجتماع الكلمة يحسدهم عليها كثير من شعوب العالم ودوله ، مستهينين بجريمة الخروج على ولي أمر المسلمين ، وخلع مافي أعناقهم له من بيعة نافذة جاهلين أو متجاهلين مافي ذلك من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]، وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لاننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان».

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** » ، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنا من كان** » .

٥- التسبب في تعطيل حرم الله مدة اعتدائهم عليه من الشعائر الدينية من صلاة وذكر وطواف وتلاوة لكتاب الله وغير ذلك من أنواع العبادات ، حتى أنه مضى عليه جمعتان لم تصليا فيه ، ولم ترفع من مآذنه نداءات الصلاة جمعة وجماعة قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ

لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: ١١٤] .

٦- التغرير بمجموعة من الأغرار والنساء والسذج وغيرهم بزجهم في حظيرة هذا الطغيان الآثم ، وتعريضهم لكثير من المآسي وصنوف المشقة والتسبب في قتل بعضهم.

٧- الانقياد لداعي الهوى والضلال ، حيث قام من تولى كبر هذه الفتنة بالإشارة إلى أحدهم بأنه هو المهدي المنتظر ، وأعلن المطالبة بمبايعته مع انتفاء مايدل على ذلك ووجود مايكذبه.

وبناء على ماتقدم فإن هيئة كبار العلماء تعتبر هذه الفئة فئة ضالة آثمة لاعتدائها على حرم الله وعلى مسجده الحرام ، وسفكها الدم الحرام ، وقيامها بما يسبب فرقة المسلمين وشق عصاهم ، وبذلك دخلت تحت قوله سبحانه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، وقوله :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

والهيئة إذ ترى في هذه الفئة الظالمة هذا الرأي ترى أن في منشوراتها من الشبه الآثمة ، والتأويلات الباطلة ، والاتجاهات الضالة مايعتبر بذور شر وفتنة وضلال، وطريقا إلى الفوضى والاضطرابات والتلاعب بمصالح البلاد والعباد بدعاوى قد يغتر بعض السذج بظاهرها ، وفي بواطنها الشر المستطير، وإذ تبين الهيئة ذلك وتستنكره فإنها تحذر المسلمين جميعا مما في تلك المنشورات من الشبه الآثمة ، والتأويلات الباطلة ، والاتجاهات السيئة ، كما أن الهيئة بهذه المناسبة وبمناسبة القضاء على فتنتهم من حكومة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله ووفقه وأعانه على كل خير تشكر الله سبحانه وتعالى أن يسر أسباب القضاء عليها ، وتسأله تعالى أن يحمي هذه البلاد ، وبلاد المسلمين عامة من كل سوء ، وأن يجمع شملها على الحق ، ويعين ولاتها ويعزهم بالإسلام ويعز

الإسلام بهم ، ويجعل لهم من البطانة الصالحة من إذا هموا بالخير أعانوهم عليه ، وإذا جهلوه أرشدوهم إليه ، وإذا نسوا ذكروهم إياه ، وأن يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون من ظالم وحاقد وماكر وحاسد ، وتقدر الهيئة الجهود العظيمة التي بذلتها الحكومة في القضاء على هذه الفتنة بطريقة اتسمت بالقوة والحكمة والبصيرة ، وتشكر كل من ساهم في القضاء عليها بيده أو لسانه أو قلمه ، وفي مقدمة هؤلاء جلالة الملك وولي عهده وأعوانه المخلصين ، والقوات العسكرية بمختلف مسمياتها ورتب أفرادها ، ونسأل الله سبحانه وتعالى لقتلاهم المغفرة والرحمة وجزيل الثواب ، ولأحيائهم الأجر العظيم والثبات على الحق والهدى ، والله حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هيئة كبار العلماء رئيس الدورة الخامسة عشر : عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

الأعضاء:

عبد الله بن محمد بن حميد	عبد الرزاق عفيفي.
إبراهيم بن محمد آل الشيخ.	عبد المجيد حسن.
صالح بن لحيدان.	محمد بن علي الحركان.
عبد العزيز بن صالح.	محمد بن جبير.
صالح بن غصون.	عبد الله بن منيع.
عبد الله خياط.	سليمان بن عبيد.
راشد بن خنين.	عبد الله بن غديان.
عبد الله بن قعود.	

المرجع : مجلة البحوث الإسلامية ج٥ .

ثانيا : حادث المسجد الحرام وأمر المهدي المنتظر

للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد : فإن الحادثة النكراء والجريمة الشنعاء التي قام بها جماعة من المسلحين بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء الموافق ١ / ١ / من عام ١٤٠٠ هجرية باقتحامهم المسجد الحرام وإطلاقهم النار بين الطائفين والقائمين والركع السجود في بيت الله الحرام أقدس بقعة وآمنها ، قد أقضت مضاجع العالم الإسلامي وألهبت مشاعره وقابلها بالاستنكار الشديد ، وما ذاك إلا لأنها عدوان على البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وانتهاك لحرمته وحرمات البلد الأمين والشهر الحرام ، وترويع للمسلمين ، وإشعال لنار الفتنة ، وخروج على ولي أمر البلاد بغير حق.

ولا شك أن هذا الإجرام يعتبر من الإلحاد في حرم الله الذي قال الله فيه :

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج] ويعتبر ترويعا للمسلمين وإيذاء لهم وظلما وعدوانا وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨] وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٩] وقال عز وجل : ﴿ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى: ٨]، يضاف إلى ذلك حملهم السلاح وإطلاقهم النار على رجال الأمن الذين أرادوا إطفاء فتنتهم وحماية المسلمين من شرهم ، وقد قال النبي ﷺ : «من حمل علينا السلاح فليس منا» ونهى عن حمل السلاح في الحرم وقال عليه الصلاة والسلام : « أن هذا البلد حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يسفك فيه دم ولا يعضد فيه شجره». البخاري ومسلم وغيرهما .

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : « أن هذا البلد لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي وإنما أحل لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمته اليوم كحرمته بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب» والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وقد تعدى شر هذه الفتنة وضررها إلى كثير من الحجاج وغيرهم ، يضاف إلى ذلك إغلاقهم أبواب المسجد الحرام ومنعهم بذلك الداخلين والخارجين ، وبذلك تدخل هذه الطائفة تحت قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وبالجملة فقد حصل بهذه الحادثة الشنيعة ظلم كثير وفساد عظيم وبلاء كبير ولا نعلم أنه مر بالمسجد الحرام مثل هذه الحادثة لا في الجاهلية ولا في الإسلام.

أما تبريرهم لظلمهم وعدوانهم وفسادهم الكبير بأنهم أرادوا إعلان البيعة لمن زعموه المهدي ، فهذا تبرير فاسد وخطأ ظاهر وزعم لا دليل عليه ، ولا يجوز أن يستحلوا به حرمة المسجد الحرام وحرمة المسلمين الموجودين فيه ، ولا يبيح لهم حمل السلاح وإطلاق النار على رجال الأمن ولا على غيرهم لأن المهدي المنتظر من الأمور الغيبية التي لا يجوز لأي مسلم أن يجزم بأن فلانا ابن فلان هو المهدي المنتظر لأن ذلك قول على الله وعلى رسوله بغير علم ، ودعوى لأمر قد استأثر الله به حتى تتوافر العلامات والأمارات التي أوضحها النبي ﷺ وبين أنها وصف المهدي ، وأهمها وأوضحها أن تستقيم ولايته على الشريعة ، وأن يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا مع توافر العلامات الأخرى ، وهي : كونه من بيت النبي ﷺ ، وكونه أجلى الجبهة أقنى الأنف وكون اسمه واسم أبيه يوافق اسم النبي ﷺ واسم أبيه ، وبعد توافر هذه الأمور كلها يمكن المسلم أن يقول أن من هذه صفته هو المهدي.

أما اعتماد المنامات في إثبات كون فلان هو المهدي فهو مخالف للأدلة الشرعية ولإجماع أهل العلم والإيمان ،، لأن المرائي مهما كثرت لا يجوز

الاعتماد عليها في خلاف ما ثبت به الشرع المطهر؛ لأن الله سبحانه أكمل لنبينا محمد ﷺ ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة قبل وفاته عليه الصلاة والسلام فلا يجوز لأحد أن يعتمد شيئا من الأحلام في مخالفة شرعه عليه الصلاة والسلام.

ثم إن المهدي قد أخبر النبي ﷺ أنه يحكم بالشرع المطهر فكيف يجوز له ولأتباعه انتهاك حرمة المسجد الحرام، وحرمة المسلمين وحمل السلاح عليهم بغير حق، وكيف يجوز له الخروج على دولة قائمة قد اجتمعت على رجل واحد وأعطته البيعة الشرعية فيشق عصاها ويفرق جمعها، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: «**من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنا من كان**» أخرجه مسلم في صحيحه، ولما بايع النبي ﷺ أصحابه بايعهم على أن لا ينازعوا الأمر أهله، وقال: «**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**» مسلم، وهذه الدولة بحمد الله لم يصدر منها ما يوجب الخروج عليها، وإنما الذي يستبيح الخروج على الدولة بالمعاصي هم الخوارج، الذين يكفرون المسلمين بالذنوب، ويقاتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان، وقد قال فيهم النبي ﷺ: «**أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**» البخارى، وقال: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**» متفق عليه.

والأحاديث في شأنهم كثيرة معلومة، وقد قال النبي ﷺ: «**من رأى من أميره شيئا من معصية لله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة فإن من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية**»، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث الحارث الأشعري: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: الجهاد، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع»، البخارى والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .. وقد صدر من علماء المملكة فتوى في هذه الحادثة والقائمين بها، وأنا من جملتهم، وقد نشرت في الصحف المحلية، وأذيعت بواسطة الإذاعة المرئية

والمسموعة .

وفيما يلي نصها : ثم ذكر الشيخ بيان هيئة كبار العلماء السابق وعقب قائلا :

وفيها الكفاية إن شاء الله والإقناع لطالب الحق، وإنما أردت بكلمتي هذه مزيد الإيضاح والبيان لخطأ هذه الطائفة وظلمها وعدوانها فيما فعلت، وخطئها فيمن زعمت أنه المهدي.. أما إنكار المهدي المنتظر بالكلية كما زعم ذلك بعض المتأخرين فهو قول باطل؛ لأن أحاديث خروجه في آخر الزمان وأنه يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا قد تواترت تواترا معنويا وكثرت جدا واستفاضت كما صرح بذلك جماعة من العلماء، منهم أبو الحسن الآبري السيجستاني من علماء القرن الرابع، والعلامة السفاريني والعلامة الشوكاني وغيرهم، وهو كالإجماع من أهل العلم .

ولكن لا يجوز الجزم بأن فلانا هو المهدي إلا بعد توافر العلامات التي بينها النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة الثابتة، وأعظمها وأوضحها كونه يملأ الأرض عدلا وقسطا، كما ملئت جورا وظلما كما سبق بيان ذلك .

ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين ويمنحهم الفقه في الدين، وأن يوفق ولاة أمرهم للحكم بشريعته والتحاكم إليها والحذر من كل ما خالفها، وأن يحسن العاقبة للمسلمين إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثالثا : قال قائل منهم :

يقول ناصر الحزيمي، أحد أفراد الجماعة السلفية المحتسبة سابقاً، التي أقدمت على اقتحام الحرم المكي عام ١٤٠٠هـ وهو الباحث والكاتب الحالي في التراث والصحفي في صحيفة الرياض،: « أن صاحب فكرة اقتحام الحرم المكي كان جهيمان العتيبي، وهو من خطط لها، وقادها بنفسه ميدانياً، وحدد تاريخها إيماناً منه بأن يوم القيامة قريب» .

وسئل هل ندمت على قرارات معينة اتخذتها؟

أجاب : نعم، ندمت بعد السجن كثيراً.. أما الآن فاعتبرتها جزءاً من تاريخي، وهويتي، وشخصيتي، وأعتبرها هفوة كبيرة في حياتي. وأكثر ما ندمت عليه هو أنني علمت بتاريخ اقتحام جماعة جهيمان للحرم المكي ولم أبلغ السلطات؛ لأنني لو بلغت لحُقنت دماء كثيرة. وبالفعل ندمت بشكل كبير.

وسئل : انسحبت قبل عملية الاقتحام ب ٦ أشهر تقريباً.. لماذا الانسحاب؟ وعلى ماذا اختلفتم؟

قال : اختلفت أنا ومجموعة معي مع مجموعة جهيمان على نقطتين:

الأولى: رفض جهيمان أن ندرس على يد الشيخ ابن باز- رحمه الله.

وثانياً: اختياره لمحمد عبدالله القحطاني أن يكون «المهدي المنتظر». ورفضت فكرة «المهدي المنتظر» لتأثري برأي شيخي علي المزروعي الذي رفضها رفضاً تاماً؛ وانسحبنا، ولم نقتحم الحرم مع الجماعة.

و في كتابه ذكرياتي مع جهيمان العتيبي قائد المحتلين للمسجد الحرام « لناصر الحزيمي، تكلّم مؤلفُه عن لقاء تمَّ بين الإمام الألباني وأحد المتأثرين بآراء الخوارج بترتيب من جهيمان، وتمَّ الحوار حول مسائل الحاكمية والفكر التكفيري، وعلاقة هذه الأطروحات بفكر الخوارج، وأنّ الكفر أنواع، واستشهد الشيخ الألباني بكلام علماء السلف مثل أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم وغيرهم، وسُجِّلَت هذه الجلسة على شريط كاسيت، وأثناء خروجهم من اللقاء أخذ جهيمان هذا الشريط على سبيل الاستعارة حال خروجهم من بيت فيصل مباشرة، ولم يرجعه، ولم يُطلع عليه أحداً،

قال ناصر الحزيمي : وعلمت بعد ذلك أن جهيمان قد أتلفه مباشرة .

رابعا : رأى العلامة الألبانى رحمه الله

يقول فى السلسلة الصحية ٥ / ٢٧٨ » : « واعلـم أيهـا الأخ المـؤمن أن كثيـرا مـن الناس تطيش قلوبهم عند حدوث بعض الفتن ولابصيرة عندهم تجاهها ......ومثـل جماعة جهيمان ...الذى قام بفتنة الحرم المكى على رأس سنة ١٤٠٠ هجرية ، وزعـم أنه معه المهدى المنتظر ، وطلب من الحاضرين فى الحرم أن يبايعوه ، وكان قد اتبعـه بعض البسطاء والمغفلين والأشرار من أتباعه ثم قضى الله على فتنتهم بعـد أن سـفكوا كثيرا من دماء المسلمين ، وأراح الله العباد من شرهم » .

خامسا : وقال مقبل الوادعى :

فى مقطع صوتى له على اليوتيوب : «.....أما فى قضية الحرم كنت قد خرجـت بسنة .. وحتى لو لم أكن معهم ......نعم هم كانوا يدرسون عندى وكنت اصحبهم وكانوا يعتبروننى مفتيا لهم نعم نخرج رحلات ...لكن ما جاءت قضية الحـرم إلا وكنت قد سافرت ... جهيمان أنا أنكرت عليه وعلى أصحابه منـذ عرفـت اتجاهـه وقاطعته منذ خرجت رسائله ... وأنا ذكرت فى المخرج أنهم يعتبـرون بغـاة لأنهـم خرجوا على دولة مسلمة» .

وفى كتابه المخرج من الفتن يقول رحمه الله ..بعد ذكـره لعـدة أسـباب كانـت وراء خروجهم .. : « وبعد هذا هل أصابوا أم أخطأوا ؟ لاشك أنهم أخطأوا لأمور منهـا أنهم كانوا سببا لسفك الدماء فى مكة والرسـول ﷺ يقـول « لايسـفك فيهـا دم » ، ومنها حمل السلاح فى الحرم والنبى ﷺ قد نهى عن ذلك ....ومنهـا اعتمـادهم على رؤيا والرؤيا لايثبت بها حكم شـرعى ....ومنهـا خـروجهم عـلى حكومـة مسـلمة ولايحـل الخـروج إلا أن تـروا كفـرا بواحـا » .وبمـاذا يحكـم عـلى هـذه الجماعة؟ يحكم عليهم أنهم بغاة ..... انتهى ص١١٢ .

سادسا : أما عبد الرحمن عبد الخالق صاحب كتاب الحد الفاصل بين الإيمان والكفر فيقول معلقا على فتنة الحرم بهامش كتابه ص ١١٨ ، ١١٩ :

« وقد حذرنا من هذه الطائفة الضالة منذ ظهرت أول رسالة لمهندس أفكارها وهو « جهيمان بن سيف العتيبى » ، وذكرنا أنها فئة جديدة من الخوارج المعاصرين وأنهم يسيرون على نهجهم فى محاربة المسلمين على المعصية وتفريق الأمة وتضليل العلماء ، وسب طلبة العلم وتحريم طلب المعاش ، وإنكار العلوم الدنيوية والمكتشفات العلمية العصرية ، والدعوة إلى هجر المجتمعات والعيش فى البرارى والقفار ، وكل هذا الذى خرجت به هذه الطائفة المارقة ينافى الدين ويضاد العقل والمنطق .، ونقل عبد الرحمن عبد الخالق على لسان إمام الحرم الشيخ محمد السبيل قوله : « أن المسلحين الذين اقتحموا المسجد الحرام هم طائفة من المتدينين المتعصبين ، ويدعون أنهم من السلفيين وهم معروفون من قبل العلماء والمشايخ بمكة المكرمة وليسوا من الدين فى شىء » ، ثم قال عبدالخالق: « وهذا الذى قاله إمام المسجد الحرام حق لاشبهة فيه ، فهذه الجماعة الخارجة على إجماع الأمة ، وعن السير على نهج السلف الصالح لايمكن أن تكون من السلفية فى شىء لأن السلف مجمعون أن المهدى لايدعى بالرؤى والأحلام ، وأن الدين لايفرض بالسيف والسنان ، ومجمعون كذلك أنه لايجوز الخروج بالسيف على الإمام والحاكم الذى يعلن الإسلام ، ومجمعون كذلك على حرمة بيت الله الحرام وأنه لايجوز القتال فيه ، وهؤلاء خالفوا إجماع الأمة فى كل هذا» . انتهى كلام عبد الرحمن عبد الخالق.

هذه هى فتنة الحرم بظلمها وظلامها ، وهذا هو موقف العلماء منها ، وقد تعطل الأذان فى الحرم بسببها ٨٢ مرة ، فهل استفادت جماعات العنف من الأحداث ؟ هل توقفوا عند أراء الفقهاء وكلام العلماء ؟ بلا شك فهم لم يستفيدوا، لأنهم لو كانوا قد استفادوا لما رأينا أحداث العنف تتكرر ثانية ، وثالثة بأرض الحرمين الشريفين ، ولما سمعنا بأحد السعوديين يؤسس تنظيمه المسمى بتنظيم القاعدة فى جزيرة العرب ، والذى ارتكب مزيدا من الجرائم من القتل والتفجير والتدمير نعرض لبعض منها قريبا بإذن الله . .

المبحث الثاني

أحداث مصر في التسعينيات

أما عن أحداث العنف التى جرت فى مصر فترة التسعينات فقد تصدى لها العلماء على أكثر من صعيد ، وفى أكثر من مناسبة ، بل إن من قاموا بها قد اعترفوا بخطئهم ، وتبرأوا من هذه الأحداث وأدانوها ، وأظهروا توبتهم منها ، وسجل ذلك بكل الطرق ، ونشر عنهم بكافة الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية ، بل وواجهوا أفرادهم بهذه الأخطاء ، وطالبوهم بالإقلاع عنها ، ولئن كانت هذه الأحداث كثيرة ومتتابعة بصورة يصعب حصرها فى هذا المقام فلا يفوتنا أن نذكر بعضا منها ، مع بيان عدد الضحايا قدر المستطاع ليقف القارئ على مدى فداحة هذه الجرائم ، ويقف كذلك من خلال الأحداث على طبيعة قلوب وأخلاق وعقلية مرتكبيها ، ولابد للقارئ أن يعرف أن هذه الجرائم امتدت إلى جميع مؤسسات الدولة وكذلك إلى كثير من شرائح المجتمع ، فقد طالت أيديهم مؤسسة الرئاسة أكثر من مرة ، كما أنها امتدت إلى السلطة التنفيذية بدءا من رئاسة الوزراء ومرورا بالوزراء ، وانتهاءًا بالخفراء فى النجوع والقرى ، فلم يسلم منهم جيش ولاشرطة ، ولابرلمان ، ولا إعلام ولا صحافة ، بل ولاتعليم ، كما امتدت أيديهم الأثيمة لتنال الرجال والشيوخ والنساء والشباب والأطفال ، كما طالت عملياتهم الغادرة البنوك ومكاتب البريد والمواصلات العامة والمقاهى ، والفنادق، والمنتجعات السياحية ، والأماكن الأثرية ، ونكتفى بعرض بعض ماحدث قبل ثورة يناير ، وبالتأكيد نحن لم ننس الاعتداء على متحف ملوى ، ومحاولة الاعتداء على مكتبة الإسكندرية ، وكذلك إحراق مكتبة الأستاذ محمد حسنين هيكل ، وغيرها الكثير ، والآن نبدأ بذكر ثبت ببعض هذه الجرائم التى ارتكبها تيار العنف ضد الدولة وضد المجتمع والتى يسمونها بالعمليات

الجهادية، أو القتال فى سبيل الله كما يحلوا لهم أن يصفوها .

١- الأربعاء ٧ ديسمبر ١٩٨٨ حملات أمنية على حى عين شمس وفى تصاعد للأحداث قام شريف محمد احمد بقتل المقدم عصام شمس بطعنه بالسكين توفى على أثرها .

٢- ٢٦ ديسمبر ١٩٨٩ محاولة تفجير موكب زكى بدر وزير الداخلية .

٣- ٢ سبتمبر ١٩٩٠ قتل علاء محيي الدين بمنطقة ترسا بالهرم وردت الجماعة الإسلامية على مقتله باغتيال رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب يومها ، ولابد من التنويه بأن موكب المحجوب لم يكن هو الهدف وإنما كان الهدف هو وزير الداخلية عبد الحليم موسى لكن بمرور موكب المحجوب أصبح فريسة للاغتيال فقتلوه يومها .

٤- فى مطلع التسعينات قامت الأجهزة الأمنية بضبط تنظيم مايسمى بطلائع الفتح شمل حوالى ألف شخص تقريبا ، فقامت جماعة الجهاد باستهداف وزير الداخلية حسن الألفى بدراجة نارية ملغومة نجا الوزير من العملية بإصابته .

٥- فى هذه الأثناء وقع هجوم على وزير الإعلام صفوت الشريف أسفر عن إصابته ونجا كذلك من الاغتيال .

٦- محاولة تفجير موكب رئيس الوزراء عاطف صدقى أمام إحدى المدارس نجا منها رئيس الوزراء وقتلت الطفلة شيماء التى تصادف مرورها من موقع التفجير .

٧- قتل صاحب معرض السيارات الذى تعرف على أحد المنفذين لعملية عاطف صدقى حيث اشترى منه السيارة المستخدمة فى العملية وطارده حتى ألقى القبض عليه وقبل ذهاب الشاهد إلى المحكمة فى الصباح قتل ليلتها حتى لايدلى بشهادته .

٨- محاولة اغتيال حسنى مبارك فى شارع صلاح سالم أثناء ذهابه لصلاة العيد

لكنه لم يمر من الطريق الذي كمنوا له فيه .

٩- محاولة اغتيال حسني مبارك في مطار سيدى برانى أثناء عودته من ليبيا لكن المحاولة انكشفت قبل تنفيذها .

١٠- اغتيال اللواء رؤوف خيرت بمباحث امن الدولة عن طريق إلقاء قنبلة على سيارته فقتل على الفور .

١١- الهجوم على موكب حسني مبارك في أديس أبابا بأثيوبيا لكنه نجا من محاولة الاغتيال وذلك في صيف ١٩٩٥

١٢- تفجير السفارة المصرية في إسلام أباد خريف ١٩٩٥

١٣- محاولة اغتيال وفد سياحى إسرائيلى عام ١٩٩٥ لكنها فشلت وعرفت إعلاميا بقضية خان الخليلى .

١٤- إبريل ١٩٩٦ أعلنت الجماعة الإسلامية عن مبادرة لوقف العنف في بيان ألقاه خالد إبراهيم بقاعة المحكمة .ثم تكرر النداء عام ١٩٩٧ في شهر يوليو في بيان صادر عن قيادات الجماعة الإسلامية بسجن طرة وسجن العقرب .

١٥- ١٨ سبتمبر ١٩٩٧ هجوم على حافلة سياح أمام متحف الآثار بالتحرير قتل فيه عشرة أفراد بينهم اثنان من الألمان .

١٦- نوفمبر ١٩٩٧ مذبحة الأقصر الشهيرة والتى قتل فيها مايقارب الـ٧٠ سائحا أجنبيا .

١٧- أغسطس ١٩٩٩ محاولة اغتيال حسني مبارك في بورسعيد قام أحد الأشخاص بالهجوم على السيارة وبيده زجاجة ماء نار وسكين .

١٨- الخميس ٧اكتوبر ٢٠٠٤ انفجار بفندق هيلتون في طابا وفي نفس التوقيت تقريبا وقع انفجاران آخران أحدهما بمنتجع طرابيني والثانى برأس السلطان جنوب طابا .وكانت حصيلة التفجيرات ٣٤ قتيلا بينهم ٥ مصريون

و٢٣اسرائيليون و١٣٥ جريحا و٣٠مفقودا .

١٩- مارس ٢٠٠٥ طعن سائحين مجريين بالقاهرة ..

٢٠- ابريل لعام ٢٠٠٥ قام حسن بشندى بعملية تفجيرية قتل فيها أربعة أشخاص بمنطقة الأزهر من بينهم منفذ العملية وفرنسيان وأمريكى وأصيب ١٨ آخرون نصفهم مصريون .

٢١- ٣٠ إبريل ٢٠٠٥ قام إيهاب يسرى بعملية إرهابية فى ميدان عبد المنعم رياض أصيب خلاها أربعة سياح بجروح كما قامت نجاة يسرى وإيمان إبراهيم بالهجوم على حافلة سياحية بميدان السيدة عائشة لكنهما قتلتا فى الحادث .

٢٢- ٢٣يوليو ٢٠٠٥ وقعت ثلاثة انفجارات بشرم الشيخ أحدهم فى فندق غزالة جاردنر والثانية فى منطقة السوق القديم والثالثة فى موقف للسيارات بالقرب من الفندق وذكرت المصادر أن الحادث أسفر عن مقتل ٦٨ شخصا معظمهم من المصريين .

٢٣- أغسطس ٢٠٠٥ تفجير سيارة للقوات المتعددة الجنسيات فى سيناء وإصابة اثنين من أفرادها .

٢٤- ٢٤ابريل ٢٠٠٦ تفجير ثلاث عبوات فى منتجع ذهب السياحى أسفر الحادث عن مقتل ٣٠ شخصا وإصابة ١٢٠ .

٢٥- ٢٦ ابريل ٢٠٠٦ هجوم على القوات المتعددة الجنسيات قرب مطار الجورة وإصابة اثنين من القوات . وكذلك هجوم ضد سيارة تابعة للشرطة المصرية وأعلنت الشرطة عن إصابة اثنين من أفرادها ..

٢٦- يكفينا معرفة تعرض الرئيس المصرى حسنى مبارك للعديد من محاولات الاغتيال تباينت الإحصائيات بصددها لكن المؤكد منها ثمان محاولات وكلها باءت بالفشل .

هذه بعض العمليات التى قامت بها جماعات العنف فى مصر وهناك العشرات من العمليات لم أذكرها مثل محاولة اغتيال نجيب محفوظ ومكرم محمد أحمد وحسن أبو باشا وكذلك اغتيال فرج فودة ومحاولة اغتيال قائد المنطقة العسكرية المركزية ، وعمليات السطو على البنوك ، وانفجار مقهى القللى ، والهجوم على دور السينما ، ومقتل الضابط أحمد شعلان ، ومقتل الضابط أحمد علاء ، وكذلك اغتيال اللواء الشيمى واللواء غبارة ، وإطلاق النار على محمد عوض مأمور سجن استقبال طرة ، وإنزال العشرات من سياراتهم على طريق ملوى المنيا وتصفيتهم لأنهم يعملون بالداخلية ، ناهيك عن عمليات القتل ضد النصارى ، عمليات كثيرة جدا لم أعرض لها ومن أراد الوقوف على المزيد من هذه العمليات فليراجع «أسيوط مدينة الموت » وكذلك « فرسان تحت راية النبى للظواهرى » ففيهما مزيد بيان أثارت هذه العمليات كافة جموع الشعب وعلى كافة المستويات سواء الرسمية أو الثقافية أو العلمية أو حتى العامة من الناس ، بل بعضها أثار الجماعات التى قامت بها كما حدث فى مذبحة الأقصر الشهيرة التى استنكرتها الجماعة الإسلامية بل وأصدرت بيانا يدينها ويتبرأ منها وينكر على مرتكبيها رغم أنهم من خلايا هذه الجماعة ..ولا أنكر أن هذا العنف من قبل هذه الجماعات قابله عنف أيضا من جهة الأجهزة الأمنية لكننا هنا نعالج قضية القتل ونسبتها للدين وللجهاد فى سبيل الله ، والتى أنكرها الفقهاء واعتبروها جرائم وليست جهادا ولاقتالا مشروعا من الأصل . إننا نكشف ظلام الجهل والتلفيق بنور البحث والتحقيق ، وطيش الأمراء بحكمة العلماء ، وسفاهة الحدثاء برزانة العقلاء ..

وهانحن نبدأ بذكر بعض ماقاله العلماء بشأن هذه الأحداث وكذلك ماقاله أصحابها عن هذه الجرائم التى ارتكبوها بأشخاصهم أو بواسطة خلاياهم وأفرادهم ..

لماذا أشعلوها ؟

كما هو معتاد نسأل عن السبب الذى أعلنه القوم لقيامهم بهذه العمليات ، وتبنيهم العنف خيارا لتحقيق أهدافهم ، بل واعتبارهم العنف خيارا حتميا لامفر منه ، ولامحيد عنه ، ولابديل سواه وفى هذه المسألة ننقل عن مصادرهم التى دونوها بأقلامهم ودرسوها لكوادرهم وأفرادهم ، وجعلوها بندا من بنود منهجهم وركيزة من ركائزهم الفكرية ، أنقل أولا عن كتابهم حتمية المواجهة الذى تبنته الجماعة الإسلامية وتصرفت وفق ماكتبه قادتها داخل هذا البحث حيث يقولون فى حتميتهم للقتال والعنف موضحين هذه الأسباب وذكروها فى عدة حتميات شرعية ، وواحدة تاريخية نعرض لبعض ماذكروه عن الحتميات وهى :

١ -خلع الحاكم الكافر كما يرونه هم .

٢- تنصيب خليفة مسلم .

٣- تحرير الأسارى من المسلمين .

٤- تحرير أراضى المسلمين

٥- قتال الطائفة الممتنعة عن تطبيق الإسلام .

هذا ما أعلنوه لممارسة العنف ، ولكن فى مقدمة البحث ينعى كاتبه على الحاكم أنه اعتقل الشباب ، وانتهك حرمات البيوت بجنوده ، وساق النساء إلى مقرات الأمن ، وبالتالى لم يكن مناص من انطلاق الرصاص ، يعنى تصفية حسابات ، لابد من إخراجها فى ثوب الإسلام والشريعة ، وسيأتى فى نهاية البحث كلام الإمام الشعراوى رحمه الله ، وكذلك كلام قادتهم ، وبهذا المعنى صرح عبود الزمر فى كتابة لماذا قتلنا السادات ، حيث ذكر صدور قرارات التحفظ واعتقال المعارضة ، فرأت الجماعات أن تتخلص من الحاكم قبل أن يتمكن من اعتقالهم جميعا ، ويقول الدكتور عمر عبد الرحمن فرج الله كربه من الأمريكان «فى كل يوم تقدم قوات ظالمة تصد الناس عن الدين ، وتحول بينهم وبين سماع الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقول الحق ، وتمنع من

الاستجابة للحق ، وتروع أهله وتهدد القائمين على الدعوة والجماعة ، والجماعة المسلمة مكلفة فى كل زمان ومكان أن تحطم هذه القوة الظالمة » انتهى من كتاب كلمة حق ، بل يقول أكثر من ذلك « فإنه إما أن يكون الحكام قائمين على شريعة الله كاملة فهم فى نطاق الإيمان ، وإما أن يكونوا قائمين على شريعة أخرى مما لم يأذن به الله فهم الكافرون الظالمون الفاسقون ....» راجع كتاب كلمة حق «وهكذا يرى الشيخ أنه إما شريعة كاملة وإما الكفر والظلم والفسق ، وكأنه يسوى بين التقصير والنقص ، وبين التغيير والذهاب بالإيمان من الأساس ، وكل الأمة يفرقون بين النقص وبين النواقض . وفى بحث بعنوان – «الحكام المستبدلون – الجذور التاريخية والأحكام الشرعية » للجماعة الإسلامية يقولون « قد آن لنا أن نعرف أن حكام بلاد المسلمين اليوم ينتمون لمدرسة عقائدية تخالف مدرسة الإسلام وتختلف اختلافا جذريا ....ثم هم اليوم ينتسبون للإسلام زورا وبهتانا » انتهى ولايفوتنك قولهم « حكام بلاد المسلمين ...» فهم يكفرون كل الحكام دون استثناء بما فى ذلك الرئيس الباكستانى ضياء الحق رغم خدمته الجليلة للإسلام بل وتصريحه أنه « سيطبق الشريعة الإسلامية فى باكستان » فقد كفره الدكتور عمر عبد الرحمن فى شريط شهير له ، كما أفتى بكفر خادم الحرمين الشريفين بحجة أنه استعان بأمريكا ضد صدام حسين مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وقد ذكر ذلك فى خطبة له بعنوان حكم موالاة الكفار ، وطبعا أنت غنى عن التذكير بأن الفقهاء يفرقون بين الموالاة الظاهرة وموالاة الباطن والقلب ، وجمهور الأمة يعرف هذه التفرقة بين الحالتين . .

وبمثل هذه الفتاوى قالوا فى سائر حتمياتهم لتبرير بل إيجاب استخدام العنف ، وحتى لايظن أحد أننا نفسر نصوصهم من وجهة نظرنا فلابد أن ننقل تفسيراتهم لما قالوه فى هذه الأبحاث ، فماذا تعنى جماعات العنف بكلمة المواجهة ؟ جاء فى بحث «فلسفة المواجهة » من إصدارات جماعة الجهاد الإسلامى بمصر بقلم أبو الفداء والصادرة سنة ١٩٨٧م قولهم « والمواجهة التى نعنيها فى هذه الرسالة هى المفاصلة والصدام فجماعة الجهاد التى ترى فى الواقع اليوم صورة مكررة

للجاهلية الأولى لم ترى سوى المفاصلة والصدام سبيلا للخلاص من هذا الواقع ، وطريقا إلى عودة حكم الإسلام من جديد ، ولهذا فنحن نستبعد مايسمونه الإصلاح من خلال المؤسسات الطاغوتية ، إننا نرى أن هدم هذه المؤسسات هو سبيل الخلاص وهو طريق القربى إلى الله » راجع نص الوثيقة فى « النبى المسلح » لرفعت سيد أحمد ، وفى نفس الوثيقة يقول كاتبها « كل هذا وغيره يطرح المواجهة كأسلوب أول وأوحد ينبغى أن تنتهجه الحركة الإسلامية حتى تضمن النصر فى معركتها ....مواجهة على المستوى الفكرى حتى نقوض هذه الأبنية التى تأسست فى مجتمعنا حتى أصبح الإسلام غريبا فيه ، ومواجهة على المستوى القتالى حتى نوقف الزحف العلمانى الغربى .....و مواجهة على المستوى الاجتماعى حتى نهدم المؤسسات الاجتماعية التى قامت على حرب الإسلام .....» هكذا تصوروا الأمر ، وبهذا قالوا ، وانسحب ذلك على الناس الأبرياء فأفتوا بردتهم كذلك عن الإسلام يقول الأستاذ سيد قطب فى ظلاله ج٢ ص١٠٥٧ « لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء الدين لهذه البشرية بلا إله إلا الله ، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد ، وجور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله ، وإن ظل فريق منها يرددون على المآذن لا إله إلا الله » ويشرح الدكتور القرضاوى فى أوليات الحركة الإسلامية فيقول « ظهرت كتب الشهيد سيد قطب التى تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره ، والتى تنضح بتكفير المجتمع ، وإعلان الجهاد الهجومى على الناس كافة » و قالوا عن الناس من انحاز منهم إلى الفئة الظالمة فحكمه حكمها ، ومن خرج معها أو تصادف وجوده بينها غير قاصد ولاعامد فقتل فإنه يبعث على نيته ، ولاتثريب على قاتله ، هكذا قالوا ، وتولى ناس مجهولون إدارة المرحلة من وراء الستار يقول الأستاذ محمد الراشد فى رسالته صناعة الحياة : « فالدعوة دار لها داخل وظاهر ، فالظاهر يسع كل أمة محمد ﷺ ولكن الداخل حرم وهو مأوى الأشداء الثقات النبلاء الأمناء فقط ، لأنه موطن اتخاذ القرار ، واختيار الخطة والأسرار إلى قوله ..والحل .....أن يبقى مصنع الرجال الخلفى المستتر لايمسه ترخص ولا إعلان ولاتبديل ولاتسهيل ، وأن

يبقى مصدرا للقرار وتكون هناك واجهة من بعض المقيمين على شكل حزب أو جمعية » راجع ص ١١٣ - ١١٦ ، فهل فهمنا العلة فى إصرارهم على استمرار الجماعات بأنشطتها السرية برغم إعلانهم عن تشكيل الأحزاب السياسية المنبثقة عن هذه الجماعات ؟ هكذا سارت الأزمة ، ورد عليهم العلماء والفقهاء دون جدوى وتفاقم الأمر واستحر القتل فى الجنود وفى الناس وكذلك فى صفوف الجماعات فقام العلماء بواجب الكلمة والنصيحة واجتمع ثلاثة من أكابر الفقهاء فى الجامع الأزهر وقالوا كلمتهم فى الأحداث .

مؤتمر الأزهر

هكذا أطلق عليه وقتها ، حيث اجتمع لفيف من علماء الإسلام داخل الجامع الأزهر للتصدى لدعاوى التكفير ، وممارسة العنف ضد المجتمع ، وكان على رأس المتواجدين فضيلة الإمام متولى الشعراوى ، فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، وفضيلة الدكتور الطيب النجار .

وقد ألقى كل واحد من العلماء الثلاثة كلمة إلى الحضور، ثم ختموا لقاءهم بإصدار بيان موقع باسمهم لتشخيص الأوضاع ، وتوصيف العلاج عرف بالبيان الثلاثى ، ونبدأ بعرض موجز للمؤتمر :

أولا : كلمة السادة العلماء : -

أ - كلمة الإمام الشعراوى ﷺ والتى قال فيها : ..... « أن الإيمان والتكفير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اتخذت الآن للوصول إلى أغراض دانية ، لاترتفع إلى السماء ولكنها ستظل فى حضيض الأرض .... إنه لايجوز تكفير من نطق بلسانه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..» .ثم تساءل الشيخ فى دهشة قائلا : « من يقول أن مصر دولة يموج فيها الكفر ؟ فلا تزال هناك المآذن بالآلاف التى تكبر فى كل وقت وتعلن وحدانية الله ، ولاتزال هناك القلوب والألسنة التى تذكر الله وتعرفه حق معرفته » . فمصر هى الدولة التى حملت على

عاتقها منذ مئات السنين مسؤولية حمل رسالة الإسلام والتبليغ بها إلى كافة الأمم والدول .....حتى إلى البلد الذى شهد مولد الرسالة المحمدية ... من يقول عن مصر أنها أمة كافرة ؟ مصر التى قال عنها رسول الله » إنها فى رباط إلى يوم القيامة مصر الكنانة ؟ إذن فمن المسلمون ؟ إذن من المؤمنون إذا كنا سنكفر المسلمين فى مصر ؟ مصر التى صدرت علم الإسلام إلى كافة الناس ....فلننظر إلى التاريخ من الذى رد همجية التتار و الصليبيين ؟ ... إنها مصر ، وستظل مصر دائما حاملة الراية الإسلامية إلى يوم القيامة ، ولكنها فى الحقيقة ذيول الاستعمار وأعوانه الذين مازالوا موجودين فى الدول الإسلامية ، ولذلك كان يجب علينا التريث للحفاظ على الشمعة ....استبقوا هذه الشمعة واعلموا جيدا أننا لانستطيع أن تكون كلمتنا من رأسنا إلا إذا كانت لقمتنا من ضربة فأسنا ، .ثم نادى الشيخ فى الحضور قائلا ....« لاتستمعوا إلى أحد فديننا واضح وفطرى ، فإن خصوم الإسلام لم يقدروا عليه من ذوات أنفسهم ، ولكن من خلال المسلمين الضعفاء فأنا لا أريد أن أحكم بالإسلام ، ولكن أريد أن أحكم بالإسلام .

ب - وقال الشيخ محمد الغزالى ﷺ : « أن الإسلام د ين البيان ، وانه اعتمد فى قضاياه على البيان ....وأن الدعوة فيه لابد أن تقوم على الثقافة الواسعة والعلم الغزير، والقدرة على إقناع الخصوم ، وليس دين يقوم على الغلبة بالقهر ... د ين يقوم على التدبر والتعقل ، وليس على الصياح والغوغاء ... إن القرآن الكريم وصف رسالة الأمة الإسلامية بأنها شهيدة على الناس ... ومعنى أننا شهداء على الناس ...أننا نقوم بمهمة شرح الحق وبيان دعائمه ومعالمه بحيث لايبقى لأحد حجة على الله ، ويعلم الناس جميعا ما هو الإسلام وغايته ...ومن هنا أتساءل ماذا قدمنا كمسلمين وعددنا ما يقارب المليار ؟ هل قمنا برسالتنا الحقة نحو الإسلام والمسلمين ؟ لقد ظلمنا دعوتنا ورسالتنا الإسلامية ، وفرطنا فى الانتماء لأمتنا الإسلامية ....إننى أتحرك بوحى من ضميرى لخدمة دينى ولأداء رسالتى نحو الدين الإسلامى الحنيف ... ولذا فأنا أدين الدعاة الجهلة البعيدين عن روح

الإسلام ودعوته الحقة .

ج – أما الدكتور الطيب النجار: فقد تناول فى كلمته « أن الشباب هم أمل الأمة الإسلامية ، وأن الضائقة المالية التى تمر مصر بها يمكن حلها من خلال قيام الشباب بدورهم المرجو بالعمل والإنتاج لإنقاذ مصر مما تعانيه هذه الأيام ، وهذا مايدعونا إليه ديننا ....أ طالبكم بالمزيد من تقوى الله ، وبمزيد من العدل والإنصاف ، وألا تقابلوا عنف المتعنتين بعنف أخر ...بل قابلوه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأ تمنى أن يكون هذا اللقاء بداية لعهد جديد ، يشغلنا فيه العمل والإنتاج عن تكفير المسلمين وترويع إلا منين » . انتهت كلمة العلماء الثلاثة وأمنياتهم لمصر وللشباب وللعالم الإسلامى بمستقبل أفضل ، ووحدة أقوى وقبل انصرافهم أصدروا بيانا موقعا باسمهم ألقاه عنهم فضيلة الإمام الشعراوى هذا نصه .

ثانيا : نص البيان الثلاثى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾...

- « أن الإصلاح الذى ينشده الإسلام للمجتمع فى شئونه كلها يعتمد أول مايعتمد على الإقناع والتربية والحوار العاقل ، ويرفض رفضا حاسما اللجوء إلى العنف أو الإكراه أو استباحة حقوق الآخرين باسم الدين .

وقد وضعت الشريعة الغراء طرقا واضحة لتغيير العوج والانحراف ليس منها الاتهام بالكفر أو الطفرة فى بلوغ الهدف ، وذلك ماعنته الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

ولقد تعددت الأحاديث النبوية الشريفة التى تنهى عن تكفير المسلم ومن ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه» وأخرج البخارى ومسلم أيضا عن أبى ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » أى رجع عليه.

ونحن نعتقد فى إيمان المسئولين فى مصر، و بأنهم لايردون على الله حكما ، ولاينكرون للإسلام مبدءا ، وأنهم يعملون على أن تبلغ الدعوة الإسلامية مداها تحقيقا وتطبيقا ، ولكن انتظار الظروف المناسبة هو الذى يدعو إلى التريث .

ولذلك نتوجه إلى جمهور الشباب أن يكون وقافا عند حدود الله ، وأن يبتعد عما يسيء إلى الإسلام ، وأن يدرك أن التغيير الذى طالبت به الشريعة يكون على مراحل رتيبة فصلها الحديث الصحيح الذى يقول: « **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ....**» .

وقد اتفق العلماء على أن تغيير المنكر باليد واجب على ولى الأمر، وعلى كل إنسان فى حدود ولايته ، وأن تغيير المنكر إذا أدى إلى مفسدة أشد كان التوقف واجبا لأن إباحة تغيير المنكر بغير ضوابط يؤدى إلى إشاعة الفوضى فى المجتمع ، ويضر بمصلحة الدين والوطن، ولأنه من الثابت شرعا أن تنفيذ الحدود إنما هو من حق الحاكم ومن ينيبه ، ولم يحدث لا فى العهد النبوى ولا فى عهود الصحابة ولا من جاء بعدهم أن نصبت جماعة نفسها لتنفيذ الحدود والأحكام بدون إذن من الحاكم الشرعى ، بل الثابت فى كل العصور أن الذى يقوم بتنفيذ الحدود وتغيير المنكر باليد هم أولياء الأمور وحدهم .

ونحن على استعداد بوصفنا دعاة إلى الله أن نجلس مع كل من لديه شبهة أو فكر مخالف لكى نوضح له الحق ونرشده إلى الطريق القويم .

وثقتنا كبيرة فى دولتنا أن تزداد حرصا على إحقاق الحق وإبطال الباطل، وتدعيم الفضائل والقيم الدينية والخلقية ، لأن ذلك يؤدى إلى سعادة الفرد والجماعة ......» .

انتهى البيان نقلا عن جريدة الأخبار ٢/ ١/ ١٩٨٩م.

وكم يصيب المرء من الحزن عندما يعلم أن ردود أفعال هذه الجماعات على

كلمات العلماء الثلاثة وبيانهم المذكور كانت سيلا من التجريح والتعنيف والسخرية ، لدرجة أن الدكتور عمر عبد الرحمن يعقد ندوة خاصة بأسيوط للرد على بيان السلطان كما سماه ملأها بالنكات والاستخفاف ، والسخرية والتجريح لهؤلاء العلماء الفضلاء وبيانهم الذى أصدروه .

وكذلك أصدرت الجماعات الإسلامية بيانات ترد فيها على العلماء ، وأصبح كل من هب ودب ينتقد البيان ومن أصدروه ، ومما يدمى قلبى الآن أنى وقد كنت يومها فى ريعان شبابى قد انجرفت مع هذا السيل ، وأوسعت البيان وعلماءه نقدا بحسب فهمى البسيط يومها لبعض العبارات الواردة على ألسنتهم وفى بيانهم ، ما يجعلنى الآن أستغفر الله كثيرا ، وأتوب إليه وأحمده أن بصرنى من عمى ، وعلمنى من جهالة ، وأنقذنى من غواية ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأنعام .

لم تنتفع الجماعات الإسلامية بنصح ناصح ، ولاموعظة واعظ ، ولاحكمة حكيم ، ولاخبرة مجرب ، واستمر مسلسل العنف وشلال الدم كل يوم فى زيادة واتساع ، وتأزمت عليهم الأمور وخلت منهم البيوت والدور ، وحشروا إلى السجون كسكان القبور ، وعانوا داخلها الويل والثبور وعظائم الأمور حتى اقتنعوا مؤخرا بخطأ طريقهم ، وانحراف أفكارهم ، وأعلنوا عن مبادرة من طرف واحد لوقف العنف دون قيد أو شرط ، وذلك بعد مرور ثمان سنوات من العنف مرت بعد رفضهم لبيان العلماء المذكور حتى أفاقوا مماهم فيه ليعلنوا خطأهم ويوقفوا عملياتهم الإرهابية دون قيد أو شرط .

ثالثا : بيان مبادرة وقف العنف للجماعة الإسلامية بمصر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

يناشد القادة التاريخيون للجماعة الإسلامية إخوانهم من قيادات الجماعة وأفرادها إيقاف العمليات القتالية والبيانات المحرضة عليها داخل مصر وخارجها دون قيد أو شرط.

وذلك لمصلحة الإسلام والمسلمين..........٥ / ٧ / ١٩٩٧م .

لقد أعلنوها صريحة دون مواربة أو تجميل (لقد أخطأنا ونتحمل نتيجة خطئنا) بل وقاموا بحل الجناح العسكرى لديهم وتسليم أسلحته وتسليم أفراده لتسوية أوضاعهم أمنيا مع الجهات المسؤولة . أصدروا سلسلة من الكتب ، وأجروا العشرات من الحوارات الصحفية ، مع مجلة المصور ، وصحيفة الشرق الأوسط وغيرهما ، وكذلك اللقاءات التلفزيونية ، ومروا على أفرادهم داخل السجون ليقنعوهم بالفكر الجديد ، وطالبوهم بوضوح بنبذ العنف وكذلك عدم التحريض عليه بأى صورة من الصور، بل وأشد من ذلك اعتبروا كل من يخرج عن فكرهم الجديد مرتكبا لمنكر يجب عليهم منعه عنه ، والتصدى له والتبرؤ منه :

جاء فى كتاب نهر الذكريات المراجعات الفقهية للجماعة الإسلامية مايلى :

السؤال العاشر : ذكرتم أنكم أنهيتم العنف وبدأ تم عهدا جديدا ....ماذا لوعلمتم أن بعض أبناء الجماعة رافضون لهذه الدعوة ؟ وأنهم مصرون على إقامة خلايا لإعادة دورة العنف السابقة وإفساد جهودكم السابقة فى وقفه ؟ وماذا سيكون موقفكم منه ؟

الجواب : بداية هذا الفرض لم يحدث ولن يحدث إن شاء الله تعالى ....لكن لو تصورنا جدلا حدوث ذلك ...فإن مواجهته تكون على أصعدة أربعة :

الأول : هو نشر فكر المبادرة بين الناس وطرح أدلتها .... لتشيع بين الشباب ......ليكون هذا رأيًا عامًا يحاصر تلك الظاهرة ....

الثانى : إذا وجد من لم تستقر فى نفسه هذه المعانى فينبغى أولا أن نسعى للحوار معه وإقناعه بالنصوص الشرعية والرؤية الواقعية القائمة على التجربة الطويلة .

الثالث : وهى ولو فشلت كل تلك الجهود فى إقناعه ......ووجدناه مصرا على موقفه ، ولم يستجب لكل هذه المحاولات فإنه فى هذه الحالة سنكون أمام منكر ينبغى التصدى له بضوابط الحسبة الشرعية ....وينبغى أن يمنع بكل السبل من هدم المعبد على رؤوس أصحابه والعودة بنا إلى دائرة العنف السالفة – نعم ينبغى التصدى له بكل السبل الممكنة ، بل ويتصدى له بكل ما من شأنه أن يوقفه عند حده ، ويمنعه من التفريط فى حق نفسه ، وفى حق إخوانه ، وفى حق مجتمعه فضلا عن تفريطه فى حق دينه .

أما الرابع : فينبغى أن يعلن بوضوح التبرؤ من أعماله ....نعم ينبغى أن نتبرأ منه ، ونبصر المجتمع بخطورة دعواه ، لكى يشاركونا فى التصدى له حماية للمجتمع منه ، وحماية له هو نفسه من نفسه .

- راجع نص السؤال والإجابة فى نهر الذكريات (١٣١ : ١٣٣).

- لقد بدأت مبادرة الجماعة الإسلامية ببيان وقف العنف فى الداخل والخارج وعدم التحريض عليه وانتهت بالمراجعات الفقهية الشاملة التى قلبت الأمور رأسا على عقب ، وصرح بعض قيادات الجماعة أن ماجرى فى مصر من أعمال عنف هى نوع من قتال الفتنة ، وأن السادات قتل شهيدا ، وأنهم مستعدون لإصدار اعتذار عما حدث للشعب المصرى ، واعتبروا الشباب الذى قام بهذه الأعمال مخطئا ، مندفعا ، إلى آخر ما ذكروا فى كتبهم وحواراتهم مما حدى ببعض قيادات الخارج إلى رفض هذه التصريحات وتلك المراجعات الفقهية ، وصدرت البيانات تستنكر على قيادات السجون كتاباتهم وتصريحاتهم وقراراتهم وكان من هذه البيانات الرافضة ذلك البيان الصادر عن محمد شوقى الإسلامبولى شقيق خالد الإسلامبولى قاتل السادات والذى يقول فيه :

- « ..... أتابع فى ذهول واندهاش ماينشر عبر الصحف من تصريحات لقيادات الجماعة الإسلامية فى السجون ، وكان آخر تلك التصريحات هى مانشرته مجلة المصور المصرية على مدار ثلاثة أسابيع ، فإن صح مانشر أجدنى قياما بالواجب وحتى لايعد صمتى قبولا لما يقال فإننى أوضح موقفى إعذارا إلى الله وصدعا بالحق الذى تعودنا أن نقوله فى الجماعة الإسلامية كما أمرنا الله به ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ وتحذيرا من أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ فأقول والله ولى التوفيق :

١ - لايحق لأخوة السجن مع تقديرى مكانتهم أن يتخذوا مثل تلك القرارات الهامة فى تاريخ الجماعة الإسلامية التراجعات الفكرية وماينشر من تصريحات تخالف أفكار الجماعة المتفق عليها دون مشورة من إخوانهم بالخارج ، ودون موافقة من الدكتور عمر عبد الرحمن أمير الجماعة الإسلامية .

١ - وبناءا عليه فأقو ل وأنا مطمئن أن التصريحات التى أدلى بها قيادة السجن تعبر عن أصحابها ولاتعبر عن الجماعة الإسلامية ولاعن كامل قيادتها لأنهم يمثلون جزءا من القيادة .

٣- قد وافقنا من قبل على المبادرة السلمية تغليبا للمصالح ودرءا للمفاسد ، وتهيأه لمناخ كان يفترض أن يساهم فى رفع الظلم والإرهاب الذى كان يمارس على المستضعفين فى السجون والمعتقلات وعلى سائر أبناء الشعب المصرى ، أما أن يحاول النظام تحويل هذا الموقف بالاستمرار فى ممارسة ضغوط وأساليب الابتزاز والإذلال على أبناء الجماعة فهذا أمر غير مقبول .

٤- أنه لم يجر الاتفاق على اختيار بديل للشيخ عمر عبد الرحمن ومانشر فى هذا الصدد لايعكس رأيا رسميا للجماعة .

٥- أن مايحدث من قيادات السجن من تشويه لأبناء الجماعة الإسلامية ، وإظهارهم على أنهم مجرمون وقتلة وأن ماقام به هؤلاء الشباب مخالف للشرع وحرام هو أمر خطير يجب التوبة منه ، وهو تشويه للحقائق ، ومساعدة لهذا النظام المجرم على إخفاء جرائمه ، وتلميع صورته القبيحة وعمالته المفضوحة ، .

٦ – إنني أتشرف أن أكون أحد أبناء الجماعة الإسلامية التي قدمت الشهداء تلو الشهداء في مصر وأفغانستان والشيشان والبوسنة والهرسك ، فداءا لدين الله ودفاعا عن الحرمات والأعراض وجهادا لطواغيت العصر ، ويشرفني أن يكون أخي هو خالد الإسلامبولي قاتل طاغية مصر ، وأن القول بأن قتل السادات كان خطأ هو خيانة لله وللرسول وللأمة.

٧- إنني أقول وبصراحة لإخواننا الذين أحببناهم ولازلنا ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَـٰلَكُم﴾ .

- وصبرا يا إخواننا في كل مكان فكلما تشتد المحن يقترب الفرج ، والصبر الصر فإنما النصر صبر ساعة ، والموعد الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ اللهم تقبل شهداءنا عندك وألحقنا بهم غير مبدلين ولامفتونين .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد شوقي الإسلامبولي

الخميس ٢٤من ربيع الآخر ٤يوليو٢٠٠٢م

ومما ينبغي ذكره هنا أن محمد شوقي الإسلامبولي تمت تسوية مواقفه الأمنية بعد ذلك وعاد إلى مصر يجوبها من القاهرة إلى أسيوط إلى دمياط ، حتى كان اعتصام رابعة العدوية .

رابعا : بيان من جماعة أنصار السنة المحمدية بشأن الأحداث فى مصر بتاريخ ٣١/ مارس / ١٩٩٣م

وقد أعربت الجماعة عن استنكارها لعمليات العنف والإرهاب فى مصر فى بيان لها هذا نصه : « .... أن الجمعية العامة العادية لجماعة أنصار السنة المحمدية ......تستنكر بكل قوة أن يهدد الأمن باسم الإسلام ، وان تراق باسم الإسلام الدماء المسلمة التى تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتعلن للعالم أجمع أن الإسلام مادخل إلى موقع إلا حلت السعادة والأمن به ، سواء كان الموقع قلبا أو بيتا أو أمة ، وأن عقيدة أهل السنة والجماعة هى التى تصون الأعراض والأموال والدماء وتحميها ، وأن رسول الإسلام أعلن فى أجمع مواقفه يوم عرفة فقال « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » . والجماعة تدعو للحوار بين الأشقاء فى الأمة الواحدة ، فأبناء مصر أبناء لنا جميعا ، وشرطة مصر أبناؤنا جميعا ، ولابد من الحوار الهادف لتوضيح الإسلام الصحيح ، والجماعة تجند كل إمكاناتها وطاقتها فى خدمة أمن الأمة ، وسلامتها ونبذ كل خلاف وإرساء قواعد الحوار المستنير البناء حتى يأمن البلد و كل من فيه ، وتدعو الجماعة كل أبناء مصر حكاما ومحكومين إلى الكتاب العزيز والسنة المطهر ففيهما بيان كل شىء والله سبحانه يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ نرفع اكف الضراعة لله سبحانه أن يجعل بلدنا آمنا وأن يصرف عنه كل سوء ، وأن يردنا إلى الحق ردا جميلا ، والله من وراء القصد .

الجمعية العامة لأنصار السنة

هذا هو نص البيان كما ذكره صاحب كتاب السياسة الشرعية لدى علماء أنصار السنة المحمدية نقلا عن مجلة التوحيد عدد الحادى عشر من ذى القعدة لسنة ١٤١٣ هجرية هكذا دعى الجميع لوقف العنف و بدء الحوار لكن لم يسمع أحد لصوت العقل والحكمة .

هكذا قال العلماء كلمتهم ، وحكت جماعات العنف تجربتها فى حربها ضد الدولة والمجتمع والتى فيها تفصيلات مثيرة ليس هذا مقام ذكرها ، فهل انتفعت هذه الجماعات من تجربتها الشخصية فى مسيرتها بعد ثورة يناير ؟

هل استفاد الإخوان من تجربتهم الشخصية ، ومن وتصريحات وأقوال مرشديهم السابقين ؟ قبل أن تجيب أنت أو يجيب أحدهم دعنى أعرض لك بعضا من هذه الأقوال والتصريحات التى صدرت عنهم ووردت من خلال مصادرهم :

أ- يقول الأستاذ محمد حامد أبو النصر المرشد الأسبق للإخوان :

« ....أنتم أيها الشباب الأمل فى إقامة دولة الإسلام ، لا أقول إن الدولة كافرة، بل هى مسلمة ورئيسها مسلم - مجلة لواء الإسلام -مؤتمر مساندة شهداء تونس .

وقال أيضا : « لانضع أيدينا فى أيدى الذين يقولون بتكفير الحاكم ..» ..جريدة النور ٢٤ / ٣ / ١٤٠٧هجرية .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى ﷺ : « أنا على اتصال دائم بأجهزة الداخلية لمساعدتها فى ترسيخ الأمن ......حتى قال لى أحد المعتقلين من أحد الأحزاب فى سبتمبر (١٩٨١م) إننى جمدت أعصاب الشباب ، ووضعتها فى ثلاجة . ...ذكريات لا مذكرات لعمر التلمسانى ص ١٧٥ -١٧٦ .

وقال الأستاذ مأمون الهضيبى أيضا : (إن وجود الجماعة فى مصلحة الحكومة لأنها تلجأ إلينا كثيرا لضبط التيار المتطرف). مجلة لواء الإسلام.

فى عام ١٩٨٧ أيد الإخوان ترشيح مبارك لفترة جديدة وفى حوار للأستاذ حامد أبو النصر عن ذلك عندما سئل من قبل إحدى الصحف بباكستان سنة ١٤٠٨ هجرية سأله الصحفى :

فى انتخابات ترشيح الرئاسة لمبارك سمعت أن الإخوان المسلمين وافقوا على ترشيح مبارك لفترة رئاسية ؟

فأجاب المرشد العام : نعم حقيقى...«كتاب الطريق إلى الجماعة الأم» .

وأضيف هنا عددا من التصريحات التى صدرت عن قيادات أخرى لجماعة الإخوان ولايفوتنى أيضا عرض بعض بياناتهم بصدد العديد من أحداث العنف التى وقعت فى مصر :

يقول المرحوم عمر التلمسانى : ولسنا نهدف إلى عنف، بدليل أنه في الخطاب الأخير للرئيس الراحل المرحوم أنور السادات ، قال: أنا أعرف عمر رجل سلام، ومعنى هذا أننا ندعو إلى السلام علانية وفي الخفاء (المصور عدد ٢٩٨٩ - ٢٢/ ١/ ١٩٨٢

ويقول أيضا:

نحن لا نركب الموجات وما تركنا موقفا من المواقف التي تدعو إلى استنكار العنف وشغب الجماعات إلا ووقفنا بجانبه (المصدر السابق)

ويقول أيضا:

أنا أعارض فكر العنف في مواقفي كلها وكتاباتي كلها، أنا استنكرت واستنكر بكل قوة العنف أو القتل أو الاغتيال، وأنا قد اتهمت من الجماعات الإسلامية بموالاة الحكم القائم، ولم أهتم بهذا الاتهام (المصدر السابق)

ويقول أيضا:

نحن لا ننكر على الشباب اتجاهه الديني، بل نحن نحضه على هذا الاتجاه ولكننا ننكر العنف بأي صورة من صوره (المصدر السابق) .

ويقول أيضا:

إذا أسس أحدهم جماعة وأصبح أميرها فهذا شيء ينبغي أن نفرح به، ونأخذه بالأسلوب الإسلامي الذي يقره الشرع، ولكن أن تتكون الجماعة بهدف العنف، فهذا ما ننكره ولا نرضى عنه ولا نقره، ولا نقبل به بأي صورة من الصور.

ويقول أيضا عن اغتيال السادات :

أما أن نهايته جاءت على يد الإخوان المسلمين ، أظن أن هـذا حـرام، بعـد أن قـرر رئيس الجمهورية الحالي أن الإخوان المسلمين أبعد ما يكونون، ولا علاقة لهم بهـذا الاغتيال، إذن فنحن الإخوان المسلمون لا علاقة لنا، ولم تكن نهايـة السـادات عـلى أيدينا، والشباب الذي نتكلم عنه وعـن انحرافـه في فهـم الإسـلام وعـن أخـذه بهـذه الأساليب، نحن ننكر أن يكون في الإسلام عنف، والإخوان المسـلمون لـيس لهـم شأن فيما حدث أبدا .(المصور عدد ٣٢١٧- ٦ / ٧ ١٩٨٦)

ويقول التلمساني: « المعتقد الديني بعيد كل البعد عن هذه الجرائم .. ..

ليس لنا أن نحمل الفكر الإسلامي أخطاء بعض الأفراد فقد نتجنى علي الحقيقة .. وهذا عيب في تصرف فردي ولا يجب أن نحمله للفكر الإسلامي كله..

ويقول أيضا:

أيها الإخوة سمعتموني أكثر من مرة أتحدث إليكم، لا أتحدث إلا في السـلام وفي الأمن وفي الاستقرار وفي عدم التظاهر وعدم التخريـب وعـدم المصـادمات (المجلة عدد ٢٧٩-١٩، ١٣ / ٥ / ١٩٨٧).

ويقول أيضا:

الدعاة إلى الله دعاة سلم وأمان ولا أتصور أن شـابا يـدعو الله، وقـد تمكنـت الدعوة من قلبه تماما ثم يدمر ويخرب أو أن يضرب أو أن يعنف (لواء الإسلام عدد ١١ سنة ٤٥ /١٧ /١ /١٩٩١)

أما الأستاذ محمد حامد أبو النصر فيقـول إجابـة عـلى سـؤال حـول ظـاهرة العنف: **العنف عموما لا نوافق عليه** (الحياة اللندنية ٢٩ / ٨ / ١٩٩٤

وعقـب الهجـوم عـلى وزيـر الداخليـة حسـن أبـو باشـا أصـدر الإخـوان المسلمون بيانا نشرته «مجلة المجتمع » ...جاء فيه:

«إن العنف لا يولد إلا عنفا، وإن الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة لهو سبيل

الإسلام كما جاء بذلك صريح القرآن... كما يدعو الإخوان المسلمون ذوي الشأن وحملة الأقلام، أن يكبحوا جماح النفس، وأن ينتظروا ما يسفر عنه التحقيق في مثل هذه الأمور، وألا يعلقوا كل ما يحدث على شجب الجماعات الإسلامية، فرب «ملتح» لا صلة له بالإسلام وإنما يبغي الفتنة».

ودعا البيان جميع المواطنين أن يحكموا العقل والتروي في مثل هذه الأمور حتى لا نصل إلى ما لا يحمد عقباه من الفوضى والتربص، وكفى الله مصر شر هذا المصير.

وكان عدد من نواب الإخوان في البرلمان قد أرسلوا برقيات للواء أبو باشا في المستشفي نظرا لمنع الزيارة له يعلنون فيها رفضهم لأسلوب الحوار بالرصاص، ويتمنون له الشفاء، معربين أن أي خلاف بينهم وبينه لا يمكن أن يصل إلى هذا الحد، ولكنه موكول إلى الله أولا ثم إلى القضاء العادل ليرد المظالم إلى أهلها... ». قضية الارها ب الرؤية والعلاج جمعة أمين»

وقال حسن الجمل أحد قيادات الإخوان وعضو مجلس الشعب لمجلة «المجلة»:

هذا الحادث مفتعل كحادث الأمن المركزي في العام الماضي الذي استقال بسببه وزير الداخلية السابق أحمد رشدي، وأن أصابع خفية تلعب وراء هذه الأحداث؛ ولا أعتقد أن من فعل هذا الحادث مهما كانت دوافعه إنسان عاقل، وما نشر عن أن من ارتكب الحادث هما مسلمان ملتحيان محاولات ينسبونها إلى التيار الإسلامي، وهو منها بريء، لأنه ليس هناك مسلم يؤيد مثل هذه الجريمة النكراء، وما حدث للواء حسن أبو باشا جريمة يرفضها الإسلام وكل مسلم، بل ويدينه ،

وتسأله المجلة؛ هل هناك ثأر بين حسن أبو باشا والتيار المتطرف بسبب مواقفه المتشددة تجاه بعض الجماعات الإسلامية ذات النشاط المتصاعد؟

فيقول:

إن الحكومة تخلط بين التيار الإسلامي ممثلا في الإخوان المسلمين وبين بعض الجماعات الأخرى وتعتبرهم اتجاها واحدا، وفي كل الأحوال؛ فأنا أستبعد حتى عن الجماعات الإسلامية فعل هذا الحادث وأظنها محاولات لضرب التيار الإسلامي، مثلها مثل محاولة إثارة فتنة طائفية في الأيام الماضية وقبيل الإنتخابات.

ويقول عصام العريان :

إن هذا الحادث غريب على مصر وعلى طبيعة الشعب المصري، وفي ظني أن اللواء حسن أبو باشا ليس أول ولا آخر من سيوجه إليهم الاتهام بإساءة استخدام سلطاتهم حتى يبرر مثل هذا الحادث، وأنه حادث غير مقبول مهما قيل من أنه تصفية حسابات أو معالجة لمواقف سابقة، وهي جريمة نكراء، لايستطيع أي منصف أن يلتمس لها مبررا أو يدافع عنها ورغم أنها جريمة لها توصيفها القانوني فليأخذ القانون مجراه وليلق فاعلوها العقاب الذي يستحقونه؛ وأري أن هذا الحادث ستكشف أسراره الأيام المقبلة، ولكن قيل أن مرتكبيه ملتحيان ويرتديان جلابيب، ولهذا أتساءل؛ كيف يفعلون هذا وهل من يرتكب هذا الحادث بمثل هذه الأوصاف قادر على فعله أم لا بد أن يحلق ذقنه أولا ويغير ملابسه حتى لا توجه إليه الاتهامات؟

وحين قتل التيار المتطرف الرئيس الراحل أنور السادات قتلوه بعد حلق لحيتهم وكانوا مرتدين الزي العسكري، ولهذا أتوقع أن تكشف الأيام المقبلة أسرار هذا الحادث). (الحركة الإسلامية فى مصر - محمد مورو) .

أما المستشار مأمون الهضيبى فيقول:

إننا نجدد ما أعلناه حين تم الاعتداء على اللواء أبو باشا من استنكار لهذا الأسلوب وإدانته، ولا نقبله على الإطلاق، وفي نفس الوقت أيضا لا نقبل الإرهاب

الحكومي، فإرهاب الأفراد مهما بلغت خطورته لا يمكن إطلاقا أن يساوي شيئا إلى جانب الإرهاب الحكومي). (لواء الإسلام عدد ١١ سنة ٤٥ - ١٧/ ١/ ١٩٩١ ......هذا هو موقف الإخوان من محاولة اغتيال حسن أبوباشا ، فى حين اعتبرت قيادات الجماعة الإسلامية يومها القائمين بالعمل أبطالا صادقين كما اعتبرت رصاصاتهم رصاصات صادقة خرجت من قلب صادق هو قلب محمد كاظم مرتكب الحادث « راجع رسالة إلى كل من يعمل للإسلام للدكتور ناجح إبراهيم » .

كما أدانت جماعة الإخوان حادث الاعتداء على «باص» السياح الأسبان ففى ٢٩/ ٨/ ١٩٩٤ ذكرت جريدة «الحياة» أن الإخوان المسلمون دانوا الهجوم على «باص» السياح الأسبان فى الصعيد يوم الجمعة الموافق٢٦/ ٨/ ١٩٩٤ الذى أسفر عن مقتل أسبانى وجرح ثلاثة، بينهم مرشدة سياحية مصرية.

وقال المستشار المأمون الهضيبى لـ«الحياة» إن موقف الإخوان من العنف لن يتغير، مؤكداً أن السياح الأجانب يدخلون إلى مصر بعهد أمان على جميع أفراد المجتمع مؤيدين ومعارضين احترامه..

وتابع الهضيبى :

هؤلاء السياح لم يرتكبوا جريمة كى يتعرضوا للقتل ومواجهة طلقات الرصاص، ومن غير المقبول شرعاً أو قانوناً الاعتداء عليهم، وإذا كنا نعترض على بعض تصرفات الحكومة فإن هذا لايعنى مساندة الإرهاب لبعض الأفراد والجماعات.(الحياة اللندنية ٢٨ / ٨/ ١٩٩٤)

هذا وقد أصدرت جماعة الإخوان فى ١٩٩٨ كتاباً من جزءين تحت عنوان «قضية الإرهاب الرؤية والعلاج» طرحت فيه الجماعة رؤيتها لعلاج تلك القضية التى عانت منها مصر لعدة عقود وقد تناول الكاتب الرؤية الإسلامية الصحيحة لظاهرة الإرهاب وكيفية معالجتها.

كما كان للجماعة العديد من البيانات التى تنتقد فيها عمليات العنف والإرهاب ونكتفى هنا بأربع بيانات أصدرتها الجماعة عبر فترات مختلفة تبرز فيها موقفها كحركة إسلامية مستنيرة من بعض القضايا التي تتعلق بالعنف والإرهاب.

بيانات الإخوان بخصوص حوادث العنف والإرهاب

- **«في ١٥ ديسمبر ١٩٩٢ » أصدرت جماعة الإخوان بيانا قالت فيه :**

- إننا لا نقر العنف أيا كان مصدره وأيا كانت صورته، كما لا نقبل بل ونستنكر الإرهاب بجميع أشكاله، وأن الأجنبي الذي يأتي لبلادنا سائحا كان أو غير سائح هو مستأمن لا يجوز المساس بأمنه وطمأنينته وأن ما حدث من عدوان على بعض السائحين وإرهاب لهم.. بغي لا يقبل شرعا ولا عقلا ولا إنسانية.

- ومن ثم أصدرنا هذا البيان الممنهج الصادق لنا والعقيدة التي لا نحيد عنها أبدا، والمسلك الذي التزمنا به بدقة، وأثبتت كل التحقيقات التي أجريت في القضايا التي حدثت في الأشهر الأخيرة بل وعلى مدى عشرين سنة مضت دقة التزامنا به.

- إن العنف والإرهاب خروج عن الشرعية وعن الفهم الإسلامي الصحيح، ولا يؤديان إلا إلى اشتداد التوتر والضعف باستقرار الأمة وأمنها ولدخولها في دوامات من الاضطرابات والبلبلة لا تكسب من ورائها شيئا، بل تعوق حركة تطورها إلى الأفضل كما تعوق مسيرة الدعوة الإسلامية.

- إن دعوتنا مستمرة بإذن الله، ملتزمين فيها بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وفي هذا الفلاح والنجاح بعون الله وهو سبحانه يقول الحق ويهدي إلى سواء السبيل.

المرشد العام للإخوان المسلمين

١٥ من ديسمبر ١٩٩٢م

«في ١٩/ ٦/ ١٩٩٣» أصدرت أيضا جماعة الإخوان هذا البيان

- الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

- فإن الإخوان المسلمين الذين أكدوا ويؤكدون على الأمن والأمان للوطن ولكل مواطن واستنكروا ويستنكرون العنف أيا كان شكله وأيا كان مصدره، وعاهدوا ويعاهدون الله على العمل الدؤوب لصالح هذا البلد وأمنه واستقراره، ووحدة صفوفه..

- ليستنكرون الجريمة البشعة التي وقعت في شارع شبرا وبتفجير قنبلة موقوته وسط الجماهير الآمنة فأودت بحياة الأبرياء، وأصابت الأبرياء، دون ذنب أو جريرة.

- والإخوان المسلمون وقد هزهم الحادث المروع ليطالبون الحكومة بسرعة الكشف عن مرتكبيه، وسرعة الوصول إلى الجهة التي تعددت تفجيراتها المشابهة وسط الآمنين الأبرياء.. ويناشدون شعب مصر الأبي أن يقف صفا واحدا في وجه شتى أشكال ومصادر العنف. مواصلا السعي والعمل من أجل إحلال الأمن والأمان والحرية والاستقرار لتشمل أجواؤها كل ربوع هذا البلد الطيب.

- نسأل الله أن يحفظ مصر وشعبها ويجعلها وسائر بلاد العرب والمسلمين... الآمنة المطمئنة، العزيزة القوية.

الإخوان المسلمون

١٩/ ٦/ ١٩٩٣م

بيان من الإخوان المسلمين

- حول محاولة اغتيال الدكتور عاطف صدقي رئيس مجلس الوزراء المصري

- « في٢٦/ ١١/ ١٩٩٣» قالت جماعة الإخوان :

- الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه.. وبعد فان الإخوان المسلمين تلقوا بكل أسف نبأ محاولة اغتيال الدكتور عاطف صدقي رئيس مجلس الوزراء، وذلك بواسطة قنبلة تم تفجيرها بميدان عام، وأودت بحياة أشخاص آخرين، وإصابة العديد من الناس من بينهم صبية وأطفال

- كما أدت إلى ترويع الآمنين، خاصة وقد وقع الحادث إلى جوار مدرستين تكتظان بالتلاميذ الصغار.وهذا عمل إجرامي لا يمكن أن يجيزه شرع أو قانون أو عقل أو حتى مجرد الشعور بالإنسانية.

- ونحن نؤكد ما سبق تقريره في مرات سابقة من أننا نرفض هذا الإجرام.. وندينه بكل شدة .. وندعو كل الأمة للتكاتف والوقوف صفا واحدا في مواجهته..

محمد حامد ابو النصر

المرشد العام للإخوان المسلمين

بيان من الإخوان المسلمين
حول حادث الأقصر ١٩٩٧

- إن الإخوان المسلمين الذين يلتزمون ويدعون إلى الالتزام بما جاء فى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ من صون وحماية للأرواح وصون وحماية لأمن الناس، واحترام وصيانة ورعاية لمصالح البلاد والعباد، والذين استنكروا ويستنكرون العنف والإرهاب بكافة أشكالهما ومستوياتهما

- ومن كافة مصادرهما وجهاتها، يستنكرون الحادث الإجرامى البشع الذى راح ضحيته مجموعة من السائحين الذين وفدوا إلى مصر للسياحة، وكفل لهم الشرع حق واجب الأمن وصون الأرواح وهم وسط ديارنا، ويرون أنه يمثل خروجاً على شرع الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وانتهاكاً لحق الحياة وحق الأمن اللذين وهبهما الله لعباده، ونص على أبعاد ومعالم ذلك فى كتابه

- كما أنهم يهيبون بكافة قوى الشعب ومؤسساته الشعبية والرسمية أن تتكاتف فى التقاء يجسد روح التعاون المأمول من أجل مواجهة حاسمة، تجتث كافة جذور العنف والإرهاب وترسى وتدعم معالم وجذور الأمن والحرية فى ربوع ديارنا الحبيبة ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

الإخوان المسلمون القاهرة

١٨ من رجب ١٤١٨هـ-١٨ من نوفمبر ١٩٩٧

- أكتفى بهذه النقول ، عن الفقهاء وعن جماعات العنف ، بل وعن جماعة الإخوان التى ظلت طوال تاريخها تتغنى بالسلمية ونبذ العنف والإرهاب ،.

- إننا نجد جماعات العنف تعترف فى كتبها أن ما قامت به من أعمال القتل والقتال قد ساهم فى تصعيد الأزمة ولم يعمل على حلها فقد ورد فى كتاب تسليط

الأضواء على ماوقع فى الجهاد من أخطاء الذى أصدرته الجماعة الإسلامية المصرية بعد مراجعتها لأفكارها القديمة : - « وكانت النتيجة أن هذا البعض أهلك نفسه وأضاع قومه وسفك دماءه ودماء غيره بغير مبرر أو دونما مصلحة فلم يحقق هدفا ، ولم يجن ثمرة ، وأشمت اليهود فيه ، وخوف الناس من دعوته ، وأراق الدماء دونما غاية ، فلم يحقق مايصبو إليه من رفع الظلم وإنقاص عدد المعتقلين ، فلا أرضا قطع ولاظهرا أبقى وزرع مع طوائف كثيرة أحقادا وثارات تحتاج إلى زمان طويل لإخماد نارها ووأد فتنتها .....وقد حدثت أحداث كثيرة فى السنوات الماضية واستهدفت شرائح من المجتمع المصرى ومنهم النصارى والشرطة ، واستهدفت كذلك السياحة ، والسائحين وقد كانت حجة الشباب المسلم فى هذه الأحداث أنه وقع عليهم ظلم وعسف ويريدون إخراج المعتقلين ، ولكنهم غفلوا عن حقيقة هامة أن الظلم والعسف سيزداد وقد حدث ، وأن المعتقلين سيزدادون وقد حدث ، والدعوة ستمنع وقد حدث ، وأن الأسر ستهدم وقد حدث ، وأن المفاسد كلها ستحدث وقد حدث ، وأن المصالح لن تأتى وقد حدث ، وأن الناس ستنصرف عن الدعوة الإسلامية وقد حدث ، وأن اليهود سينتهزون الفرصة للنيل من الفريقين وقد حاولوا ، وبالجملة فإن كل أعداء الإسلام وأهله هم المستفيدون مما يحدث ، أما سمعة المسلمين فقد تدهورت فى بلاد الدنيا كلها ....وتكتل العالم كله فى جبهة واحدة لمحاربة الإسلام ذاته ، وليس محاربة الجماعات الإسلامية ، وحوصر المسلمون حصارا شديدا فى كل دول العالم ، وحدث ولأول مرة تكتل غربى وشرقى فى مواجهة الإسلام والمسلمين ، وأصبح الإسلام فى نظر الغرب هو العدو الأول بدلا من الشيوعية ، وأريقت دماء المسلمين من كافة الأطراف المسلمة فى مصر وغيرها من بلاد الإسلام ، وحدثت مفاسد لاحصر لها .

- لقد حقق أعداء الإسلام أعظم المكاسب على حساب المسلمين ، وعلى خلفية هذه الأحداث ، وأعظم مكاسبهم على الإطلاق هو غياب الدعاة إلى الله من

ساحة التأثير ، وانفراد التيار اللاديني بالتأثير على عقول الناس وعقيدتهم ، فزينوا الباطل حقا والحق باطلا ، وخوفوا الناس جميعا من الإسلام ، مستغلين شعارات مواجهة الإرهاب لإرهاب كل من يدعو إلى الله ، أو يصدع بالحق أو حتى بشيء يسير منه ، وبعد أن تخلصوا من الجماعات الإسلامية شنوا حربهم الإعلامية الضروس على الجمعية الشرعية وأنصار السنة ، وعلى وزارة الثقافة نفسها ، وعلى الأزهر الشريف فى نهاية المطاف .....الخ » سبحان الله ما أشبه الليلة بالبارحة ؟ أليست كل هذه المفاسد التى ذكروها قد نتجت بسبب أفكارهم وتشددهم فى مواقفهم ورفضهم أكثر من مرة تدخل العلماء والمثقفين لإنهاء المشكلة ؟ أليسوا قد أكثروا من المطالب ؟ واشترطوا الكثير من الشروط ؟ أنسوا جولات الحوار والنقاش التى قادها الإعلامى حلمى البلك وكانوا يرفضونها جملة وتفصيلا ؟ ألم يتذكروا جولات العلماء فى مساجد الصعيد للحوار والنقاش معهم داخل المساجد وفى مدرجات الجامعة ؟ أنسوا محاولات النقاش مهم عن طريق العلماء بمساجد القاهرة وعين شمس وإمبابة ؟ أليسوا هم من رفض الاستماع إلى الشيخ الشعراوى والشيخ محمد الغزالى فى أكثر من زيارة لهم داخل السجون ؟ ، أليسوا قد رفضوا حوارات الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف والشيخ عطية صقر رحمه الله أكثر من مرة ورفعوا شعارهم قائلين:

قلنا وأصغى السامعون طويلا — خلوا المنابر للسيوف قليلا

وليسوا بغير صليل السيوف — يجيبون صوتا لنا أو صدى

ألم يرفعوا شعارهم: « مساجدنا معاقلنا ، نروى تربتها بدمائنا ، ونزود عنها بأرواحنا » ؟

أليسوا كانوا يفتون بضرورة وحتمية المواجهة مع الحكام ولهم بحوث فى ذلك ؟

- أليست هذه هى شعاراتهم وتلك هى مواقفهم وهذه هى تحتماتهم وحتمياتهم ؟ نعم قد تكون بعض مطالبهم عادلة ، قد تكون قانونية ، قد تكون

أيضا بسيطة فى بعض الأحيان ، لكنها وقتها لم تكن متاحة ، لم يكن أحد ليسمع لها ، لم تكن ممكنة التحقيق ، لم يكن لديهم آليات ناجعة للتوصل إليها خاصة حال تعنت النظام ورفضه حتى سماع اسمهم ، لكنهم لم يفرقوا بين المطلوب وبين الموجود ، لم يفرقوا بين المطالب العادلة وبين المطالب الممكنة ، لم يفرقوا بين المطروح وبين المطموح إليه ، لم يفرقوا بين الواجب والواقع ، لم يفرقوا بين مايطلبون وبين مايملكون ، غابت عنهم كل هذه المعانى فكانت الأزمة وازدادت وتصاعدت ، لقد صنعوها وهاهم ينتقدونها ويعترفون بخطئهم ويتحملون المسؤولية الأدبية عن أفعالهم وأفكارهم كما يقولون ، ويعدون بتقديم اعتذار رسمى للشعب و بدفع تعويضات من عائد كتبهم لأسر الضحايا وطبعا لم يحدث هذا ولاذاك ، وفى كل الأحوال يشكر لهم اعترافهم وعودتهم إلى الحق متى كانوا صادقين فى ذلك .

- أما عن تصرفات جماعة الإخوان مع ثورة يوليو فأحيلك أخى القارئ إلى كتاب «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ » لمحمود عبد الحليم المؤرخ الإخوانى الشهير لتقرأ وتنظر بعينك ماكتبه عن استعلاء الأستاذ حسن الهضيبى واستكباره واستبداده ، وتعمده الإصغار والإزراء بعبد الناصر ، مما أدى بالعلاقة بينهما إلى طريق مسدود وكان بعدها ماكان من صدام وسجون وإعدام ومحاولات اغتيال ، وكلها بلا شك أعمال مرفوضة وممارسات مستنكرة على الطرفين .

والآن أسأل ماهو موقف الإخوان من دكتور التكفير وجدى غنيم ؟ ماهو رأيهم فى التحالف مع الجماعة الإسلامية التى كان يتزعمها عصام دربالة رحمه الله ؟ ، الذى يقول بتكفير الحكام حتى تاريخ وفاته بل وضمن ذلك فى مبحث بعنوان عقيدتنا ، أثناء إعادة كتابة ميثاقهم للعمل الإسلامى ، بل الذى قاد انقلابا ضد القيادة السابقة للجماعة لأنها تراجعت عن القول بكفر الحاكم بغير ماأنزل الله وأمور أخرى .؟ وما هو رد الجماعة الإسلامية عن تحالفهم مع الإخوان الذين كانوا يتهمونهم بالعمالة والجبن والنفاق بل وارتكاب الأفعال الشركية؟ لم

التحالف المستميت معهم اليوم ؟ والحمد لله فقد لاحت بوادر الشقاق بين الطرفين .

ماهو موقف كل من الإخوان والجماعة الإسلامية من جماعات الجهاد المختلفة التى تقول بتكفير الحاكم والمؤسسات العسكرية والقضائية والتشريعية والشرطية ، بل تقول بكفر كافة العاملين بهذه المؤسسات على التعيين ؟ لماذا توحدت الأيادى الآن ؟ ولماذا استقبلوهم معهم على منصة النهضة رافعين أعلام القاعدة ؟ وما رأيهم فى تصريح مفتى الإخوان بقوله : « عندنا مائة ألف استشهادى جاهزون بأ حزمة ناسفة ؟ وما تعليقهم على الإعلان عن تشكيل مجلس حرب من فوق منصة رابعة ؟ وما رأيهم فى قول عاصم عبد الماجد « إنى أرى رؤوسًا قد أينعت وحان وقت قطعها » ؟ وما قولهم فى تصريح وحيد بالى أمام مدينة الإنتاج الإعلامى نقلا عن خيرت الشاطر قوله « بأن هناك عشرات الآلاف فى أماكنهم مستعدون ينتظرون ساعة الصفر » ماقولكم وقول جماعات العنف فى هذه التصريحات وتلك التصرفات ؟ .

- لن أنتظر منكم جوابا فقد أجبتم من قبل من خلال تصريحاتكم وكذلك عن طريق بياناتكم التى أصدرتموها وصدرتم بها صفحاتكم ومواقعكم والتى تفوق الحصر ويكفى هنا أن نذكر بيان نداء الكنانة الذى أصدره علماؤكم ومفتوكم حول العالم وهذا نصه :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

بيان من علماء الأمة

بشأن جرائم الانقلاب في مصر والواجب نحوه

٩ شعبان ١٤٣٦هـ ٢٧ مايو ٢٠١٥م.

- الحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد،،

- نظراً لما يحدث في مصر الكنانة - منذ قرابة عامين - من سفك للدماء المحرمة، وهتك للأعراض المصونة، وإزهاق للأرواح البريئة، ونهب الأموال، وتكسير الممتلكات الخاصة، وتدمير للبلاد، وتهجير للآمنين، ومعاداة فجة للإسلام والمسلمين، بمحاربةٍ لمنهجه، وقتلٍ لعلمائه، وتطاولٍ على قيمه وثوابته ومقدساته، وموالاة لأعدائه، ومعاداة لأوليائه؛ فإننا - صدعًا بالحق، ودفعًا للباطل، وبيانًا للناس، كما أمرنا الله تعالى - نعلن للأمة الموقف الشرعي من هذا النظام، والواجب نحوه، والمتمثل في النقاط الآتية:

١. أن المنظومة الحاكمة في مصر منظومة مجرمة قاتلة، انقلبت على إرادة الأمة واختيارها، وخطفت رئيسها الشرعي المنتخب، واغتصب قائد الانقلاب كرسي الرئاسة بانتخابات صورية مزورة، وجمع في يده السلطات جميعا، بما فيها سلطة التشريع، وسن قوانين جائرة، تكمم الأفواه، وتجفف منابع الحياة بشكل شامل .. هذه المنظومة قتلت الآلاف بغير حق، واعتقلت عشرات الآلاف بلا مسوِّغ، وحكمت بالإعدام والسجن على الآلاف من خيرة رجال مصر ونسائها في قضايا ملفقة، وطاردت الآلاف داخل مصر وخارجها، وشردت آلاف الأسر، وظاهرت أعداء الأمة عليها، وفصلت تعسفيًّا مئات القضاة وأساتذة الجامعات والمدرسين والأئمة والخطباء وغيرهم؛ فارتكتب -بذلك وغيره - المنكرات كلها، وانتهكت الحرمات جميعها.

٢. يجب شرعًا على الأمة: حكامًا وشعوبًا، مقاومة هذه المنظومة، والعمل على

كسرها والإجهاز عليها بالوسائل المشروعة كافة؛ حفاظًا على ثوابت الأمة، وحرصًا على المقاصد العليا للإسلام.

٣. أن موالاة الصهاينة المعتدين ودعمهم وحمايتهم، ومعاداة المقاومة الفلسطينية، والتآمر عليها، وحصارها من خلال تدمير سيناء وتهجير أهلها، يعدُّ خيانة للدين والوطن، وتفريط في مسرى رسول الله « ﷺ - ، لا تصدر إلا عن عدو لله ورسوله والمؤمنين، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

٤. أن الحكام والقضاة والضباط والجنود والمفتين والإعلاميين والسياسيين، وكل من يَثْبُتُ يقينًا اشتراكُهم، ولو بالتحريض، في انتهاك الأعراض وسفك الدماء البريئة وإزهاق الأرواح بغير حق .. حكمهم في الشرع أنهم قتلةٌ، تسري عليهم أحكام القاتل، ويجب القصاص منهم بضوابطه الشرعية، والله تعالى يقول: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾. [المائدة: ٣٢].

٥. يؤكد العلماء الموقعون على هذا البيان أن الأستاذ الدكتور محمد مرسي هو الرئيس الشرعي للبلاد، وأن الإجراءات اللاحقة التي اتُّخذت معه، والأحكام التي صدرت بحقه وحق الرافضين للانقلاب باطلة شرعًا، ومنعدمة قانونًا، ويجب على الأمة شرعًا السعي في فكاك حاكمها المنتخب وتحريره من أسره.

٦. أن كل من تم اعتقاله من قِبَل هذه المنظومة الإجرامية بسبب رفضه للانقلاب ومطالبته باحترام إرادة الأمة وحريتها، وبخاصة النساء، يجب على الأمة السعي في بذل كلِّ غالٍ وثمين، في سبيل تحريرهم، وفكاك حبسهم، بالوسائل المشروعة في دين الله.

٧. أن معاونة هذه المنظومة الإجرامية ومساعدتها على الاستمرار بأية صورة من الصور هو من المحرمات شرعًا، والمجرمات قانونًا، ومشاركة صريحة في الجرائم التي ترتكبها، ومرتكب للنهي في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾. [هود: ١١٣].

٨. أن حضور شيخ الأزهر مشهد الانقلاب، وصمته عن جرائمهم، جريمة شرعية تُسقط شرعيته، وتهدر مكانته، وتجعله شريكا للمجرمين في كل ما اقترفوه، وتشوه تاريخ الأزهر المجيد، وتفسد حاضره، وتدمر مستقبله.

٩. نحمِّل مفتي مصر المسؤولية الشرعية والجنائية عن الأرواح البريئة التي وافق على إعدامها، ونحذره من مغبة التمادي في التوقيع بالموافقة على المزيد من أحكام القتل الجائرة الطاغية، وما قد ينتج عن هذه الأحكام من مفاسد عظيمة على المستويات جميعا، وقد لا يخفى عليه « وهو من الموقعين عن رب العالمين! - أنه ليس في القتل ولا في الزنا إكراه، فلا حجة له في الدنيا ولا في الآخرة أن صدّق على قتل الأبرياء.

١٠. أن الدفاع بأية وسيلة مشروعة عن النفس والعرض والمال حق مشروع، بل واجب شرعي، لا يملك أحد أن يمنعه أو يمنحه، فللمعتدَى عليه صدُّ المعتدِي بذاته دون غيره، وبالقدر الواقع عليه دون تعدٍّ أو تفريط، قال تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشورى: ٤١،٤٢].

١١. نطالب الحكام والملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية وأهل العلم والمثقفين والأحرار كافة في العالم، بسرعة السعي لحماية مصر من إجرام تلك المنظومة الطاغية، وردعهم عن القتل والسفك والسلب والإفساد والتدمير، والانتصار لإرادة الشعب وخياراته.

١٢. يستهجن العلماء الموقعون على هذا البيان موقف الدول الداعمة للإنقلاب، والموقف الدولي المدعي احترام حقوق الإنسان وخيارات الشعوب، ويناقض ذلك كله بدعمه للأنظمة الانقلابية وتعامله معها، ويحملونهم المسئولية القانونية عن الدماء التي سالت، والأرواح التي أزهقت، ظلما وعدوانا .. ويثمِّنون « في الوقت نفسه - مواقف الدول والمنظمات الحقوقية والعلماء والإعلاميين

والسياسيين وغيرهم ممن وقفوا ضد قمع الشعب المصري وأحكام القتل بالجملة، وسوف يسجل التاريخ لهؤلاء وأولئك مواقفهم وأعمالهم.

١٣. نطالب القوى التي تعارض الانقلاب والأحرار في مصر وخارجها أن يتوحدوا صفًا واحدا في مقاومة هذه المنظومة المجرمة، مستخدمين الوسائل المناسبة كالعصيان المدني وغيره، لتطهير البلاد من طغيان الانقلابيين، وجرائمهم، والانتصار لدماء الشهداء، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

الموقعون :

- **أولا: الهيئات:**

١. رابطة علماء أهل السنة.

٢. هيئة علماء فلسطين في الخارج.

٣. هيئة علماء المسلمين في لبنان.

٤. مركز تكوين العلماء في موريتانيا.

٥. منتدى العلماء والأئمة في موريتانيا.

٦. رابطة علماء المغرب العربي.

٧. الاتحاد العالمي لعلماء الأزهر .

٨. نقابة الدعاة المصرية.

٩. جبهة علماء ضد الانقلاب.

١٠. هيئة علماء السودان.

- **ثانياً: الأفراد:**

١. د. أحمد الريسوني. نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

٢. د. عبد المجيد الزنداني. رئيس هيئة علماء اليمن.

٣. الشيخ محمد الحسن الددو رئيس مركز تكوين العلماء في موريتانيا.

٤. د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي. وزير العدل اليمني سابقا.

٥. الشيخ سلمان الحسيني الندوي رئيس جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، ومدير المعهد العالي للدعوة بالهند.

٦. د. أمين علي مقبل. نائب رئيس جامعة الإيمان.

٧. الشيخ محمد كمال أختر الندوي عميد كلية الشريعة بجامعة الإمام أحمد الهند.

٨. د. عبد الحي يوسف. نائب رئيس هيئة علماء السودان.

٩. د.جمال عبد الستار. أستاذ الدعوة بجامعة الأزهر، والأمين العام لرابطة علماء أهل السنة.

١٠. الشيخ محمد زحل. رئيس رابطة علماء المغرب العربي.

١١. الشيخ عبد الغني شمس الدين. رئيس التجمع الآسيوي لاتحاد علماء المسلمين.

١٢. الشيخ محمد عبد المقصود. الداعية الإسلامي.

١٣. د. نواف هايل تكروري. الأمين العام لهيئة علماء فلسطين في الخارج.

١٤. د. محمد الصادق مغلس. نائب رئيس جامعة الإيمان للتزكية.

١٥. الشيخ حمدي أرسلان. عضو هيئة تدريس بكلية الإلهيات جامعة اسطنبول.

١٦. د. عبد الرقيب عباد. نائب رئيس جامعة القرآن باليمن.

١٧. مولانا سيد سلمان الحسيني الندوي من كبار علماء الهند.

١٨. الشيخ عبد الخالق الشريف. من علماء الأزهر الشريف.

١٩. الشيخ سالم عبد السلام الشيخي. وزير الأوقاف الليبي سابقا، وعضو المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث.

٢٠. د. إسماعيل علي محمد. أستاذ ورئيس قسم الدعوة في كلية أصول الدين جامعة الأزهر.

٢١. الشيخ سعيد عبد العظيم. الداعية الإسلامي.

٢٢. محمد موسى الشريف. أكاديمي سعودي وداعية إسلامي.

٢٣. د. عبد الجبار سعيد. رئيس لجنة الفتوى في هيئة علماء فلسطين في الخارج.

٢٤. د.خالد العجيمي.

٢٥. الشيخ محمد الأمين الحسن. رئيس منتدى العلماء في موريتانيا.

٢٦. د. أحمد محمد زايد. أستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر.

٢٧. الشيخ ونيس المبروك. عضو مجلس الأمناء للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

٢٨. د. رأفت المصري. عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

٢٩. د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعات الأردنية.

٣٠. الشيخ موفق أبو صادق الحموي. رئيس الهيئة الشرعية في حماة، وقاضٍ بالاستئناف.

٣١. د. نبيل فولي محمد. أستاذ مشارك في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام اباد.

٣٢. عبد الله مصطفى رحال الأمين العام لرابطة علماء إدلب وعضو رابطة علماء الشام

٣٣. الشيخ خالد سيف الله رحماني مدير المعهد العالي للدراسات الشرعية بحيدر آباد. الهند

٣٤. د سالم الشمري عضو هيئة التدريس كلية الشريعة بالكويت.

٣٥. د. صلاح القادري. أستاذ التفسير في جامعات ماليزيا.

٣٦. د. مفيد أبو عمشة. نائب رئيس هيئة علماء فلسطين في الخارج.

٣٧. د. رمضان خميس أستاذ مشارك بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر

٣٨. د.أحمد سعيد حوى دكتوراه في الفقه وأصوله، وعضو المجلس الإسلامي السوري.

٣٩. الشيخ حسين حلاوة. الأمين العام للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث.

٤٠. د. عطية عدلان. أكاديمي مصري - تخصص السياسة الشرعية.

٤١. الشيخ عصام تليمة. عضو مؤسس في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

٤٢. الشيخ محمد علي عجلان. رئيس مجلس شورى الإصلاح اليمني.

٤٣. صالح بن مصلح المرعشي. عضو الجمعية السعودية الفقهية.

٤٤. د.أسامة بن عبد الكريم العثمان. عضو رابطة علماء الشام.

٤٥. د. عبد الرحمن الخميسي. أستاذ بجامعة صنعاء.

٤٦. د.محمد الصغير. مستشار وزارة الأوقاف المصرية سابقا.

٤٧. د. وصفي عاشور أبو زيد. أكاديمي مصري، دكتوراه في مقاصد الشريعة الإسلامية.

٤٨. د. حاتم عبد العظيم أبو الحسب. دكتوراه في الفقه الإسلامي وأصوله.

٤٩. د. أحمد بن عبد الرزاق النداف عضو رابطة علماء الشام.

٥٠. د. سعد عبد الكريم العثمان دكتوراه شريعة إسلامية - تخصص فقه مقارن.

٥١. د. صالح الظبياني. أستاذ بجامعة صنعاء.

٥٢. الشيخ أحمد مصطفى العلوان إجازة في الشريعة الإسلامية-جامعة دمشق.

٥٣. الشيخ مراد القدوسي. جمعية الحكمة باليمن.

٥٤. الشيخ أحمد هليل. مستشار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر سابقا

٥٥. د.أكرم كساب. عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

٥٦. الشيخ براء بن محمد أورفلي عضو رابطة العلماء السوريين

٥٧. مولانا تقي عثماني. دار العلوم. كراتشي.

٥٨. د. خالد الشنو. محاضر بجامعة البحرين

٥٩. مولانا رفيع عثماني. دار العلوم . كراتشي.

٦٠. الشيخ سلامة عبد القوي مستشار وزير الأوقاف المصري سابقا.

٦١. د.صلاح البحراوي أستاذ مساعد في الفقه الإسلامي .

٦٢. الشيخ عبد الجليل أبو أحمد. كلية الشريعة جامعة دمشق.

٦٣. الشيخ عبد الرحمن عبدالله رجو. عضو رابطة العلماء السوريين.

٦٤. الشيخ عبد الرحمن كوكي. رابطة علماء سوريا.

٦٥. مولانا د. عبد الرزاق سكندر. كراتشي. باكستان.

٦٦. الشيخ عبد الرشيد الندوي. مدير مجلة حراء في الهند.

٦٧. الشيخ حسن قاطرجي. رئيس جمعية الاتحاد الإسلامي، عضو مكتب هيئة علماء المسلمين في لبنان.

٦٨. الشيخ عبد المنعم زين الدين. عضو الهيئات والروابط العلمية السورية.

٦٩. الشيخ علي الحاج علي. دكتوراه شريعة وقانون أستاذ جامعي.

وحتى لايقول قائل كيف تحملون الإخوان مسؤولية هذا البيان رغم كونهم لم يوقعوا عليه بصفتهم الرسمية ؟ لابد من ذكر موافقة وتأييد الإخوان لهذا البيان واعتبارهم إياه موقفا شرعيا يجب تبنيه وتنفيذ ماتضمنه من مسائل فقد اعتبرت جماعة الإخوان أن بيان «نداء الكنانة» يمثل «نفرة للعلماء في مواجهة جرائم الانقلابيين في مصر، وآخرها أحكام الإعدام بحق الرئيس الشرعي، د. محمد مرسي، ومئات الأبرياء من المصريين الثائرين ضد الطغيان»، وأضافت أن العلماء قاموا «بواجب الفتوى الشرعية، وبيان الحق، في توصيف الحالة الإجرامية للانقلاب الدموي، وارتكابه المجازر والاعتقالات وجرائم التعذيب والاغتصاب».

وتابعت في بيان أورده موقع حزب «الحرية والعدالة»، الذراع السياسية للجماعة: «لقد بين العلماء الواجب الشرعي في مقاومة هذا الانقلاب بكل الوسائل، حتى يسقط وتعود الشرعية، وبينوا حق الدفاع الشرعي عن النفس والأعراض والأموال»، وأضافت أنها «التزمت بالعمل للإسلام بشموله، وتلتزم بالواجبات الشرعية التي يوجبها عليها الإسلام، ولا تتراجع عنها، مهما كانت التضحيات.» وجاءت هذه التصريحات فى بيان رسمى نشر على صفحة المتحدث الإعلامى باسم جماعة الإخوان المسلمين بتاريخ ٢٨ مايو ٢٠١٥م والغريب فى الأمر أن تأتى هذه المواقف الداعية والمؤيدة للعنف من جماعة الإخوان رغم إقرارهم بأخطاء فعلوها والاعتذار عنها فى الذكرى الثالثة لثورة ٢٥ يناير فقد نشرت الصفحة الرسمية لحزب الحرية والعدالة وغيرها من الصفحات والمواقع التابعة للإخوان بيانا صدر عن الجماعة بهذا الاعتذار ، ولكن لاعجب فكل شيء لدى الإخوان جائز حتى اجتماع الضدين والتسوية بين المختلفين واليك نص بيان الاعتذار برغم مالنا عليه من ملاحظات وماورد فيه من أكاذيب وتنصل من تحمل مسئولية الموقف بصراحة :

بيان من الإخوان المسلمين

بمناسبة الذكرى الثالثة لثورة يناير العظيم

« قام الشعب المصري البطل بثورته العظيمة في ٢٥ يناير ٢٠١١، التي أبهرت العالم كله، وتمثلت عظمتها في تلقائيتها وسلميتها وتضحياتها ونقائها وثباتها وروحها التي صهرت كل الفصائل والتوجهات في بوتقة الوطنية الخالصة العابرة للولاءات الحزبية والمذهبية والمخلصة لمصلحة الوطن، وكانت هذه هي أسباب نجاحها الكبير والسريع.

في الفترة الانتقالية التي امتدت ثلاث سنوات حتى الآن وقعت أحداث جسام، أسفرت عن وقوع انقلاب عسكري فاشي دموي، يحكم الآن بالإرهاب والنار، ويقبض على مفاصل الدولة ومؤسساتها بقبضة من حديد، وأعاد البلاد لحالة أسوأ وأبشع مما كانت عليه قبل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

كان ذلك نتيجة لمؤامرات دولية وإقليمية ومحلية استغلت الأخطاء التي وقعنا فيها نحن جموع ثوار يناير، حينما حدث ابتعاد عن روحها العظيمة المتمثلة في الوحدة وإنكار الذات، ووقع التنازع والتعادي فيما بيننا، وإذا كان الجميع قد أخطأوا فلا نبرئ أنفسنا من الخطإ الذي وقعنا فيه، حينما أحسنا الظن بالمجلس العسكري، حيث لم يرد على خاطرنا أنه من الممكن أن يكون هناك مصري وطني لديه استعداد لحرق وطنه وقتل أهله من أجل تحقيق حلمه وإشباع طمعه في الوصول إلى السلطة، كما أننا أحسنا الظن في عدالة القضاء وأنه سيقتص للشهداء ويقضي على الفساد، حتى لا نقع نحن في ظلم أحد، ولا نتلوث بدم حرام.

لقد راهن العسكريون الانقلابيون على قدرة الإعلام الكاذب على خديعة الشعب، وتمرير ديكور ديمقراطي مزور، إلا أن الشعب العظيم أثبت من جديد وعيه، وقاطع استفتاء الدم والخراب، لا سيما شريحة الشباب الذين هم نبض الحاضر وأصحاب المستقبل، خصوصا بعد اكتشافهم أنهم أمام انقلاب عسكري

يريد أن يستعبد تسعين مليون مصري ومصرية أحرارا لصالح حفنة من الفراعنة العسكريين المغامرين.

لقد أثبت الشعب العظيم على مدي سبعة أشهر من الثورة المستمرة أنه لن ينكسر بإذن الله، وأنه لا بد أن تكون له السيادة على أرضه، وأن يستعيد كل مقدراته، وأنه لن يحيا إلا عزيزا كريما، كما تعيش الشعوب الحرة.

والآن ونحن نستقبل الذكرى الثالثة لثورتنا العظيمة في ٢٥ يناير؛ فإننا ندعو الجميع -وفاءً لها ولقوافل شهدائها الأبرار الذين صعدوا ولا يزالون إلى ربهم- أن نستعيد روحها في الوحدة وإنكار الذات، والتعاهد مع الله أولا، ومع بعضنا، أن نستمر في ثورتنا، حتى نحقق أهدافنا في العيش والحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، بعد كسر الانقلاب ودحره، وألا ننخدع مرة أخرى بمحاولات العسكر إيقاع الفرقة والتنازع بين صفوف الثوار.

ولا ريب أننا جميعا قد وعينا الدرس، واقتنعنا بحكمة أن الوطن للشعب كله بكل أفراده وفصائله وقواه، نديره عبر مشاركة حقيقية من كل أطيافه، لا تستثني أحدا، ولا تقصي أحدا، ولا تحتكر الحقيقة، ولا تتحكم في توزيع صكوك الوطنية بالهوى.

والله أكبر وتحيا مصر، وعاشت ثورتنا مستمرة.» .

الإخوان المسلمون

في الثلاثاء ٢٠ ربيع الأول، ١٤٣٥ هـ الموافق ٢١يناير٢٠١٤.

ولاتعجب عندما تراهم يدعون إلى ممارسة العنف فى مصر رغم اعترافهم بالخطأ الذى وقعوا فيه ورغم تصريحاتهم وبياناتهم التى بلغت حد التواتر فى نبذ العنف والتبرؤ منه فى الوقت الذى يمارسونه عمليا على الأرض كما رأينا ولتعجب أكثر عندما يستنكرون الهجمات التى وقعت فى بروكسل ببلجيكا وأدانوها فى الوقت الذى يمارسون فيه الإرهاب فى بلاد المسلمين وديارهم وضد

جيوشهم وشعوبهم :

نص البيان

« جماعة الإخوان المسلمين تدين الهجمات الإرهابية في العاصمة البلجيكية «بروكسيل»

تدين جماعة الإخوان المسلمين بكل قوة الهجمات الإرهابية التي وقعت صباح اليوم الثلاثاء ٢٢ مارس ٢٠١٦في مطاري العاصمة البلجيكية بروكسيل وإحدى محطات المترو بها، وما أسفرت عنه من وقوع ضحايا أبرياء بين قتيل وجريح.

والجماعة إذ تعلن إدانتها لتلك الجرائم البشعة، مهما كانت جنسية مرتكبيها، فإنها تنطلق من مبادئها التي تقدس النفس الإنسانية البريئة التي حرم الله النيل منها إلا بالحق، وصانتها كافة الشرائع السماوية والمواثيق الدولية، وجعلت قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعاً، وإحياءها إحياء الناس جميعاً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

خالص التعازي للشعب والحكومة البلجيكية في مصابهم الأليم من هذه الأحداث الغادرة وعميق المواساة لأسر الضحايا وخالص التمنيات بسرعة الشفاء للمصابين» .

إبراهيم منير

نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين

الثلاثاء ١٣ جمادي الثاني ١٤٣٧ هـ -- ٢٢ مارس (آذار) ٢٠١٦ م

إنهم يعتذرون على استحياء مما يجعل المتابع لتصريحاتهم على شك دائم وتوجس مستمر من هذه التصريحات والبيانات الفضفاضة ففى رسالة بعث بها محمود عزت القائم بأعمال المرشد العام يعتذر فيها ويتوب إلى الله مما فعلوا ويوضح أن مانزل بهم من محنة إنما هو بماكسبت أيديهم كما ذكر البيان المنشور على صفحتهم وإليك نصه :

«هكذا يعتذر الإخوان»

« هل تراجع قيادات الإخوان نفسها؟هل قيادة الإخوان مستعدة للاعتذار عن أخطائها؟

هل قيادة الإخوان مستعدة لأن تحاسب علي ما ارتكبت من أخطاء؟

أذكر نفسي أولا وكل من يسأل بقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ ، ولقد عفا الله عن كثير من أخطائنا التي يظن بعضنا أنها من أفضل اجتهاداتنا أو مما أحسناه من أعمال.

فنحن نتوب إلى الله من كل أعمالنا، فهذا ما استطعناه مع اعترافنا بالتقصير، فنبوء له سبحانه بنعمته علينا، ونبوء له بذنوبنا، فاللهم اغفر لنا ما يعلمه الناس، واغفر لنا مالا يعلمه إلا أنت، اغفر لنا ما ظننا أنا أحسَنا فيه ولولا سترك وفضلك لكانت نتائجه أشد ضررا بنا مما أصابنا من أخطائنا التي علمها الناس، فلا فلاح لنا إلا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب بين يديه ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾.

فالكيّس من دان نفسه ...

نعم فالكيّس من دان نفسه وبادر بالتوبة الواجبة علي المؤمنين جميعا ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ و ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾ ، وكان رسول الله ﷺ يستغفر الله تعالي في اليوم مائة

مرة أو يزيد، وكان أكثر دعائه في الركوع والسجود حتى لقي ربه « سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك» يتأوّل بذلك القرآن الكريم ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾

– أقول لإخواني الذين يستنكرون، أو يستغربون مثل هـذه الأسئلة في هـذه الأيام، وخير لنا جميعا أن نقول رحم الله امرأ أهدي إلى عيوبي.

– أما الذين يسوقون هذه التساؤلات ضمن حملة الزور والبهتان علي الثورة والثوار جميعا فنقول لهم قد نبأنا القرآن من أخباركم.

أنتم ممن يحلفون علي الكذب وهم يعلمون.

أنتم ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

أنتم ممن يسارعون في أعداء الأمة يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة.

أنتم ممن يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله علي ما في قلبه وهو ألد الخصام.

أنتم ممن إذا تولي سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل

والله لا يحب الفساد.

أنتم ممن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وبئس المهاد.

ثم علمنا القرآن كيف نواجهكم:

﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴾

ثم أرشدنا القران إلى ما يذهب ضيق صدورنا :

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾

– ثم أقول لإخواني الذين يطرحون مثل هذه الأسئلة، «ما يصيب المؤمن من

هم ولا غم ولا وصب ولا نصب حتي الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن سيئاته، وأن ما أصاب أنس بن النضر يوم أحد واعتذاره إلي ربه عما بدر من بعض أصحابه وبهذا الاعتذار وجد ريح الجنة دون أحد، فسارع إلي الشهادة وما عرفه أحد من جراحه إلا أخته عرفته من بنانه، وهكذا وبمثل هذا السلوك يعتذر الإخوان، فنسأل الله أن نكون جميعا ممن يلحقون بأنس بن النضر، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾.

– فلنسارع إلي ما عهدنا عليه ربنا وأمتنا إلي نضالنا الثوري السلمي وحشدنا الشعبي حتي لو أصابنا ما أصاب أنس بن النضر.

– بمثل هؤلاء ينصر الله دعوته ويعز المؤمنين ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

محمود عزت

القائم بأعمال فضيلة المرشد

إن هذا اللف والدوران يفقد المستمع والقارئ الثقة فى مصداقية مايسمعه ومايقرؤه قولوها بوضوح لقد أخطأنا فى كذا وكذا ونعتذر عن الخطأ ، وهاهى ضماناتنا لعدم تكرا ره مستقبلا ، ونحن مستعدون لتحمل المسؤلية والمحاسبة ، قولوها بلا وجل ولا خجل ولامناورة فالاعتراف بالحق فضيلة ، والرجوع إلى الحق أفضل من التمادى فى الباطل ، وان الناس لن يغنوا عنكم شيئا ، ولن يضروكم أو ينفعوكم شيئا لأن الأمور كلها بيد الله وحده ليس لأحد من البشر فيها شيء حتى لو كان نبيا ، فالأمر كله لله والواقع أن الناظر فى اعتذارات الإخوان وبخاصة ما ورد على لسان محمود عزت لايستطيع أن يميز هل هذا البيان يحمل اعتذارا عن أخطاء ارتكبوها أم يحمل تحريضا وتهييجا لمواصلة العنف ؟ ما حدا بالكاتب جمال سلطان أن يقو ل عبر صفحته بموقع تويتر مانصه: « «مع الأسف الشديد ، بيان نائب مرشد جماعة الإخوان يمثل تغييبا للعقل ويعني أن لا شيء تعلموه من التجربة ولا أمل في

مراجعة». كما لاتعجب عندما تراهم يقولون « كان ذلك نتيجة لمؤامرات دولية وإقليمية ومحلية استغلت الأخطاء التي وقعنا فيها نحن جموع ثوار يناير» ثم تراهم فى نفس الوقت يدورون على المحافل والمؤتمرات الدولية يطالبونهم بحل الأزمة التى يقول الإخوان إنها مؤامرة دولية ، ولاتنسى المجلس الثورى القابع فى أوربا ، وكذلك البرلمان المسمى بالبرلمان الشرعى الذى يتردد كل يوم على الكونجرس الأمريكى ، أو على البرلمان الأوربى، أين عقولكم ياقوم تتهمون الغرب والعالم بالتآمر عليكم ثم تطلبون منه التصدى للانقلاب كما تقولون؟ «ولاعجب» .

أما «التحالف الوطني لدعم الشرعية والموالى بدوره للإخوان بل المنطوى تحت لوائهم فقد دعا إلى «أسبوع ثوري» جديد، بعنوان «الصمود طريق النصر»، ضمن ما وصفها بـ«الموجة الممتدة»، التي تحمل عنوان «النصر والقصاص»، مؤكداً أنه لا يعترف ب«هذه المحاكمات العبثية، ولا بأحكامها الهزلية، ولا بقضاتها الظالمين»، بحسب بيان له أذاعته CNN بالعربية . ، وهكذا العنف يجرى فى دمائهم ويعشش فى عقولهم ، ويخالط قلوبهم ،فعبر صفحة الفيس بوك التابعة للتحالف الوطنى لدعم الشرعية الذى يضم الإخوان وأخواتها من جماعات وتيارات العنف بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٢٠١٦م نشر هذا المقال تحت عنوان « ادخلوا عليهم الباب » كتب صاحبه يقول: ....(ادخلوا عليهم الباب ..) .

رفض الشرفاء من الجيش تنفيذ أوامر القادة العملاء ولم يتصدوا لمظاهرات ٢٥ إبريل . وكانت بذلك إشارة قوية لاتفاق مواقف الشرفاء من الجيش مع شرفاء الأمة عامة ومصر خاصة وهم الثوار.

وسبب ذلك ارتباك الداخلية وعدم قدرتهم علي المواجهة بالعنف المفرط كما هو معتاد بل وصل جبنهم وخوفهم أعلى درجاته بنقل مقر وزارة الداخلية لداخل أسوار أكاديمية الشرطة خوفا من بطش الثوار لذلك وجب استغلال تلك الفرصة جيدا بالآتي :

١ - الزحف علي القاهرة من كل المحافظات من الجميع

٢ - الاستعداد الكامل من مجموعات الشباب لمواجهة الشرطة بالقوة.

٣- التنسيق لدخول ميدان التحرير وقصور الرئاسة.

٤ - التنسيق مع القوى الإسلامية لمنع وصول الدعم للشرطة بقطع الشوارع المؤدية لاماكن التظاهرات وتكليف مجموعات بالاشتباك معهم وتعطيلهم ليتمكن الشباب من اقتحام الميدان.

٥ - الانقضاض على الضباط الذين يواجهون الثوار والقضاء عليهم

٦ - العمل علي محاصرة عائلات الضباط وأسرهم

٧- دعوة الجميع ليوم نسأل الله أن يكون من أيام الحسم

ولنعلم جميعا أن تاريخ الأمم ونصر الله لها يعتمد علي إصرارهم علي النصر وطاعة الله بمواجهة الظالم وعدم الخوف منه

أمر الله أتباع موسى عليه السلام بمواجهة العدو وبشرهم بالنصر إن دخلوا عليهم الباب واقتحموا الحصن

لكنهم كانوا جبناء فقالوا لنبي الله ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ فضرب الله عليهم الذلة والمتاهة في الأرض ٤٠ سنه.

وأمر الله أصحاب النبي بالحرب ومواجهة العدو ووعدهم بالنصر فكان الرد منهم لرسول الله ﷺ : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون)

فالتسأل نفسك مع أي الفريقين أنت؟

اغضب للدين. اغضب للأرض.

اغضب للعرض. اغضب للدم.

وكما هو معلوم لدى الكافة أن هذا ليس بجديد فقد سبق إليه محمد عبد المقصود ، وصدرت عنهم البيانات قبله تعترف وتفتخر بالقتل والحرق والتدمير بل وتنشر الإحصاءات للجرائم التى قاموا بها سواء فى ذلك القتل أو الحرق أو الجرح أو التدمير ونشرت هذه البيانات وتلك الإحصاءات على موقع حزب الحرية والعدالة بالفيس بوك ولاعتب عليهم ولاتثريب ، فقد كفونا عناء البحث ومؤنة الاستدلال ، ومظنة التخمين فالاعتراف سيد الأدلة كما يقول القانونيون.

لقد أصدر علماء الأزهر الشريف بيان «مصر المحروسة» ردًّا على بيان المؤتمر الختامي الصادر عما يسمى ب«رابطة علماء أهل السنة» وما سبقه من بيانات باسم «نداء الكنانة»، ورد فيه ما يلى:

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان علماء الأزهر من مصر المحروسة من الله تعالى..

- «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين... أما بعد؛ فتظهر بين الحين والحين بيانات من جماعة تصف نفسها بعلماء الأمة وهي قلة قليلة منحت نفسها هذا الوصف كذبًا وزورًا، كما نصبت من نفسها متحدثًا رسميًا وحيدًا باسم الإسلام والمسلمين والعلم والعلماء، وهو ما لا يليق بأهل العلم ولا بمسؤولياتهم أمام الله تعالى.

- وبعد قراءة دقيقة للبيان الذي تكرر صدوره باسم بيان الكنانة وما اشتمل عليه هذا البيان من اجتراء على الدين وافتراء على شريعة الإسلام وتزييف للحقائق وكذب على مصر وشعبها وجيشها – يصدر علماء الأزهر والهيئات التابعة له «بيان المحروسة» لتفنيد أباطيلهم وسفسطاتهم:

- أولاً: لقد وصفوا القيادات المصرية والرموز الوطنية بأنهم مجرمون قتلة انقلبوا على إرادة الأمة وخطفوا رئيسها المنتخب، وقتلوا الآلاف بغير حق، واعتقلوا عشرات الآلاف بلا مسوغ، وحكمت على بعضهم بالإعدام... إلخ هذه

المفتريات.

- والحقيقة التي تتهرب منها هذه الجماعة دائمًا –ولا تريد أن تواجهها- هي أن حكام مصر لم ينقلبوا على نظام الحكم كما يرجف المرجفون، بل الشعب هو الذي ثار وخرج بجميع فئاته، وشاهده العالم يوم ٣٠ / ٦ ليطالب بعزل حُكم فَشَل في إدارة مصر، وفي الحفاظ على مقدراتها، وعجز عن حماية جنودها، وحدودها، وفشل رئيسها في أن يكون رئيسًا لكل المصريين، ومكَّن لفئة قليلة من النفوذ إلى كل مؤسسات الدولة مما هدَّد بتفتت كيانات الدولة، واندلاع حرب أهلية بين المصريين.

- **ثانيًا**: ومن أكاذيبهم أن حكام مصر قتلوا الناس بغير حق، واعتقلوا عشرات الآلاف بلا مسوغ... إلخ ادعاءاتهم.

- والواقع أن حكام مصر الحاليين لم يقتلوا أحدًا، وإنما القتلة هم الذين غرروا بالمتظاهرين والمعتصمين من أتباعهم وأفتوهم وحللوا لهم الخروج المسلح على الجيش والشرطة والشعب من أجل حكم الناس رغم أنوفهم. ودفعوا بأبناء الفقراء والبسطاء إلى التهلكة والموت بينما كثير من كبرائهم يتمتعون برغد العيش في ظل حماية حكومات حاقدة على مصر وشعبها.

- **ثالثًا**: ومن أكاذيبهم أن حكام مصر ظاهروا أعداء الأمة ووالوا الصهاينة، والحقيقة أن نظام الحكم الذي عزله شعبه هو الذي ناصر أعداء الأُمَّة وحكَمَ مصر عامًا كاملًا لم يجاهر فيه بموقف عدائي واحد تجاه أعداء مصر والمتربصين بها، وهذا أمر معروف للجميع، بل أن مصر عانت وعانى شعبها في ظل هذا الحكم أزمات اقتصادية خانقة، واضطرابات لم تمر بمثلها منذ قرون مضت.

- **رابعًا**: قالوا كذبًا وبهتانًا: أن حكام مصر فصلوا مئات القضاة وأساتذة الجامعات والأئمة والخطباء، وكل هذا محض افتراء، لأن مَن عُزل مِن القضاة هم الذين تركوا منصة القضاء، واستبدلوا بها منصات الجماعة وسياساتها الخاصة

التي لا تعبر عن مصالح الشعب، وهم الذين هدموا مبادئ استقلال القضاء، وخرجوا على تقاليده، وأصدروا البيانات السياسية التي تخل بأمن الوطن واستقراره.

- ولم يحدث نهائيا أن فصل أحد من أساتذة الجامعات أو المدرسين أو الأئمة أو الخطباء، اللَّهُمَّ إلا مَن استغل منهم محراب العلم ومنابر الدعوة للترويج لأفكار ضالة تُشكِّل خطرًا محدقًا بالمجتمع، أو ترك عمله وانضم إلى أعداء الوطن، وما حدث هو تطبيق للقانون وحماية للشباب وللوطن من هذا الفكر المنحرف، والذي لا يختلف العقلاء على وجوب مقاومته بكافة السبل والوسائل القانونية، ومَن فُصل مِن هؤلاء فإنما فُصل من أجل غيابه أو الامتناع عن أداء واجبه الوظيفي.

- ومن هنا يبدو واضحًا أن دعوة أصحاب هذه البيانات لمقاومة المسؤولين والجيش والشرطة دعوة ساقطة لا أساس لها من دين أو شرع أو حكم فقهي صحيح، بل يؤكد الأزهر على أن الحكم الشرعي الصحيح هو أنه يجب على جميع أفراد الشعب المصري الوقوف صفًا واحدًا خلف هؤلاء الحكام ومساندتهم ومعاونتهم في القيام بواجبهم تجاه حماية الدين، والوطن والمواطنين من كيد الكائدين وتأويلات المنحرفين والجاهلين.

- خامسًا: كما أن هذا البيان الكاذب، وما تلاه من بيانات مضللة، ينسب لحكام مصر معاداة المقاومة الفلسطينية وتدمير سيناء، والحقيقة أن قائل هذا الكلام لا يقيم وزنًا لا للحقيقة ولا للواقع، فالكل يعلم أن قادة مصر هم الذين قادوا المصالحات والمفاوضات من أجل وحدة فلسطين سنين عديدة، ولا تزال مصر حتى هذه اللحظة هي التي تعمل من أجل وحدة الشعب الفلسطيني، وهل نسى هؤلاء أن قادة فصائل المقاومة كانوا ضيوفًا دائمين على القاهرة للتباحث حول إيجاد مخرج لهم من هذا الوضع الحرج، ثم قولوا لنا: ماذا فعل نظامكم المعزول طوال عام كامل لفلسطين، وهل أطلق صيحة واحدة جادة لصالح

القضية الفلسطينية؟ أن الذي يجمع عليه المراقبون المختصون هو أن القضية الفلسطينية دخلت في غيبوبة من الشعارات الجوفاء في ظل هذا النظام الذي تسكبون دموع التماسيح على زواله.

سادسًا: الغريب أن مصدري هذا البيان لا يزالون يتوهمون أن الرئيس المعزول هو الرئيس الشرعي، ولسنا ندري كيف تجاهل هؤلاء الذين يصفون أنفسهم بالعلم والعقل، إرادة عشرات الملايين التي خرجت في ٣٠ يونيو وليس لها من مطلب غير تغيير نظام الحكم ورحيل الحاكم، فكيف يتصور عاقل تجاهل إرادة الملايين وقهرهم على استبقاء حكم مرفوض من جماهير الشعب الثائر، سقطت شرعيته وتزعزعت أركانه واستنفد كل أغراضه؟!.

- سابعًا: أضافوا إلى أكاذيبهم أن موقف شيخ الأزهر في إزالة النظام الفاشل يعد جريمة شرعية، والواقع أن موقف شيخ الأزهر إنما جاء استجابة لإرادة شعبية هادرة من ملايين المصريين الذين ملأوا الميادين في القاهرة والمحافظات والقرى، وكلها تطالب برحيل هذا النظام وإزاحة كابوسه عن صدر المصريين، ولولا موقف شيخ الأزهر ومواقف الرموز الوطنية الأخرى، في دعم الإرادة الشعبية آنذاك لتردت البلاد في دوامة من العنف المدمر، وانزلقت إلى هاوية الحرب الأهلية.. والقاعدة الشرعية التي انطلق منها موقف الأزهر - ومعه الرموز الوطنية - هو: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، فكان موقف الإمام الأكبر معبرًا عن موقف الأزهر الذي لم يتخلف على مدى تاريخه الطويل عن الوقوف إلى جوار جماهير الشعب حين تظلم وتتطلع إلى الحرية والمساواة، وهل يتوقع هؤلاء أن يقف الأزهر موقف المتفرج من شعب يستغيث ويطلب الأمن والاستقرار!!.

- ثامنًا: وأما دعواهم بأن مفتي الجمهورية يتحمل المسؤولية الشرعية والجنائية عن الأرواح البريئة فإن هذه الدعوى باطلة لأن ما يقوم به مفتي مصر من نظر القضايا الجنائية التي تحال إليه هو من صميم عمله واختصاصه الطبيعي

والقانوني، وواجبه الشرعي، وهو يصدر قراره بناءً على اجتهاداته الشرعية وما يراه صوابًا وموافقًا للشرع الحكيم، ووفق ما يُعرض عليه من ملفات وأحراز، ثم أن رأي المفتي في قضايا الإعدام هو رأي استشاري غير ملزم.

- تاسعًا: نُسِبَ هذا البيان إلى عدد من الأفراد والكيانات والهيئات العلمية. والحقيقة أن من هذه الكيانات كيانات وهمية لا وجود لها إلا في خيال هؤلاء الموتورين الذين تغلي قلوبهم وأكبادهم من كراهية لمصر وأهلها، والذين يسعون بشتى الطرق إلى بث الفتنة وإشاعة الفرقة بين أبناء مصر، وقد تبين أن بعض الأسماء التي وردت في هذا البيان - بعد فحصها- أسماء مزورة، منهم أ.د/ مصطفى غلوش – الأستاذ بكلية أصول الدين والذي توفى –رحمه الله– قبل صدور هذه البيانات بتسعة أشهر .. مما يدل على التزوير والحشد العشوائي لهذه الأسماء.

- أما الأشخاص المنسوبون إلى جامعة الأزهر ممن وقعوا على هذه البيانات وعددهم ثمانية أشخاص .. فقد تم فصلهم من الجامعة قبل صدور البيانات المزعومة، وهم الآن خارج مصر وهاربون من العدالة، ونسبتهم إلى جامعة الأزهر في هذا البيان بعد أن تم فصلهم هو تزوير وتدليس وخيانة للأمانة.

- عاشرًا: وأما دعواهم بأن القضاة والضباط والجنود والمفتين والإعلاميين والسياسيين وكل من يثبت اشتراكه ولو بالتحريض في انتهاك الأعراض وسفك الدماء البريئة حكمهم في الشرع أنهم قتلة... إلخ.

- فإن هذه الدعوى لا يمكن أن تصدر عن عالم أو فقيه يخاف الله ويتقيه، ويحترم أمانة الكلمة، بل إننا لنؤكد أن القائلين بهذه الفتوى غير مؤهلين -شرعًا- لإصدار مثل هذه الأحكام البالغة الخطر والمتعلقة بسفك الدماء التي عصمها الله ورسوله .. وعلى الجميع أن يعلم أن الجهة الوحيدة المخول لها إصدار هذه الأحكام هم أولوا الأمر وحدهم دون من سواهم، أن هذه الدعوى الإجرامية تصدم صريح الشرع وتفتح الباب على مصراعيه للأغرار والمخدوعين أمام

ارتكاب جرائم القتل والتفجير في حق هذه الفئات التي أباحوا دماءها المعصومة، وعلى مصدري هذه البيانات الإجرامية أن يعلموا أنهم محاسبون أمام الله تعالى عن كل قطرة دم تسيل بسبب هذه الفتاوى التحريضية الخارجة على الشرع والعرف والقانون. ونذكر هؤلاء المتساهلين في فتاوى القتل والدماء بقول رسول الله ﷺ: **«من أعان على قتل مسلم ولو بشق كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً على عينيه آيس من رحمة الله»**.

- ونقول لهؤلاء: من الذي يقتل الجنود؟ ومن الذي يسفك دماء الأبرياء من الضباط والقضاة وغيرهم؟ ومن الذي يوجه سلاحه كل يوم إلى صدور أبناء مصر الأبرياء؟ والجواب الذي ينطق به كل منصف هو أن هذه الجرائم جميعها يقترفها الشباب المغرر به من جماعات الغدر والإرهاب والخيانة وإن وعيد الله الذي لا يتخلف لينتظرهم في جهنم وسقر وبئسَ المصير.

- وبناءً على ما سبق يحذر «بيان المحروسة» المصريين شبابًا وشيوخًا رجالاً ونساءً من كيد هذه الجماعات الإرهابية الباغية، ومن تدبير أعضائها الذين ينعمون بالعيش في فنادق فاخرة، بينما يدفعون البسطاء والفقراء والمغرر بهم من الشباب المصري إلى التهلكة والانتحار والقتل، وعلى أتباع هذه الجماعات الباغية أن يثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا إلى الحق والصواب، وألا ينخدعوا بما يبثه هؤلاء الخوارج من فتاوى هدَّامة يغلفونها بنصوص شرعية يوردونها في غير محلها، وعلى أتباعهم أن يكونوا على يقين من أن شيوخهم الذين يبيحون لهم القتل والتفجير والتكفير إنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويلبِّسون على الناس بالباطل والكذب وسوف يلقون جزاءهم يوم لا ينفع مال -ولا جماعة ولا طاعة عمياء لغير الله ورسوله. وأنهم لن يغنوا عنهم من الله شيئًا يوم العرض عليه ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٦]».

- هذا عن الأحداث الإرهابية التى جرت فى مصر ، فماذا عما جرى من أحداث فى المملكة السعودية ؟ وماهو موقف العلماء منها ؟ وماهو موقف

الجماعات الإسلامية منها كذلك ؟ وهل استفادت هذه الجماعات من التجارب التى أعلنت هى خطأها واعترفت بانحراف أصحابها ؟ أم أنها لم تستفد ؟ ولازالت تحتاج لمراجعة مواقفها ؟

- .ونضرب لذلك مثلا بتفجيرات الرياض التى وقعت عام ٢٠٠٣م وننقل من كتب جماعات العنف التى تراجع بعض قياداتها فعلا وبحق عن عمليات العنف أمثال الدكتور ناجح إبراهيم ومهندس كرم زهدى وغيرهما بعدما استناروا بنور العلم ، واقتبسوا من هدايات الرسول ، وأشرقت بالرحمة جنبات حياتهم ، فكان منهم التخلى ثم التحلى ثم التجلى .

بينما تراجع آخرون ظاهرا ثم مارسوا العنف قولا وعملا ، أو تحالفوا مع من مارسه وساندوه بكافة أوجه المساندة ورفضوا الخروج من تحالفاته الداعمة للإرهاب والعنف بل ولايزالون يدعون لقيام تحالفات جديدة بهدف إثارة الفوضى ، تارة يسمونها حلف الفضول ، وأخرى بالعقاب الثورى ، وثالثة باسم ....و ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَا ﴾، ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾.

المبحث الثالث

أحداث الرياض ٢٠٠٣م

إرهاصات عمليات التفجير بالرياض :

- اللافت للنظر أن هذه الأحداث سبقتها عدة عمليات تنذر بحدوثها ، منها ذلك الانفجار الذى وقع داخل أحد المساكن بالرياض فى مارس ٢٠٠٣ م وأسفر عن مقتل شخص واحد ، وضبط كمية ليست بالقليلة من المتفجرات . مما حمل السلطات الأمريكية على تحذير رعاياها بالمملكة من إمكانية حدوث عمليات إرهابية وذلك بتاريخ مايو ٢٠٠٣ م .

- فى يوم ٦ مايو لعام ٢٠٠٣ داخل أحد أحياء الرياض وقع اشتباك مسلح ، وتم ضبط كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر ، وأصدرت المملكة السعودية قائمة بأسماء ١٩ من المطلوبين أمنيا بينهم ١٧ سعودى وواحد كويتى وآخر يمنى .

- فى ليلة الثلاثاء ١٢ من مايو لعام ٢٠٠٣ وقعت تفجيرات الرياض على النحو الآتى :

- أ – الانفجار الأول وقع بالمجمع السكنى لشركة أمريكية تقوم بتدريب أفراد من الحرس الوطنى بالمملكة .

- ب – الانفجار الثانى حدث بمجمع سكنى يقطنه أمريكيون وجنسيات أخرى .

- ج – أما الانفجار الثالث فقد أصاب شركة للحرس الوطنى تعمل على توظيف خبراء أجانب بحى النهضة بالرياض .

- د – الانفجار الرابع استهدف تجمعا سكنيا فى حى غرناطة . واستخدم فى العمليات ٧ سيارات مفخخة .

- أما عن عدد الضحايا فقد أعلنت المملكة أن القتلى بلغ عددهم تسعة وعشرين قتيلا ، . بينما أعلنت أمريكا أن عدد القتلى بلغ واحدا وتسعين قتيلا ، ثم عدلت الرقم بعدها إلى واحد وخمسين قتيلا .

- وقد اتفقت رواية الأمريكى جيد بلاك مع الرواية السعودية فى عدد القتلى الذى تم تصنيفه على الوجه التالى : القتلى ٢٩ قتيلا بينهم ٨ أمريكيون . ، والمصابون ١٩٤ بينهم ١٦ أمريكيا .

- ثم إن المملكة بعد ذلك عدلت فى الإحصاءات ، فالقتلى ٣٤ بينهم ٧ أمريكان .

- ارتفع لاحقا إلى ٩ أمريكان .ومن بين القتلى ٣ بريطانيون ومن السعوديين ٧ أفراد إضافة إلى ٩ من المنفذين للعمليات . ، ومن الأردن ٦ قتلى بينهم طفلان شقيقان ، وأب وإبنته . ومن لبنان قتل شخصان . وبالنظر فى هذه الإحصائيات تجد أن أكثر القتلى من المسلمين والعرب ، والقليل من الأمريكان والبريطانيين والأيرلنديين وغيرهم .، هذه هى خريطة العمليات نقلا عن كتاب «تفجيرات القاعدة الأخطاء والأخطار» للدكتور عصام دربالة ، وكذلك كتاب تفجيرات الرياض الأحكام والآثار للدكتور ناجح إبراهيم ، وكلا الكتابين عليه أسماء ٨ من قيادات الجماعة الإسلامية بمصر .

- بقى أن نذكر أنه فى يوم الخميس ٢٢ من مايو لعام ٢٠٠٣ أى بعد عشرة أيام من العملية أصدر الدكتور أيمن الظواهرى بيانا قال فيه (......احزموا أمركم واضربوا سفارات أمريكا وانجلترا واستراليا والنرويج ومصالحهم وشركاتهم ومواطنيهم ...أشعلوا الأرض نارا تحت أقدامهم فليس لهم ذمة ولاعهد ولا أمان) وفى كل الأحوال لم يكن أحد بحاجة لإصدار هذا البيان لأن أصابع الاتهام أشارت إلى

القاعدة منذ اللحظة الأولى ، وليس أحد فى حاجة إلى اعترافها .

*** حصاد الهشيم : -**

- لكن ماذا ترتب على هذه العمليات الغير محسوبة والغير مشروعة ؟ ماهى الآثار التى نتجت عنها ؟ وماهى الأخطار التى جلبتها على دول المنطقة العربية والإسلامية ؟ وماهى الثمار التى عادت على الأمة بسببها ؟

- يذكر دكتور ناجح إبراهيم مايقرب من عشرة أمور ترتبت على هذه العمليات كلها تصب ضد مصلحة المملكة والدول الإسلامية ، بل وضد الإسلام نفسه وهذه الآثار هى :

١- توجهت سهام اللوم إلى المملكة ، وخاصة إلى الأجهزة الأمنية واتهموها بالعجز والفشل ، بل ووصل وفد من المحققين الأمريكان لمباشرة التحقيق بنفسه على أرض المملكة ،

بل اتهمت بعض الأقلام الأمريكية أجهزة الأمن السعودية بأنها تضم عناصرًا يدينون بالأفكار الإرهابية .

٢- طالب الأمريكان بإلغاء هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر رغم أنها هيئة تابعة للدولة ، ولها دورها فى حماية المجتمع السعودى من الانحراف أى طالبوا المملكة بإلغاء مؤسسة من مؤسسات الدولة .

٣- ازدادت الضغوط الأمريكية على المملكة للتطبيع مع إسرائيل لفتح سوق الخليج أمام المنتجات الإسرائيلية ، وفرض الهيمنة الاقتصادية على المنطقة ، والسعى لتحقيق نظرية الشرق الأوسط الجديد الذى تقوده اسرائيل ، حيث قال رئيس وزرائها يوما « لقد جربتم قيادة مصر للمنطقة خمسين سنة ، فماذا جنت المنطقة إلا الحروب والدمار، فلماذا لاتجربون قيادة إسرائيل خمسين سنة هى الأخرى » ؟ . وذلك سعيا لتطبيق منظومته (رأس المال الخليجى + تكنولوجيا إسرائيل + القوة البشرية المصرية = نهوض جديد للمنطقة .

٤ - تمكنت أمريكا من تخفيف الدعم السعودى للحركات والانتفاضات الفلسطينية بحجة أن هذه المساعدات تصب فى حساب الإرهاب ، وقصرت المملكة مساعدتها فقط على السلطة الفلسطينية وفى مجالات معينة ومعلومة لها .

٥- طالبت أمريكا المملكة ودول المنطقة بتغيير الخطاب الدينى بحجة أن ماحدث من تفجيرات كان نتيجة خطاب دينى غير رشيد ، وسعت لتغيير بعض المناهج مما شجع العلمانيين لشن حملة مسعورة على ثوابت الأمة والسعى لتحريفها بحجة تجديد الخطاب الدينى ، بل وعقب أحداث سبتمبر ظهرت وثيقة كولن باول لتجديد الخطاب الدينى ، والتى تدخلت حتى فى شكل خطبة الجمعة ، وظهرت أمينة ودود تصلى بالرجال إماما ، ووقف الشباب والفتيات يصلون فى صف واحد للصلاة جنبا إلى جنب[١] ، وكذلك ظهر مايعرف بالفرقان الأمريكى الذى وزع فى كثير من الدول . واستمر ذلك أيضا وازداد عقب تفجيرات الرياض ٢٠٠٣م .

٦- نتيجة الحملة الشرسة على الدعاة والخطباء بالمملكة من قبل أمريكا وحلفائها اضطرت المملكة لإنهاء تراخيص الخطابة والدعوة لأكثر من ١٧٠٠ خطيب وداعية ، حيث قيل أنهم يعادون أمريكا ويحرضون عليها ، وأنهم يلقون خطابا متشددا تجاه الغرب .

٧ - سعت أمريكا لتحجيم دور المؤسسات الخيرية الخليجية بزعم وصول تبرعاتها ليد الإرهابيين ، مما كان له أكبر الأثر على الفقراء والمعوزين فى العالم الإسلامى كله ، وأكثر من تضرر من ذلك الفلسطينيون وإفريقيا والدول الفقيرة ، بل تأثرت بهذه الحملة آلاف المساجد التى كانت تبنى وتفتح أبوابها أمام المسلمين فى أرجاء العالم .

٨- عمدت أمريكا والغرب للضغط على المملكة بدعوى انتهاك حقوق الإنسان ، وطالبت جمعيات حقوق الإنسان بعد هذه التفجيرات المملكة بإلغاء

---

(١) صلاة المرأة بجوار الرجل أو أمامه في جماعة لا تفسد عند جمهور المالكية والشافعية والحنابلة ولكنها مكروهة فقط - بينما يرى أبو حنيفة فساد صلاة من بجانبها أو يحاذيها من ورائها.

الحدود والعقوبات الإسلامية بدعوى أنها لاتتناسب مع روح العصر وحقوق الإنسان هذه الأيام ، لكن بحمد الله المملكة لم تخضع أو تستجب لهم . بل إن أمريكا أصبحت أكثر تبجحا ومطالبة للدول الإسلامية بفصل الدين تماما عن الدولة فى ذات الوقت الذى تعلن فيه إسرائيل أنها دولة يهودية بل وتسمت باسم نبى من الأنبياء .

٩- لما كان المنفذون لهذه التفجيرات معظمهم سعوديون وكذلك أنشأ أسامة بن لادن وهو سعودى تنظيم القاعدة والجبهة العالمية لمحاربة اليهود والنصارى، فإن أمريكا وكتابها زعموا أن هؤلاء الأشخاص خرجوا بسبب مناهج التعليم السعودية التى تحوى بين طياتها بذور العنف والإرهاب ، ولذلك طالبوا بتغيير المناهج الدراسية واستبدال مادة الدين فى البلاد العربية والإسلامية بمادة الأخلاق ، حيث يعتقدون أن تغير الإنسان العربى إنما يكمن فى تغيير عقله وثقافته ، وأولى المراحل فى ذلك تغيير التعليم .

- كانت هذه بعض نقاط نقلناها وبسطناها من كتاب تفجيرات الرياض الأحكام والآثار للدكتور ناجح إبراهيم مع تعديل بسيط فى الصياغة ، وبعض الزيادات .

- أما الدكتور عصام دربالة ﷺ فيضيف عدة نقاط أخرى يذكر من ذلك :

- يكفى أن يرصد المرء قيام ثلاثة حروب فى تلك المنطقة خلال الفترة من ١٩٨٠ إلى ٢٠٠٣م وقت حدوث التفجيرات بالرياض بدءا من الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨م ثم حرب تحرير الكويت من ١٩٩٠ - إلى مارس ١٩٩١م ثم حرب العراق الثانية واحتلا له تماما عام ٢٠٠٣م من قبل أمريكا وبريطانيا . ، وقبل تفجيرات الرياض بعامين تقريبا حدث تفجير برجى التجارة العالمى بأمريكا ، وقد شارك فى تنفيذه الكثير من السعوديين والعرب ، وبعدها مباشرة اتجهت الأنظار إلى أفغانستان ثم العراق ، وتوجهت أصابع التهديد إلى سوريا ، وهكذا وجدت إسرائيل نفسها وقد حققت العديد من الانجازات التى لم تكن تتوقعها بهذه السرعة ومن ذلك : -

١- خروج العراق من مسألة التوازن العسكرى بالمنطقة بعد القضاء على جيشه والاستيلاء على سلاحه .

٢- الضغط على سوريا لتقديم تنازلات قوية دون أى ضمانات أو مقابل من إسرائيل . (بل سلمت سلاحها الكيماوي للغرب وقد أنفقت عليه المليارات).

٣- انشغال دول أخرى مثل السودان وليبيا وكذلك إيران بدفع وتلاشى الخطر الأمريكى الذى يهددها والتخلص من العقوبات التى تلوح بها أو تمارسها بالفعل .

٤- إحكام الحصار على حركات المقاومة ضد المحتل خاصة فى فلسطين .

٥- التخلص من ياسر عرفات كقائد فاعل للسلطة الفلسطينية بعزله وحصاره ثم قتله بعد ذلك والإتيان بقيادة بديلة ليست على نفس مستوى عرفات .

وتوجهت أمريكا بعدة مطالب إلى سوريا لتنفيذها على وجه السرعة والحسم ، تضمنت مايلى :

أ- عدم توفير .مأوى وملاذ لأى قيادة عراقية هاربة من قبضة الاحتلال .

ب- إخراج قيادة المنظمات الفلسطينية من دمشق وإغلاق مكاتبها .

ج- سحب الجيش السورى من لبنان .

د- التخلص من أسلحة الدمار الشامل كما فعلوا مع القذافى . وقد حدث بالفعل.

ر- التوقف عن دعم حزب الله فى جنوب لبنان .

ز- عدم تعطيل وعرقلة مساعى السلام بين إسرائيل والفلسطينيين .

س- إحداث تغييرات سياسية فى نظام الحكم ليصبح أكثر انفتاحا وديمقراطية .

- وقال كولن باول كما نشرت جريدة الحياة اللندنية (سنقول لسوريا بشكل واضح أنها طالما لم تسلك هذا الطريق الأكثر ايجابية التى وضعناها لها فإن علاقاتها مع الولايات المتحدة لن تتحسن كما سيؤدى الأمر فى نهاية المطاف إلى التأ ثير على مصالحها .وتداول الكونجرس الأمريكى بالفعل مشروع قانون محاسبة سوريا ، وظهرت عبارة محور الشر والدول الراعية للإرهاب ، وهكذا كانت الثمار والآثار المرة لتفجيرات الرياض وغيرها نقلنا ها مع البيان والتقريب لها ،- وزيادة يسيرة عليها - من مصادر جماعات مارست العنف واعترفت هى بنفسها بهذه الآثار والأخطار التى نجمت عن سلوك هذا الطريق .

فلسفة التفجير :

لكن لماذا يفعلون كل ذلك بالأمة ؟ لماذا يجرونها إلى الكوارث والأزمات التى ذكرنا بعضها ؟ كيف يفلسفون هذه التفجيرات ؟ وماهى مبرراتهم ودوافعهم لارتكاب هذه الأعمال الفظيعة ؟

للإجابة على هذه الأسئلة نرجع إلى فتوى شهيرة أصدرتها قيادات العنف ، وبنت كل جرائمها تقريبا على أساس هذه الفتوى وهذا نصها :

« الحمد لله منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، والقائل فى محكم كتابه ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله القائل **«بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى »** .. أما بعد

فمنذ أن دحى الله جزيرة العرب وخلق فيها صحراءها وحفاها ببحارها لم تدهها غاشية كهذه الجحافل الصليبية التى انتشرت فيها كالجراد تزحم أرضها وتأكل ثروتها وتبيد خضراءها ، كل ذلك فى وقت تداعت فيه على المسلمين الأمم كما

تداعى الأكلة إلى قصعتها ، ولم تشهد حدثا يماثل هذه الحرب العالمية الشاملة بين الإسلام وبين التحالف الصليبى منذ زمن حين عظم الخطر وقل الناصر مما يلزمنا أن نقف وإياكم على مكنون الأحداث الجارية ، كما يجب أن نتفق جميعا على فصل القضاء فيها .

أمتنا المسلمة لا أحد يجادل اليوم فى حقائق ثلاث تواترت عليها الشواهد ، وأطبق عليها المنصفون ، ونحن نذكرها ليتذكر من تذكر ويهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وهى :

أولا: منذ مايربو على سبع سنين وأمريكا تحتل أراضى الإسلام فى أقدس بقاعها جزيرة العرب فتنهب خيراتها وتملى عى حكامها وتذلها ، وترعب جيرانها، وتجعل من قواعدها فى الجزيرة رأس حربة تقاتل بها شعوب الإسلام المجاورة ، وان كان فى الماضى من جادل فى حقيقة هذا الاحتلال فقد أطبق على الاعتراف به أهل الجزيرة جميعا ولا أدل عليها من تمادى الأمريكان فى العدوان ضد شعب العراق انطلاقا من الجزيرة رغم أن حكامها جميعا يرفضون استخدام أرضهم فى ذلك ولكنهم مغلوبون .

ثانيا : رغم الدمار الكبير الذى حل بالشعب العراقى على يد التحالف الصليبى ورغم العدد الفظيع من القتلى الذى جاوز المليون رغم كل ذلك يحاول الأمريكان مرة أخرى معاودة هذه المجازر المروعة وكأنهم لم يكتفوا بالحصار الطويل بعد الحرب العنيفة ولا بالتمزيق والتدمير فهاهم يأتون اليوم ليبيدوا بقية هذا الشعب وليذلوا جيرانه من المسلمين .

ثالثا : وإذا كانت أهداف الأمريكان من هذه الحروب دينية واقتصادية فإنها كذلك تأتى لخدمة دويلة اليهود ولصرف النظر عن احتلالها لبيت المقدس وقتلها للمسلمين فيه ولا أد ل على ذلك من حرصهم على تدمير العراق ، أقوى الدول العربية المجاورة وسعيهم لتمزيق دول المنطقة جميعا كالعراق والسعودية ومصر والسودان إلى دويلات ورقية تضمن بفرقتها وضعفها بقاء إسرائيل واستمرار الاحتلال الصليبى الغاشم لأرض الجزيرة .

أمتنا المسلمة إن كل تلك الجرائم والبوائق من الأمريكان تعد إعلانا صريحا بالحرب على الله ورسوله والمسلمين ، وقد أجمع العلماء سلفا وخلفا عبر جميع العصور الإسلامية على أن الجهاد فرض عين إذا دهم العدو بلاد المسلمين وممن نقل ذلك الإمام ابن قدامة فى المغنى والإمام الكاسانى فى البدائع والإمام القرطبى فى تفسيره وشيخ الإسلام فى اختياراته حيث قال : « أما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فالعدو الصائل الذى يفسد الدين والدنيا يجب دفعه بل لاشىء أوجب بعد الإيمان من دفعه » ونحن بناء على ذلك وامتثالا لأمر الله نفتى جميع المسلمين بالحكم الآتى .

إن حكم قتل الأمريكان وحلفائهم مدنيين وعسكريين وقتالهم فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك فى كل بلد تيسر فيه ، وذلك حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم ، وحتى تخرج جيوشهم عن كل أراضى الإسلام مفلولة الحد ، كسيرة الجناح ، عاجزة عن تهديد أى مسلم امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ .

أمتنا المسلمة إننا باسم الله ندعوا كل مسلم يؤمن بالله ويرغب فى ثوابه إلى امتثال أمر الله بقتل الأمريكان ونهب أموالهم ، فى أى مكان وجدهم فيه ، وفى كل وقت أمكنه ذلك ، كما ندعوا علماء المسلمين العاملين وقادتهم المخلصين وشبابهم وجنودهم المؤمنين إلى شن الغارة على جنود إبليس أمريكان ومن تحالف معهم من أعوان الشيطان ، وأن يشردوا بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ

﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١-الشيخ أسامة محمد بن لادن .

٢- الدكتور أيمن الظواهرى أمير جماعة الجهاد المصرى .

٣- الشيخ أبو ياسر رفاعى طه ممثلا عن الجماعة الإسلامية مصر .

٤- مولانا مير حمزة سكرتير جمعية علماء باكستان .

٥- الشيخ فضل الرحمن أمير حركة الأنصار بباكستان .

٦ – الشيخ عبد السلام محمد أمير حركة الجهاد ببنجلاديش .

تصويب : ورد فى البيان أن الموقع رقم ٤ هو مولانا مير حمزة سكرتير جمعية علماء باكستان والصواب « جمعية علماء الإسلام » . « راجع فرسان تحت راية النبى للظواهرى » هذه هى الفتوى الجماعية التى أصدرها عدد من قيادات العنف لتبرير عملياتهم ضد الأجانب فى بلاد الإسلام وغيرها أما رفاعى طه القيادى بالجماعة الإسلامية فى مصر فيقول فى مقدمة كتابه « إماطة اللثام » كما نقل ذلك عنه الظواهرى « أن الأمريكان واليهود اليوم هم كفار معتدون صائلون على أرضنا وأعراضنا وجب قتلهم فى أى أرض كانوا وبأى طريقة أمكن ذلك وأن ذلك واجب على كل مسلم قادر عليه ، ولايحتاج إلى إذن أحد فإنه فرض عين ، لايسقط عمن قدر عليه ، وهذا حكم أجمع عليه العلماء سلفا وخلفا » .

ويقول سعيد الغامدى أحد رموز العنف فى وصيته : « وإن من المصائب العظام التى أصيبت بها الأمة هى إحتلال بلاد الحرمين من قبل جيوش اليهودية الصليبية وعلى رأسها أمريكا وإن هذا الاحتلال أكبر خيانة وكارثة فى تاريخ الإسلام ، فلم تغز جزيرة العرب بمثل هذه الجيوش الأمريكية الجرارة التى تمخر

أساطيلها بحار الجزيرة وتظلم طائراتها سماء المنطقة ، وتدب فيالقها فوق ترابها ، ويعيث جنودها الفساد فى البلاد ، ويشربون الخمور ويأكلون الخنزير ، ويمارسون شعائرهم الدينية فى كنائس بنيت على أطهر بلاد الله على أرض ولد عليها محمد صلى الله عليه وسلم وهى مهبط الوحى ، ومنبع الرسالة وفيها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بإخراجهم حيث قال « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » وقال « أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» وقال « لايبقى فى جزيرة العرب دينان » .

وقال الغامدى أيضا: « فيجب على كل مسلم قتال هؤلاء الأنجاس المحتلين من اليهود والصليبيين ، وخاصة الأمريكان الذين قال الله فيهم وفى أمثالهم : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾، وقال : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ ... « راجع فرسان تحت راية النبى للظواهرى » .

هذه هى بعض الفتاوى سقتها بين يدى الأحداث لبيان فلسفتهم لهذه الأعمال وكيف يفكرون فى ارتكابها ويبررون لأنفسهم ولأفرادهم هذه العمليات باسم الله ويعتبرونها جهادا فى سبيل الله ، بل يعدونها فرض عين يجب على كل فرد من المسلمين فعله وقتل وقتال الأمريكان ومن تحالف معهم كما توضح فتاواهم ......ولن نعقب على هذه المسوغات اتى ذكروها فى فتاواهم لأننا سنفرد فصلا خاصا للرد على هذه الشبهات وبيان مواضع الخطأ فيها ، وكشف فساد الاستدلال الذى يستدلون به .

- العجيب أن الجماعة الإسلامية فى مصر إلى الآن لازالت تردد عبارتها القديمة أنها تعمل للإسلام (من خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف تأبى المداهنة أو الخضوع وتستوعب ماسبقها من تجارب) أى والله (وتستوعب ماسبقها من تجارب) ، بل وطبعت هذه الفقرة ضمن بنود ميثاقها للعمل الإسلامى بعد مراجعتها لأفكارها وخروجها من السجون ..

- فهل فعلا استوعبت الجماعة الإسلامية ماسبقها من تجارب ؟ هل

استوعبت تجربتها التى خاضتها ؟ هل استيعابها للتجارب يتمثل فى حمل أبنائها للسلاح داخل اعتصام رابعة كما ذكر صفوت حجازى فى محادثته الهاتفية لحازم أبو إسماعيل ؟ أم يتمثل استيعابها للتجارب فى اللجان الشعبية المسلحة التى جابت شوارع أسيوط بالدراجات والسلاح الآلى ؟ أم فى تهديد طارق الزمر للمصريين انه سيسحقون سحقا يوم ٣٠/٦/ قبل عزل مرسى ؟ أم فى قول حجاجهم (إنى أرى رؤسًا قد أينعت وحان قطافها؟ أم فى تصريح مفتى الإرهابية قائلا : (إن لدينا مائة ألف استشهادى بأحزمة ناسفة مستعدون للموت وحماية الشرعية)؟ أم فى قول مهندس الإرهابية (نحن لدينا عشرات الآلاف جاهزون فى أماكنهم ينتظرون ساعة الصفر) كما نقل ذلك وحيد بالى فى اعتصامهم أمام مدينة الإنتاج الإعلامى ؟

- ولايفوتنى هنا أن أنقل فتاوى الفقهاء فى هذه التفجيرات ، وكذلك بيانات الجماعات الإسلامية الصادرة وقتها ليشهدوا هم على أنفسهم هل استفادوا واستوعبوا التجارب حقا أم لا؟ لنقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، ونسلط الأضواء على جهالات الأدعياء ، ولتسطع شمس الحقيقة تكشف كل خبيثة ، والله متم نوره ولو كره الكارهون .

أولا : بيان الجماعة الإسلامية المصرية

حول تفجيرات الرياض والدار البيضاء

- والذى نشرته جريدة الحياة اللندنية بتاريخ الاثنين٢٦ / ٥ / ٢٠٠٣م

« نداء للشباب المسلم على هامش تفجيرات الرياض والدار البيضاء »

تهيب الجماعة الإسلامية بكل الشباب المسلم فى أقطار العالم الإسلامى وغير الإسلامى أن ينأى بنفسه عن أى مشاركة فى العمليات العشوائية التى تقوم بها القاعدة كتفجيرات الرياض والدار البيضاء الأخيرة لأنها تنطوى على أخطاء شرعية واضحة مثل قتل معصومى الدم من المسلمين بلاسبب شرعى صحيح ، وقتل من لايجيز الشارع قتله ابتداء من النساء والصبيان والشيوخ ، إضافة إلى قتل من له نوع أمان – معتد به شرعا أو هكذا يظن المؤمن على الأقل – من أهل الديانات الأخرى بما يشتمل عليه ذلك من غدر نهى عنه رسول الله ﷺ ، فضلا عن الأخطاء هناك الأخطار الفادحة التى ستجلبها عمليات كهذه بوضعها الأمة كلها فى حالة عداء مع العالم بأسره مما لاتخفى عواقبه على العقلاء ، وذلك لأنه ليس من حق طائفة ما أن تفرض على العالم الإسلامى كله بصالحيه وغير صالحيه أن يخوض غمار مجابهة ليست فى صالحه بحال ، نعم نحن ندرك أن هذه العمليات ليست أكثر من انعكاس لحالة الإحباط والغضب التى يعيشها العالم الإسلامى على وقع مايحدث فى فلسطين وغير فلسطين من مظالم يسكت العالم كله عنها ، بل يبارك بعض القوى الدولية فاعليها ، وقد تمارسه نفسها ضد أمتنا ، إلا أن هذا لايصلح مبررا لمثل هذه العمليات ، لأن الشرع علمنا أن اختطاط السياسة الخارجية لأمة – خصوصا فى مسائل الحرب والسلم والعهد والأمان- ليس من عمل الأفراد ولا الجماعات غير الممكنة ، لذا لم يقاتل النبى ﷺ وهو بمكة فارس والروم ولاغيرهما ليس فقط لعدم القدرة ولكن أيضا لما يترتب على ذلك من مفاسد على دعوته والفئة المؤمنة المستضعفة معه ، فالخطة المثلى لعلاج المأزق الذى يواجه الأمة اليوم لايكون بما تفعله القاعدة من عمليات كر وفر ستؤدى إلى

ضغوط لانهائية على الأمة الإسلامية لإجبارها على تقديم مزيد من التنازلات فى هويتها وبقايا شرعيتها، وإنما الخطة المثلى تتمثل فى تقارب الأمة وتوحدها – حكاما ومحكومين – للحفاظ على البقية الباقية من شرائع الإسلام والإبقاء على هوية الأمة مع اتخاذ موقف موحد من الأمم الأخرى عبر حوار صريح يوضح أننا لانستهدفهم بشر أو أذى ، وينبغى ألا يستهدفنا الآخرون كذلك بشر أو أذى ».

ثانيا : بيان هيئة كبار العلماء بالمملكة

حول تفجيرات الرياض نشرته مجلة الحياة اللندنية بتاريخ ١٥ / ٥ / ٢٠٠٣م

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لانبى بعده ، محمد وآله وصحبه.

أما بعد : عرض مجلس هيئة كبار العلماء فى جلسته الاستثنائية المنعقدة فى مدينة الرياض اليوم الأربعاء حوادث التفجيرات التى وقعت فى مدينة الرياض، وماحصل بسبب ذلك من قتل وتدمير وترويع وإصابات لكثير من الناس من المسلمين وغيرهم .

ومن المعلوم أن شريعة الإسلام جاءت بحفظ الضرورات الخمس ، وحرمت الاعتداء عليها وهى : الدين والنفس والمال والعرض والعقل، ولايختلف العلماء فى تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة ، والنفس المعصومة فى دين الإسلام إما أن تكون مسلمة فلا يجوز بحال الاعتداء على النفس المسلمة وقتلها بغير حق، ومن فعل ذلك فقد ارتكب كبيرة من الذنوب العظام يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣] ويقول سبحانه وتعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

قال مجاهد رحمه الله فى الإثم وهذا يدل على عظم قتل النفس بغير حق .

ويقول النبى ﷺ : « لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والمارق من الدين التارك للجماعة » متفق عليه وهذا لفظ البخارى .

ويقول النبى ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا إلا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله تعالى** » متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وفى سنن النسائى قال : « لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم .

ونظر ابن عمر رضي الله عنهما يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال :

« ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك »

كل هذه إلا د لة وغيرها كثير تدل على عظم حرمة دم المسلم وتحريم قتله لأى سبب من الأسباب إلا مادلت عليه النصوص الشرعية ، فلا يحل لأحد أن يعتدى على مسلم بغير حق .

يقول أسامة بن زيد رضي الله عنهما : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم ، فلما غشيناه قال لا إله إلا الله فكف الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبى ﷺ فقال: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت كان متعوذا ، فمازال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » متفق عليه ، وهذا لفظ البخارى ، وهذا يدل أعظم دلالة على حرمة الدماء فهذا رجل مشرك ، وهم مجاهدون فى ساحة القتال لما ظفروا به وتمكنوا منه نطق بالتوحيد فتأول أسامة رضي الله عنه قتله على أنه ماقالها إلا ليكفوا عن قتله ، ولم يقبل النبى ﷺ عذره وتأ ويله وهذا من أعظم مايدل على حرمة دماء المسلمين ، وعظيم وجرم من يتعرض لها .

وكما أن دماء المسلمين محرمة فإن أموالهم محرمة محترمة لقول رسول الله

ﷺ : « **أن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا** » أخرجه مسلم .

وهذا الكلام قاله النبى ﷺ فى خطبة يوم عرفة وأ خرج البخارى ومسلم نحوه فى خطبة يوم النحر .

ومما سبق يتبين تحريم قتل النفس المعصومة بغير حق ، ومن الأنفس المعصومة فى الإسلام أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين ، فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما** » أخرجه البخارى .

ومن أدخله ولى الأمر المسلم بعقد أمان وعهد فإن نفسه وماله معصوم لايجوز التعرض له ، ومن قتله فإنه كما قال النبى ﷺ : « **لم يرح رائحة الجنة** » وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين ، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم واحدة يقول النبى ﷺ : « **المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم** » ولما أجارت أم هانىء رضي الله عنها رجلا مشركا عام الفتح وأ راد على بن أبى طالب أن يقتله ذهبت للنبى ﷺ فأخبرته فقال صلى الله عيه وسلم : « **قد أجرنا من أجرت ياأم هانىء** » أخرجه الخارى ومسلم .

والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو عهد من ولى الأمر لمصلحة رآها فلا يجوز التعرض له ، ولا الاعتداء لاعلى نفسه ولاماله .

إذا تبين هذا فإن ماوقع فى مدينة الرياض من حوادث التفجير أمر محرم ، لايقره دين الإسلام ، وتحريمه جاء من وجوه :

١- أ ن هذا العمل اعتداء على حرمة بلاد المسلمين وترويع للآمنين فيها .

٢- أ ن فيه قتلا للأنفس المعصومة فى شريعة الإسلام .

٣- أ ن هذا من الإفساد فى الأرض .

٤- أ ن فيه إتلافا للأموال المعصومة .

وأن مجلس هيئة كبار العلماء اذ يبين حكم هذا إلا مـر يحـذر المسـلمين مـن الوقوع فى المحرمات المهلكات ، ويحذرهم من مكائـد الشـيطان ، فانـه لايـزال بالعبد حتى يوقعه فى المهالك إما بـالغلو فى الـدين وإمـا بالجفـاء عنـه ومحاربتـه والعياذ بالله ، والشيطان لايبالى بـأ يهمـا ظفـر مـن العبـد ، لأن كـلا طـرفى الغلـو والجفاء من سبل الشيطان التى توقع صاحبها فى غضب الرحمن وعذابه .

وما قام به من نفذوا هذه العمليات من قتـل أنفسـهم بتفجيرهـا فهـو داخـل فى عموم قول النبى ﷺ : « **ومن قتل نفسه بشىء فى الـدنيا عـذب بـه يـوم القيامـة** » أخرجه أحمد فى مسنده من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ : « **من قتل نفسـه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلـدا فيهـا أبـدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيهـا أبـدا** » وهو فى البخارى بنحوه .

ثم ليعلم الجميع أن الأمة الإسلامية اليوم تعانى من تسلط الأعـداء عليهـا مـن كل جانب ، وهم يفرحون بالذرائع التـى تبـرر لهـم التسـلط عـلى أهـل الإسـلام وإذلالهم واستغلال خيراتهم ، فمن أعـانهم فى مقصـدهم وفـتح عـلى المسـلمين وبلاد المسلمين ثغرا فقد أعان على انتقاص الإسلام والتسلط على بلادهم ، وهذا من أعظم الجرم ..

يجب العناية بالعلم الشرعى المؤصل من الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة فى المدارس والجامعات وفى المساجد ووسائل الإعلام ، وتجب العناية بالأ مـر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتواصى على الحق فـإن الحاجـة بـل الضـرورة داعية إليه الآن أكثر من أى وقت مضى ، وعلى شـباب المسـلمين إحسـان الظـن بعلمائهم والتلقى عنهم ، وليعلموا أن مما يسعى إليـه أعـداء الـدين الوقيعـة بـين شباب الأمة وعلمائها ، وبينهم وبين حكـامهم حتـى تضـعف شـوكتهم وتسـهل السيطرة عليهم فالواجب التنبه لهذا .

وقى الله الجميع كيد الأعداء ، وعلى المسلمين تقوى الله فى السر والعلن ، والتوبة الصادقة الناصحة من جميع الذنوب فإنه مانزل بلاء إلا بذنب ولارفع إلا بتوبة .

نسال الله أن يصلح حال المسلمين ، ويجنب بلاد المسلمين كل سوء ومكروه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

رئيس المجلس : عبد العزيز ابن عبد الله ابن محمد آل الشيخ .

الأعضاء : صالح بن محمد اللحيدان ، عبد الله بن سليمان المنيع ، عبد الله بن عبد الرحمن الغديمان ، الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ، حسن بن جعفر العتمى، محمد بن عبد الله السبيل ، الدكتور عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، محمد بن سليمان البدر ، الدكتور عبد المحسن بن عبد الله التركى ، محمد بن زيد آل سليمان ، الدكتور بكر بن عبد الله أبوزيد ،«لم يحضر لمرضه » ،

الدكتور عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان «لم يحضر » ، الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد ، الدكتور أحمد بن على سير المباركى ، الدكتور عبد الله بن على الركبان ، الدكتور عبد الله بن محمد المطلق .....

ثالثا : البيان الصادر عن العشرات من العلماء بالمملكة العربية السعودية

حول تفجيرات الرياض وقد نشرته جريدة الحياة اللندنية بتاريخ ٢٠ مايو ٢٠٠٣م .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد ...

فإن دين الإسلام معتبر بأصلين شريفين الهدى ودين الحق، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [الصف:٩] .

والأول مقام العلم والبيان ، والثانى مقام العمل والإيمان ، وهما أصلان متلازمان ، ولأمر الله للمؤمنين بالتواصى بالبر والتقوى ، وبالحق وبالصبر ، ونصيحة لله ورسوله وخاصة المسلمين وعامتهم قصدنا على تقرير بعض الأمور تعليقا على حادثة الرياض .

أولا : إننا ندين حادث التفجير الذى وقع بالرياض ، ونؤكد تحريمه وأنه مخالف للشريعة ومصلحتها ، وأى معالجة للحدث يجب أن تكون منطلقة من ادانة صريحة وواضحة لالبس فيها لهذا العمل الشائن المحرم .

وهذه البلاد هى مأزر للمسلمين ، وقد تقرر عند الفقهاء أن من دخل بلدا من بلاد المسلمين على قدر من الأمان أو العهد حرم دمه ولو كان عهد الأمان فيه مخالفة لبعض مسائل الشريعة .

إن الشريعة جاءت بالبيان والهداية ، وهى واضحة التقرير بينة الدلائل ، ومن شعارها الجهاد ، ومن أنكره فقد رد صريح الشريعة ، إلا أن الجهاد باب واسع فى الفقه وله أحكام وشروط لابد من اجتهاد علماء المسلمين ، اذ أن باب الدماء كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية من أجل الأبواب وأعظمها حرمة عند الله ورسوله ، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الواردة فى هذا الباب ومافيها من الوعيد الشديد على المعتدين أمر معروف كما فى قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣] وقوله : ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[المائدة:٣٢] وقوله ﷺ : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة » (البخارى: ٣١٦٦).

وفتح باب التأويل فى هذه المسألة يترتب عليه اضطراب الأمن ، وحصول المقت ، وصياع مصالح الناس، وقد عد الله الأمن من نعمه العظمى التى امتن بها على عباده خصوصا فى هذه البلاد الفاضلة التى جعلها مهوى أفئدة المؤمنين.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص:٥٧] ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش].

وجعل الله تعالى زوال الأمن من عقوباته على من كفر بأنعمه ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢] .

وفي هذا البلد ككل بلد فئات شتى متنوعة في انتساباتها الإقليمية والقبلية والمذهبية فإذا اختل الأمن أقبلت كل طائفة على مصالحها الخاصة وحصل الاحتراب الداخلي .

ان من أعظم المخاطر أن تتسع دائرة الانشقاق في المجتمع ، وأن يجد الناس أنفسهم في مواقف متقابلة يتداخل فيها الجانب الشرعي بالقبلي والمناطقي بالشخصي ، وهذه هي الفتنة بعينها ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام:٦٥] كما أن نشر الرعب والترويع في أوساط المجتمع يعد فسادا عظيما ، ولذا صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لايحل لمسلم أن يروع مسلما » (أبو داود ٥٠٠٤ وقال الألباني صحيح) .

ومن المنكر والزور وقوع بعض وسائل الإعلام في ربط هذه الأعمال بالمفهوم الشرعي للجهاد اتباعا لما تعمده وسائل الإعلام الغربية من الخلط المتعمد والتوسع في الاتهام ، وتعميم الأحكام بلا بينة بقصد التزييف والتشويه .

ثانيا : أن أعداء الإسلام في الخارج أيا كان مقامهم وموضعهم يتربصون بنا الدوائر ، ويحاولون افتعال معركة ضد المسلمين ليتسنى لهم التحكم مستقبلا في فصل الأمور وتسييرها كما يريدون ، والواقع أصدق شاهد .

ولايخفى أن أي عمل يجر تخريبا وتسويغا ليطأ العدو أرض الإسلام عنوة هو

من الفساد .

ثالثا : باتفاق العلماء أن العمل إن كان خطأ فلا يصححه حسن النية والقصد ، بل لابد من عمل صحيح على السنة مع نية صالحة .

والغيرة على الدين لها قدر لايفتات بها على الشريعة ، والقتال فى مكة تأخر تشريعه ثلاث عشرة سنة حفظا لمادة الإسلام ، ومعلوم أن شر قريش والكفار على المسلمين لما كانوا بالمدينة ومع ذلك لم يشرع القتال بمكة ، ومعلوم قضاء الله ورسوله ﷺ فى صلح الحديبية ، وأننا نخاف على مادة الإسلام فى هذه البلاد من الشر الذى يتربص به من يتربص من الكفار والمنافقين، مع الإيمان بأن الله حافظ لدينه ومابعث به نبيه ﷺ .

رابعا: من هنا فإننا ندعوا المسلمين فى هذه البلاد ولاسيما أصحاب المسؤوليات العليا إلى معالجة الحدث بالحكمة والاعتدال ، والبعد عما تقع بسببه محاربة لبعض الشاب ، وكما تقرر فإن الحكمة والعدل هما ميزان الحق والقضاء فى الشرع ، فنحن أمام مشكلة لابد من معالجتها وأمام فهم بحاجة إلى توجيهه إن لم يتوله الفقهون للإسلام وواقع الأمة من النصيحة لها ولشبابها تولاه الغششة والمغرضون .

خامسا : نؤكد على خطورة نقل المعركة داخل هذه البلاد ، فهى حصن الإسلام ومنطلق دعوته ، وننبه العلماء وطلبة العلم إلى ضرورة بيان مافى هذا من الشر وإشاعة الفساد .

كما أننا نرى أن هذا الحدث لايجوز أن يستغل فى إثارة الحرب على مناهج التعليم وأجهزة القضاء والشريعة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى هذه البلاد ، وعلى المسؤولين منع الأقلام المتطرفة المستغلة للأحداث فى مصالح خاصة ، وتصفية الحسابات تؤثر فى وحدة المجتمع وتعمل على استفزازه .

إن مناهج هذه البلاد هى التى خرجت جميع المتعلمين فى المملكة ، ولم يذهب

الناس بها مذهب شر، فمعالجة هذا الأمر تكون لعلماء الشريعة وأهل التخصص الذين سلمت صدورهم على المسلمين من رجال التربية وعلم الاجتماع وأمثالهم.

سادسا : التدين حاجز عن العدوان ولهذا قال ﷺ : « الإيمان قيد الفتك لايفتك مؤمن » أبو داود ٢٧٦٩ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال الألبانى صحيح .

ولولا الدين وعصمته لاضطرب أمر الناس وأمنهم ، ولهذا فالذين يحاولون ربط هذا الحادث بالتدين أو بالمؤسسات القائمة فى المجتمع إدارية كانت أو علمية أو تربوية هم يجادلون بغير الحق ، ويريدون توسيع دائرة الصراع ، والواجب عزل الحدث فى إطاره الخاص والتعامل مع الأزمة بمسؤولية وواقعية .

سابعا : وإذا كانت الأحداث معتبرا فعلينا السعى فى تحويل المحنة إلى منحة بمراقبة النفس والعودة الصادقة إلى الله ، وتحكيم شريعته فى كل شىء، ونشر لواء العدل بين الرعية ، وفتح باب الحوار الهادئ بعيدا عن المخاوف الأمنية والتحفظات ، وتمكين الناس من التعبير عن آرائهم وتحمل مسؤولياتهم ضمن دائرة الشريعة ، وتحقيق مبدأ الشورى والمشاركة والرد عند التنازع إلى فقه الشريعة ، وحفظ حقوق الإنسان المادية والمعنوية ، ومحاسبة كل من يعتدى عليها كائنا من كان ، فالمجتمع العادل محفوظ بإذن الله من الزعازع والزلازل ، وإن وجدت تمكن من التغلب عليها وتجاوزها ، ويجب على رجال الحكم والعلم نشر العلم والشريعة ، وتمكين أهلها من أداء دورهم فى التعليم والتربية وتصحيح الأخطاء ودفع ما ينكر من الأقوال والأفعال .

وندعوا الشباب المخلص الغيور إلى تحمل مسؤوليته فى الحفاظ على مكتسبات بلده ودعوته ، والتنبه للمخاطر الجدية المحدقة التى لايمكن تجاوزها إلا بوحدة الصف الداخلى وانسجامه تحت مظلة الشريعة وما تقتضيه من المناصحة والمصارحة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ [العصر] .

ثامنا : الموقف من الإدارة الأمريكية ورفض سياستها التعسفية الاستعلائية الانفرادية ليس حكرا على بلد متدين كالسعودية ، ولا على دولة عربية ولا إسلامية فالكراهية لتلك السياسات الفاسدة تتنامى فى سائر أنحاء العالم الإسلامى ، وهو أنه المستهدف الأول بدينه وثقافته وأرضه وخيراته ومنهج حياته كما هو مشاهد للعيان .

لقد تجاوز الأمريكيون الحد فى الاستخفاف بالشعوب ، وتجاهل إرادتها ، ومع هذا فان من الحكمة القول أن الإدارة الأمريكية أو بعض متطرفيها قد يطيب لهم اضطراب الأمن فى أى بلد إسلامى لأنه قد يمنحهم ذريعة حاضرة أو مستقبلية فى التدخل بحجة المتابعة الأمنية ، أو الحفاظ على المصالح أو إغلاق هذه المؤسسة أو تلك ، وقد تتطور الأمور بشكل لايمكن التحكم فيه .

وندعوا أنفسنا وإخواننا إلى تقوى الله ، والبصيرة فى الدين ، ومن أشكل عليه شىء من خاصة المسلمين وعامتهم فليلتمس حكمه فى كلام الله ورسوله ، وليعتبر ذلك بفقه الأئمة ، وليرجع إلى أهل العلم والبصيرة والفقه مع الحذر من الأفكار المنحرفة التى تمهد للعدوان على الدماء والأموال والأعراض بالشبه والتأويلات الباطلة .

حفظ الله المسلمين دينهم ودنياهم ووحدتهم وأمنهم ، إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

الموقعون على البيان

إبراهيم بن عبد الله الدويش أستاذ الحديث فى كلية المعلمين الرس .، أحمد بن سعد حمدان الغامدى أستاذ الدراسات العليا جامعة أم القرى ، أحمد بن سليمان بن على الفاجح عضو هيئة التدريس فى جامعة الإمام ، أحمد بن محمد الحصيرى عضو هيئة التدريس فى جامعة الإمام ، أحمد بن موسى السهلى رئيس جمعية تحفيظ

القرآن بالطائف ، حمد بن إبراهيم الحيدرى عضو هيئة التدريس فى جامعة الإمام ، حمود بن غزاى الحربى عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام فرع القسيم ، خالد بن عبد الله المصلح المحاضر فى جامعة الإمام فى قسم الفقه ، خالد بن على المشيقح أستاذ الفقه فى جامعة الإمام فرع القسيم ، سامى بن عبد العزيز الماجد عضو هيئة التدريس فى كلية الشريعة الرياض ، سعود بن عبد الله القنيسان عميد كلية الشريعة فى الرياض سابقا ، سفر بن عبد الرحمن الحوالى رئيس قسم العقيدة فى جامعة أم القرى سابقا ، سلمان بن فهد العودة المشرف على مؤسسة الإسلام اليوم ، سليمان بن حمد العودة عضو هيئة التدريس فى جامعة الإمام فى القسيم ، الشريف حاتم بن عارف الحولى أستاذ الحديث فى جامعة أم القرى ، الشريف حمزة بن حسين الفعر أستاذ الأصول فى جامعة أم القرى ، صالح ابن عبد العزيز التويجرى أستاذ العقيدة فى جامعة الإمام فرع القسيم ، صالح بن محمد السلطان أستاذ الفقه فى جامعة الإمام ، صالح بن محمد الونيان رئيس قسم الفقه فى جامعة الإمام سابقا ، عايض بن عبد الله القرنى عضو هيئة تدريس فى جامعة الإمام سابقا ، عبد الرحمن بن علوش المدخلى أستاذ الحديث فى كلية المعلمين فى جيزان ، عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان أستاذ العقيدة فى جامعة الإمام ، عبد الله بن إبراهيم التريكى أستاذ الثقافة الإسلامية فى جامعة الإمام ، عبد الله ابن صالح الحمود خطيب جامع .

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين عضو إفتاء متقاعد ، عبد الله بن عبد الله الزيد مدير الجامعة الإسلامية سابقا ، عبد الله ابن على الجعين أستاذ الحديث فى جامعة الإمام سابقا ، عبدالله ابن فهد السلوم داعية ، عبد الله بن محمد الغنيمان رئيس قسم الدراسات العليا فى الجامعة الإسلامية سابقا ، عبد الله بن وكيل الشيخ أستاذ الحديث فى جامعة الإمام ، عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضى خطيب جامع ، عبد الوهاب بن ناصر الطريرى المشرف العلمى على مؤسسة الإسلام اليوم ، على ابن إبراهيم اليحى رئيس قسم السنة فى جامعة الإمام سابقا .

على بن عبد الله الجمعة رئيس قسم السنة فى جامعة الإمام فرع القسيم ، على

حسن عسيرى أستاذ عقيدة فى جامعة الملك خالد ، عوض بن محمد القرنى عضو هيئة تدريس فى جامعة الإمام سابقا ، محمد بن سعيد القحطانى أستاذ العقيدة فى جامعة أم القرى سابقا ، محمد بن صالح الرحيم القاضى فى محكمة الليس ، محمد بن صالح الفوزان عضو هيئة تدريس فى جامعة الإمام ، محمد بن عبد الله الخضير أستاذ الحديث فى جامعة الإمام ، محمد بن عبد الله المحيمد عضو هيئة التدريس فى قسم الفقه فى جامعة الإمام فى القسيم ، ناصر بن عبد الكريم العقل أستاذ العقيدة فى جامعة الإمام ، ناصر بن محمد آل طالب القاضى فى المحكمة الكبرى فى عرعر ، هانى بن عبد الله الجبير القاضى فى المحكمة الكبرى فى جدة ، وليد بن عثمان الرشودى أستاذ الدراسات الإسلامية فى كلية المعلمين فى الرياض .. انتهى بيان العلماء .

أما موقع الإسلام اليوم الالكتروني فقد نشر مجموعة من الأسئلة المتعلقة بما وقع من أحداث بالرياض وغيرها ، و التى وردت اليه عن طريق الزوار والمتابعين للموقع ، وأسند الإجابة عليها لأصحاب الفضيلة العلماء : -

الدكتور خالد بن على المشيقح ، الدكتور سعد بن عبد الله الفنيسان ، الدكتور عبد الله ابن وكيل الشيخ ، الشيخ عمر بن عبد الله المقبل ، الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ، والشيخ هانى بن عبد الله الجبير وكلهم أفتوا بحرمة هذه العمليات ومنعوها جميعا ، وعلق كل من السادة العلماء :

عبد الله بن سليمان المنيع ، الشيخ عبد الله بن جبرين ، الشيخ عبد العزيز الراجحى ، وكلهم أيد القول بحرمة هذه العمليات ووافق السادة العلماء فيما ذهبوا إليه من المنع والتحريم ، وأخيرا الدكتور سفر الحوالى يعترف بخطأ هذه العمليات وانحراف أصحابها وذلك بعدما ظهرت له مفاسدها ، وما انتهت إليه من فتن ، ونعرض هذه الفتاوى فى فصل لاحق بإذن الله .

ولايفوتنا التذكير أن قيادات الجماعة الإسلامية بمصر قد تباروا لإصدار كتب

ينتقدون فيها فكر القاعدة ومسألة التفجيرات نقلنا عن اثنين منها وهما كتاب «تفجيرات الرياض الأحكام والآثار» للدكتور ناجح إبراهيم الذى ترك الجماعة مؤخرا ، وكتاب « تفجيرات وإستراتيجية القاعدة الأخطاء والأخطار » للدكتور عصام دربالة ، والأعجب أن لعاصم عبد الماجد رسالة فى هذا المضمار مسماة «نصيحة إلى قادة القاعدة ». فضلا عن البيانات التى أصدروها ، والموضوعات التى ضمنوها كل كتبهم تقريبا لتفنيد فكر القاعدة والرد عليه ..وسبحان الله « لله فى خلقه شؤون » ..واختم هذا المبحث بقول العلامة الألبانى رحمه الله بلفظ واضح وكلام مبين « أقول: إذا عرفنا بشيء من التفصيل تلك الكلمة (ما بُني على فاسد فهو فاسد)، فجوابنا واضح جدًّا أن ما يقع في الجزائر وفي مصر وغيرها هو سابقٌ لأوانه أوّلًا، ومخالفٌ لأحكام الشريعة غايةً وأسلوبًا ثانيًا، وسيأتى مزيد من كلامه رحمه الله بعد .

المبحث الرابع

إيهاب الشريف

من هو إيهاب الشريف ؟ دبلوماسي مصري أرسلته حكومته سفيرا لها فى العراق أثناء الاحتلال الأمريكى لها ، اختطفه تنظيم القاعدة بقيادة أبو مصعب الزرقاوى وقام بذبحه ، وبث الفيديو على الإنترنت ، وإن كان تنظيم القاعدة تبرأ من هذه العملية وأرسل تعازيه إلى أسرته عبر بيان له على الإنترنت ، لكن أيا كان قاتله فنحن نرصد الأحداث ، ولايعنينا كثيرا من فعلها بقدر مايعنينا بيان حكم الإسلام فيها ، لكن لماذا قتلوه ؟ وكيف قتلوه ؟ نترك العارفين بهذه الجماعات يتحدثون ، فحديثهم فى هذا الشأن حرى بأن يسمع له ، كما أن كلام العلماء والمفكرين جدير بالوقوف أمامه والتفكر فيه ، ولنبدأ بما قالته جماعات العنف فى مصر الجماعة الإسلامية و جماعة الجهاد بعد قيامهم بالمراجعات الفكرية المعروفة ، فقد نشرت جريدة الأهرام الصادرة يوم الاثنين ١١ يوليو ٢٠٠٥ مضمون البيانين الصادرين عن جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية بمصر بشأن اغتيال السفير إيهاب الشريف وكان مما ورد فيهما :

أولا : بيان الجماعة الإسلامية : أن ما حدث لايمت للجهاد بصلة ، وهى جريمة كبرى من جرائم الزرقاوى ، الذى هو وجماعته من أهل التكفير الذين يكفرون المسلمين جميعا ، بل يكفرون معظم الحركات الإسلامية الأخرى ، دون سند من الشرع ، ودون دليل من الدين ، أن القاعدة وقعت فى أخطاء شرعية وهى تفتى بقتل السفير المصرى فزعموا فيما يسمى المحاكمة الشرعية أنهم قتلوه لردته ، وأن سبب ردته عندهم أنه من أعوان النظام المصرى ورجالاته ، وهنا وقعوا فى ثلاثة أخطاء شرعية ، أن حكمهم يخالف إجماع الأمة – أن السفير لايقتل – ، ولو صح

جدلا ماقالوه من أن السفير بعمله يوالى أمريكا وجنودها الصليبيين فهذا بمجرده لايصح سببا لردته ، إلا أن يأتى فعل كفر صريح ، أو يعتقد اعتقاد كفر بأن يحب دين الكفار ، ويتمنى علوالكفر والتثليث على الإسلام والتوحيد ، ثم كيف يصح موالاته لأمريكا رغم اختلاف الموقفين المصرى والأمريكى من المسألة العراقية ، ....لماذا لم تأخذ القاعدة بشهادة الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس وهو يناشد بعدم قتل الرجل ، بل ويوصيهم بحسن معاملته لأنه لما كان سفيرا عند دولة اليهود كان يسعى لاسترداد حقوق المسلمين ومقدساتهم ، وهذه شهادة واضحة فى حق الرجل بأنه لم يكن عميلا لأعداء الدين ، وفى محاكمته لم يسلكوا الطريق الشرعى الصحيح الذى أفتى به جمهور أئمة الإسلام من استتابة المرتد قبل قتله ، هذا إذا ثبت باليقين ردته ، وهل عرضت القاعدة وهى تفتى بردة السفير التوبة أو القتل فاختار القتل ؟ أم أنها قتلته دون استتابة ؟ أم أنها كانت تنوى قتله سواءا تاب أو لم يتب ؟ ...

ويسخر بيان مايسمى المحكمة الشرعية للقاعدة من مناشدة بعض العلماء بعدم قتل السفير لنهى رسول الله ﷺ عن قتل الرسل ، « أى السفراء» ويسب البيان هؤلاء العلماء ويصفهم بالناعقين ، وتفتى المحكمة بأنها ستقتله لأنه لم يأت سفيرا إليها بوصفها الطائفة المؤمنة فى العراق ، بل جاء سفيرا إلى الدولة العراقية ، وما قالوه يتضمن مغالطات ولم يقل لنا بيان القاعدة كيف يستطيع سفير بأن يقدم أوراق اعتماده لديها ، وكيف يتسنى له دخول العراق أصلا كى يكون سفيرا لدى القاعدة؟ .....والواقع أن السفارة تكون بين الدول لابين دولة وجماعة مشردة على وجهها ، لاعنوان لها ولانفوذ لها على أرض وشعب ، ثم يدخل عمل السفراء بعد اعتمادهم لدى الدول فى الاتصال بجميع القوى والفصائل السياسية وغيرها فى هذه الدولة ، وهذا مايفعله كثير من السفراء لدى العراق ....فلماذا تزعم القاعدة أن هؤلاء لاينطبق عليهم الحديث الصحيح الذى يخبر فيه النبى ﷺ أن الرسل لاتقتل ؟ ....الأخطاء الإستراتيجية التى ترتكبها القاعدة عندما تنتهج مثل هذا السبيل فى محاربتها للاحتلال فغرض القاعدة لايتوقف عند حد إجبار المحتل على الرحيل ، بل إنهم يضيفون إلى ذلك محاولة إفناء الشيعة أو استعبادهم عن

الخريطة السياسية هناك على كثرتهم فى العراق ، ومثل ذلك تحاوله مع الأكراد ، ثم هى تسعى إلى قتل كل من يخالف استراتيجيتها هذه دون تفريق بين عدو محتل وبين رعايا دول لاجيوش لها قط على أرض العراق ، ولايفرقون بين دول تؤيد الاحتلال وبين أخرى ترفضه ، ولابين دول تسعى لتمزيق العراق ،وأخرى ترفض ذلك ، فرعايا كل هذه الدول ولوكانوا من المدنيين يمكن أن يصبحوا أهدافا لعمليات القاعدة هناك ، بل كثيرون منهم تعرضوا للقتل أو الخطف حتى وإن كانوا مجرد صحفيين تسهم تغطيتهم الصحفية فى فضح فظائع الاحتلال الأمريكى هناك ، ...

إن استهداف السفير المصرى يثير علامات استفهام كبيرة لأن الموقف المصرى كان رافضا للاحتلال الأمريكى البريطانى للعراق لأسباب عديدة ، ثم إن مصر أيضا من الدول التى ترفض تهميش السنة فى العراق ، كما أنها من الدول التى تأبى أن يقسم العراق ، فلماذا إذن تحاول القاعدة ضرب ممثلى الدبلوماسية المصرية فى العراق ؟ ....إن القاعدة لم تستفد من أخطائها ، فسبق لها تفجير السفارة المصرية فى إسلام أباد بنفس الحجة التى قتلوا بها السفير المصرى فى بغداد ، فلم يؤد ذلك إلى تحقيق المصالح التى يطمعون فى تحقيقها ، بل زادت المفاسد ، واستهدفوا أمريكا فى عقر دارها وفى سفارتها فما حققوا أهدافهم ، بل أدى ذلك إلى قتل وتشريد الملايين من أبناء الحركات الإسلامية عامة والقاعدة خاصة ، وسقوط دولة أفغانستان المسلمة ، وإلى احتلال العراق الذى يشكو منه اليوم تنظيم القاعدة ، فضلا عن الهجمة الشرسة التى تعرض لها الإسلام ، والتى لم يسبق لها مثيل ، فلماذا يكررون ذات الأخطاء ؟ ولماذا لايحاول تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين ترشيد أعماله وكف سيفه عمن لايقاتله ، ولايحتل أراضيه قبل أن تتكاثر عليهم الأعداء ، وقبل أن ينفض الناس من حولهم ؟.... انتهى بيان الجماعة الإسلامية بمصر حول اغتيال إيهاب الشريف .

ثانيا : أصدرت كذلك جماعة الجهاد بمصر بيانها والذى ورد فيه :

« اغتيال السفير عمل أليم والإسلام يحرم قتل المدنيين ، ....قد فوجئنا باغتيال السفير المصرى ، وهذا عمل أثيم نرفضه ولانقره بحال فقد حرم الإسلام قتل المدنيين تحريما قطعيا سواء الأطفال أو النساء والرهبان فى البيع والصوامع ، كما حرم قتل السفراء والرسل كذلك ، طالما أن هؤلاء لم يشاركوا فى الحرب ضد المسلمين ، والأدلة على ذلك معروفة ومتوافرة فى كتب الفقه ، وهى من المسائل المتفق عليها بين علماء المسلمين ، واستنكر قادة الجهاد هذه الجريمة وأ دانوا سياسات الاحتلال الغاشمة التى ليس لها من نتائج سوى البلبلة والخلط فى عقول الشباب، الأمر الذى يتولد عنه الهرج والمرج والفتنة ، وأهابوا بالجميع أن يتقوا الله فى الدماء المعصومة والأنفس البريئة ، وعدم التسرع فى إهدار الدماء .....». انتهى بحسب مانشرته الأهرام فى عددها المذكور .

وإذا كان هذا هو موقف جماعات مارست العنف لفترة طويلة ضد الأنظمة والحكومات بل ضد شعوبها فماذا قال العلماء فى هذه الحادثة الأليمة التى وقعت للسفير المصرى فى العراق ؟

ثالثا : الدكتور أحمد كمال أبوالمجد فى جريدة الأهرام بنفس العدد السابق ذكره كتب تحت عنوان : «رسالة مفتوحة إلى الذين قتلوا السفير إيهاب الشريف » .

فقال :

« هذه رسالة أوجهها إلى مجهولين سموا أنفسهم فرعا من تنظيم القاعدة ، وأعلنوا على فرض صحة ما أعلنوه وصحة نسبتهم إلى تنظيم القاعدة الذى لم يعد أحد يعرف له غاية معلومة أو رسالة سياسية محددة ، أعلنوا أنهم حاكموا السفير إيهاب أمام محكمة شرعية ، وأنه ثبت لديهم أنه مرتد ، و أنه ينتمى إلى دولة كافرة، ولذلك أصدروا عليه حكما بالإعدام ثم تنفيذه ، ولا أظن أننى أنفرد وحدى بالإحساس بالصدمة الكبيرة والحزن العميق لهذه المأساة التى ارتكبها عدد من المجهولين ، وهم يتصورون أنهم يخدمون قضية ، ويزعمون أنهم يلبون

نداء دين ، وأن جريمتهم الشنعاء يمكن أن ترضى إنسانا عاقلا ، له بصيرة تنير له الطريق ، وله قلب تسكنه الرحمة ، التى اشتق منها اسمان من أسماء الله الحسنى تسمى بهما ملايين المسلمين وهما اسم الرحمن واسم الرحيم ، القائل فى كتابه المنزل على نبيه المرسل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦] ، وهو مابينه الرسول ﷺ بقوله « الراحمون يرحمهم الرحمن » أبو داود والترمذى واحمد وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة ج٢ برقم ٦٣٠ ، وكما أعلى الإسلام قيمة الرحمة مع قيمة العدل فإنه أنكر أشد الإنكار لغة القسوة والجفوة والعنف ، فوصف الحق سبحانه شرار الناس بقوله : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ وهذه الرسالة التى أوجهها إلى أولئك المجهولين الذين لطخوا أيديهم بدم رجل برىء لم يرتكب إثما فى حق أمته أو أبناء دينه أو قوميته ، ولافى حق أحد من الناس ، هذه الرسالة تهدف إلى تحقيق أمرين اثنين بينهما رابطة لاتخفى على أحد .

أولهما : أن يعرف أولئك المجهولون جسامة الجرم الذى اقترفوه ، وأنه لامكان له - أى مكان - فى الإسلام كله عقيدته وشريعته وآدابه ، ولاموضع له يمكن من خلاله أن يرد إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرته ، وأن عليهم أن يتعلموا الإسلام من جديد وأ ن يرجعوا فيه إلى أهل العلم الصحيح فإنما دواء العى السؤال . والله تعالى ربنا وربهم يعلمنا ويعلمهم قائلا لطلاب العلم والحقيقة على امتداد الزمان ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

والثانى : أن تعرف الناشئة من أبنائنا وبناتنا أن مافعله أولئك المعتدون المجهولون لايمكن أن ينسب إلى الإسلام من قريب أو بعيد ، وأ نهم بمافعلوه إنما يحاربون الله ورسوله ، وأنهم يقترفون مايقترفون ثم يستترون بعيدا عن أفعالهم التى يدفع ثمنها ملايين المسلمين فى بلادهم وفى بلاد الغربة التى تستضيف عشرات الملايين منهم ، أن التدين الذى يزعم أصحابه أنه يدلهم على القتل والعدوان واستباحة دماء الأبرياء تدين مغلوط مغشوش لاتقام به دنيا ، ولايصلح

به دين ، وأنه ينطوى على مخالفة صريحة لما أمر الله بـه مـن خيـر وبـر وصـلاح ، ويبتعد أصحابه ابتعادا نهائيا عن سيرة النبى ﷺ الذى أمرنا باتباعه ، واقتداء الأسوة الحسنة من سيرته ، ولذلك مازلت أقول لهؤلاء الـذين يتمسـحون بالإسـلام وهـم يخالفون أمره ، ويرفعون شعاراته وهم يغتالون جوهره ، أقول لهـم كونـوا حيـث شئتم وقولوا ماتقولون ولكن اعلموا أنكم موقوفون بين يدى الله يوم لانجاة لأحد إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأن أعمالكم هذه سترد إليكم يوم الموقف العسـير ، كونوا ذلك كله إن شئتم ولكن ابحثوا لكم عن نبى غير محمد الذى بعثه الله رحمـة للعالمين ، والذى وسع الناس بسطه وخلقه حتى صار لهـم أبـا وصـاروا عنـده فى الحق سواء ، والذى وصفته عائشة أنه كان هينـا لينـا سـهلا أرق النـاس ، والـذى غضب من رجل أدهشه أن يقبل رسول الله ﷺ طفلا مريضا قائلا للنبـى ﷺ «إن لى عشرة من الولد ماقبلت أحدا منهم ، فأجابه ﷺ غاضبا «وما أصنع لك أن نـزع الله الرحمة من قلبك» البخارى وأحمد .

إن المسلم بحديث النبى ﷺ وشهادته : «من سلم الناس من لسانه ويده» ، والإسلام لايتصور أن يقتل المؤمن مؤمنا إلا خطأ ، أما الذى يقتل مؤمنا عامدا فلانعرف فى لغة القرآن غضبا إلهيا كالذى نقرؤه فى قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء] ، ويعبر النبى ﷺ عن حرمة الدماء وعصمة الحق فى الحياة بقوله « لايزال المسلم فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » البخارى وغيره ، ولايترك ﷺ الدنيا إلا بعد أن يوصى وصيته المعروفة فى خطبته يوم حجة الوداع ، مخاطبا الإنسانية كلها: «**أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم إلى يوم القيامة كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى عامكم هذا** » ، فهل بعد هذا كله من سبيل إلى التأويل الفاسد لهذه النصوص الواضحة القاطعة إلا أن يكون صاحبها ممن وصفهم الرسول ﷺ بأن صلاتهم الطويلة وصيامهم الكثير لايحولان بينهم وبين أن يمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وذلك

حين يخرجون عن الأمة يضربون بسيوفهم برها وفاجرها ، ويروّعون الأبرياء الوادعين ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة].

فلينظر شبابنا على امتداد العالم كله من أين يأخذون العلم ؟ ومن أى محدث يعرفون حقيقة دينهم ؟ ومايطلبه منهم من قول وسلوك وعمل حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ، وليذكروا قول ابن القيم الفقيه الحنبلى المعروف ، إن كان معروفا لهؤلاء المجهولين المعتدين « إعلم أن الشريعة عدل كلها ، وقسط كلها ورحمة كلها ، وأن كل مسألة خرجت من العدل إلى الظلم ، ومن القسط إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدها فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، واذكروا دائما أن المسلم الحق إنما يعرف الرجال بالحق ولايعرف الحق بالرجال .،وأن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم الذى أنزل عليه الكتاب بالحق ، والذى كان بما بلغه عن ربه وبسيرته بين أصحابه وبين الناس أجمعين رحمة مهداة إلى الناس كل الناس من رب الناس ، فمن أراد اليوم أن يفهم حقيقة إسلامه ، وأن يلتزم حدود الله فيما يقول ويفعل ومايأخذ ومايترك ، ومايقيم على أساسه صلته بالموافقين والمخالفين وبالناس أجمعين ، فليرجع إلى سيرة نبيه ﷺ ، الذى جعل الله لنا فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ..

أما كلماتى إلى الذين أقدموا فى لحظة غفلة وضلال على إزهاق نفس مسلمة فى سياق لاموضع معه للتأول أو التأويل ، ولاعذر فيه لأحد من سوء فهم أو تقدير فإنى أوجه إليهم على البعد أسئلة ثلاثة :

أولها : ألم يعلمكم دينكم أن دم المسلم معصوم وحرام ؟ وأن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله كفيلة بإقرار هذه العصمة وتثبيتها ؟ وأن المسلم لو جاء ربه يوم القيامة بقراب الأرض ذنوبا فإنه يظل على إسلامه ، ويجيئه الرحمن الرحيم يوم القيامة بقرابها مغفرة ؟ وأين تذهبون إذا لقيتم يوم القيامة هذا الشهيد آخذا بتلابيبكم متعلقا بأعناقكم ، يحاجكم أمام الله بكتاب الله ؟ وهل نسيتم هكذا جميعا قول النبى ﷺ : « **والذى نفسى بيده لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة**

حتى يقاد للشاة الجماء – التى لاقرون لها – من الشاة القرناء » مسلم والنسائى والترمذى وغيرهم .

ثانيا : ألم تتعلموا فى الإسلام أن المسؤولية فردية ؟ وأن التبعة على الأعمال شخصية ؟ وأن أحدا لا يسأل عن أهله وأمته وذويه ؟ حتى حين يختلف المختلفون مع أهله وأمته وأنه ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[الأنعام:١٦٤] ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم] ، ألم تقرؤوا فى سورة يوسف التى لعلكم أو بعضا منكم يتلونها فى صلواتهم قول القائل حين طلب منه أن يأخذ واحدا من إخوة يوسف بديلا عمن اتهموه بأخذ صواع الملك ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾[يوسف: ٧٩] .

ثالثا : ماهى المحكمة الشرعية التى تزعمون أنكم أقمتموها ؟ وأنها خلال يومين أو ثلاثة أصدرت ما تسمون حكما وما نسميه نحن اغتيالا لاسند له فى شرائع الدين ، وقوانين الدنيا ؟ ولعلكم تجيبوننا عمن ولى هذه المحكمة وعن سند هذه التولية وحدودها والإجراءات التى يدار بها الأمر أمامها ؟ ولو صح ما فعلتموه وهو لايصح ولايجوز فى منطق مسلم عاقل مسئول ألن يكون منطقيا أن تقام أمثال هذه المحاكم فى كل فرقة وكل طائفة فيضيع الحق ويذهب العدل ويؤول أمر الناس كل الناس إلى تهارج وظلم وفساد لا أول له ولا آخر ؟ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم].

لقد عرف تاريخ الشعوب صورا مختلفة لهذا النوع من الظلم الوحشى الذى يغتال فيه الأبرياء بغير دليل ، وفرق العلماء وأهل الذكر والمعرفة بالشرائع بين الحكم القضائى الذى تصدره محكمة ذات ولاية ، يجلس على منصتها قضاة عدول متخصصون يديرون أمر العدل بإجراءات دقيقة صارمة فى احترام حقوق المتهمين وتوفير حق الدفاع لهم ، مع الالتزام بقواعد أشد صرامة فى الإثبات قبل

التحول من يقين البراءة الأصلية إلى يقين الإدانة التى يجرى بعدها تنفيذ الأحكام، وذلك إكمالا لقاعدة أصولية مقررة ومعروفة ، أو لعلها غير معروفة لديكم مؤداها أن اليقين لايزول بالشك ، وأن الحق لايزول بالظن ،.

وبعد هذه الرسالة على البعد إلى مجهولين أعلنوا أنهم نفذوا حكم الإعدام فى السفير المصرى الشهيد وهو فى حقيقته قتل واغتيال ، تم بالمخالفة لمبادئ الإسلام وأحكام شريعته ، ومقاصد تلك الشريعة فى إقامة العدل وإشاعة الرحمة بين الناس ، وأسأل نفسى ترى هل يجدى معهم هذا الحديث الهادىء ؟ وهل إلى توبتهم من هذه الجريمة الشائنة من سبيل ؟ وهل يرجى من مثلهم أن يعيدوا النظر فيما يقولون ويفعلون ؟ وأن يقرؤوا من جديد كتاب الله وسنة رسوله بصفاء عقل وقلب ، وفى إطار قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء] ، وسعيا إلى تأليف قلوب الناس وجمعها حول مبادىء الإسلام التى فى جوهرها عين المبادىء التى جاء بها إبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [آخر البقرة] إن كان دم السفير المصرى المقتول ثمنا لهذه العودة إلى الحق فسيكون له بذلك أجر الشهيد ، أما إذا وضع أولئك المجهولون ﴿أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح:٧] ، فلا حجة بيننا وبينهم ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى:١٥] ....الخ

انتهت كلمات الدكتور أبو المجد التى تتجلى فيها عذوبة الإيمان وعظمة الإسلام ، ورحمة الله تعالى ورحمة رسله أجمعين ، إنها كلمات تتلألأ بنور الحق وشعاع الصدق ، فهل يستجيب هؤلاء التكفيريون القتلة ؟ هل يكفون شرهم وسيفهم عن أمة محمد ﷺ ؟ هل يبدون توبة ويحدثون ندما واستغفارا مما فعلوه ويفعلونه ؟ أم أنهم سيبحثون لهم عن دين آخر غير الإسلام يلتزمونه ؟ وعن نبى آخر غير محمد يتبعونه كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ؟.....

إن ماقيل فى حق السفير المصرى ينسحب على الملايين من الناس الذين

يقتلون ويشردون ويحرقون وتستحل محارمهم كل يوم من جماعات العنف سواء فى الأسواق ، أو الوظائف والمؤسسات ، أو المركبات والمواصلات ، أو حتى داخل المساجد وهم يؤدون الجمعة والجماعات ، إنها حكاية نساء يعلقن على أعمدة الإنارة ، أو يضربن بالسيف ويذبحن بالخناجر ، إنها قصة دماء معصومة سالت تروى الأرض فى العراق وسوريا وليبيا واليمن وأفغانستان والصومال والجزائر وباكستان وأندونيسيا ولبنان وفلسطين وفى مصر ، قصة دماء فى كل واد تسيل ، فماذا تجيب هذه الأنفس البريئة يوم القيامة إذا « سئلت .. بأى ذنب قتلت» ؟ وبأى حجة تنطق القاعدة وإخواتها وربائبها إذا كان الفقهاء المعتبرون ينكرون عليها فعلتها الأثيمة ويبرؤون الإسلام منها ؟

رابعا : أقوال أخرى للفقهاء بشأن قتل الشريف :

يقول الدكتور محمد رأفت عثمان أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة بجامعة الأزهر الشريف :

إن ماحدث هو نوع من الوحشية وتدن في الأخلاق ، لا يتناسب مع طبيعة الإسلام الذي يصون الأرواح والحرمات، وأن ما يدعيه المعتدون علي حياة السفير من إسلامهم ليس من الحقيقة، والواقع أنهم يرفعون رايات وأفكارا لاتنتسب للإسلام، ولو كانوا حقا مسلمين لما ارتكبوا هذه الفعلة.

ويضيف الدكتور طه أبوكريشة نائب رئيس جامعة الأزهر السابق :- أن هذه جريمة بمعني الكلمة، ومأساة يستحيل أن يعبر عنها التفكير واللسان، فهذا مخالف لطبيعة الإسلام فالإسلام واضح في مفاهيمه وأحكامه، ولا يحتاج أوصياء عليه، ومن يفعل ذلك فهو مرتد عن دينه، وفاسد.

كما يضيف الدكتور إبراهيم عبدالرحمن بكلية دار العلوم : -

أن ما حدث لايليق بمسلم أبدا ولا يمكن أن تكون عقيدته سليمة، ويعتدي علي إنسان آمن مسالم، ويقتل رجلا جاء للسلام، وربط الشعبين الإسلاميين

العربيين، ثم يكون مصيره القتل وهم محتجزون مسلم ويقتلونه، لا لأي ذنب، وهذه جريمة إنسانية وأخلاقية ودينية، وهو ما لايقره العقل والشرع والأخلاق.

أما الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر السابق فيؤكد : -

أنها جريمة بكل المقاييس، وهذا ليس من صالح الإسلام، لكنه موجه من أعدائه لأنه لايوجد مسلم يدمر أو يقتل الآمنين أو يروعهم.

قال الدكتور شوقى علام ،مفتى الجمهورية، إن عمليات القتل والاغتيال وبذل المال وأخذه لأجل القيام بها، ممنوعة ومحرمة لا تجيزها الشريعة الإسلامية ولا تقرها؛ لأنها تتعارض مع الأصل فى النفس الإنسانية الذي يوجب عِصْمَتها وعدم جواز الاجتراء على إنهاء حياتها إلا بسبب شرعي. وأضاف المفتى، ردا على سؤال ما حكم قتل الدبلوماسيين أو السائحين أو الأجانب المقيمين في البلاد الإسلامية بغرض العمل فيها؟،:«جعل الله تعالى قتل النفس -مسلمة أو غير مسلمة- بغير حق كأنه قتلٌ للناس جميعًا».

وتابع:«الأجانب الموجودون في بلاد المسلمين كالدبلوماسيين أو السائحين أو الأجانب المقيمين في البلاد الإسلامية بغرض العمل فيها، الأصل في نفوسهم هو العصمة من أن يُعتَدى عليها بأي شكل من أشكال الاعتداء؛ فإن وجودهم في البلاد الإسلامية تابع لإعطائهم تأشيرة دخول إليها، وهذه التأشيرة صورة من صور عقد الأمان. » عيون ١٥ ديسمبر ٢٠١٥م .

* بل لقد نقل الدكتور حسن أبو غدة فى كتابه العلاقات الدولية فى الإسلام حال الحرب الإجماع على حرمة قتل الرسل والدبلوماسيين بقوله « واتفق الفقهاء على أن الرسل لاتقتل » .

ما هو رأى جماعات العنف فيمن خالف نص القرآن ونص السنة وخرج على إجماع الأمة واتبع ظلام رأيه وظلم هواه ، وقتل السفير إيهاب الشريف رحمه الله ؟ .

المبحث الخامس

أحداث الجزائر

إن أحداث الجزائر لا يكفيها مجلدات كبار لسرد وقائعها وبيان ما جري فيها ، لكننا نوجز القول ونختصر العبارات بما لا يخل بالحدث ، ولا ينحرف بالحديث.

المطلب الأول : من دفتر الأحداث

في يونيو ١٩٩١ كانت الصدامات الموسعة بين أنصار جبهة الإنقاذ وبين قوات الأمن ، وتطورت الأحداث سريعا ليعلن الرئيس الجزائري استقالته من حزب جبهة التحرير ، ويحتفظ برئاسة البلاد ، وكان قد قرر إنهاء فترة رئاسته قبل موعدها في عام ١٩٩٣ ، وأكد تمسكه بالديمقراطية خيارا لا رجوع عنه ، .

أما عباس مدني زعيم جبهة الإنقاذ فقد صعد من لهجته تجاه الأحداث ، وهدد بإعلان الجهاد ضد قوات الجيش ، وطالب بإلغاء حالة الطوارئ ، واتهم الحكومة بالتخلي عن مسؤوليتها في رعاية الأمن وإجراء انتخابات حرة نزيهة ، وبين مدني أن إجراء الانتخابات النزيهة أمر مستحيل في ظل تواجد الجيش بالشوارع ، وفي تحد من قبل أنصار جبهة الإنقاذ سمعت طلقات البنادق في شوارع العاصمة ضد الجيش ، خاصة في أحياء بوزيره ، وباب الواد معاقل جبهة الإنقاذ .

وفي تحول جديد لطبيعة الصراع رفع شباب الإنقاذ شعارات مثل :

(نعيش من أجل الإسلام ونموت من أجله) ، وزاد ظهورهم بشكل متكرر تحديا لحظر التجوال الذى فرضته السلطات ، وحل علي الناس عيد الأضحي

لترفع الحكومة حظر التجوال ، واستغلت فترة التهدئة لإثارة الفوضي واستئناف عمليات العنف مما أسفر عن سقوط ١٣ قتيلا و ٦٨ مصابا من المدنيين ومن رجال الأمن ، بينما أشارت جهات غربيه إلي مصرع ما ين ٥٥ إلي ٦٥ شخص وحذرت الحكومة من تفاقم العنف ، وأكدت أن الجيش قادر علي ضبط الأوضاع غير أنه يتحلي بضبط النفس ، وأصدر الجيش بيانا شديدا يؤكد فيه حرصه علي ردع محاولات تعكير الأمن والمساس بسيادة الدولة ، وأكد أنه قادر على توفير الأمن دون سقوط ضحايا أبرياء ، وإن كان سيستخدم الشدة متى اقتضت الأمور ذلك ، وأسفرت الأحداث عن مقتل أكثر من ٣٠ من أنصار الإنقاذ ، واعتقال العشرات ، وعلي رأسهم عباس مدني وعلي بالحاج اللذين قدما للمحكمة العسكرية .

في يوم ٢٦ / ١٢ / ١٩٩١ أجريت انتخابات المجلس الوطني للبرلمان ، وخاضت جبهة الإنقاذ الانتخابات رغم حبس قادتها ، وأعلنت نتيجة الجولة الأولي يوم ٢٨ / ١٢ / ١٩٩١ بفوز جبهة الإنقاذ بالأغلبية الساحقة ١٨٨ مقعدا من بين ٢٢٦ مقعد وكانت النتيجة مفاجئه للجميع .

أكد عبدالقادر حشاني زعيم الإنقاذ وقتها أن الجبهة ستبقي علي الأحزاب القائمة ، وتحافظ علي الحريات السياسية ، وأن الجبهة مستعدة لعدم المطالبة بانتخابات رئاسية فوريه ، وأنها ستتعاون مع الرئيس الشاذلي بن جديد ، وعلت أصوات كثيرة تصف الانتخابات بالتزوير وعدم النزاهة ، وقدم العديد من الطعون علي النتيجة ، في هذه الأثناء ذكرت مصادر أمنية أن اثنين من رجال البوليس قد قتلا ، وكذلك أحد المسلحين في هجوم شنه بعض الشباب يعتقد أنهم من المتطرفين ، وكما فعل عباس مدني سابقا حين هدد بإعلان الجهاد ضد الجيش فعل عبدالقادر حشاني ، حيث فتح النار علي الجيش ووزارة الدفاع وكذلك الحكومة والرئيس وجبهة التحرير المناوئة لجبهة الإنقاذ .

ووصفهم بأنهم ظالمون وفاسقون وكافرون لأنهم لم يحكموا بما أمر الله ، كما

وصف أفراد الجيش بأنهم نابشو القبور ، وأظهرت وسائل الإعلام الغربية قلقها من صعود الإسلاميين المتمثلين فى جبهة الإنقاذ ، وفي هذه الأثناء صرح رابح كبير أحد زعماء الإنقاذ: « أن الدولة الإسلامية القادمة لن تستورد الكوادر من الخارج ، وطالب الجيش بحماية اختيار الشعب ، وناشد أصحاب رؤوس الأموال بعدم الهجرة من الجزائر.

وعلي مستوي آخر صعد الغرب من لهجته تجاه الجزائر ، متهما إياها بالتعاون مع العراق لصنع قنبلة نووية ، وقال إن العراق هربت إلى الجزائر عشرة أطنان من اليورا نيوم قبل التفتيش الدولى لبغداد ، وانتشر الجيش الجزائري في كافة المدن والمناطق الحيوية ، وحول المنشآت مما اضطر عبدالقادر حاشاني لإظهار قلقة حيال هذه الخطوة ، خاصة أن الحكومة لم تتخذ أي إجراء استعدادًا للجولة الثانية للانتخابات ، وقال حاشانى : -

إن من يعارض النتائج وخاصة من المرشحين الذين لفظهم الشعب إنما يعارضون الشعب ، وليست الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وأكد عدم استعداد الإنقاذ لتقديم أي تنازلات بخصوص قيام أي نظام إسلامي في البلاد .

في يوم ١١ / ١/ ١٩٩٢ أعلن الرئيس الجزائري استقالته من منصبة كرئيس للجمهورية ، وأوضح في خطاب الاستقالة أن وضع البلاد الحالي يشكل مسؤولية ثقيلة لا يقوي علي تحملها ، وأنه في ظل الموقف الدرامي الذي تمر به الجزائر لا يستطيع الاستمرار في منصبه، وأنه تقدم باستقالته حماية لمصالح الوطن.

واعتبر المراقبون هذه الاستقالة بمثابة إشارة قوية لاحتمال عدم إجراء الجولة الثانية للانتخابات التي فازت الإنقاذ بجولتها الأولي ، ولئن كانت الجبهة قد صرحت باستعدادها للتعاون مع الرئيس الموجود دون إجراء انتخابات رئاسية فورية فهاهي عقب الفوز بالجولة الأولي تطالب بانتخابات رئاسية مبكرة ، وصدرت البيانات من الجيش بأنه مؤسسة موحدة ، ليس بين أبناءها خلاف وأنه سيقف بصورة قاطعة إلي جانب القيم الدستورية .

أما يوم ١٢ / ١ / ١٩٩٢ فقد أعلن المجلس الأعلى للأمن إلغاء الجولة الثانية من الإنتخابات التي ستجري يوم ١٦/ ١/ ١٩٩٢ ، وقرر المجلس الأعلى للأمن أن يتولي المسؤولية عن تلك القضايا التي تهدد النظام العام أو تمس أمن الدولة ، وقال في بيانه : « هناك استحالة الاستمرار في العملية الإنتخابية لحين توفر الأوضاع اللازمة لعمل مؤسسات الدولة بصورة طبيعية ، وإنه سينعقد بصورة مستمرة لينفذ مسؤولياته ، وفي هذه الأثناء صرح التلفزيون الفرنسي أن الجيش كان وراء استقالة الرئيس الجزائري من منصبه ، حيث بعث إليه ١٨١ من كبار الضباط بمذكرة طالبوه بالاستقالة ، وذكرت وكالة رويتر أن لرئيس الدولة إعلان حالة الطوارئ أو حالة الحصار ، بعد التشاور مع مجلس الأمن الأعلى ، أما جبهة الإنقاذ فقد وصفت استقالة الرئيس بالعملية المسرحية التي تهدف إلي قمع الشعب وإلغاء الانتخابات ، وحذرت من مغبة مقاومة اختيار الشعب ، وطالبت بضرورة استمرار عملية الانتخابات ، وناشدت المواطنين بالاستعداد لإحباط أي مؤامرة ضد إقامة مشروع دولة إسلامية .

ودعت للاستعداد لرفع راية التحدي ، وعدم الاستجابة لأهواء المغامرين وشهواتهم التسلطية ، وصدرت تصريحات بأن هذه هى آخر جولات الديمقراطية وبعدها سيحكم الإسلام . .

وتصاعدت الصدامات واتسعت دائرتها ، وأعلنت حالة الطوارئ ، وتم حل جبهة الإنقاذ ، وظهر فى ساحة الأحداث مايسمى بجيش الإنقاذ الإسلامى ، وكذلك ظهرت الإذاعة الخاصة بالجبهة وجيشها ، وظهرت الجماعة الإسلامية المسلحة ، وتصاعدت الأحداث بشكل سريع جدا وقتل الرئيس الجزائرى محمد بوضياف داخل قاعة للمؤتمرات ، وتبلورت بعض معالم المرحلة خاصة بعد ظهور العديد من جماعات العنف المسلح فى البلاد وكلها ذات مرجعية دينية مثل - :جيش الرسول محمد - .الأوفياء للقسم - .جهاد ٥٤ - .القوات الإسلامية العالمية لمناضلي الله - .المجلس الموحد للحركة الإسلامية - . حركة

الجهاد الإسلامي في إفريقيا – . منظمة الضباط المسلمين ، وكذلك الجماعة السلفية للتوحيد والجهاد . وكان الأبرز في هذه التنظيمات المسلحة – :الجماعة الإسلامية المسلحة . جيش الإنقاذ الإسلامي. ونعرض لبعض هذه المعالم فى نقاط ولكن قبلها لابد من توضيح :

أولا : لاشك أن ماحدث فى الجزائر هو استيلاء غاشم على السلطة ، ومصادرة لرأى الناخبين ، وحرمان جبهة الإنقاذ من حقوقها الدستورية والشعبية .

ثانيا : أن جبهة الإنقاذ لم تكن قد تسلمت مقاليد الأمور بعد حتى يقول القوم بفشلها أو عدم أهليتها ، وبالتالى هى لم توضع فى محل الاختبار .

ثالثا : أن ماحدث فى الجزائر يختلف تماما عما جرى فى مصر ، فقد تسلم الإسلاميون فى مصر زمام الأمور ، وظهر للكافة عجزهم وأنانيتهم ، ورغبتهم فى الانفراد بالمشهد والتهميش للآخرين حتى قال أحدهم «لقد جاء الإخوان ليحكموا (٣٠٠ سنة)».

رابعا : أن الجماهير فى مصر خرجت بالملايين تنادى برحيل نظام الإخوان ، وقد أمهلهم الجيش مدة لمعالجة الأمور واحتوائها ، لكنهم لم يستجيبوا لندائه ، كما لم يتفاعلوا مع دعواته للحوار بين الأطراف لأكثر من مرة .

خامسا : رأى الجيش فى مصر نفسه بين خيارين إما أن يقف على الحياد وتدخل البلاد فى حروب أهلية بين نظام وجماعة الإخوان وأنصارهم من الجماعات المتمرسة فى العنف فى جهة وبين المعارضين والرافضين لهم وهم كثيرون فى جهة أخرى ، وبالتالى قد تنجر البلاد إلى مصير مظلم . أو أن ينضم الجيش إلى جانب الملايين التى نزلت إلى الشوارع تعبر عن رفضها لمرسى وجماعته ، وكان الخيار الثانى ، والى الآن وبرغم مايجرى من تفجيرات واغتيالات وإرهاب إلا أننا بحمد الله أفضل حالا من غيرنا من الدول التى تحولت إلى ميلشيات متنازعة متصارعة كما نرى بأعيننا بل ويصيبنا نارهم فى كثير من الأوقات .

هذه أمور رأيت من الضرورى بيانها قبل الولوج لمعالم المرحلة وقتها فى الجزائر ، والتى أعرض بين يديها رسالة بعث بها المسئولين عن المركز الإسلامى لجنوب كاليفورنيا إلى عباس مدنى زعيم جبهة الإنقاذ ، وذلك قبل تفاقم الأوضاع وقبل اعتقاله ، وإلغاء الانتخابات ، بل وحل الجبهة وتجميد نشاطها كما ذكرنا وهذا نصها:

الأخ فى الله الأستاذ عباس مدنى ورفاقه الأبرار :

نحمد الله إليكم ونحييكم ونسلم عليكم فسلام الله عليكم ورحمة الله .

« جلجلت هنا أنباء فوزكم فتباينت أصداؤها .....لهذا نسأل الله أن تكون ساعة النصر هى ساعة إلجام العواطف بالعقول ، وساعة فرحنا لكم هى ساعة التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، والدين النصيحة كما يقول نبينا عليه الصلاة والسلام ، فنود أن نشير بنقاط ما نحسبها بغائبة عنكم ، ولكنها تذكرة لله وفى الله ، لا خير فينا إن لم نقلها وأنتم إن شاء الله لها منصتون :

١ –أعلنوا الناس بالأمان ..وبأن الإسلام دين السلام ، وبأن النبى لحظة انتصاره قال لأعداء الأمس : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فأعداء الإسلام يروجون أنه بين المرارة والعنف والانتقام ، يسايرهم بعض الجاهلين بالإسلام من المنتسبين إليه .

٢ – الفرق بين الحكم الإسلامي والحكم الديمقراطى هو أن الأول يلتزم بالشريعة دستورا بينما لايتقيد الثانى بالشريعة .....وفيما عدا هذه فالآلية الديمقراطية أقرب إلى الشورى الإسلامية فى عهد الرسول والخلافة الراشدة ، ولم تكن نكبة المسلمين على مدى تاريخهم منذ الفتنة الكبرى إلا الاستبداد والديكتاتورية ، وليس الشورى أو الديمقراطية ، ولاتشفع فترات كان فيها الحاكم صالحا ، فقد ضمرت طاقات الأمة عن التفكير فى نفسها وحمل عبئها ، وقد كان الإسلام دائما هو الضحية الأولى والكبرى للاستبداد فى القديم والحديث.

٣ – لقد بذلتم الكثير لهدم الاستبداد والآن دور البناء وهو أصعب بكثير من

دور الهدم ، خاصة بناء النفوس والأخلاق والوجدان الإسلامى ، فهذا لايتأتى بقرار ولاقانون ، ولايجدى عنه قسر الناس على المظهريات أو الأزياء أو السلوكيات مادامت القلوب خواء ، لابديل عن الضمير فى الإسلام ، وعن تربية الفرد أن يزجر نفسه بنفسه ، وأن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وفى منهاج النبى ﷺ سبقت التربية القانون حتى لايكون القانون غريبا يغرى الناس أن يستخفوا منه ويتحايلوا عليه ، وفى تقديرنا أن شعب الجزائر المسلم المؤمن سيسارع طواعيةً إلى التخلق بأخلاق الإسلام ، ومتى صلح الباطن صلح الظاهر عما قريب .

٤ – وفى تقديرنا أن من أوليات الحركة الإسلامية أن تنتج الجزائر رغيف خبزها ، الذى يطعمها كل يوم ، فمن كان قوته بيد غيره فالاستقلال وهم وهباء، وفى ذلك فلنستفرغ طاقة الشباب وحماسه وغيرته الإسلامية .

٥ – ونريد للناس أن تحب الإسلام فهذا شرط لإقبالهم عليه وتخلقهم به ، أو دخولهم فيه إن لم يكونوا مسلمين (كما هى تجربتنا فى الغرب) وقد ختمت النبوة بمحمد ﷺ لكن الدعوة قائمة ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أساس الدعوة الترغيب والتحبيب .. ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] فليع ذلك المسلمون ، وعلى رأسهم شبابهم الممتلئ بالحماس والغيرة على دين الله (ثم أن أعداء الإسلام يروجون أن الإسلام دين شرقى ، وأن بينه وبين الغرب عداوة طبيعية مع أن الإسلام رحمة للعالمين ، ودعوة عالمية) .

وندرك هنا أن بالغرب سياسات طاغية انعقدت على كراهية الإسلام ، لما تتوسم فيه من تهديد لمصالحها الاقتصادية الظالمة ، أو لمذاهبها الأخلاقية المنحرفة ، لكن هناك أيضا جماهير عريضة لاتعرف عن الإسلام إلا مايقدمه الإعلام ، أو ما تطالعه فى أعمال المسلمين مما يسىء إلى سمعة الإسلام ، ولابد

إذن من خطة للعلاقة العامة تخترق نطاق التشويه ، وتصل العالم بحقائق الإسلام، ولابد أن يطلع الإسلام على العالم بوجه مبتسم ، ودعاء هادف وبيان مقنع ، إن العالم يحمل فى حضارته المعاصرة جراثم فنائه ، ودواؤه فى تعاليم الإسلام ، بقى أن نستطيع تعريف المريض أن لد ينا الدواء .

إن مايحدث فى الجزائر فرصة مواتية ، وتجربة ثمينة وعزيزة ، إن نجحت فهى نقطة تحول فى مجرى التاريخ العالمى ، وهى تجتاز معركة ذكاء لا معركة إخلاص فحسب ، وندعوا الله أن يهيئ لها أسباب النجاح .

والسلام عليكم ورحمة الله

*.حسان حتحوت رئيس قسم الدعوة

* محمد فتحى مستشار المركز

*ماهر حتحوت رئيس مجلس الإدارة

عن المركز الإسلامى جنوب كاليفورنيا .

انتهى الخطاب سقته بتمامه لما فيه من فوائد عظيمة يحتاجها كل من يعمل لصالح الإسلام سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات والمؤسسات أو الحكومات .

والسؤال هل استفادت جبهة الإنقاذ وقيادتها من هذا الخطاب ؟ هل استفادت الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر من هذا الخطاب ؟ هل استفاد الإسلاميون فى مصر من هذا الخطاب عندما انتهت إليهم الأمور ؟

حتى لانستبق الأحداث دعونا نتعرف على معالم ماحدث فى الجزائر أولا وذلك من خلال مصادرهم .

المطلب الثانى : من معالم الفتنة

- لاشك أن الوقوف على معالم المرحلة يجلى الحقائق ، ويكشف المستور ، ويظهر الخبيئة ، ويعطى صورة صادقة عما جرى ، وكما تعاهدنا سنختصر الكلام اختصارا بما لايحيف على المطلوب ولاتمله القلوب ، ونجمل القول فى عدة نقاط على النحو التالى :

أولا : جبهة الإنقاذ تستعدى الغرب على الجيش الجزائرى والحكومة التى ألغت الانتخابات وهاهو نص البيان الذى يناشدون فيه البرلمانيين فى الداخل والخارج لمسا ندتهم : -

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزائر ١٤ رجب ١٤١٢هجرية الموافق ١٩ / ١/ يناير ١٩٩٢م

نواب الأمة الفائزين فى الانتخابات التشريعية الدور الأول

نداء إلى السادة البرلمانيين فى الداخل والخارج

نحن منتخبى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ممثلى أغلبية الشعب الجزائرى المجتمعين بالجزائر العاصمة يوم ١٤ رجب ١٤١٢هجرية ، الموافق ١٩/ ١ / ١٩٩٢م.

بناءا على أن الشعب هو مصدر كل سلطة ، وصاحب السيادة طبقا لما تنص عليه المادتين ٦،٧ من دستور ٢٢/ .../ ١٩٨٩ ، والذى قد عبر عن اختياره بكل حرية فى جو من الهدوء والنظام فى انتخابات ٢٨ديسمبر ١٩٩١فى دورها الأول والتى أسفرت عن فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ ب ١٨٨ مقعدا من مجموع ٤٣٠ مقعدا ، وجبهة القوى الاشتراكية ب ٢٥ مقعدا ، وجبهة التحرير الوطنية ب ١٦مقعدا ، والأحزاب ب٣ مقاعد .

وقد نشرت هذه النتائج بالجريدة الرسمية للجمهورية العدد ١ الصادر بتاريخ

٢٨جمادى الثانية ١٤١٢هـ الموافق ٤/ ١/ ١٩٩٢م.

فى الوقت الذى كان الشعب يستعد لخوض غمار الدور الثانى إذا به يفاجأ بوضعية سياسية معقدة تمثلت فيما يلى :

١ – استقالة رئيس الجمهورية التى تتعارض مع روح الدستور .

٢- الإعلان عن حل البرلمان وقت تقديم الاستقالة علما بأن هذا الإجراء يقتضى دستوريا استشارة رئيس المجلس الشعبى الوطنى ورئيس الحكومة وفقا للمادة ١٢ من الدستور .

٣- قبول المجلس الدستورى الاستقالة فورا ، وتخليه عن تولى منصب رئاسة الدولة بالنيابة وفق ماتقتضيه المادة ٨٤ من الدستور .

٤ – تجاوز المجلس الأعلى للأمن لاختصاصاته الدستورية كهيئة استشارية ، .هذه الوضعية السياسية غير الشرعية أدت إلى اغتصاب ومصادرة إرادة الشعب واختياره ، وهى سابقة خطيرة فى حق سيادة الشعوب ، والشرعية الدستورية فى الدولة .

بناء على ذلك فإننا نحن منتخبى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ممثلى أغلبية الشعب الجزائرى نتوجه إلى البرلمانيين فى الداخل والخارج المؤمنين بإرادة الشعوب وسيادتها وحريتها فى اختيار ممثليها وتقرير مصيرها بما يلى :

١ - الوقوف فى وجه الاستبداد السياسى أينما وجد ، والذى تمارسه الهيئات غير الدستورية

٢- عدم الاعتراف بالهيئات التى لاتحظى بتزكية الشعب واختياره .

٣- المساندة من أجل استكمال المسار الانتخابى ، وإجراء الدور الثانى للانتخابات التشريعية حتى يتشكل المجلس الذى سيعين رئيسه الذى سيتولى رئاسة الدولة بالنيابة وفقا لأحكام الدستور ، وذلك لمدة ٤٥ يوما تنظم خلالها

انتخابات رئاسية مما يعيد الشرعية لمؤسسات الدولة واحترام إرادة الشعب .

انتهى البيان بما فيه من أخطاء لغوية تركتها كماهى ، وها أنت ترى فيه مناشدتهم للبرلمانيين فى الداخل والخارج فمن هم برلمانيو الخارج ؟ أليس الخارج هذا هو الذى تقولون أنه حاك ضدكم المؤامرات ؟ ورغم ذلك تستنجدون به وحتى لانلقى الكلام جزافا أنقل إليك جزءا من بيان لجبهة الإنقاذ يحمل تاريخ ١٤رجب ١٤١٢هجرية الموافق ١٩/ ١/ ١٩٩١م تحت عنوان اللائحة السياسية لنواب المجلس الشعبى الوطنى للجبهة الإسلامية للإنقاذ الفائزين فى الدور الأول ....

إلى أن قال البيان :

وأمام هذا الوضع فإننا نحن نواب الأمة :

١- نحذر من العواقب الوخيمة التى يمكن أن تنجم عن مصادرة اختيار الشعب .

٢- نحذر من المساس بالحريات السياسية .

٣- نحذر من تكتلات مشبوهة غايتها إجهاض المشروع الإسلامى ، والمساس باختيار الشعب .

٤- إننا نعتبر أن المجلس الأعلى للأمن قد تجاوز صلاحياته الدستورية .

٥- ....

٦- ....

٧- ....

ب- نصر على ضرورة الرجوع الفورى إلى الشرعية الدستورية .

- وفى الختام : إننا نعتقد أن كل ماحدث ابتداءًا من استقالة الرئيس الشاذلى

بن جديد إلى فرض مجلس الوصاية على الشعب إنما هو مؤامرة نسجت خيوطها فى إطار النظام الدولى لإقصاء الإسلام عن حياة المسلمين .... وبالتالى يصفو الجو للغرب الكافر وأذنابه فى بلادنا لفرض المشروع الغربى على الشعب الجزائرى المسلم قال تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧] .....انتهى

- ما رأيكم فيمن يقول بتآمر الغرب ضد الإسلام والسعى لتمكين المشروع الغربى فى بلاد الإسلام ثم هو يستغيث بالبرلمانيين فى الداخل والخارج لتمكينه من تنفيذ مشروعه الإسلامى كما يقول هو ؟

ولئن كانت هذه مجرد استغاثات ومناوشات كلامية فإن الأمر لم يتوقف عند ذلك، بل إن زعيم جبهة الإنقاذ قالها بوضوح : لو وقع انقلاب للحكومة الحالية لخرجنا رجالا وأطفالا ونساء ......وأعلنا الجهاد . كما ذكر ذلك صاحب كتاب «مدارك النظر فى السياسة الشرعية» . وكان يقصد بذلك حكومة الشاذلي بن جديد.

ب إن على بلحاج ذكر فى كتابه فصل الكلام فى مواجهة ظلم الحكام : أنه لو كان خارج السجن لانضم إلى صفوف المقاتلين للحكومة والجيش بقيادة عبد القادر الشبوطى ، وأرسل من داخل السجن رسالة يحرض فيها المقاتلين على التوحد وتوجيه الضربات للحكومة ، وتحذيرهم من محاولة العدو لشق صفوفهم ، فيقول على بلحاج مخاطبا الجميع من الإنقاذيين ومن الجماعة الإسلامية المسلحة وغيرها ..

« بسم الله الرحمن الرحيم إلى الإخوة القادة المجاهدين دون استثناء هذه رسالة نصح فى الله من أخيكم السجين أبى عبد الفتاح من زنزانة الظلم والطغيان رقم ٩ .....بتاريخ ٢٠ صفر ١٤١٥ هجرية ....تعلمون جميعا أنه قد كنت كتبت مجموعة من الرسائل ، وضمنت تلك الرسائل نصائح فى وحدة الصف ، وأعلنت فى بعضها مشروعية جهاد النظام القائم والمساندة للمجاهدين ، ولم أفرق فيها بين

الجماعة المسلحة وجيش الإنقاذ ....لأن النظام الكافر وقوة المكر في الخارج تريد أن تفرق بين الجماعة الإسلامية المسلحة والجيش الإسلامي للإنقاذ وهذا قمة المكر .....إلى أن قال « والنظام الكافر في الجزائر أقسى الضربات عليه هو ضرب القوات الأمنية كسلطة لا كأشخاص ، وكذا عملاؤه بعد التثبت الشرعي ، وضرب الأجانب خاصة من فرنسا ، وضرب الاقتصاد وضرب السياحة ، هذه مقاتل النظام وهنا تقع النكاية ، ولاشك أن المسلمين يضربون هذه الأهداف وفي ذهنهم التخطيط للإعمار والبناء إذا انتصروا ، وليس هذا من التخريب »- انظر إليه لا يفرق بين جيش الإنقاذ والجماعة المسلحة بل إنه يعتبر التفريق بينهما من خطط الأعداء ومكرهم ، ويحدد لهم الأهداف التي يضربونها من الأجهزة الأمنية والاقتصاد والسياحة والأجانب ، ثم من ضلاله وعماه يقول إنه يهدم ويدمر بنية البناء بعد التمكين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) ﴾ [البقرة].

أما قوله بقتال الأجهزة الأمنية كسلطة وليس كأفراد فهذا لايعني عدم قتله للعساكر ، وإنما يقصد أنه سيقتلهم لمجرد وجودهم في السلطة الأمنية دون النظر إلى موقف الشخص وحاله ، فمجرد تواجده ضمن أفراد المؤسسة الأمنية كاف لقتاله بل وقتله عند بلحاج ، ولقد وضح هو ذلك في رسالة بعث بها إلى وزير الاتصال الجزائري جاء فيها - « فالمجاهدين – هكذا – الذين يقاتلون أعوان الظلمة لايقاتلونهم لذوات أشخاصهم ، ولكن لأنهم السياج الذي يحتمي به المستبد الطاغية ، فالذين يقتلون أعوان الأمن والجيش والدرك يقاتلونهم بهذا الاعتبار، ولو تخلى هؤلاء عن الطواغيت لانهار كل طاغية » .انتهى كلامه .

وهكذا يرسم على بلحاج للإرهابيين الخطة ويصدر لهم الفتاوى ويحدد لهم الأهداف وانطلقت كتائب الشر تقتل وتذبح وتغزو القرى ، بل تذبح الدعاة والعلماء ، وتستحل قتل الأطفال والنساء ، وتعطل الجمعة والجماعة فيالهول مافعلوا :

١- إنهم يكفرون العساكر وكل عناصر الأجهزة الأمنية والعسكرية :

ففي مجلة الأنصار لسان حال التكفيريين يقول مفتي الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر الملقب أبو قتادة الفلسطيني :

« فكل جندى فى أرض الجزائر مع الدولة وطائفتها وحكمها هو كافر بالله مشرك خالد فى جهنم ، حلال الدم وحلال العرض » مجلة الأنصار العدد ١١٩ . بل يرى أن الجنود فى الجيوش العربية والإسلامية أشد كفرا من اليهود فى جيش الاحتلال فيقول فى ذات العدد « لاترى فرقا بين شرطة عرفات تحت راية وقيادة عرفات ، وبين الجيش اليهودى وشرطة اليهود إلا شرطا واحدا ، وهو أن عرفات وحكومته أشد كفرا ، فهم أشد حكما من اليهود لأن كلاهما له القتل والقتال » ..

٢- إنهم يهجرون المساجد : حيث يعتبرونها مساجد ضرار ، وكذلك كل مسجد بنته الحكومات أو السفارات بالخارج فهو عندهم مسجد ضرار ، كما ذكر أبو قتادة الفلسطيني على موقعه على الانترنت .

ويقول عبد الملك بن آل حمد بن المبارك مخاطبا الدكتور سلمان العودة ...«ثم هل تدرى ياسلمان أن الجماعة الإسلامية المسلحة منعت صلاة الجمعة فى بعض المساجد ، وأرسلت إليها بيانها تقول فيه - « تترك صلاة الجمعة حتى يسقط النظام وإلا ...» وقد تعطلت الجمعة فى كل مساجد البويرة من الأسبوع الثانى من شهر شعبان ١٤١٤ هجرية ، ومن قبلها فى مدينة الأخضرية ، وبعدها فى مدينة القادرية ، والحمس مليانة وبرج منيل ، بل وفى بعض المساجد الكبيرة فى العاصمة وغيرها » ص ٣٨١ مدارك النظر ، وقد ذكر سيد قطب فى ظلاله وجوب اعتزال مساجد الجاهلية ومعابدها عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ونقل عنه على عشماوى وقد قابله فى فترة سجنه أنه فى آخر أيامه كان لايصلى الجمعة ولايرى أنها واجبة .

٣- إنهم يقتلون العلماء : وحتى يتسنى لهم قتلهم لابد أولا من الطعن فيهم وتشويه صورتهم ، وإسقاط هيبتهم من قلوب الخلق لذلك نرى التكفيريين يعمدون إلى هذا الأمر ففى مجلة الأنصار العدد ١٢٨ رجب ١٤١٦ يقول أبوقتادة الفلسطينى : « لقد استطاعت الحكومة الطاغوتية ..... أن تجند الكثير من المشايخ فى أنحاء العالم عملاء لها .

ثم هو بعد ذلك يفتى بقتلهم ففى مقال له بالمجلة المذكورة فى العدد ٩٢ ذوالقعدة ١٤١٥ يقول : « فتوى خطيرة عظيمة الشأن فى حكم الخطباء الذين دخلوا فى نصرة وتأييد المبدلين لشريعة الرحمن » ، أفتى فيها بجواز قتل هؤلاء الخطباء قياسا على قتل علماء الفاطميين العبيديين ، فيقول :

« .... نسوق فى هذه الورقات فتوى أطلقها الأئمة الذين عاصروا الدولة العبيدية عندما كانت بالمغرب فى حق حكامها ، ومن دخل معهم من المشايخ والخطباء الذين خطبوا على المنابر ، ودعوا لهم بالتوفيق ..» وفى تطبيقه لفتواه هذه يبرر لجماعته قتل الشيخ محمد سعيد يالجزائر بحجة أنه فتح جبهة للحوار مع النظام الحاكم ، وكذلك يفتى بقتل شيخ الأزهر ففى مجلته المذكورة يالعدد ٩٤ يقول : « نعم لوقدر لرجل مسلم يحترم عقله أن يرى شيخ الأزهر وهو يتكلم فى إحدى محطات التلفزيون لأيقن أنه لانهض لأمتنا ولاخروج من مأ زقها حتى ترفع شعار » أقتلوا آخر حاكم بأمعاء آخر قسيس خبيث » هكذا يقول جازاه الله بقوله .

أما عن تبريره لقتل الجماعة الإسلامية المسلحة للشيخ محمد سعيد بالجزائر فيقول « اعلم أخى المسلم أن البيان الذى اطلعت عليه فى العدد السابق فى نشرية الأنصار قد أثار الكثير من التساؤلات حول حقيقة الواقع الذى تم موجبا لهذا البيان وهو قتل الشيخ محمد السعيد وصاحبه عبد الرزاق وبعض أفراد تنظيمهم الذى كشفت الجماعة الإسلامية المسلحة عنه ....والبيان لم يوضح سببا شافيا وقاطعا لهذا القتل بل أبقى الكثير من الاحتمالات فإذا تعاملنا مع البيان فقط فهذا

معتقدي لكن عندي ما يجعل لقتله عذرا وتأويلا «........ثم ساق أربعة احتمالات لسبب القتل » ثم هو يزكي جماعته بعد هذه الجرائم فيقول « أن الجماعة الإسلامية المسلحة .....هي راية السنة والجماعة على أرض الجزائر ....» « إنقاذ العباد من وحشية أبي القتاد».

وقد ورد سؤال إلى العلامة ابن باز ﷺ بصدد هذه المسألة أنقله هنا لتجتمع خيوط الفكرة أمام القارئ وإن كنا سنذكره فيما بعد بإذن الله يقول السائل : السؤال الثاني:

قامت الجماعة الإسلامية المسلّحة بتهديد أئمّة وزارة الشّؤون الدينيّة بالجزائر، الذين لا يصرّحون بسبّ الحكّام على المنابر؛ إمّا توقيف صلاة الجماعة والجمعة وإمّا القتل بحجّة أنّه موظّف لدى الطّواغيت، وقد نفّذوا القتل في مجموعة من الأئمّة الذين لم يستجيبوا لهم كما تعطّلت صلاة الجماعة في بعض المدن فما حكم هذا الفعل؟

الجواب: « ما يصلح هذا! هذا أيضا غلط، هذا ما يصلح! الواجب على الدّعاة أن ينصحوا الناس بالكلام الطيب ينصحوا الخطباء وينصحوا الأئمّة حتى يستعملوا ما شرع الله.

أمّا سبّ الأمراء على المنابر فليس من العلاج، فالعلاج الدّعاء لهم بالهداية والتّوفيق وصلاح النّيّة والعمل وصلاح البطانة، هذا هو العلاج،لأنّ سبّهم لا يزيدهم إلا شرّا، لا يزيدهم خيرًا، سبّهم ليس من المصلحة، ولكن يُدعَى لهم بالهداية والتّوفيق والصّلاح حتى يقيموا أمر الله في أرض الله وأنّ الله يصلح لهم البطانة أو يبدلهم بخير منهم إذا أبوا، أن يصلحهم أو يبدلهم بخير منهم، أما سبّهم ولعنهم أو سب الشّرطة أو لعنهم أو ضربهم أو ضرب الخطباء كل هذا ليس من الإسلام .

الواجب النصيحة والبلاغ والبيان قال الله جلّ وعلا: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾

[إبراهيم:٥٢]، فالقرآن بلاغ والسنة بلاغ، قال جلّ وعلا: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩]، قال جلّ وعلا: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾[ص:٣٥] قال جل وعلا: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ [إبراهيم:٤٤]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾[هود:١٢].

فالعلماء هم خلفاء الرّسل، ينذرون الناس ويحذّرونهم من عقاب الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله، ويأمرونهم بتقوى الله، ويحذّرونهم من معاصي الله، وينصحون ولاة الأمور من الأمراء وغيرهم، ينصحونهم، يوجّهونهم إلى الخير ويَدْعُون لهم بالهداية؛ لأنّ هذا أقرب إلى النّجاح وأقرب إلى الخير حتى تنتشر الدعوة، وحتى يتفقّه الناس في الدين، وحتى يعلموا أحكام الله.

أما إذا عُوملوا بالضّرب أو بالوعيد للخطباء وغيرهم كان هذا من أسباب ظهور الشّرّ وكثرة الشّرّ وقلّة الخير .لا حول ولا قوّة إلا بالله. نعم.

وياليت شرهم اقتصر على المساجد فى الجزائر فقط لكنهم تمادوا فى غيهم فدعوا إلى الزحف على المسجد الحرام والاعتصام بداخله يقول على بلحاج فى إحدى خطبه أيام حرب الخليج الأولى « عندى حل فى هذا الحج نمشى جميعا إلى البيت الحرام ونعتصم به فلانخرج حتى تخرج أمريكا من الخليج وآل سعود » راجع فى ذلك « مدارك النظر فى السياسة الشرعية » لعبد الملك بن آل حمد ، لاحظ أنه يسوى بين أمريكا وآل سعود ويهدد بالاعتصام فى الحرم فى موسم الحج ، إنه جهيمان الجزائر الجديد . وهل ترى فارقا بين الاعتصام فى مساجد الجزائر ، أو التهديد بالاعتصام فى المسجد الحرام وبين ماجرى من اعتصام فى مسجد رابعة ومسجد الفتح ومسجد الإيمان ومسجد الاستقامة وغيرها من مساجد القاهرة؟ أليس شيطانهم واحد واعتصاماتهم متعددة ، ومساجدهم متنوعة؟

٤- إنهم يقتلون النساء والأطفال : ورد بالعدد ٩٠ من مجلة الأنصار شوال

١٤١٥ هجرية لأبى قتادة هذا تحت عنوان « فتوى خطيرة الشأن حول جواز قتل الذرية والنسوان ، لخطر هتك الأعراض وقتل الإخوان » وتدور الفتوى حول جواز قتل أبناء الضباط والعساكر ، وكذلك نسائهم بغرض ردعهم عن إيذاء المسلمات والرجال فى أعراضهم ، وكذلك بسبب قتلهم للمقاتلين والمحبوسين فى سجونهم ، فنحن نعاملهم من جنس عملهم حتى يرتدعوا عن قبيح فعالهم - هكذا يقول الرجل - .

وبعد أن سرد مجموعة من النصوص التى يراها تؤيد وجهة نظره قال : « بهذا يتبين أن مافعلته الجماعة الإسلامية المسلحة من تهديد ذرية المرتدين بالقتل من أجل تخفيف وطأتهم على النساء والمساجين والإخوان هو عمل شرعى لا شبهة فيه » هكذا يرى الرجل لكن أخى القارئ هل ترى فارقا بين هذا وبين مايقوله بعض التكفيريين فى مصر من جواز خطف أطفال ونساء الضباط ، بل وتحريق بيوتهم وسياراتهم عليهم بزعم طلب الإفراج عن الحرائر أو الانتقام منهم، بحجة أنهم انتهكوا أعراض المعتقلات فى أقسام الشرطة أو السجون ؟ أليس هو نفس الكلام ونفس المنطق ؟ طبعا مع رفضنا لهذه الأفعال بكل صورها ، ومن أى شخص صدرت ، بل ونطالب بمحاكمة مرتكبيها متى وقعت بالفعل.

٥- إنهم يقتلون آباءهم وأمهاتهم : يقول القرآن الكريم :

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣].

ويقول الشاعر العربى : -

أغرى امرؤ يوما غلاما جاهلا	بنقوده كي ما ينال به الوطر
قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى	ولك الجواهر والدراهم والدرر
فمضى وأغمد خنجرا في صدرها	والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى	فتدحرج القلب المضرج إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو معفّر	ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر

فكـأن هـذا الصـوت رغـم حنـوه غضب السماء على الغلام قد انهمر
فـدرى فظيـع جنايـة لم يجنهـا ولـد سـواه منـذ تـاريخ البشـر
فارتـد نحـو القلـب يغسـله بمـا سالت بها عيناه مـن فـيض العبـر
ويقـول يـا قلـب انـتقم منـي ولا تغفـر فـإن جريمتـي لا تغتفـر
واسـتل خنجـره لـيطعن نفسـه طعنـا فيبقـى عبـرة لمـن اعتبـر
نـاداه قلـب الأم كـف يـدا ولا تطعـن فـؤادي مـرتين عـلى الأثـر

هذه هى الأم ، وهذه هـى الفطـرة الإحسـان للوالـدين ، غيـر أن التكفيـريين لايعرفون ذلك بل يتباهون بعكسه ففـى مجلـة الأنصـار العـدد ١٤٧ ذى الحجـة ١٤١٦ هجرية الموافق ٢/ ٥/ ١٩٩٦ نشرت صورة من مقال بمجلة القتـال التـى تصـدرها الجماعـة الإسـلامية المسـلحة بـالجزائر فى عـددها ٣٢ وهـى النـاطق الرسمى بلسان هذه الجماعة تحت عنوان هكذا ليكن الجهـاد .....إحيـاء مسـيرة السلف .

وجاء فيه « لقد وصل أفراد الجماعة الإسلامية إلى الدرجة التى نحمد الله عليها بالبراءة من المرتدين وأعوانهم ، حتى لـو كـانوا آبـاءهم وأهلـيهم ، وماذلـك إلا بسبب فهمهم لعقيدة السلف الصالح والتشبه بسـيرة الصـحابة ﷺ ، فـإن بعـض عمليات أفراد الجماعة فى تطبيق حكم الله فى المرتدين وأعوانهم كانت ضد أبائهم وإخوانهم ، ففى بوقرة – منطقة بالجزائر – قام شاب مـن أفـراد الجماعـة بتطبيـق حكم الله تعالى فى والديه بعدما رفضا حكم الله تعالى وذلك بقبولهما بتزويج أختـه إلى رجل مليشى » . أى من الشرطة أو من أنصارها ».

حقا صدق الله ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾.

٦- إنهم يخطفون النساء والفتيات : كتبت مقالا منذ سنتين تقريبـا أحـذر فيـه من استحلال داعش وأخواتها للنساء ، وأخذهم لهن سبايا أو فى نكـاح الجهـاد ، واعترض على مقالى أحد الشباب صغار السـن ، واتهمنـى أننـى أروج الشـائعات

بدون دليل ، وانتهى الحوار معه يومها ، ولم يمض كثير وقت حتى طفت كل القضايا على السطح ، وبان المستور وانكشف الغطاء ، ورأينا أسواق الرقيق تقام فى الشام ، وعرفنا قصصا بأسماء صاحباتها يحكين ماعايشن من هذه الأمور ، والغريب أن نجد نفرا ممن يظهرون فى المنتديات والمحافل يرفض وصف داعش وأخواتها بممارسة نكاح الجهاد ، أو سبى النساء بزعم أن ذلك تشويه لصورة الإسلام ، ولا أدرى هل داعش هى الإسلام ؟ هل إظهار فضائح داعش وأ خواتها يسىء إلى الإسلام ؟ أم يبرىء ساحته ؟ يا سادة داعش هي الخنجر المسموم في جسد الإسلام.

لازلنا نصر على دفن رؤوسنا فى الرمال والإغضاء عن الحقيقة ، بالرغم أن تجاهلنا لها ، وإنكارنا إياها لايغير من واقع الأمر شيئا ، بل بالعكس يعطيها الفرصة لتستفحل وتزداد وتلصق مثل هذه القبائح المشينة بالإسلام الطاهر ، ويتلقفها الشرق والغرب يشهرون بها على هذا الدين الحنيف بسبب كيد أعداءه وصمت أبنائه .

ولو تكلمنا بالحقيقة لبرأنا الإسلام وهو البرىء ، ولنزهنا صورته وهو النزيه ، لكن بلا شك فإن صمتنا هذا يعطى صورة مريبة عنا وعن الإسلام ، ويعطى الفرصة لكل من هب ودب ليجرح فينا ويسىء إلى ديننا ، إنهم فعلا يأخذون النساء رغما عن أسرهن ويذهبون بهن للجبال والشقق للتسرية عن المقاتلين ، وأنا هنا أحيلك إلى كتاب « أنا نادية » للكاتبة مى عزام تحكى فيه مذكرات زوجة أمير بالجماعة الإسلامية بالجزائر ، وتنقل على لسانها كيف كان المقاتلون الإرهابيون يأخذون الفتيات معهم إلى الجبال دون موافقة أهليهن ، بل رغما عنهن وعن أسرهن ، إنها تحكى ما رأته ، وتصف ماشاهدته بعينها ، وذلك بعدما قتل زوجها فى حملة قام بها الجيش على الجبال ، أحيلك إلى الكتاب ، وكذلك إلى كتاب القتل المقدس للصحفى محمد حميدة ، حيث أفرد فصلا خاصا بنكاح الجهاد لدى داعش وذكر حالات محددة غير مجهولة ، كما نقل فى حوار له مع

أحد الدواعش بمصر يعترف فيه بأخذ داعش للنساء بمسميات مختلفة ، ولا ننسى بالطبع ماحدث مع شكرى مصطفى وتزويجه للبنات من شباب جماعته بغير علم أهليهن ولا ولايتهم ، بل كان يزوج المرأة من شباب الجماعة وهى فى عصمة زوجها الأول ، لم يطلقها بزعم أن زوجها كافر أو مرتد ، ويستدل على فعله القبيح هذا بقوله تعالى : ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] ، أحيلك إلى هذه المراجع وغيرها لتقرأ بنفسك وتحكم بضميرك بعد ما تقرأ وهاهم يعترفون للشيخ ابن عثيمين رحمه الله يقول السائل :

من الفساد الذي حدث في هذه الفتنة: هو أن بعضَ النساء أو الفتيات تعرَّضْنَ للاغتصاب من طرف هؤلاء الذين يصعدون الجبال!

الشيخ: نسأل الله العافية!

السائل: فكثيرٌ منهنَّ حوامل، وبعضُهم أصدر فتوى ... بجواز الإجهاض في مثل هذه الحالة ... أن هؤلاء الفتيات اغتُصبن، والآن وقعنَ في هذه المشكلة، فكثيرٌ منهنَّ يسأل؟

الشيخ: إفتاؤهنَّ هؤلاء المغتصَبات بإجهاضِ الحمل صحيحٌ، ما لَم يبلغ الحملُ أربعةَ أشهر، فإذا بلغ أربعةَ أشهرٍ نُفخت فيه الرُّوح ولا يُمكن إسقاطه، أمَّا قبل ذلك فإسقاطُه أولى من إبقائه انتهى كلام الشيخ ، ولا أعلق هنا بأكثر من ذلك، لأننا سننقل لاحقا اعترافات الإرهابيين على أنفسهم أنهم استحلوا النساء فى الجزائر ، وأن النساء قد حملن منهم بالفعل ، فجاء التكفيريون يسألون الفقهاء عن هؤلاء النسوة وعن كيفية التعامل مع الجنين؟ ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ . ويا للعجب المجرمون يعترفون وبعضنا يدافع عنهم.

٧- إنهم يغزون القرى ويعتبرونها غنائم :- يقول الأستاذ سيد قطب فى ظلال القرآن ج٣ ص ١١٩٨ : « إن من أطاع بشرا فى شريعة من عند نفسه ولو فى جزئية صغيرة فإنما هو مشرك ، وإن كان فى الأصل مسلما ثم فعلها فإنما خرج بها من

الإسلام إلى الشرك أيضا ....مهما بقى بعد ذلك يقول أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه بينما يتلقى من غير الله ويطيع غير الله ، وحين ننظر إلى وجه الأرض اليوم فى ضوء هذه التقريرات الحاسمة فإننا نرى الجاهلية والشرك ، ولاشيء غير الجاهلية والشرك إلا من عصم الله فأنكر على الأرباب الأرضية ماتدعيه من خصائص الألوهية ولم يقبل منها شرعا ولاحكما ...إلا فى حدود الإكراه » .

من هنا بدأت القصة حيث يرى سيد أن من أطاع الحكام فى قوانينهم فهو كافر مشرك حتى لو كان ينطق الشهادتين ، وبالتالى لما كان الناس يطيعون فى ذلك فهم كفار مشركون لأنه كما يرى أبوقتادة فى مجلته الأنصار أن جميع الحكام كفار ، فلايرى فرقا بين زروال الجزائرى ، وبين الحسن المغربى ، فكلاهما عنده مرتد كافر وأن حكمهما فى القتل والقتال سواء ، هكذا يقول فى العدد ١١٩ من مجلته . وبالتالى فهو يكفر العساكر لأنهم يدافعون عن الحكام ، ويكفر المجتمعات والشعوب بسبب كفر حكامها ، ولأنهم يقبلون منهم التشريعات كما قال سيد قطب، وطبعا هذا هو معتقد الخوارج كما نعلم حيث قال الأشعرى فى مقالات الإسلاميين « وقالت طائفة من البيهسية إذا كفر الإمام كفرت الرعية ، وقالت الدار دار شرك وأهلها جميعا مشركون ، وتركت الصلاة إلا خلف من تعرف ، وذهبت إلى قتل الغيلة وأخذ الأموال واستحلت القتل والسبى .....» والبيهسية هؤلاء هم طائفة من فرقة الخوارج .

وقالت الأزارقة من الخوارج أيضا : « أن من أقام فى دار الكفر فهو كافر لايسعه إلا الخروج » .

وتقول الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر « بعد أن نقى الصف وتمايزت الصفوف ، وبدأت تظهر بوادر معرفة حقائق القرى والمدن ، وخلوصها إلى نصرة المجاهدين أو دخولهم فى دين الطاغوت وانضمامهم إلى الميلشيات ، فإن المعركة على أرض الجزائر تزداد ضراوة ...» وبالفعل تزداد المعركة ضراوة ، فكانوا ينزلون على القرية من الجبال فيقتلون رجالها ، ويسبون نساءها ،

ويحرقون بيوتها ، ثم يغادرون إلى الجبال ليعودوا بعدها إلى قرية أخرى ، وكم قتلوا الآباء أمام الأطفال ، وقتلوا الأطفال أمام أمهاتهم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .وإليك بعضا من هذه المجازر التى ارتكبوها فى حق الأهالى والمدنيين حيث كان عام ١٩٩٧ قد شهد منعطفًا خطيرًا في الصراع وبدأت سلسلة من العمليات التي استهدفت المدنيين، وكان الذبح الطريقة الشائعة في هذه الجرائم ، وفيما يلي قائمة بهذه المذابح:

- مذبحة ثاليت في ٣ أبريل ١٩٩٧ في المدية وقتل فيها ٥٢ شخص من مجموع ٥٣ شخصًا من ساكني القرية.

- مذبحة حوش خميستي في ٢١ أبريل ١٩٩٧ وقتل فيها ٩٣ قرويًا في ٣ ساعات.

- مذبحة دائرة لابقوير في ١٦ يونيو ١٩٩٧ وقتل فيها ٥٠ مدنيًا .

-مذبحة سي زيروق في ٢٧ يوليو ١٩٩٧ وقتل فيها حوالي ٥٠ مدنيا.

- مذبحة قويد الحاد ومزوارة في ٣ أغسطس ١٩٩٧ وقتل فيها ما يقارب ٧٦ مدنيًا.

- مذبحة سوهاني في ٢٠ أغسطس ١٩٩٧ وقتل فيها ٦٤ مدنيًا.

-مذبحة بني علي في ٢٦ أغسطس ١٩٩٧ وقتل فيها ما يقارب ١٠٠ مدني.

- مذبحة ريس في ٢٩ أغسطس ١٩٩٧ وقتل فيها ٤٠٠ شخص.

- مذبحة بني مسوس في ٥ سبتمبر ١٩٩٧ وقتل فيها ٨٧ مدنيًا.

- مذبحة جويلب الكبير في ١٩ سبتمبر ١٩٩٧ وقتل فيها ٥٣ مدنيًا.

- مذبحة بن طلحة في ٢٢ سبتمبر ١٩٩٧ وقتل فيها ٢٠٠ قروي.

- مذبحة سيد العنتري في ٢٣ ديسمبر ١٩٩٧ وقتل فيها ١١٧ مدنيًا.

- مذبحة ولاية غليزان في ٣٠ ديسمبر ١٩٩٧ وقتل فيها ٢٧٢ مدنيًا.

- مذبحة سيدي حميد في ١١ يناير ١٩٩٨ وقتل فيها ١٠٣ مدنيين.

- مذبحة قويد بواجة في ٢٦ مارس ١٩٩٨ وقتل فيها ٥٢ مدنيًّا .

-مذبحة تاجينا في ٨ ديسمبر ١٩٩٨ وقتل فيها ٨١ مدنيًّا

.وكانت هذه المذابح التي استهدفت سكان هذه القرى لا تميز بين ذكر أو أنثى، أو بين طفل رضيع وشيخ طاعن في السن، وكانت طرق القتل في غاية الوحشية، وكانت أصابع الاتهام موجهة إلى الجماعة الإسلامية المسلحة التي اعترفت بنفسها عن مسؤوليتها عن مذبحتي ريس وبن طلحة، وكان التكفير هو المبرر الذي استعملته الجماعة، فكل جزائري لا يقاتل الحكومة كان في نظرهم كافرًا .وكان المبرر الآخر هو انضمام بعض ساكني تلك القرى إلى الميليشيات الموالية للحكومة.

أقول هذا مع علمي بوقوع بعض العمليات القذرة ضد المدنيين ونسبتها إلى جماعات العنف والتكفير ، بقصد تحريض المواطنين وإرهابهم من هذه الجماعات وتخويفهم منها ، وقد ذكر ذلك بعض ضباط الجيش الجزائرى كما هو معلوم .

لعلنا بعد ماذكرنا من معالم الفتنة نفهم سر تقسيم القاعدة والظواهرى العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر إلى فسطاطين ، فسطاط إيمان لا نفاق فيه يضمه وأمثاله من المقاتلين المجاهدين ، وفسطاط آخر نفاق لا إيمان فيه ، يضم كل من وقف ضدهم .

نفس سياسة بوش الابن « من لم يكن مع أمريكا فهو ضدها » إنها مأساة بمعنى الكلمة ، لكن أين الفقهاء ؟ أين حملة الشريعة والعدول من العلماء الذين بشر بهم رسول الله ﷺ : **«يحمل هذا الدين من خلف عدوله »**.؟

ولايفوتنى التذكير بأن محمد سرور زين العابدين سخر مجلة السنة يومها للهجوم على الجيش والسلطة فى الجزائر ، وطالب الجنود بخلع الزى العسكرى ، واللحاق بالمجاهدين فى الجبال كما يقول هو ، أما الدكتور صفوت عبد الغنى فلم يرق له أيضا دخول جبهة الإنقاذ فى العملية الانتخابية اتساقا مع أفكار جماعته الرافضة لسلوك هذا الطريق يومها ، وبمجرد أن استولى الجيش الجزائرى على السلطة وألغى الانتخابات انبرى بقلمه على صفحات جريدة الحقيقة لسان حزب الأحرار يومها ، وسطر أكثر من مقالة تحت عنوان « دروس من تجربة الجزائر» نعى فيها على الذين أضاعوا الوقت والجهد فى العمل الحزبى ، ودعا لحمل السلاح والقتال لأنه هو السبيل الوحيد لاستعادة مجد وعز الإسلام ، وردع الحكومات الكافرة المبدلة للشرائع على حد قوله يومها ، ولست أدرى بعد استجابة جبهة الإنقاذ والجماعة الإسلامية المسلحة لقوله ودعوته ، وبعدما ذهبت أم خالد الإسلامبولى إلى الجزائر لتهدى لعباس مدنى منديلا معطرا بدم ابنها الذى أعدم فى قضية اعتيال السادات ، وبعدما سالت الدماء أنهارا فى الجزائر، وبعدما قتل مئات الآلاف من الطرفين ، و بعدما فشلت نظرية العنف التى أسس وروج لها صفوت ورفاقه ، ماذا هو قائل الآن ؟ وهل سيستفيد من الأحداث ؟ لا أعتقد ذلك ففى ظل استحواذه ومجموعة الصقور على الجماعة والحزب توحدت الجماعة والحزب مع الإخوان أو كادا أن يتوحدا ، ومارسا الكثير من أعمال التحريض والترويع والإرهاب للمواطنين ، ونظموا مظاهرات الحرق والتدمير ، ودافعوا عن الطرق المبتكرة لإنجاح الثورة كما يقولون ، وتمسكوا بعاصم عبد الماجد وقالوا إن وجوده فخر لأى جماعة وهاهم يخرجون من حلف إلى حلف يمارسون الإرهاب ضد الدولة ومؤسساتها ، فتارة فى اعتصام رابعة والنهضة ، وأخرى فيما يسمونه المجلس الثورى ، وثالثة فيما يدعى تحالف دعم الشرعية ، وأخرى فى حلف الفضول الذى دعا إليه الإرهابى الهارب فى قطر ، والبقية تأتى .

المطلب الثالث : حكم الشريعة العصماء فيما أريق على أرض الجزائر من الدماء

لاشك أن العلماء لم ولن يغيبوا عن واقع الأمة وهمومها ، لكن المشكلة فى دعاة العنف أنهم لايرجعون للعلماء ، ولايسألونهم قبل البدء فى ممارسة عنفهم ، ولقد بسطت الكلام فى هذه القضية فى كتاب « نظرات فى التفكير والتكفير » حيث ذكرت هناك أن أهل الحق يتعلمون ثم يتكلمون ، وأنهم يستدلون ثم يعتقدون ، بعكس دعاة العنف والتكفير ، فهم يتكلمون عن غير علم ، ويعتقدون دون الاستدلال ، أو على الأقل قبل الاستدلال الصحيح ، ذلك لأنهم لايثقون فى علماء زمانهم ، ويكتفون بتوجيهات قادتهم وزعمائهم ، وبعدما تتصاعد الأحداث ويتأزم الموقف يسألون أو يسأل بعضهم أين العلماء ؟ وفى الحقيقة العلماء حضور لم يغيبوا لكن دعاة العنف ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ وقالوا لاتسمعوا لهؤلاء العلماء فهم علماء سلطة ، ووعاظ شرطة ، أو فى أحسن الأحوال هم علماء لايعرفون فقه الواقع ، وبالتالى لاتسألوهم لأنهم لن ينفعوكم فى جهادكم ، بل منهم من يتهم فقهاء الإسلام بالعمالة للصهيونية واليهود، كما قال بعضهم عن الشيخ الألبانى ﵀ ، وكما يسمون الفقهاء بعلماء الحيض والنفاس ، ويقول عاصم عبد الماجد على صفحته بالفيس بوك عن دار الإفتاء المصرية « هذه دار للنفاس والتوليد » والحمد لله فقد تخيلوا فخالوا وهموا بما لم ينالوا ، وكان العلماء النبهون لهم بالمرصاد يكشفون ضلالهم ، ويجلون انحرافهم ، ويصححون أخطاءهم ، فى أى مكان نزلوا فيه ، وأنقل هنا مجموعة من الفتاوى لكبار علماء الأمة بشأن الأحداث فى الجزائر ، ويتعرضون أثناء الفتاوى لأماكن أخرى جرت فيها أحداث للعنف والإرهاب ، ونرى المراسلات المباشرة بين العلماء وبين قادة الإرهاب ينهاهم الفقهاء فيها عن العنف ، وكذلك المحادثات الهاتفية ، والاستفتاءات المباشرة ، فالحمد لله الذى جعل فى كل زمان فترة بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويبصرون بكتاب الله أهل العمى ، ويصبرون منهم على الأذى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ؟ وكم من

ضال قد هدوه ؟ بذلوا أنفسهم دون هلكة العباد ، فما أعظم أثرهم على الناس ، فلاتقصر أن تكون منهم فإنهم والله فى منزلة رفيعة . وهانحن نشرع فى ذكر بعض الفتاوى ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتاب فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من الدماء على أرض الجزائر « لمؤلفه عبد الملك آل حمد المبارك ، ففيه شفاء وغناء بإذن الله وكذلك فتاوى الشيخ العثيمين والعلامة ابن باز والمحدث الألبانى ، وفتاوى دار الإفتاء المصرية وغيرها من الفتاوى الجماعية والفردية الصادرة عن أهل العلم والأمانة فى هذه الأمة المكرمة .

مسألة : فتاوى العلاَّمة عبد العزيز بن باز رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس اللجنة الدائمة للإفتاء.

فقد سُئل بمكة يوم (٢٦) من ذي الحجة (١٤١٤هـ) وهو مسجل في التوعية الإسلامية عمّا يأتي :

السؤال الأول:

الجماعة الإسلامية المسلّحة بالجزائر قَوَّلَتكم أنّكم تؤيّدون ما تقوم به من اغتيالات للشرطة وحمل السّلاح عمومًا، هل هذا صحيح؟ وما حكم فعلهم مع ذكر ما أمكن من الأدلّة جزاكم الله خيرا؟

الجواب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز:

- بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلّى الله وسلّم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه. أما بعد:

فقد نصحنا إخواننا جميعًا في كل مكان أعني الدّعاة نصحناهم أن يكونوا على علم وعلى بصيرة وأن ينصحوا الناس بالعبارات الحسنة والأسلوب الحسن والموعظة الحسنة وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، عملا بقول الله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت:٤٦] ، فالله جلّ وعلا أمر العباد بالدعوة إلى الله وأرشدهم إلى الطريقة الحكيمة، وهي الدعوة إلى الله بالحكمة يعني بالعلم: قال الله، قال رسوله،

وبالموعظة الحسنة وجدالهم بالتي هي أحسن، عند الشّبهة يحصل الجدال بالتي هي أحسن والأسلوب الحسن حتى تزول الشّبهة.

وإن كان أحد من الدّعاة في الجزائر قال عنّي: قلت لهم: يغتالون الشّرطة أو يستعملون السّلاح في الدعوة إلى الله هذا غلط ليس بصحيح بل هو كذب.

إنّما تكون الدعوة بالأسلوب الحسن: قال الله، قال رسوله، بالتّذكير والوعظ والتّرغيب والتّرهيب، هكذا الدعوة إلى الله كما كان النبي ﷺ وأصحابه في مكّة المكرمة قبل أن يكون لهم سلطان، ما كانوا يَدْعُون الناس بالسّلاح، يدعون الناس بالآيات القرآنية والكلام الطيّب والأسلوب الحسن؛ لأنَّ هذا أقرب إلى الصّلاح وأقرب إلى قبول الحق.

أمّا الدعوة بالاغتيالات أو بالقتل أو بالضرب فليس هذا من سنّة النبي ﷺ ولا من سنّة أصحابه، لكن لَمّا ولاّه الله المدينة وانتقل إليها مهاجرًا كان السّلطان له في المدينة وشرع الله الجهاد وإقامة الحدود، جاهد عليه الصلاة والسلام المشركين وأقام الحدود بعد ما أمر الله بذلك.

فالدّعاة إلى الله عليهم أن يَدْعُوا إلى الله بالأسلوب الحسن: بالآيات القرآنية والأحاديث النّبوية، وإذ لم تُجدِ الدعوة رفعوا الأمر للسّلطان ونصحوا للسّلطان حتى ينفّذ، السّلطان هو الذي ينفّذ، يرفعون الأمر إليه فينصحونه بأنّ الواجب كذا والواجب كذا حتى يحصل التّعاون بين العلماء وبين الرؤساء من الملوك والأمراء ورؤساء الجمهوريّات.

الدّعاة يرفعون الأمر إليهم في الأشياء التي تحتاج إلى فعل: إلى سجن، إلى قتل، إلى إقامة حدّ، وينصحون ولاة الأمور ويوجّهونهم إلى الخير بالأسلوب الحسن والكلام الطيّب، ولهذا قال جلّ وعلا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[العنكبوت: ٤٦]، فلو ظلم أحد من أهل الكتاب أو غيرهم فعلى وليّ الأمر أن يعامله بما يستحق،

أما الدّعاة إلى الله فعليهم بالرّفق والحكمة لقول النبي ﷺ: «إن الرّفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزَع من شيء إلا شانه» ، ويقول عليه الصلاة والسلام :«مَن يُحْرَم الرّفق يحرم الخير كله» .

فعليهم أن يَعِظوا الناس ويذكّروهم بالعذاب والأحاديث ومن كان عنده شبهة يجادلونه بالتي هي أحسن: الآية معناها كذا، الحديث معناه كذا، قال الله كذا، قال رسوله كذا، حتى تزول الشّبهة وحتى يظهر الحق.

هذا هو الواجب على إخواننا في الجزائر وفي غير الجزائر ، فالواجب عليهم أن يسلكوا مسلك الرسول عليه الصلاة والسلام حين كان في مكّة والصّحابة كذلك، بالكلام الطيّب والأسلوب الحسن؛ لأنّ السلطان ليس لهم الآن لغيرهم، وعليهم أن يناصحوا السلطان والمسؤولين بالحكمة والكلام الطيب والزّيارات بالنيّة الطيبة حتى يتعاونوا على إقامة أمر الله في أرض الله، وحتى يتعاون الجميع في ردع المجرم وإقامة الحق.

فالأمراء والرّؤساء عليهم التّنفيذ، والعلماء والدّعاة إلى الله عليهم النصيحة والبلاغ والبيان. نسأل الله للجميع الهداية.

السؤال الثاني:

قامت الجماعة الإسلامية المسلّحة بتهديد أئمّة وزارة الشّؤون الدينيّة بالجزائر، الذين لا يصرّحون بسبّ الحكّام على المنابر؛ إمّا توقيف صلاة الجماعة والجمعة وإمّا القتل بحجّة أنّه موظّف لدى الطّواغيت، وقد نفّذوا القتل في مجموعة من الأئمّة الذين لم يستجيبوا لهم كما تعطّلت صلاة الجماعة في بعض المدن فما حكم هذا الفعل؟

الجواب: « ما يصلح هذا! هذا أيضا غلط، هذا ما يصلح! الواجب على الدّعاة أن ينصحوا الناس بالكلام الطيب ينصحوا الخطباء وينصحوا الأئمّة حتى يستعملوا ما شرع الله.

أمّا سبّ الأمراء على المنابر فليس من العلاج، فالعلاج الدّعاء لهم بالهداية والتّوفيق وصلاح النّيّة والعمل وصلاح البطانة، هذا هو العلاج،لأنّ سبّهم لا يزيدهم إلا شرّا، لا يزيدهم خيرًا، سبّهم ليس من المصلحة، ولكن يُدعَى لهم بالهداية والتّوفيق والصّلاح حتى يقيموا أمر الله في أرض الله وأنّ الله يصلح لهم البطانة أو يبدلهم بخير منهم إذا أبوا، أن يصلحهم أو يبدلهم بخير منهم، أما سبّهم ولعنهم أو سب الشّرطة أو لعنهم أو ضربهم أو ضرب الخطباء كل هذا ليس من الإسلام .

الواجب النصيحة والبلاغ والبيان قال الله جلّ وعلا: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٥٢]، فالقرآن بلاغ والسنة بلاغ، قال جلّ وعلا: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩]، قال جلّ وعلا: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾[ص:٣٥] قال جل وعلا: ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ ﴾ [إبراهيم:٤٤]، ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[هود:١٢].

فالعلماء هم خلفاء الرّسل، ينذرون الناس ويحذّرونهم من عقاب الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله، ويأمرونهم بتقوى الله، ويحذّرونهم من معاصي الله، وينصحون ولاة الأمور من الأمراء وغيرهم، ينصحونهم، يوجّهونهم إلى الخير ويَدْعُون لهم بالهداية؛ لأنّ هذا أقرب إلى النّجاح وأقرب إلى الخير حتى تنتشر الدعوة، وحتى يتفقّه الناس في الدين، وحتى يعلموا أحكام الله.

أما إذا عُوملوا بالضّرب أو بالوعيد للخطباء وغيرهم كان هذا من أسباب ظهور الشّرّ وكثرة الشّرّ وقلّة الخير .لا حول ولا قوّة إلا بالله. نعم؟.

السؤال الثّالث:

كما قامت هذه الجماعة بقتل بعض النساء اللاّئي أبين ارتداء الحجاب، فهل يسوغ لهم هذا؟

الجواب: « هذا أيضا غلط، لا يسوغ لهم هذا، الواجب النصيحة، النصيحة للنّساء حتى يحتجبن، والنصيحة لمن ترك الصلاة حتى يصلّي، والنصيحة لمن يأكل الرّبا حتى يدع الرّبا، والنصيحة لِمَن يتعاطى الزّنى حتى يَدَع الزّنى، والنصيحة لمن يتعاطى شرب الخمر حتى يدع شرب الخمر، كلٌّ يُنصح، ينصحون: قال الله وقال رسوله: بالآيات القرآنيّة والأحاديث النبوية، ويحذّرونهم من غضب الله ومن عذاب يوم القيامة.

أما الضّرب أو القتل أو غير ذلك من أنواع الأذى فلا يصلح للدّعاة، هذا ينفّر من الدعوة. ولكن على الدّعاة أن يتحلّوا بالحلم والصبر والتّحمّل والكلام الطيب في المساجد وفي غيرها حتى يكثر أهل الخير ويقلّ أهل الشّرّ، حتى ينتفع الناس بالدعوة ويستجيبوا».

السؤال الأخير:

يا شيخ! سؤال أخير بارك الله فيكم :لعلّ بعض الإخوة مِمَّن يَميل إلى السلفية ويحبّ العلماء يصغي إلى كلام العلماء، فماذا تنصحون من تورّط في هذه الاغتيالات أو شيء من هذا يا شيخ؟

الجواب: « أنصحهم بالتوبة إلى الله وأن يلتزموا الطريقة التي سار عليها السّلف الصّالِح بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، الله يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت:٣٣]، فلا يورّطون أنفسهم في أعمال تسبّب التّضييق على الدعوة وإيذاء الدّعاة وقلّة العلم، لكن إذا كانت الدعوة بالكلام الطيب والأسلوب الحسن كثر الدّعاة وانتفع الناس بهم،

وسمعوا كلامهم واستفادوا منهم وحصل في المساجد وفي غير المساجد الحلقات العلميّة والمواعظ الكثيرة حتى ينتفع النّاس.

الله يهدي الجميع، نسأل الله للجميع الهداية والتّوفيق » ا.هـ.

* سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله يُجيب على مسائل مهمّة في الخروج على الولاة :

س ١ : سماحة الشيخ، هناك مَن يرى أن اقترافَ بعض الحُكّام للمعاصي والكبائر مُوجبٌ للخروج عليهم ومحاولة التغيير وإن ترتّب عليه ضررٌ للمسلمين في البلد، والأحداثُ التي يُعاني منها عالَمنا الإسلامي كثيرة، فما رأيُ سماحتكم؟

ج ١ : « بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهداه، أمّا بعد:

فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [النساء].

فهذه الآيةُ نصٌّ في وجوب طاعة أولي الأمر، وهم الأمراءُ والعلماءُ، وقد جاءت السنةُ الصحيحةُ عن رسول الله ﷺ تُبيِّن أن هذه الطاعةَ لازمةٌ وهي فريضةٌ في المعروف.

والنصوصُ من السنة تُبيِّن المعنى، وتُفيد بأنَّ المرادَ طاعتُهم بالمعروف، فيجب على المسلمين طاعة وُلاة الأمور في المعروف لا في المعاصي، فإذا أمروا بالمعصيةِ فلا يُطاعون في المعصية، لكن لا يجوز الخروجُ عليهم بأسبابها؛ لقوله ﷺ: «ألا مَن وَلِيَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية

الله ولا ينزعنَّ يدًا من طاعة ، ومَن خرج من الطاعة وفارق الجماعةَ فمات، مات ميتةً جاهلية» ، وقال ﷺ : «على المرءِ السمعُ والطاعة فيما أحبَّ وكرِه، إلا أن يؤمَر بمعصيةٍ، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» .

وسأله الصحابيُّ لَمَّا ذكر أنَّه سيكون أمراء تعرفون منهم وتُنكرون قالوا: فما تأمرنا؟ قال :أَدُّوا إليهم حقَّهم وسَلوا اللهَ حقَّكم .

قال عُبادة بن الصامت ﷺ :بايَعْنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة في مَنْشَطنا ومَكرَهنا، وعُسرِنا ويُسرِنا، وأَثرة علينا، وأن لا نُنازع الأمرَ أهلَه ، وقال: إلا أن تَرَوْا كُفرًا بَواحًا عندكم من الله فيه بُرهان .

فهذا يدلُّ على أنَّهم لا يجوز لهم منازعة وُلاة الأمور ولا الخروج عليهم إلا أن يَرَوْا كُفرًا بواحًا عندهم من الله فيه بُرهان، وما ذاك إلا لأنَّ الخروجَ على وُلاة الأمور يُسبِّبُ فسادًا كبيرًا وشرًّا عظيمًا فيختلُّ به الأمنُ، وتضيعُ الحقوقُ ولا يَتيَسَّر رَدْعُ الظالِم ولا نَصْرُ المظلوم، وتختلُّ السُّبُلُ ولا تأمَن، فيترتَّبُ على الخروج على وُلاة الأمور فسادٌ عظيمٌ وشرٌّ كبيرٌ، إلا إذا رأى المسلمون كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالتِه إذا كان عندهم قدرة، أمَّا إذا لَم يكن عندهم قُدرةٌ فلا يخرجوا، أو كان الخروجُ يُسبِّبُ شرًّا أكثر فليس لهم الخروجُ؛ رعايةً للمصالح العامة، والقاعدة الشرعية المجمع عليها (أنَّه لا يجوز إزالةُ الشرِّ بما هو أشرُّ منه، بل يجب دَرءُ الشرِّ بما يُزيلُه أو يُخفِّفُه.

وأمَّا دَرْءُ الشرِّ بشرٍّ أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين، فإذا كانت هذه الطائفةُ التي تُريد إزالةَ هذا السلطان الذي فعل كفرًا بواحًا وعندهم قدرة تُزيله بها وتضع إمامًا صالِحًا طيِّبًا من دون أن يترتَّب على هذا فسادٌ كبير على المسلمين وشرٌّ أعظم من شرِّ هذا السلطان فلا بأس.

أمَّا إذا كان الخروجُ يترتَّب عليه فسادٌ كبيرٌ واختلالُ الأمن وظلمُ الناس واغتيالُ من لا يستحقُّ الاغتيال، إلى غير هذا من الفسادِ العظيم، فهذا لا يجوز، بل يجب

الصبرُ والسمعُ والطاعةُ في المعروف ومناصحة ولاة الأمور والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد في تخفيف الشرِّ وتقليلِه وتكثيرِ الخير، هذا هو الطريقُ السويُّ الذي يجب أن يُسلك؛ لأنَّ في ذلك مصالح للمسلمين عامة، ولأنَّ في ذلك تقليل الشرِّ وتكثير الخير، ولأنَّ في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شرٍّ أكثر ، نسأل اللهَ للجميع التوفيق والهداية.

س ٢: سماحة الوالد: نَعلمُ أن هذا الكلامَ أصلٌ من أصول أهل السنَّة والجماعة، ولكن هناك للأسفِ من أبناء أهل السنَّة والجماعة مَن يرى هذا فِكرًا انهزاميًّا، وفيه شيءٌ من التخاذل، وقد قيل هذا الكلام ... لذلك يَدْعُون الشبابَ إلى تَبنِّي العنفَ في التغيير؟ .

ج ٢: « هذا غلَطٌ من قائله وقلَّة فَهْم؛ لأنَّهم ما فهِموا السنَّةَ ولا عرَفوها كما ينبغي، وإنَّما تحملهم الحماسةُ والغيرةُ لإزالةِ المنكر على أن يقعوا فيما يُخالفُ الشرعَ كما وقعت الخوارجُ والمعتزلة، حملهم حبُّ نصرِ الحقِّ أو الغيرة للحقِّ، حملهم ذلك على أن وقعوا في الباطل حتَّى كفَّروا المسلمين بالمعاصي، أو خلَّدوهم في النار بالمعاصي كما تفعل المعتزلة.

فالخوارجُ كفَّروا بالمعاصي وخلَّدوا العصاةَ في النار، والمعتزلةُ وافقوهم في العاقبة وأنَّهم في النار مُخلَّدون فيها، ولكن قالوا: إنَّهم في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، وكلُّه ضلالٌ، والذي عليه أهل السُنَّةِ هو الحقُّ أن العاصيَ لا يكفر بِمعصيتِه ما لَم يستحلَّها.

فإذا زنا لا يكفر، وإذا سرق لا يكفر، وإذا شرب الخمرَ لا يكفر، ولكن يكون عاصيًا ضعيفَ الإيمان، فاسقًا تُقام عليه الحدود، ولا يكفر بذلك إلا إذا استحلَّ المعصيةَ وقال: إنَّها حلالٌ، وما قاله الخوارج في هذا باطلٌ، وتكفيرُهم للناسِ باطلٌ، ولهذا قال فيهم النبيُّ ﷺ : **«إنَّهم يَمرقون من الإسلام ثمَّ لا يعودون فيه ، يُقاتِلون أهلَ الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان»** ، هذه حال الخوارج بسبب غُلُوِّهم وجهلهم وضلالِهم.

فلا يليقُ بالشباب ولا غير الشباب أن يُقلِّدوا الخوارج والمعتزلة، بل يجب أن يسيروا على مذهب أهل السنَّة والجماعة على مقتضى الأدلَّة الشرعية، فيقفون مع النصوص كما جاءت، وليس لهم الخروج على السلطان من أجل معصية أو معاصٍ وقعت منه، بل عليهم المناصحة بالمكاتبة والمشافهة، بالطرق الطيِّبة الحكيمة، بالجدال بالتي هي أحسن حتى ينجحوا وحتى يقلَّ الشرُّ أو يزول ويكثر الخيرُ.

هكذا جاءت النصوص عن رسول الله ﷺ، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهُدى أن يلتزِموا بحدود الشرعِ، وأن يُناصحوا مَن ولأَّهم الله الأمور بالكلام الطيِّب والحكمة والأسلوب الحسن، حتى يكثر الخير ويقلَّ الشرُّ، وحتى يكثر الدعاة إلى الله وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن لا بالعنف والشدَّة، ويُناصحوا من ولأَّهم الله بشتَّى الطرق الطيِّبة السليمة مع الدعاء لهم في ظهر الغيب أن الله يهديهم ويوفِّقهم ويعينهم على الخير وأنَّ الله يعينهم على ترك المعاصي التي يفعلونها وعلى إقامة الحقِّ، هكذا يدعو الله ويَضرَع إليه أن يهدي اللهُ ولاةَ الأمور وأن يُعينهم على ترك الباطل وعلى إقامة الحقِّ بالأسلوب الحسن بالتي هي أحسن، وهكذا مع إخوانه الغيورين ينصحهم ويَعِظُهم ويذكِّرهم حتى ينشطوا في الدعوة بالتي هي أحسن لا بالعنف والشدَّة، وبهذا يكثر الخيرُ ويقلَّ الشرُّ، ويهدي الله ولاةَ الأمور للخير والاستقامة عليه، وتكون العاقبةُ حميدةً للجميع.

س ٣: لو افترضنا أن هناك خروجًا شرعيًّا لدى جماعة من الجماعات، هل هذا يُبرِّرُ قتل أعوان هذا الحاكم وكلِّ مَن يعمل في حكومته مثل الشرطة والأمن وغيرهم؟

ج ٣: « سبق أن أخبرتُك أنَّه لا يجوز الخروجُ على السلطان إلا بشرطين:

أحدهما: وجودُ كفرٍ بواحٍ عندهم فيه من الله برهان.

والشرط الثاني: القدرةُ على إزالة الحاكم إزالةً لا يترتَّبُ عليها شرٌّ أكبر، وبدون ذلك لا يجوز.

س ٤: يظنُّ البعضُ من الشباب أن مجافاةَ الكفار مِمَّن هم مستوطنون في البلاد الإسلامية أو من الوافدين من الشرع، ولذلك البعض يستحلُّ قتلهم وسلبَهم إذا رأوا منهم ما يُنكرون؟

ج ٤: «لا يجوز قتل الكافر المستأمَن الذي أدخلته الدولةُ آمنًا ولا قتل العصاة ولا التعدِّي عليهم، بل يُحالون للحكم الشرعي، هذه مسائلُ يُحكم فيها بالحكم الشرعي».

س ٥: وإذا لَم توجد محاكم شرعية؟

ج ٥: «إذا لَم توجد محاكم شرعية فالنصيحة فقط، النصيحة لولاة الأمور وتوجيههم للخير والتعاون معهم حتى يُحكِّموا شرعَ الله، أمَّا أن الآمرَ والناهي يَمدُّ يدَه أو يقتل أو يضرب فلا يجوز، لكن يتعاون مع ولاة الأمور بالتي هي أحسن حتى يُحكِّموا شرع الله في عباد الله، وإلاَّ فواجبه النصحُ وواجبه التوجيه إلى الخير، وواجبه إنكارُ المنكر بالتي هي أحسن، هذا هو واجبه، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، ولأنَّ إنكارَه باليد بالقتل أو الضرب يترتَّبُ عليه شرٌّ أكثر وفسادٌ أعظم بلا شكٍّ ولا ريبٍ لكلِّ مَن سَبَرَ هذه الأمور وعرَفها.

هذه بعض فتاوى الشيخ ابن باز رحمه الله وقد تركنا من فتاويه ما لم تدع الحاجة لذكره.

مسألة : فتاوى العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله :

سُئل فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني محدِّث الديار الشامية وعلاَّمة عصره يوم ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٦هـ الموافق ل ٢٣/ ١٠/ ١٩٩٥ عمَّا يأتي:

في هذه الفترة الأخيرة يا شيخ! خاصة ممَّا يحدث من كوارث وفتن، وحيث صار الأمر إلى استخدام المتفجرات التي تودي بحياة العشرات من الناس، أكثرهم من الأبرياء، وفيهم النساء والأطفال ومَن تعلمون، وحيث سمعنا بعض الناس الكبار أنَّهم يندِّدون عن سكوت أهل العلم والمفتين من المشايخ الكبار عن سكوتهم وعدم التكلُّم بالإنكار لمثل هذه التصرفات الغير إسلامية قطعًا، ونحن أخبرناهم برأي أهل العلم ورأيكم في المسألة، لكنَّهم ردُّوا بالجهل مما يقولونه أو مما تقولونه، وعدم وجود الأشرطة المنتشرة لبيان الحق في المسألة، ولهذا نحن طرحنا السؤال بهذا الأسلوب الصريح حتى يكون الناس على بيِّنة برأيكم ورأي من تنقلون عنهم، فبيِّنوا الحق في القضية، وكيف يعرف الحق فيها عند كلِّ مسلم؟ لعل الشيخ يسمع ما يحدث الآن أو نشرح له شيئًا ممَّا يحدث؟

قال الشيخ: ما فيه داع : .

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أمَّا بعد:

فإنَّ خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أنت جزاك الله خيرًا أشرتَ بأننا تكلَّمنا في هذه المسألة، وذكرت أنَّهم (يهدون بجهل أو بغير علم، إذا كان الكلام ممَّن يُظنُّ فيه العلم، ثم يقابَل ممن لا علم عندهم بالرفض والردِّ فما الفائدة من الكلام حينئذ؟ لكن نحن نجيب لمن قد يكون عنده شبهة) بأنَّ هذا الذي يفعلونه هو أمر جائزٌ شرعًا ، وليس لإقناع ذوي الأهواء وأهل الجهل، وإنَّما لإقناع الذين قد يتردَّدون في قبول أن هذا الذي يفعله هؤلاء المعتدون هو أمر غير مشروع.

لا بدَّ لي قبل الدخول في شيء من التفصيل بأن أُذكِّر والذكرى تنفع المؤمنين بقول أهل العلم: « ما بُني على فاسد فهو فاسد »، فالصلاة التي تُبنى على غير طهارة مثلًا فهي ليست بصلاة، لماذا؟ لأنَّها لم تقم على أساس الشرط الذي نصَّ عليه الشارع الحكيم في مثل قوله ﷺ : «لا صلاة لمن لا وضوء له» ، فمهما صلى المصلي بدون وضوء فما بُني على فاسد فهو فاسد، والأمثلة في الشريعة من هذا القبيل شيء كثير وكثير جداً.

فنحن ذكرنا دائمًا وأبدًا بأنّ الخروج على الحكام لو كانوا من المقطوع بكفرهم، لو كانوا من المقطوع بكفرهم، أن الخروج عليهم ليس مشروعًا إطلاقًا؛ ذلك لأنَّ هذا الخروج إذا كان ولا بدَّ ينبغي أن يكون خروجًا قائمًا على الشرع، كالصلاة التي قلنا آنفًا إنَّها ينبغي أن تكون قائمة على الطهارة، وهي الوضوء، ونحن نحتجُّ في مثل هذه المسألة بِمثل قوله تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١].

إنَّ الدورَ الذي يَمرُّ به المسلمون اليوم من تحكّم بعض الحكام وعلى افتراض أنَّهم أو أن كفرهم كفر جلي واضح ككفر المشركين تمامًا إذا افترضنا هذه

الفرضية فنقول: أن الوضع الذي يعيشه المسلمون بأن يكونوا محكومين من هؤلاء الحكام ولْنَقُل الكفار مجاراةً لجماعة التكفير لفظًا لا معنى؛ لأنَّ لنا في ذلك التفصيل المعروف فنقول:

أن الحياة التي يحياها المسلمون اليوم تحت حكم هؤلاء الحكام لا يخرج عن الحياة التي حياها رسول الله عليه الصلاة وعلى آله وسلَّم، وأصحابُه الكرام فيما يُسمى في عرف أهل العلم بالعصر المكي.

لقد عاش ﷺ تحت حكم الطواغيت الكافرة المشركة، والتي كانت تأبى صراحةً أن تستجيب لدعوة الرسول ﷺ، وأن يقولوا كلمة الحق « لا إله إلا الله » حتى أن عمَّه أبا طالب وفي آخر رمق من حياته قال له: لولا أن يُعيِّرني بها قومي لأقررتُ بها عينَك.

أولئك الكفار المصرِّحين بكفرهم المعاندين لدعوة نبيِّهم، كان الرسول ﷺ يعيش تحت حكمهم ونظامهم، ولا يتكلَّم معهم إلاَّ: أن اعبدوا الله وحده لا شريك له.

ثم جاء العهد المدني، ثم تتابعت الأحكام الشرعية، وبدأ القتال بين المسلمين وبين المشركين، كما هو معروف في السيرة النبوية.

أما في العهد الأول العهد المكي لم يكن هنالك خروج كما يفعل اليوم كثيرٌ من المسلمين في غير ما بلد إسلامي.

فهذا الخروج ليس على هدي الرسول ﷺ الذي أُمرنا بالاقتداء به، وبخاصة في الآية السابقة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١].

الآن كما نسمع في الجزائر، هناك طائفتان، وأنا أهتبلها فرصة إذا كنت أنت أو أحد الحاضرين على بيِّنة من الإجابة عن السؤال التالي: أقول أنا أسمع وأقرأ بأنَّ هناك طائفتين أو أكثر من المسلمين الذين يُعادون الحكام هنالك، جماعة مثلًا جبهة الإنقاذ، وأظن فيه جماعة التكفير.

فقيل له: جيش الإنقاذ هذا هو المسلَّح غير الجبهة.

وقال الشيخ: لكن أليس له علاقة بالجبهة؟

قيل له: انفصلَ عنها، يعني: قسم متشدِّد[1].

قال الشيخ: إذًا هذه مصيبة أكبر! أنا أردتُ أن أستوثق من وجود أكثر من جماعة مسلمة، ولكلٍّ منها سبيلها ومنهجها في الخروج على الحاكم، تُرى! لو قضي على هذا الحاكم وانتصرت طائفة من هذه الطوائف التي تُعلن إسلامها ومحاربتها للحاكم الكافر بزَعمهم، تُرى! هل ستَتَّفقُ هاتان الطائفتان فضلًا عمَّا إذا كان هناك طائفة أخرى ويقيمون حكم الإسلام الذي يقاتلون من أجله؟

سيقع الخلاف بينهم! الشاهد الآن موجود مع الأسف الشديد في أفغانستان، يوم قامت الحرب في أفغانستان كانت تُعلن في سبيل الإسلام والقضاء على الشيوعية!! فما كادوا يقضون على الشيوعية وهذه الأحزاب كانت قائمة وموجودة في أثناء القتال وإذا بهم ينقلب بعضُهم عدوًّا لبعض.

فإذًا كلُّ مَن خالف هدي الرسول ﷺ فهو سوف لا يكون عاقبة أمره إلا خُسرًا، وهدي الرسول ﷺ إذًا في إقامة الحكم الإسلامي وتأسيس الأرض الإسلامية الصالحة لإقامة حكم الإسلام عليها، إنَّما يكون بالدعوة.

أولًا: دعوة التوحيد، ثم تربية المسلمين على أساس الكتاب والسنة.

وحينما نقول نحن إشارة إلى هذا الأصل الهام بكلمتين مختصرَتين، إنَّه لا بدَّ من التصفية والتربية، بطبيعة الحال لا نعني بهما أن هذه الملايين المملينة من هؤلاء المسلمين أن يصيروا أمة واحدة، وإنَّما نريد أن نقول: أن مَن يريد أن يعمل بالإسلام حقًّا وأن يتَّخذ الوسائل التي تمهد له إقامة حكم الله في الأرض، لا بدَّ أن يقتدي بالرسول ﷺ حكمًا وأسلوبًا.

---

(١) لم ينفصل الجيش عن الجبهة وقد سبق ذكر رسائل على بلحاج إليهم.

بهذا نحن نقول أن ما يقع سواءً في الجزائر أو في مصر، هـذا خـلاف الإسـلام؛ لأنَّ الإسلام يأمر بالتصفية والتربية، أقول التصفية والتربية؛ لسبب يعرفه أهل العلم.

نحن اليوم في القرن الخامس عشر، ورثنا هذا الإسـلام كمـا جاءنـا طيلـة هـذه القرون الطويلة، لم نرث الإسلام كمـا أنزلـه الله عـلى قلـب محمـد عليـه الصـلاة والسلام، لذلك الإسلام الذي أتى أُكلَه وثمارَه في أول أمره هو الذي سيؤتي أيضًا أُكُلَه وثمارَه في آخر أمره، كما قال عليه الصلاة والسلام : **«أمَّتي كالمطر لا يُدرى الخير في أوله أم في آخره»** .

فإذا أرادت الأمة المسلمة أن تكون حياتهـا عـلى هـذا الخيـر الـذي أشـار إليـه الرسول ﷺ في هذا الحديث، والحديث الآخر الذي هو منه أشهر : **«لا تزال طائفةٌ مِن أمَّتِي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم مَن خالَفَهم حتى يأتي أمرُ الله»** .

أقول: لا نريد بهاتين الكلمتين أن يصبح الملايين المملينة مـن المسـلمين قـد تبنَّوا الإسلام مصفًّى وربَّوْا أنفسهم على هذا الإسلام المصفَّى، لكنَّنا نريـد لهـؤلاء الذين يهتمُّون حقًّا أولًا بتربية نفوسهم ثم بتربية من يلوذ بهم، ثم، ثم، حتـى يصـل الأمر إلى هذا الحاكم الذي لا يمكن تعديله أو إصـلاحه أو القضـاء عليـه إلا بهـذا التسلسل الشرعي المنطقي.

بهذا نحن كنَّا نجيب بأنَّ هذه الثورات وهذه الانقلابات التي تُقام، حتى الجهاد الأفغاني، كنَّا نحن غير مؤيِّدين له أو غير مستبشرين بعواقب أمره حينما وجـدناهم خمسة أحزاب، والآن الذي يحكم والـذي قـاموا ضـدَّه معـروف بأنَّـه مـن رجـال الصوفية مثلًا.

القصد أن مِن أدلَّة القرآن أن الاختلاف ضعف حيث أن الله عزَّ وجلَّ ذكـر مـن أسـباب الفشـل هـو التنـازع والاخـتلاف ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الـروم:٣١ -٣٢] إِذَن إذا كان المسلمون أنفسهم شيعًا لا يمكن أن ينتصروا؛ لأنَّ هذا التشيع وهـذا

التفرُّق إنَّما هو دليل الضعف.

إذًا على الطائفة المنصورة التي تريد أن تقيم دولة الإسلام بحق أن تمثل بكلمة أعتبرها من حِكم العصر الحاضر، قالها أحد الدعاة، لكن أتباعه لا يُتابعونه ألا وهي قوله: « **أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تُقم لكم على أرضكم**».

فنحن نشاهد أن ... لا أقول الجماعات التي تقوم بهذه الثورات، بل أستطيع أن أقول بأنَّ كثيرًا من رؤوس هذه الجماعات لم يُطبِّقوا هذه الحكمة التي هي تعني ما نقوله نحن بتلك اللفظتين« التصفية والتربية »، لم يقوموا بعد بتصفية الإسلام ممَّا دخل فيه ممَّا لا يجوز أن يُنسب إلى الإسلام في العقيدة أو في العبادة أو في السلوك، لم يُحققوا هذه أي تصفية في نفوسهم فضلًا عن أن يُحقِّقوا التربية في ذويهم، فمِن أين لهم أن يُحقِّقوا التصفية والتربية في الجماعة التي هم يقودونها ويثورون معها على هؤلاء الحكام؟. !

أقول: إذا عرفنا بشيء من التفصيل تلك الكلمة « ما بُني على فاسد فهو فاسد»، فجوابنا واضح جدًّا أن ما يقع في الجزائر وفي مصر وغيرها هو سابقٌ لأوانه أوَّلًا، ومخالفٌ لأحكام الشريعة غايةً وأسلوبًا ثانيًا، لكن لا بدَّ من شيء من التفصيل فيما جاء في السؤال.

نحن نعلم أن الشارعَ الحكيم بِما فيه من عدالة وحكمة نهى الغزاة المسلمين الأولين أن يتعرَّضوا في غزوهم للنساء، فنهى عن قتل النساء وعن قتل الصبيان والأطفال ، بل ونهى عن قتل الرهبان المنطوين على أنفسهم لعبادة ربِّهم زعموا فهم على شرك وعلى ضلال، نهى الشارع الحكيم قُوَّاد المسلمين أن يتعرَّضوا لهؤلاء ؛ لتطبيق أصل من أصول الإسلام، ألا وهو قوله تبارك وتعالى في القرآن: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[النجم]، فهؤلاء الأطفال وهذه النسوة والرجال الذين ليسوا لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، فقتلهم لا يجوز إسلاميًّا، قد جاء في بعض الأحاديث: أن النبيَّ صلى الله عليه وآله سلَّم رأى ناسًا مجتمعين على شيء فسأل؟

فقالوا: هذه امرأة قتيلة، قال ﷺ: «ما كانت هذه لتقاتِل» .

وهنا نأخذ حكمين متقابلين، أحدهما: سبق الإشارة إليه، ألا وهو أنّه لا يجوز قتل النساء؛ لأنّها لا تُقاتل، ولكن الحكم الآخر أنّنا إذا وجدنا بعض النسوة يُقاتلن في جيش المحاربين أو الخارجين، فحينئذ يجوز للمسلمين أن يُقاتلوا أو أن يقتلوا هذه المرأة التي شاركت الرجال في تعاطي القتال.

فإذا كان السؤال إذًا بأنَّ هؤلاء حينما يفخِّخون كما يقولون بعض السيارات ويفجِّرونها تصيب بشظاياها مَن ليس عليه مسؤولية إطلاقًا في أحكام الشرع، فما يكون هذا من الإسلام إطلاقًا، لكن أقول: أن هذه جزئية من الكُليَّة، أخطرها هو هذا الخروج الذي مضى عليه بضع سنين ، ولا يزداد الأمر إلا سوءًا، لهذا نحن نقول إنَّما الأعمال بالخواتيم، والخاتمة لا تكون حسنةً إلا إذا قامت على الإسلام، وما بُني على خلاف الإسلام فسوف لا يُثمر إلا الخراب والدمَّار. انتهى من شريط مسجل من سلسة الهدى والنور رقم ٨٣٠/ ١ تحت عنوان منهج الخوارج .

وقال أيضا : كما ورد فى جريدة الخبر الأسبوعى ردا على بعض الأسئلة بعددها ١٦ -٢٣ -٦ لسنة ١٩٩٩م كان منها .....ما الحكم الشرعى لاغتصاب النساء من طرف تلك الجماعات ؟

ما الحكم الشرعى فيمن يصدر فتاوى التكفير والقتل ؟

..فقال رحمه الله : .....إنما نحن اليوم مع الأسف الشديد نشكوا من اعتداء المشركين الكفار على بلاد الإسلام ، فإذا أراد هؤلاء الخارجون أن يخرجوا على بعض حكام المسلمين فليخرجوا على الكفار المشركين ولكنهم يريدون أن يبثوا الفتن بين المسلمين .ولذلك فأنا فى الحقيقة فى شك كبير من أمرين اثنين :

من إسلام هؤلاء حقيقة أى أخشى أن يكونوا من أعداء الإسلام تلبسوا بثياب المسلمين .

وان كانت الأخرى وهى أنهم مسلمون فعلا ولكنهم جهلة فى منتهى الجهالة

.........لذلك نحن نرى هؤلاء الخارجين أو الداعين إلى الخروج هم : إما أنهم مدسوسون على الإسلام أو أنهم مسلمون لكنهم فى منتهى الجهل بالإسلام الذى انزله الله على قلب محمد عليه الصلاة والسلام ....قتل المسلم لايجوز إلا فى الحدود المنصوص عليها فى الكتاب والسنة فقتل الرجال وقتل النساء وقتل الأطفال ، أنا استبعد أن يكون هؤلاء من المسلمين وإنما هم من المتزين بزى الإسلام ويريدون أن يشوهوا نصاعة الإسلام وبياضه ونقاوته بأن ينسبوا إليه أفعالا الإسلام والمسلمون حقا برآء أبرياء مما ينسب إليهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

المرأة طبعا المجنى عليها هى مظلومة ولايقام عليها حد ولاتؤاخذ أية مؤاخذة . أما الجنين فلا يجوز أن يساء إليه إذا ما عاش وينبغى أن يعنى بتربيته ولايجوز المبادرة إلى إجهاض هاته النسوة المغتصبات من أولئك الظلمة . الإجابة عما يقع الآن فى الجزائر - مع الأسف الشديد – من اغتصاب النساء وحملهن بالزنا نقول : إنه لايجوز قتل هؤلاء سواء كانوا أجنة فى بطون أمهاتهم أو بعد ولادتهم لأنه يجب عليهم إكرامهم وتأديبهم وتربيتهم تربية إسلامية .

ثم قال الشيخ عمن يصدر فتاوى التكفير والاستحلال : هذا ينبغى أن يؤدب هناك باب من أبواب الفقه اسمه باب التعزير وهذا الباب يعود رأيه إلى القاضى الشرعى العمل فى منع هؤلاء من التعزير مايحقق المصلحة والمصلحة هنا تأديبه .

أمثال هؤلاء الذين يصدرون هذه الفتاوى ويستحلون دماء المسلمين بدون استثناء كما ذكرت هذا الحكم يحيل هذا الإنسان إلى القضاء الشرعى والقضاء الشرعى هو الذى يحكم ....نصيحتنا نحن دائما إلى عامة المسلمين فضلا عن هؤلاء :

أولا : أن يرتدعوا عن سفك دماء المسلمين وتكفير المسلمين وأن يلزموا التفقه فى الدين والعمل بما جاء به القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ فهؤلاء نأمرهم أن يتفقهوا فى الدين فذلك أفضل لهم من قيام الليل وصيام النهار وفى ذلك هدى لهم وردع فكرى وعلمى عما هم ضالعون فيه من التكفير وسفك الدماء . انتهى كلام العلامة الألبانى كما ذكره صاحب كتاب فتاوى العلماء الأكابر .

مسألة : فتاوى العلاَّمة محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله

فتوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

بقية السلف حفظه الله عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية

وإمام وخطيب بالمسجد الكبير بعنيزة وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم.

سألتُ فضيلة الشيخ ابن عثيمين عن مسألة الخروج على الحكام فقال:

أوَّلًا: لا يجوزُ الخروجُ على الأئِمَّة ومنابذتُهم إلا حين يكفرون كفرًا صريحًا لقول النبي ﷺ: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا ...** » الحديث متفق عليه .

ثانيًا: العلم بكفرهم، والعلماء هم الذين يقدّرونه، وأنا لا أَقْدر على أن أحكم على حكوماتكم؛ لأنَّني لا أعرفها، وفي الحديث السابق :عندكم فيه من الله برهان .

ثالثًا: تحقّق المصلحة في ذلك وانتفاء المفسدة ، وتقديرها لأهل العلم أيضًا.

رابعًا: القدرة لدى المسلمين على إزاحة الحاكم الكافر...............

* وسُئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين في شوال (١٤١٤هـ) عمَّا يأتي :

وهل كذلك أنكم قلتم باستمرار المواجهة ضد النظام بالجزائر؟

فأجاب: « ما قلنا بشيء من ذلك!» .

قال السائل: في اشتداد هذه المضايقات هل تُشرَع الهجرة إلى بلاد الكفر؟

قال : « الواجبُ الصبر؛ لأن البلاد بلاد إسلام، يُنادَى بها للصلوات وتقام فيها الجمعة والجماعات، فالواجب الصبر حتى يأتي الله بأمره. »

* سُئل أيضًا في محرّم (١٤١٦هـ) عمَّا يأتي:

ما مدى شرعية ما يسمّونه بالاعتصام في المساجد وهم كما يزعمون يعتمدون

على فتوى لكم في أحـوال الجزائـر سـابقًا أنَّهـا تجـوز إن لم يكـن فيهـا شـغـب ولا معارضة بسلاح أو شِبهِه، فما الحكم في نظركم؟ وما توجيهكم لنا؟

فأجاب:

« أمَّا أنا، فما أكثر ما يُكْذَب عليَّ! وأسأل الله أن يهدي من كذب عـليَّ وألاّ يعـود لمثلها. والعجبُ من قوم يفعلون هذا ولم يتفطَّنوا لما حصل في البلاد الأخرى التي سار شبابها على مثل هذا المنوال! ماذا حصل؟ هل أنتجوا شيئًا؟ .....»....الخ

*وهذه أسئلة وَجَّهتُ بها إلى فضيلة الشيخ محمد بن عُثيمين، وقد قُرئت عليه عصر يوم الجمعة بتاريخ (١٣ من صفر ١٤٢٠هـ)، الموافـق ل (٢٨/ ٥/ ١٩٩٩م)، في بيته بمدينة عنيزة، فكان منها ما يأتي:

سؤال: « ما حكمُ ما يُنسبُ إليكم حفظكم الله من تأييد الجماعـات المسـلَّحة الخارجة على الحكومة الجزائرية، وأنَّكم معهم إلا أنَّكم عـاجزون عـن التصـريح بذلك؛ لأسباب أمنية وسياسية؟

الجواب: هذا ليس بصحيح! ولا يُمكن أن نؤلِّب أحدًا على الحكومة؛ لأنَّ هذا تحصل به فتنة كبيرة، إذ أن هؤلاء الذين يريدون أن يُقابلوا الحكومة لـيس عنـدهم من القدرة ما يمكن أن يغلبـوا الحكومـةَ بـه، فمـا يبقـى إلا القتـل وإراقـة الـدِّماء والفتنة، كما هو الواقع.

وما أكثر ما يُنسب إلينا هنا في السعودية أو خارج السعودية، وليس له أصلٌ عنَّا!

والحامل لذلك والله أعلم أن الناس لهم أهواء، فإذا هَوَوْا شيئًا نسبوه إلى عـالم من العلماء، من أجل أن يكون له قبول، وهذه مسألة خطيرة.

وليس الكذب عليَّ وعلى غيري من العلماء بغريب إذا كان الكذب وقع عـلى الله عزَّ وجلَّ، قال الله تعـالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر:٣٢].

فأرجو من إخواننا في الجزائر وفي غير الجزائر إذا سمعوا منَّا شيئًا تنكره أفئِدتُهم أن يتَّصلوا بنا، ويستفهموا، فرُبَّما نُسب إلينا ما لم نَقُله.

سؤال: تنطلق بعض الجماعات في محاربتها لأنظمتها من قاعدة تقول: « أن محاربة الدول الإسلامية أَوْلَى من محاربة الدول الكافرة كفرًا أصليًا؛ لأنَّ الدول الإسلامية مرتدَّةٌ، والمرتدُّ مقدَّمٌ في المحاربة على الكافر، فما مدى صحة هذه القاعدة؟

فأجاب الشيخ بقوله: هذه القاعدة هي قاعدة الخوارج الذين يقتلون المسلمين ويَدَعون الكافرين، وهي باطلة .

والواجب أن تلتمس العذر لكلِّ من أخطأ من المسلمين، ما دام يمكن أن يكون معذورًا، حتى تبقى الألفة والمودَّة والصفاء، وتتمُّ الأمور على ما ينبغي.

فهذا القول لا أساس له من الصِّحة .

سؤال: بدأ الوضع في الجزائر يتحسَّن، ونعرف جماعات غفيرة من الشباب يريد وضع السِّلاح، والرجوع إلى حياته الطبيعية، لكنه لا يدري: هل يُسلِّم نفسه أو يبقى معتصمًا بالجبال، علمًا بأنَّ الحكومةَ قد أمَّنت التائبين من حملة السِّلاح؟ نرجو النصيحة لهذه الجماعات للعودة بالأمة إلى أمنِها وتديُّنها، ودُمتم ذخرًا للمسلمين.

الجواب: نصيحتي لإخواني الذين حملوا السلاح ويحملونه الآن أن يضعوا السِّلاح، وأن يدخلوا من هذا الباب الذي فتحته الحكومة.

ونصيحتي للحكومة ألا تؤذي هؤلاء الذين وضعوا السلاح، وألاَّ تمسَّهم بعذاب، وألاَّ تحرمهم من حقوقهم الوظيفية والاجتماعية ما داموا أهلًا لذلك، بمعنى أنَّها تعفو عن كلِّ ما سلف، وكأن شيئًا لم يكن، حتى تطيب النفوس، وتهدأ الأمور، فما من قلب من قلوب بني آدم إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُصرِّفه تعالى كيف يشاء، فلا ييأس هؤلاء المقاتِلون، والحكومة يجب أن ترحمهم، وأن تعفو عنهم ما سلف، حتى تهدأ الأمور وتستقرَّ إن شاء الله. »

*مكالمة مباشرة من ثوار الجزائر برؤوس الجبال مع العلاَّمة ابن عثيمين بتاريخ: ١ رمضان ١٤٢٠هـ: -

بعد أن اتَّصل أحدُهم بالشيخ بادره الشيخُ بهذا السؤال:

« الإخوان الذين عندك عددهم كبير أو قليل؟

قال السائل مُعرِضًا عن الجواب: نحن يعني أوَّلًا: نُعلمكم أن الذي يُخاطبكم الآن هم إخوانك المقاتلون، وبالضبط المقاتلون من (الجماعة السلفية للدعوة والقتال)، ونحن طبعًا سننقل كلامَكم أن شاء الله عزَّ وجلَّ إلى جميع إخواننا المقاتلين في هذه الجماعة وغيرها أيضًا.

وذلك بعد أن بلغنا نداؤكم ونصيحتكم المؤرَّخة بتاريخ ١٣ من شهر صفر من العام الحالي .

والجدير بالذِّكر أن نداءَكم ذلك لم يصل إلينا إلا منذ شهر ونصف، وهناك من الإخوة من لم يصلهم حتى الآن، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإنَّ الكثير من الإخوة مِمَّن بلغَتْهم نصيحتكم وقعت لهم شبهةٌ حالت دون الاستجابة لِما دعوتم إليه، فكان لابدَّ إذًا من إجراء هذا الحوار الجديد مع فضيلتكم؛ أملًا أن نتمكَّن من خلاله من الإجابة على جميع التساؤلات المطروحة، وإزاحة جميع الشُّبه، وبيان الحقِّ البواح؛ حتى نصبح على مثل المحجَّة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وعلى هذا الأساس، فإنَّنا نلتمس من سماحتكم حفظكم الله إعطاءنا أكبر قدر من وقتكم، وأن تُسهِبوا في الشرح والبيان؛ لأنَّه لا يخفى عليكم يا شيخنا! أن الإخوة عندنا قد رسَّخَتْ فيهم سنواتُ القتال أفكارًا وعقائد ليس من السهل يا شيخ! ولا من البسيط التخلِّي عنها واعتقاد بطلانها، إلا ببيان شافٍ منكم، وذلك لِمَا لكم في قلوب الإخوة عندنا من عظيم المنزلة، ووافر التقدير والإجلال

والاحترام؛ لأنَّنا نعتقد أنَّكم من أعلام أهل السنة والجماعة في هذا العصر.

وإليكم الآن الشبه المطروحة يعني عندنا.

الشيخ: دعنِي أتكلَّم قليلًا، ثمَّ قال:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلِّي وأسلِّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أما بعد، فإنَّني من عنيزة القصيم المملكة العربية السعودية وفي أول يوم من رمضان عام عشرين وأربعمائة وألف، أتحدَّث إلى إخواني في الجزائر، وأنا محبُّهم محمد بن صالح آل عثيمين.

أقول لهم:

إنَّ النبيَّ ﷺ قرَّر في حجَّة الوداع تحريمَ دمائنا وأموالنا وأعراضنا تقريرًا واضحًا جليًّا بعد أن سأل أصحابه عن هذا اليوم، والشهر، والبلد، وقال: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ .

فهذا أمرٌ مجمعٌ عليه، لا يختلف فيه اثنان، والإخوة الذين قاتلوا في الجزائر منذ سنوات قد يكون لهم شبهة ففي أوَّل الأمر، حينما اتَّجه الشعب الجزائري إلى جبهة الإنقاذ، وعَلَت أصواتهم لصالح الجبهة، ولكن ... هذه الجبهة حتى سيطر غيرُها، ولا شكَّ أن هذا مؤسفٌ، وأنَّ الواجب اتِّباع الأكثر الذي وافق ما ينبغي أن تكون عليه الأمة الجزائرية، من قول الحقِّ واتِّباع الحقِّ.

ولكن هذا لا يقتضي ولا يسوِّغ حمل الإخوة السلاحَ بعضُهم على بعض، وكان الواجب عليهم من أول الأمر أن يمشوا ويُكثِّفوا الدعوة إلى تحكيم الكتاب والسنة، وفي الجولة الأخرى، تكون أصواتهم ....، ويكون وزنُهم في الشعب الجزائري أكبر، ولكن نقول: قَدَر الله وما شاء فعل؛ لو أراد الله أن يكون ما ذكرتُ

لكان.

والآن، أرى أنَّه يجب على الإخوة أن يَدَعوا هذا القتال، لا سيما وأنَّ الحكومة الجزائرية عرضت هذا، وأمَّنت من يَضَع السلاح، فلم يبق عذرٌ.

والجزائر الآن تحمل الويلات بعد الويلات مِمَّا كانت عليه، وكنَّا قد تفاءلنا خيرًا، حينما تولَّى الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، وهدأت الأمور بعض الشيء.

لكنَّنا مع الأسف سمعنا أنَّه حصل بعضُ العنف في هذه الأيام القريبة، وهو مِمَّا يُؤسف له أن يعود العنفُ إلى الجزائر المسلمة ... شهر رمضان المبارك.

والذي يجب على المسلمين أن يجمعوا كلمتَهم على الحقِّ، في رمضان وفي غيره، لكن في رمضان أوكد.

فنصيحتي لإخوتنا المقاتلين..

ثم قاطعه السائل قائلًا: ... أحيطكم به علمًا يعني حتى يخرج جوابكم موافقًا أو نافعًا للإخوة، يعني كأنَّكم تعتقدون أو تظنون أن الذي يخاطبكم الآن هم أنصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ؟ يا شيخ! الآن الساحة القتالية الجزائرية تضمُّ ثلاث فصائل:

أتباع (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) الذين خرجوا من أجل الانتخابات، وهلمَّ جرًّا تلك الأمور.

وهناك (الجماعة السلفية للدعوة والقتال) ، التي نكلِّمكم باسمها، ونحن من أعضائها، هذه يا شيخ ليس لها علاقة بالجبهة الإسلامية للإنقاذ، وليس لها علاقة بالتحزُّب، وليس لها علاقة بالانتخاب، إنَّما خرجت بناء على اعتقادها كفر هذا الحاكم، وجواز الخروج عليه.

وهناك طائفة ثالثة يا شيخ (الهجرة والتكفير)، هذه التي لا زالت تمارس العنف، ولا تستمع إلى العلماء، أمَّا نحن المقاتلون في (الجماعة السلفية للدعوة

والقتال) فكما أسلفتُ لك منذ قليل نحبُّ العلماء ونجلُّهم، خصوصًا علماء أهل السنة والجماعة كأمثالكم، ونأخذ بأقوالهم غير أنَّه كما ذكرتُ لك هناك بعض التساؤلات والشُّبَه حالت دون أن يُتلقَّى كلامُكم بالقبول التامِّ.

الشيخ: فهمتُ من كلامِك الآن أنَّكم ثلاثة أقسام: جبهة الإنقاذ، الجماعة السلفية، والجماعة التكفيرية، هكذا؟

السائل: أي نعم، جيِّد يا شيخ!

الشيخ: أمَّا جبهة الإنقاذ، فأظنُّها أنَّها وافقت المصالحة؟

السائل: أي نعم، هم الآن في هُدنة يا شيخ!

الشيخ: أما الجماعة السلفية فأرى أن يُوافقوا؛ لأنَّه مهما كان الأمر، الخروج على الحاكم ولو كان كفرُه صريحًا مثل الشمس له شروط، فمِن الشروط: ألا يترتَّب على ذلك ضررٌ أكبر، بأن يكون مع الذين خرجوا عليه قدرة على إزالته بدون سفك دماء، أما إذا كان لا يمكن بدون سفك دماء، فلا يجوز؛ لأنَّ هذا الحاكمَ الذي يحكم بما يقتضي كفره له أنصار وأعوان لن يَدَعوه.

ثمَّ ما هو ميزان الكفر؟ هل هو الميزان المزاجي يعني الذي يوافق مزاج الإنسان لا يكفر، والذي لا يوافقه يكفر؟! من قال هذا؟!

الكفر لا يكون إلا من عند الله ومن عند رسوله، ثمَّ إن له شروطًا، ولهذا قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا تحدَّث عن أئمَّة الجَوْر وقيل له: أفلا ننابذهم قال: **«لا، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان»**، وأين هذا؟

كثيرٌ من الإخوة ولا سيما الشباب، الكفر عندهم عاطفي، مزاجي، ليس مبنيًّا على شريعة، ولا صدر عن معرفة بشروط التكفير، لهذا نشير إلى إخواننا في الجزائر أن يضعوا السِّلاحَ، وأن يدخلوا في الأمان، وأن يُصلحوا بقدر المستطاع بدون إراقة دماء، هذا هو الذي يجب علينا أن نناصحهم به، ومن وُجِّهت إليه النصيحة، فالواجب عليه على الأقل أن يتأنَّى وينظر في هذه النصيحة، لا أن يردَّها بانزعاج

واستكبار وعناد، نسأل الله تعالى أن يُطفئ الفتنة، وأن يزيل الغُمَّة عن إخواننا في الجزائر.

السائل: هم الإخوة عندنا يعتمدون في الحكم بكفر حاكمهم على فتوى للشيخ ناصر الدِّين الألباني قديمة بُنيت والله أعلم على واقع غير صحيح ، يعتمدون على هذا يعني في تكفير حاكمهم وبالتالي، وكذلك هناك بعض طلبة العلم أيضًا يعتمدون عليهم في هذه المسألة، وعلى هذا الأساس فعندما ناديتموهم بوضع السلاح مع اعتقادهم كفر حاكمهم شقَّ ذلك عليهم كثيرًا يعني وكبُر عليهم كثيرًا يعني وضع السلاح والعودة تحت حكم من يعتقدون كفرَه يعني هذه معضلة كيف حلُّها يا شيخ؟

الشيخ: والله ليست معضلة؛ أوَّلًا: ننظر هل هناك دليل على كفر هذا الحاكم، والنظر هنا من وجهين:

الوجه الأول: الدليل على أن هذا الشيءَ كفرٌ.

الثاني: تحقق الكفر في حقِّ هذا الفاعل؛ لأنَّ الكلمة قد تكون كفرًا صريحًا، ولكن لا يكفر القائل، ولا يخفى علينا جميعًا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل]، رفع الله عزَّ وجلَّ حكم الكفر عن المكره وإن نطق به.

ولقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الربَّ عزَّ وجلَّ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من رجل فَقَدَ راحلتَه، وعليها طعامه وشرابُه، فلمَّا أَيِس منها اضطجع تحت شجرة، فبينما هو كذلك إذا بناقته حضرت،فأخذ بزمامها وقال: اللَّهمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك، قال النبيُّ ﷺ : أخطأ من شدَّة الفرح .

وكذلك الرجل الذي كان ... وقال :لئن قدر الله عليَّ ليعذِّبنِّي عذابًا ما يعذِّبه أحدًا من العالمين، فأمر أهله إذا مات أن يحرقوه ويسحقوه في اليمِّ، فجمعه الله

وسأله؟ فقال: فعلتُ ذلك خوفًا منك يا ربِّ ، ولم يكفر.

الحاكم قد يكون عنده حاشية خبيثة، تُرقِّقُ له الأمور العظيمة وتسهِّلها عليه، وتُزيِّنها في نفسه، فيمضي فيما يعتقد أنَّه حلال، ولكنه ليس بكفر، ولا أظنُّ أحدًا من الجزائريِّين يقول: نعم! أنا أعلم أن هذا حكم الله ولكنِّي أخالفه، ما أظنُّ أحدًا يقول ذلك عن عقيدة، فإن كان قد يقوله في باب المناظرة، لكن عن عقيدة لا يمكن فيما أظن؛ لأنَّ شعبَ الجزائر شعبٌ مسلم، وهو الذي أخرج الفرنسيِّين عن إكراه من أرضه، فالواجب على هؤلاء أن ينظروا في أمرهم، وأن يُلقوا السلاح، وأن يصطلحوا مع أمَّتهم، وأن يبثوا الدعوة إلى الله بتيسير ... لا بعنف، نعم!

السائل: شيخنا حفظكم الله هل يستلزم يعني لو فرضنا كفر الحاكم هل يستلزم الخروج عليه بدون شروط يعني؟

الشيخ: لا! لا بدَّ من شروط، ذكرتها آنفًا.

السائل: أي نعم!

الشيخ: لو فُرض أنَّه كافر مثل الشمس في رابعة النهار، فلا يجوز الخروجُ عليه إذا كان يستلزم إراقة الدِّماء، واستحلال الأموال.

السائل: الآن يعني بعض الإخوة عندنا مثلًا يقولون إنَّهم ما داموا خرجوا وحملوا السلاح وخاضوا هذه الحرب مع هذا النظام، هم اليوم وإن اعتقدوا أن ما هم فيه ليس بجهاد؛ لأنَّهم كما ذكرتم لم يَستَوفوا الشروط، لكن رغم ذلك يسألون: هل يمكنهم رغم ذلك المواصلة وإن أيقنوا الفناءَ والهلاك، أم يُهاجرون، أم ماذا؟

الشيخ: والله! لا يجوز لهم، والله! لا يجوز لهم المضيُّ فيما هم عليه من الحرب الآن؛ إذ أنَّها حرب عقيم ليس لها فائدة ولا تولِّد إلا الشرَّ والشَّرَر.

السائل: أي نعم، شيخنا هم يعني إذًا أنتم لا تعتقدون كفر حاكم الجزائر يعني، فترون ذلك؟

الشيخ: لا نرى أن أحدًا كافر إلا مَن كفَّره الله ورسوله وصدقت عليه شروط التكفير، من أي بلد، ومن أي إنسان، الكفر ليس بأيدينا، وليس إلينا، بل هو إلى الله ورسوله، أن الرَّجلَ إذا كفَّر أخاه وليس بكافر عاد الأمر إليه: المكفِّر، وكفر إلا أن يتوب.

السائل: شيخنا! بعض الإخوة عندنا بعد أن سلَّموا بأنَّ هذا ليس بجهاد على وفق ما ذكرتم يعني لم يثقوا في الحكومة يعني نسبيًّا، فيسألون هل يجوز لهم المكث في الجبال دون الرجوع إلى الحياة المدنية بدون قتال يعني يبقون بأسلحتهم في الجبال ويتوقَّفون عن القتال، لكن لا يرجعون إلى الحياة المدنية؟

الشيخ: أقول: إنَّهم لن يبقوا على هذه الحال، مهما كان الحال، ولا بدَّ أن تحرِّكهم نفوسُهم في يوم من الأيام حتى ينقضُّوا على أهل القرى والمدن؛ فالإنسانُ مدنيٌّ بالطبع.

يبقى في رؤوس الجبال وفي تلالها وشعابها، ومعه السلاح؟!

في يوم من الأيام لا بدَّ أن تُهيِّجهم النفوسُ حتى يكونوا قطَّاعَ طرق!

السائل: إذًا لا يجوز لهم المكث على هذه الحال؟

الشيخ: هذا ما أراه، أرى أن ينزلوا للمدن والقرى ولأهليهم وذويهم وأصحابهم.

السائل: يعني الآن ما يجب على كلٍّ في حالةِ إذا لم تستجب القيادة لندائكم هذا، إذا لم تستجب يعني إذا لم يستجب رؤوس المقاتلين لندائكم هذا، ما واجب كل مقاتل في حقِّ نفسه؟

الشيخ: الواجب وضع السلاح، وأن لا يطيعوا أمراءَهم إذا أمروهم بمعصية؛ لأنَّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

السائل: شيخنا! هل يجوز أو هل يمكن يعني هل يجوز مخالفة ندائكم هذا

من أجل فتاوى لبعض الدعاة؟

الشيخ: هذا يرجع إلى الإنسان نفسه، إن اعتقد أن ما يقوله أولئك القوم الذين يَدْعون إلى الاستمرار، هو الحق لا يلزمهم الرجوع، ولكن يجب أن يتأمَّل الإنسان ويتدبَّر وينظر ما النتيجة في الاستمرار، كم للشعب الجزائري من سَنَةٍ، وهو يرقب الويلات بعد الويلات ولم يستفد شيئًا؟!

السائل: الملاحظة أن هؤلاء الدعاة الذين ذكرتهم يعني دعاة غير معروفون يعني من أمثالهم أبو قتادة الفلسطيني الماكث في بريطانيا، هل تعرفونه يا شيخنا؟

الشيخ: لا نعرفه.

السائل: تعرفونه؟!

الشيخ: لا!

السائل: أبو مصعب السوري، ما تعرفونه؟

الشيخ: كلٌّ لا نعرفه، لكني أقول لك، أن بعضَ الناس ولا أخصُّ هذا ولا هذا؛ إذا رأى الشباب اجتمعوا حوله، انفرد بما يُذكرُ به، كما يقول القائل: خالِف تُذكر، نعم!

السائل: شيخنا! هناك أحدهم يُسمى أبا حنيفة الأريتيري، يدَّعي أنَّه تلميذكم، ويَدَّعي أن الاتصالَ بكم أمرٌ صعب وأنَّكم محاطون بالمخابرات يعني وغير ذلك، والإخوة ههنا، الإخوة المقاتلين يعتقدون أن الاتصال بكم بين الاستحالة والصعوبة، بناءً على كلام هذا الإنسان، هل هذا صحيح؟

الشيخ: غير صحيح، أبدًا كلُّ الناس يأتون ويتصلون بنا، ونحن نمشي والحمد لله من المسجد إلى البيت، في خلال عشر دقائق في الطريق، وكل يأتي ... ويمشي، والدروس والحمد لله مستمرة، ونقول ما شئنا مِمَّا نعتقده أنَّه الحق.

السائل: هذا أبو حنيفة هل تعرفونه، أبو حنيفة الأريتيري هذا؟

الشيخ: والله! أنا لا أعرفه الآن، لكن ربَّما لو رأيته لعرفته، لكن كلامه الذي قاله كذب، لا أساس له من الصحة...

وبعد حوار بينهم وبين الشيخ حول الذين قُتلوا، وحول تأجيل هذه المكالمة.

قال الشيخ: والله! لو أجَّلتمونا إلى ما بعد رمضان إذا أمكن؟

السائل: يا شيخ! مستحيل؛ القضية جِدُّ شائكة كما ترى، وقضية دماء، وقضية أمة يا شيخ!

الشيخ: إذًا غدًا...

ثمَّ تقدَّم سائلٌ آخر فقال: يا شيخ! لو تعطينا الآن خمس دقائق لسؤال أخير؟

الشيخ: طيِّب!

السائل: إخواننا من الجماعة السلفية للدعوة والقتال يُحبُّونكم، وينظرون إليكم على أنَّكم من علمائنا الذين يَجب أن نسير وراءكم، لكن..

الشيخ: جزاهم الله خيرًا.

السائل: لكن هناك أسئلة تدور في رؤوسهم، ومن بين هذه الأسئلة يقولون: أنَّنا إذا نقلنا إلى الشيخ عن طريق أشرطة مصورة يعني وبيَّنا له فيها قتالنا أنَّنا لا نقتل الصبيان، ولا نقتل الشيوخ، ولا نفجِّر في المدن، بل نقتل من يُقاتلنا من هؤلاء الذين لا يُحكِّمون كتاب الله عزَّ وجلَّ فينا، فإنَّ الشيخ يعني بعد أن يعرف بأنَّ عقيدتنا سليمة، وأنَّ منهجنا سليمًا وأنَّ قتالنا سليم، فإنَّ فتواه ستتغيَّر، ما قولكم في هذا بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا؟

الشيخ: لا! قولي: أن الفتوى لا تتغيَّر مهما كانت نيَّة المقاتل فإنَّها لا تتغيَّر؛ لأنَّه يترتَّب على هذا أمور عظيمة، قتل نفوس بريئة، استحلال أموال، فوضى!

السائل: شيخنا! حفظك الله، إذا كان في صعودنا إلى الجبال اعتمدنا على

فتاوى، وإن كانت كما قال الأخ يعني ظهر خطؤها، ولو كانت من عند أهل العلم. وبعض فتاوى بعض الدعاة ظنًّا منَّا أن ذلك حجة في القتال، فصعدنا إلى الجبال وقاتلنا سنين، يعني فما دور المجتمع الآن في معاملتنا؟ هل يعاملنا كمجرمين، أم أنَّنا كمجاهدين أخطأنا في هذه الطريق؟

الشيخ: أنت تعرف أن جميع المجتمعات لا تتفق على رأي واحد، فيكون الناس نحوكم على ثلاثة أقسام:

قسم يكره هؤلاء ويقول: إنَّهم جلبوا الدَّمار وأزهقوا الأرواح وأتلفوا الأموال، ولن يرضى إلا بعد مدَّة طويلة.

وقسم آخر راضٍ يُشجِّع، وربَّما يلومهم إذا وضعوا السلاح!

القسم الثالث: ساكت، يقول: هؤلاء تأوَّلوا وأخطؤوا، وإذا رجعوا فالرجوع إلى الحقِّ فضيلة.

السائل: شيخنا! حفظك الله، نريد كلمة توجيهية إلى الطرفين، أقصد إلى الإخوة الذين سينزلون إلى الحياة المدنية وإلى المجتمع، يعني: كيف نتعامل الآن؟ وأن ينسوا الأحقاد، نريد نصيحة في هذا الباب حفظكم الله؟

الشيخ: بارك الله فيكم، أقول: أن الواجب أن يكون المؤمنون إخوة، وأنَّه إذا زالت أسباب الخلاف وأسباب العداوة والبغضاء فلنترك الكراهية، ولنرجع إلى ما يجب أن نكون عليه من المحبة والائتلاف، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الحجرات: ١٠].

نسأل الله التوفيق والسداد. وهل أنتم على عزم أن تتصلوا غدًا أم لا؟ أما الآن فنقطع، وما يمكن أن نزيد...

وعند الموعد قال السائل: المهم يعني أنا أركِّز على أهم ما يمكن أن يؤثِّر على الإخوة عندنا يعني المقاتلين حتى يرجعوا إلى الحقِّ.

الشيخ: طيِّب! توكَّل على الله.

السائل: إن شاء الله، أهمّ قضية يا شيخ ادعاؤهم أنَّكم لا تعلمون واقعنا في الجزائر، وأنَّ العلماء لا يعرفون الواقع في الجزائر، وأنَّكم لو عرفتم أنَّنا [سلفيِّين] أن هذا سيغيِّر فتواكم، فهل هذا صحيح؟

الشيخ: هذا غير صحيح، وقد أجبنا عنه بالأمس، وقلنا مهما كانت المبالغات فإراقة الدِّماء صعب، فالواجب الكفّ الآن والدخول في السِّلم.

السائل: شيخنا! ما رأيكم فيمن يعتقد أن الرجوع إلى الحياة المدنية يُعتبر رِدَّة؟

الشيخ: رأينا أن من قال هذا فقد جاء في الحديث الصحيح أن من كفَّر مسلمًا أو دعا رجلًا بالكفر وليس كذلك عاد إليه .

السائل: شيخنا! ما رأيكم في قولهم أنَّه لا هدنة ولا صلح ولا حوار مع المرتدِّين؟

الشيخ: رأينا أن هؤلاء ليسوا بمرتدِّين، ولا يجوز أن نقول إنَّهم مرتدُّون حتى يثبُت ذلك شرعًا.

السائل: بناءً على ماذا شيخنا؟

الشيخ: بناء على أنَّهم يُصلُّون ويصومون ويحجُّون ويعتمرون ويشهدون أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.

السائل: نعم! نعم يا شيخنا!

الشيخ: فكيف نقول إنَّهم كفار على هذه الحال؟! أن النبيَّ ﷺ قال لأسامة بن زيد لَمَّا قتل الرَّجل الذي ... بالسيف، فشهد أن لا إله إلا الله، أنكر الرسول ﷺ على أسامة، مع أن الرَّجل قال ذلك تعوُّذًا كما ظنَّه أسامة، والقصة مشهورة .

السائل: شيخنا! سؤال عقائدي يعني قضية الفرق بين الكفر العملي والكفر

الاعتقادي في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله؟

الشيخ: يعني مثلًا من ترك الصلاة فهو كافر، من سجد لصنم فهو كافر، من قال أن مع الله خالقًا فهو كافر، وهذا كفر عملي، وأمَّا الكفر الاعتقادي ففي القلب.

السائل: شيخنا! الكفر العملي هل يُخرج من الملة؟

الشيخ: بعضه مخرجٌ وبعضه غير مخرج، كقتال المؤمن، فقد قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم :قتاله كُفْرٌ ، ومع ذلك لا يخرج من المِلَّة مَن قاتل أخاه المؤمن بدليل آية الحجرات :﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات:١٠]

السائل: متى يُصبح الكفر العملي كفرًا اعتقاديًا شيخنا؟

الشيخ: إذا سجد لصنم، فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، إلا أن يكون مكرهًا.

السائل: وفي قضية الحكم بغير ما أنزل الله؟

الشيخ: هذا باب واسع، هذا باب واسع، قد يحكم بغير ما أنزل الله عدوانًا وظلمًا، مع اعترافه بأنَّ حكم الله هو الحق، فهذا لا يكفر كفرًا مخرجًا عن الملة، وقد يحكم بغير ما أنزل الله تشهيًّا ومحاباة لنفسه، أو لقريبه، لا لقصد ظلم المحكوم عليه ... ولا لكراهة حكم الله، فهذا لا يخرج عن الملة، إنَّما هو فاسق، وقد يحكم بغير ما أنزل الله كارهًا لِحُكم الله، فهذا كافرٌ كفرًا مُخرجًا عن الملَّة، وقد يحكم بغير ما أنزل الله طالبًا موافقة حكم الله، لكنَّه أخطأ في فهمه، فهذا لا يكفر، بل ولا يأثم؛ لقول النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **«إذا حكم الحاكمُ فاجتهدَ فأخطأ فله أجرٌ واحد، وإن أصاب فله أجران»** .

السائل: شيخنا! مثلًا عندنا للأسف الشديد مسجد حُوِّل إلى ثكنة عسكرية، تشرب فيها الخمور، وتسمع فيها الموسيقى، وتُعطل فيها الصلاة ويسبُّ فيها الله ورسوله يعني هذا ما حكمه؟

الشيخ: هذا فسوق، فلا يَحلُّ تحويل المسجد إلى ثكنة عسكريَّة؛ لأنَّه تحويل للوقف عن جهته وتعطيل للصلاة فيه.

السائل: شيخنا! كلامكم واضح والحمد لله، وبهذه الصيغة يزيح إن شاء الله الشبهَ التي تحول دون أن يعملَ الحقُّ عملَه إن شاء الله.

الشيخ: نسأل الله أن يهديهم، وأن يرزقهم البصيرة في دينه، ويحقن دماء المسلمين.

السائل: هلاَّ شرحتم لنا قوله ﷺ : «مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده .. »، الحديث؟

الشيخ: لا يتَّسع المجال؛ لأنَّه ما بقي إلا دقيقة واحدة.

السائل: أعطِنا تاريخ المكالمة واسمكَ.

الشيخ: هذه المكالمة يوم الجمعة في شهر رمضان، أجراها مع إخوانه محمد ابن صالح العثيمين من عنيزة بالمملكة العربية السعودية (١٤٢٠هـ)، نسأل الله أن ينفع بهذا».

*** نصيحة الشيخ ابن عثيمين إلى الجماعات المسلحة بالجزائر :**

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد الصالح العثيمين إلى إخواني في الجزائر الذين ما زالوا يحملون السلاح في الجبال والرِّمال وفَّقهم الله لِما فيه الخير والصلاح.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فإنَّ الواجب عليَّ أن أُبدي النصيحة لكم؛ لأنَّ ذلك من الدِّين كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم أنَّ : «الدِّين النصيحة: لله

ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم» .

فنصيحتي لكم أن تُلقوا السِّلاحَ وتحملوا السلام، وتُجيبوا ما دعت إليه الحكومة من المصالحة والسلام، ثمَّ يجري بين الجميع التفاهم وتحكيم الكتاب والسنة، وهذا سيكون فيه خيرٌ كثيرٌ، والخلاص من الفتن والقتال.

وهذا أعني وضع السلاح وحمل السلام واجب على الجميع.

فالله الله أيُّها الإخوة بالمبادرة إلى المصالحة والتفاهم!

وأسأل الله لنا ولكم التوفيق وأن يجعلنا من دعاة الخير وأنصار الحقِّ، إنَّه جوادٌ كريم، وصلى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

كتبه الفقير إلى الله تعالى محمد بن صالح العثيمين.

في مكة المكرمة يوم الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة عام (١٤٢٠هـ).

***: لقاء الجزائريين مع الشيخ ابن عثيمين**

يوم (١٧ من ذي الحجَّة ١٤٢٠هـ :

السائل: « فضيلة الشيخ حفظك الله! ما هي نصيحتُكم وتوجيهُكم لأولئك الذين غُرِّرَ بهم ثمَّ تابوا وألقَوا السِّلاحَ، ورجعوا إلى حظيرَة المسلمين، وهم الآن يُصلُّون في مساجدهم، ويعيشون مع النَّاسِ، وقد يَجدون بعضَ الحرَج أو الإحراجَ من طرَف الغير، فما هي نصيحتُكم للناسِ في معاملتِهم لهم، ونصيحتكم لهم؟ كيف يُعاملون الناسَ؟ وكيف يُستَقبَلون؟ وكيف يعيشون في هذا الجوِّ الجديد بالنِّسبة إليهم؟ جزاكم الله خيرًا.

الشيخ: الحمد لله ربِّ العالَمين، نصيحتي للإخوان الذين مَنَّ اللهُ عليهم بإلقاءِ السِّلاحِ، ورجعوا إلى مُدُنهم وديارِهم أن يَشكروا اللهَ عزَّ وجلَّ على هذه النِّعمَةِ قبل كلِّ شيءٍ؛ لأنَّ هذه نعمةٌ من الله عليهم وعلى الجزائريِّين الآخرين.

ثانيًا: أن يَنسوا ما سبق، وألاَّ يعيشوا في أفكارهم السابقة، يمحضونها محضًا تامًّا من أفكارهم، ولا يتذاكروها، حتى إذا تذاكروها فليقولوا: أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم.

ثالثًا: أن يعيشوا مع النَّاسِ وكأنَّهم لَم يفعلوا شيئًا؛ لأنَّهم إذا عاشوا وهم يشعرون بأنَّهم فعلوا ما فعلوا بقُوا في نفْرَةٍ من الناس وبُعدٍ منهم، وهذا يَضُرُّ بالمصلحةِ العامة.

رابعًا: أن يُقبِلوا على علم الكتاب والسُّنَّة، وعلى معاملة السَّلَف لحُكَّامهم، فها هو أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة يقول للمأمون: (يا أمير المؤمنين)! وهو الذي آذاه في القول بخلق القرآن، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مخاطبتِهِ لِمَن حبَسَه، تَجد خطابًا ليِّنًا، قال الله لموسى وهارون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

خامسًا: بالنسبة للآخرين: أن يتلقَّوا هؤلاءِ بوجهٍ طلْقٍ وصدرٍ مُنشرِحٍ، وأن يفرحوا بهم، وأن يُكرموهم، وألاَّ يروهم جفاءً أو كراهيةً أو عبوسًا في وجوههم؛ لأنَّ الحالَ بعد وضع السِّلاح ليس كالحال قبل وضع السِّلاح، وأن يتناسَوا كلَّ ما جرى.

سادسًا: بالنسبة للدُّعاة أيضًا: يَحثُّون الناسَ على أن يتآلفوا ويتقاربوا، ويتعاونوا على البرِّ والتقوى، ويتناسَوا ما سبق، وتبدأ الحياة من جديد.

أمَّا ما سمعناه والحمد لله عن رجوع الكثير منهم إلى الصواب وإلقاء السِّلاح، وما سمعنا كذلك عن العفوِ العامِّ من قِبَل الدولة، فقد سرَّنا هذا كثيرًا، والحمد لله ربِّ العالَمين، نرجو اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُتَمِّمَ في الباقي، هذا رأيي في المسألة.

السائل: يا شيخ! البقيَّةُ الباقية التي بقيت في الجبال، يعني الحكومة كما قلتَ الآن يا شيخ أعطت العفوَ، والكثير منهم بقوا في الجبال على أساس أنَّهم لا يُعطون الأمان للحكومة.

الشيخ: لا يأمنونها؟

السائل: إي! لا يأمنونها، لكن الحكومة وعدت أنَّها لن تُصيبَهم بأذى، وقد نفَّذت هذا في الذين نزلوا، يعني: لَم تُصبهم بأذى، وهي فقط تقول: سلِّموا السِّلاحَ، وعودوا إلى حياتكم الطبيعيَّة، فالكثيرُ منهم يتردَّد ويقول: نحتاجُ إلى فتوى من مشايخِنا؛ حتى إمَّا ننزل، وإمَّا نجلس.

وبعضُهم نزل والحمد لله خاصَّة بعدما أُذيعت فتوى الشيخ ابن باز رحمه الله في التلفاز، وفتوى الشيخ الألباني رحمه الله بعدَم جواز هذا الأمر، والبعضُ لا زال شاكًّا في هذا الأمر، فماذا تقولون في هذا؟

الشيخ: نرى أنَّه يجبُ عليهم وضعُ السِّلاح وإلقاءُ السَّلام، وإلاَّ فكلُّ ما يترتَّب على بقائهم من قتلٍ ونهب أموالٍ واغتصابِ نساءٍ فإنَّهم مسؤولون عنه أمام الله عزَّ وجلَّ، والواجب عليهم الرجوع، وقد سمعنا والحمد لله أن الكثيرَ منهم رجع، وهذا هو الواجب.

ونحن نشكرُ الدولةَ على العفوِ العام، ونشكرُ مَن ألقى السِّلاحَ على استجابتِه.

ولا يتشكَّكون في هذا أبدًا، وليرجِعوا إلى حياتهم الطبيعية.

السائل: فيما يَخُصُّ الذين تورَّطوا ورجعوا، وقد قضوا مدَّة طويلةً في الأودية والجبال، فما هي أنفعُ السُّبُل لتعليمهم وإرشادِهم حتى يعودوا إلى حياتهم الطبيعيَّة؛ لأنَّه ليس من السَّهل أن يَقضيَ رجلٌ منهم مدَّةً مديدةً في الجبال ثمَّ يعود كأن لم يكن شيء؟! فما هي أنفع السبل لتعليمهم وإرشادهم وتوجيههم؟

الشيخ: هذا يرجع إلى الحكومة والمجتمع، فينشأ لهم مدارس لتعليمهم حسب حالهم.

السائل: من الفساد الذي حدث في هذه الفتنة: هو أن بعضَ النساء أو الفتيات تعرَّضنَ للاغتصاب من طرف هؤلاء الذين يصعدون الجبال!

الشيخ: نسأل الله العافية!

السائل: فكثيرٌ منهنَّ حوامل، وبعضُهم أصدر فتوى ... بجواز الإجهاض في مثل هذه الحالة ... أن هؤلاء الفتيات اغتُصبن، والآن وقعنَ في هذه المشكلة، فكثيرٌ منهنَّ يسأل؟

الشيخ: إفتاؤهنَّ هؤلاء المغتصَبات بإجهاضِ الحمل صحيحٌ، ما لَم يبلغ الحملُ أربعةَ أشهر، فإذا بلغ أربعةَ أشهرٍ نُفخت فيه الرُّوح ولا يُمكن إسقاطه، أمَّا قبل ذلك فإسقاطُه أولى من إبقائه.

السائل: مِن الذين تابوا بقيَ في أيديهم أموالٌ قد اغتصبوها وسلبوها أيامَ الفتنة، حُكمُ هذه الأموال بعد ما تابوا وقد جُهل أصحابها؟

الشيخ: الأموال التي انتهبوها من المواطنين لا شكَّ أنَّها حرامٌ عليهم، فالمواطنُ مسلمٌ، والمسلمُ حرامٌ دمُه ومالُه وعِرضُه، فعليهم أن يَردُّوها إلى أصحابها إن عَلِموهم، أو إلى وَرثَتهم إن كانوا قد ماتوا، فإن لم يمكن فإمَّا أن تُجعلَ في بيت المال، وإمَّا أن يُتصَدَّق بها عن أصحابها.

السائل: لعلَّه هذا المتيسِّر؛ لأنَّه لا يُمكن إرجاعُها إلى بيت المال.

الشيخ: يُتصَدَّقُ بها عن أصحابها، والله يعلَم بهم عزَّ وجلَّ.

السائل: بالنسبة للحاكم الجزائري يا شيخ !الآن الشباب الذين طلعوا من السجون أكثرُهم لا زال فيهم بعض الدَّخَن، حتى وإن طلعوا من السجون وعُفي عنهم، لكن لا زالوا يتكلَّمون في مسألة التكفير، ومسألة تكفير الحاكم بالعين، وأن هذا الحاكم الذي في الجزائر حاكمٌ كافرٌ، ولا بيعة له، ولا سمع ولا طاعة لا في معروفٍ ولا في منكرٍ؛ لأنَّهم يُكفِّرونهم، ويجعلون الجزائر يا شيخ! أرض يعني أرض كفر.

الشيخ: دار كفر؟

السائل: إي، دار كفر، نعم يا شيخ! لأنَّهم يقولون: أن القوانينَ التي فيها قوانين غربية، ليست بقوانين إسلامية، فما نصيحتُكم أولًا لهؤلاء الشباب؟ وهل للحاكم الجزائري بَيْعَة، علمًا يا شيخ! بأنَّه يأتي يعتمِر ويُظهرُ شعائرَ الإسلام؟

الشيخ: يُصلِّي أو لا يُصلِّي؟

السائل: يُصلِّي يا شيخ!

الشيخ: إذن هو مسلمٌ.

السائل: وأتى واعتمر هنا من حوالي عشرين يومًا أو شهر، كان هنا في المملكة.

الشيخ: ما دام يُصلِّي فهو مسلمٌ، ولا يجوز تكفيرُه، ولهذا لَمَّا سُئل النَّبيُّ ﷺ عن الخروج على الحُكَّام قال : لا ما صلَّوا ، فلا يجوز الخروجُ عليه، ولا يجوزُ تكفيرُه، من كفَّره فهذا ... بتكفيره يُريد أن تعودَ المسألة جَذَعًا ، فله بيعة، وهو حاكمٌ شرعيٌّ.

أما موضوعُ القوانين، فالقوانينُ يجب قبول الحقِّ الذي فيها؛ لأنَّ قبول الحقِّ واجبٌ على كلِّ إنسانٍ، حتى لو جاء بها أكفرُ الناس، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾[الأعراف:٢٨] فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف:٢٨]. وسكت عن قولهم: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا ﴾ ؛ لأنَّها حقٌّ، فإذا كان تعالى قبِل كلمةَ الحقِّ من المشركين فهذا دليلٌ على أن كلمةَ الحقِّ تُقبلُ من كلِّ واحد، وكذلك في قصة الشيطان لَمَّا قال لأبي هريرة : إنَّك إذا قرأتَ آيةَ الكرسي لَم يزل عليك من الله حافظ ولا يَقربْك الشيطان حتى تُصبح » قبِل ذلك النَّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم ، وكذلك اليهودي الذي قال :إنَّا نجد في التوراة أن الله جعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع وذكر الحديث فضحك النَّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى بَدَت أنيابُه أو نواجِذُه؛ تصديقًا لقوله، وقرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ

ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧].

فالحقُّ الذي في القوانين وإن كان مِن وَضعِ البشرِ مقبولٌ، لا لأنَّه قول فلان وفلان أو وضْعُ فلان وفلان، ولكن لأنَّه حقٌّ.

وأمَّا ما فيه من خطأ، فهذا يُمكنُ تعديلُه باجتماع أهل الحلِّ العقدِ والعلماء والوُجهاء، ودراسة القوانين، فيُرفَضُ ما خالف الحقَّ، ويُقبلُ ما يُوافِقُ الحقَّ.

أمَّا أن يُكفَّرَ الحاكم لأجل هذا؟!

مع أن الجزائر كم بقيت مستعمَرة للفرنسيين؟

السائل: ١٣٠ سنة.

الشيخ: ١٣٠ سنة! طيِّب! هل يُمكن أن يُغيَّر هذا القانون الذي دوَّنه الفرنسيُّون بين عشيَّة وضحاها؟! لا يُمكن.

أهمُّ شيء: عليكم بإطفاء هذه الفتنة بما تستطيعون، بكلِّ ما تستطيعون، نسأل الله أن يقيَ المسلمين شرَّ الفتن.

السائل: فتكمِلة لمسألة الشباب الآن يا شيخ! مثلًا في مناطق كثيرة، ليست كل المناطق، لكن في مناطق كثيرة لا زالوا يخوضون في مسألة هي كبيرة عليهم، يعني مسائل مثلًا يا شيخ! التكفير، التشريع العام، والتكفير العيني، هذه المسائل يا شيخ! قد يأخذون الفتوى منكم، ثمَّ يُطبِّقونها على الحاكم، هكذا تطبيقًا يعني...

الشيخ: عملهم هذا غير صحيح.

السائل: نعم! ثمَّ لَمَّا نقول له: يا أخي ما قالها الشيخ ابن عثيمين، يقول لك: لكن الشيخ ابن عثيمين مثلًا في كتبِهِ قال: التشريع العام: مَن حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر بدون تفصيل، والآن عندنا هذا الحاكم لا يحكم بما أنزل الله، فهو كافر، فهِمتَ المسألة يا شيخ؟

الشيخ: فهمنا، أقول بارك الله فيكم : الحكم على المسألة بالحكم الذي ينطبق عليها غيرُ الحكم على شخصٍ معيَّن.

فالمهمُّ يجب على طلبة العلم أن يعرفوا الفرقَ بين الحكم على المسألة من حيث هي مسألة، وبين الحكم على الحاكم بها؛ لأنَّ الحاكمَ المعيَّن قد يكون عنده من علماء السوء مَن يُلبِّس عليه الأمورَ، وغالبُ حُكام المسلمين اليوم ليس عندهم علمٌ بالشرع، فيأتيهم فلانٌ يُموِّه عليهم، وفلانٌ يُموِّه عليهم، ألَم ترَ إلى أن بعضَ علماء المسلمين المعتبرين قال: جميع مسائل الحياة ليس للشرع فيها تدخُّل! واشتبه عليهم الأمر بقوله ﷺ : أنتم أعلم بأمور دنياكم !قال هذا رجالٌ نشهدُ لهم بالصلاح، ولكن تلبَّس عليهم، وهم لو تأمَّلوا الأمرَ لوجدوا أن هذه بالنسبةِ للمصانع والصنعة وما أشبه ذلك؛ لأنَّ الرسولَ تكلَّم عن تأبير النخل، وهم أعلم به؛ لأنَّه ﷺ أتى من مكَّة، ما فيها نخل ولا شيء، ولا يعرفه، فلمَّا رأى هؤلاء يصعدون إلى النخل ويأتون بلقاحه، ثمَّ يُؤبِّرون النخلةَ ويلقِّحونها، فيكون فيه تعب وعمل، قال :ما أظنُّ ذلك يُغني شيئًا ، فتركوه سنة، ففسدت النخلة، فأتوا إليه، فقالوا: يا رسول الله! فسد التمر! قال :أنتم أعلم بأمور دنياكم ، ليس بأحكام دنياكم، لكن بأمور دنياكم، ثم الناس يُلبِّسون الآن، ألَم تروا بعض العلماء في بلاد ما أباحوا الرِّبا الاستثماريِّ؟ وقالوا: المُحرَّم الربا الاستغلالي، وشبهتُه قوله تعالى: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩].

الحاكم إذا كان جاهلًا بأحكام الشريعة، وجاءه مثلُ هذا العالِم، أليس يُضلُّه؟

السائل: يُضِلُّه.

الشيخ: فلذلك لا نحكم على الحُكَّام بالكفر إذا فعلوا ما يَكفُر به الإنسانُ حتى نُقيم عليه الحُجَّة.

السائل: مَن الذي يُقيم الحُجَّة يا شيخ؟

الشيخ: ما دُمنا ما أقمنا عليهم الحُجَّة لا نحكم بكفرهم.

السائل: سمعتُكَ يا شيخ! تقول في رمضان قلتَ: إلا أن تروا .. ، يعني: الرؤية العينية، قلتَ يا شيخ !فيما أذكر قلتَ: مثل رؤية العين.

الشيخ: نعم! هذا هو، أي: أن نعلمَ علمَ اليقين مثل ما نرى الشمس كفرًا بواحًا، صريحًا ما فيه احتمال ».

*** - رسالة الشيخ ابن عثيمين إلى أمير الجماعة المسلحة :**

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد الصالح العُثيمين إلى الأخ المكرم: حسان حطاب، أمير الجماعة المسلحة في منطقة الجزائر حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال النَّبيُّ ﷺ : **«كونوا عباد الله إخوانًا، المسلمُ أخو المسلم»** ، ولقد منَّ الله تعالى على كثير من إخواننا في الجزائر فألقوا السِّلاحَ وأطفؤوا الفتنة، وحصل لهم وللشعب الجزائري خيرٌ كثيرٌ، وإنَّا لنرجو الله عزَّ وجلَّ أن تكونوا أيُّها الأمير مثلهم عن قريب، والأمور التي فيها اختلاف بينكم يُمكن حلُّها بالطرق السلميَّة والتفاهم وسيتمُّ ذلك إن شاء الله مع نيَّة الإصلاح وسلوك الطريق الموصل إلى ذلك، قال الله تعالى في الحَكَمين في شقاق الزوجين: ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء:٣٥].

آملُ منكم أيُّها الأمير أن تُبادروا بالإصلاح ووضع السِّلاح، وفَّقكم الله للخير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجمعة ١٤ ربيع الأول سنة ١٤٢١هـ

عنيزة الجامع الكبير

مسألة : فتوى الدكتور ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة سابقًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة

مكالمة مباشرة من ثوار الجزائر برؤوس الجبال مع العلاَّمة ربيع بن هادي المدخلي بتاريخ ٢ رمضان ١٤٢٠هـ قال السائل: « لقد أدرك الإخوة عندنا هنا أنَّه لا سبيل للهدى وللحق إلا بالرجوع إلى العلماء علماء أهل السنة في هذا العصر وسؤالهم، والتزام أقوالهم بعد ذلك، وها نحن الآن نعرض عليكم أخطر قضيّة تجري اليوم على الساحة الجزائرية، ألا وهي القتال القائم بيننا وبين النظام الحاكم منذ ثمان سنوات، نريد أن نعرف رأيكم فيه مع أكبر تفصيل ممكن.

عندنا تساؤلات نحتاج جداً أن تبيِّنوا لنا وجهَ الحق فيها، فنطمع منكم يا شيخنا في شرحٍ وافٍ وشافٍ، وأن تشرحوا لنا صدوركم؛ عسى الله أن يردَّ على أيديكم من شرد عن الحق ليعود إليه والله المستعان.

أوّل سؤال: ما رأيكم في هذا القتال القائم في الجزائر؟ وعلى أيِّ أساسٍ تبنون قولكم وموقفكم يا شيخنا عِلْمًا بأنّنا ننتهج المنهج السلفي، ونرفع راية أهل السنة والجماعة، ونبرأ إلى الله من الهجرة والتكفير الذين يرتكبون المجازر والمذابح ، ونبرأ إلى الله من الحزبيين الذين يُدَنْدِنون حول الانتخابات والتحزب وغير ذلك؟

قال الشيخ: جزاكم الله خيرًا، أنا أولًا الآن أتهيأ للذهاب للصلاة في المسجد الحرام.

أذكِّركم بما قد سمعتموه من فتاوى علماء وأئمّة السنة في هذا العصر مثل الشيخ الألباني والشيخ ابن باز وابن عثيمين، فهل سمعتم وقرأتم فتاواهم؟

السائل: إي نعم بلغتنا، ولكن حال دون الانتفاع بها بعضُ الشُبَه التي نحتاج إلى جوابها منكم يا شيخنا.

الشيخ: إذًا تُؤَجل الإجابة عن الأسئلة هذه إلى أن أعود من الصلاة من المسجد الحرام.

ثم ضرب لهم الشيخ موعدًا آخر من اليوم نفسه.

ثم قبل انتهاء المكالمة قال الشيخ: أقول: بل أسألك سؤالًا سريعًا:

كم نسبة السلفيين في هؤلاء؟

السائل: هي أمّة كثيرة يا شيخنا أمة كثيرة!

الشيخ: طيّب إذا كانوا سلفيّين لماذا لم يرجعوا إلى العلماء قبل أن يدخلوا في هذه المشكلة؟

السائل: هم أصلًا كانوا يعتمدون في خروجهم على فتوى للشيخ ناصر الدين الألباني يعني فتوى قديمة، ثم ظهر الآن أنّها لَم تكن يعنِي بتلك القوة وبتلك السلامة، والله تعالى أعلم.

الشيخ: خير إن شاء الله على كلٍّ حال البحث يجري بعدين إن شاء الله.

وعند الموعد اتّصل الثوارُ بالشيخ.

قال السائل: نحن نحيطكم علمًا أن الذي يكلِّمك الآن هم إخوانك المقاتلون من الجزائر، وبالضبط المقاتلون: (الجماعة السلفية للدعوة والقتال)، ونحن في إحدى كتائبها: (كتيبة الغرباء) بالبويرة .

نعود طبعًا بعد أن بلغنا من كلام أهل العلم ما بلغنا أن نطرح عليكم بعض التساؤلات، وكنا قد أعطيناك بدايتها في الصباح، وها نحن نعطيك تفاصيلها إن شاء الله عزّ وجلّ .

عمومًا أودُّ أن نعطيك يا شيخنا نظرةً لمجريات الأحداث منذ أن بدأت إلى يومنا هذا؛ حتى تكون عندك صورة متكاملة عمّا جرى إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

كما تعلمون شيخنا القضية بدأت بظهور الجبهة الإسلامية للإنقاذ على الساحة، التحزب يعني المفهوم ذاك والانتخابات، ثم تَوقَّفت الانتخابات وجرى

ما جرى في تلك الفترة، في ٩٢ بدأ جماعة من التكفيريّين عمليّات القتل والجبهة الإسلامية للإنقاذ في إبّان تلك الفترة كانت تدعم القتال بشكل إعلامي فقط، وتحمّس الشباب لذلك.

بعد ذلك شيخنا انتشر عند الإخوة أن الشيخ ناصر الدين الألباني قد أفتى بهذا القتال، وقال: « عجِّلوا !عجِّلوا! »، وهناك شريط مسموعٌ في هذه الفترة مع هذه الظروف الإعلامية ومع الظروف المتقلبة يعني ... أصبح الشباب يلتحق أفواجًا أفواجًا بهؤلاء المقاتلين.

قال الشيخ: أسمعني شريط الألباني.

السائل: ماذا شيخنا؟

الشيخ: أسمعني كلام الشيخ الألباني هذا الذي يقول: « عجِّلوا! عجِّلوا!»

السائل: ماذا يا شيخ ماذا؟

الشيخ: أقول: أسمعوني صوت الشيخ الألباني هذا الذي اعتمدتم على فتواه.

السائل: الشريط موجود، لكنَّ الشريط بُني على واقع غير واقع الذي سأل الشيخ، لم يعطه الواقع الصحيح؛ أوهمه أن ثَمَّة عُدّة، وثَمَّة (٧) ملايين و(٣) ملايين وهكذا، فالشيخ قال » :عجِّلوا! عجِّلوا! » كأنّه أوهمه غير الواقع، فكان هذا الذي كان .

قلتُ: مرّت سنوات والشباب السلفي يلتحق بالمقاتلين بناء على أن هذا القتال مشروع ومأذونٌ فيه شرعًا، ولم تصلنا ولم يصلنا كلامُ أهل العلم يعني الذي يمنع ذلك إلا في السنوات الأخيرة، وكان كلامهم يدور دائمًا حول أناس، حول خوارج، وأنَّ الذين يقاتلون خوارج وأنّهم يقتلون النساء والأطفال وهلمَّ جرّا.

لهذا كان الشباب السلفي لا يتأثّر بهذه الفتاوى؛ لأنَّه يقول دائمًا لا تعنيه؛ لأنَّ الشباب السلفي قط لم يقتلوا النساء ولم يقتلوا الأطفال، وليس على منهج الخوارج،

بل يتبرّؤون من ذلك تبرُّؤًا كاملًا!

وإثر ذلك في عام ١٩٩٦م انقسمت الساحة القتالية إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: الجيش الإسلامي للإنقاذ، وهذا تابعٌ للجبهة الإسلامية للإنقاذ، ومنهجهم هو التحزب والدعوة إلى رجوع الحزب والانتخابات.

والطائفة الثانية: جماعة التكفير: جماعة عنتر زوابري، هذه التي قد سمعتم عنها في الإعلام مجازرَها وفظائعَها وسبيَها للنساء، وحكمَها بالكفر الجماعي للشعب الجزائري.

طائفة ثالثة: الجماعة السلفية للدعوة والقتال، هذه من جهة تتبرّأ من المجازر والمذابح والتكفير العام، ومن جهةٍ تتبرّأ من الحزبية، ولا تطالب بانتخابات، إنَّها خرجت ظناً منها أن هذا جهادٌ مشروعٌ مبنِيٌّ على فتاوى العلماء، وأنَّ هذا عملٌ صالحٌ، إلى أن بلغها مؤخّرًا كلام كثيرٍ من أهل العلم العثيمين والفوزان وغيرهم من أهل العلم، مِمَّا جعلنا في حيرة من أمرنا، فها نحن الآن نعود إليكم، ونستشهد إن شاء الله عزَّ وجلَّ، ونبحث عن الحقِّ حتى نعود إليه يا شيخنا فما رأيكم في هذا القتال وفق هذه المعطيات؟

الشيخ: أقول بارك الله فيكم:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، أمّا بعد، فأرى أنّك تفرِّق بين السلفيين وبين جماعة التكفير؟

السائل: إي نعم!

الشيخ: وفهمتُ من خلال كلامك أنّكم تتبرَّؤون مِمَّن يكفِّر التكفير العام الشامل للشعب، فهذا يعطيني على أنكم أيضا تكفرون؟

السائل: إي نعم! إي نعم!

نحن ليس على هذه الصورة وإنما على صورة أخرى.

الشيخ: كيف تكفيركم؟

السائل: الجماعة يكفِّرون الحاكم، لهذا خرجوا عليه.

الشيخ: الحاكم والجيش والوزراء ومن حولهم؟

السائل: إي نعم! كلُّ من دخل في طائفة الحاكم قاتلوه معه!

الشيخ: قاتلوه على أساس أنَّه كافر؟

السائل: إي مش كفر عيني، أي على أساس ليس كفر تعيين يا شيخنا ليس كلّ واحد من أفراد الطائفة يكفر كفر عيني!

الشيخ: الحاكم الآن تكفِّرونه؟

السائل: أي نعم!

الشيخ: لماذا تُكفِّرونه؟

السائل: بناءً على أنَّه نَحَّى الشريعة الإسلامية وعوَّضها بقوانين وضعية، وحارب المسلمين وأنَّه أفتى فيه الشيخ ناصر الدِّين الألباني كما أسلفتُ لك سابقًا.

الشيخ: لا! الآن، الآن على فتوى الألباني الجديدة؟

السائل: الجديدة؟ ها هنا وقع استغرابنا وحيرتُنا يا شيخَنا!

الشيخ: الألباني يُكفِّر حُكَّام الجزائر ...، أو العثيمين أو الفوزان يعنِي قالوا بأنَّ الحُكَّام كفار؟ لا حول ولا قوة إلا بالله!

السائل: لم يقولوا ذلك يا شيخنا.

الشيخ: طيِّب، وأنتم عندكم بأنَّ كفرَهم بواح وفيه من الله برهان كأن قالوا بأنَّ الإسلام هذا لا يصلح، بأنَّه رجعية، وأنَّ القوانين هذه أفضل من الإسلام، قالوا هذا؟

السائل: هذا ما سمعناه منهم يا شيخنا.

الشيخ: إذًا ما عندكم دليلٌ واضح على أنَّهم كفَّار الكفر البواح هذا يُعامل بما جاء في الأحاديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام في موقف المسلم من الحاكم المنحرف.

الحكَّام الذين تعرفون وتنكرون وقال فيهم :يهتدون بغير هديي ويستنُّون بغير سنَّتي ، وأحاديث كثيرة جدًّا، حتى أن الرسول لَمَّا قالوا له: أنقاتلهم؟ قال :لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، يعني أنَّهم يُغيِّرون في الإسلام إلى آخر شيء. إذا بقوا يُصلُّون ويدَّعون الإسلام لا يقاتَلون ولا يُخرج عليهم، هل عرفتم هذه الأشياء؟

السائل: نحن نسمع من فضيلتكم يا شيخنا نتعلَّم منكم الآن.

الشيخ: إي بارك الله فيكم ادرسوا هذه الأحاديث وادرسوا كلام العلماء وادرسوا كلام الألباني، وعليكم بطلب العلم...

ثم أنا أسألك: هذه ثمان سنوات ما هي ثمار هذا القتال؟ ما استفاده المسلمون من هذا الجهاد؟

السائل: لحدِّ الآن لا شيء يا شيخ!

الشيخ: كم قُتل، وكم من المال، وكم من الأعراض انتُهكت، وكم، وكم ...؟

السائل: الكثير! الكثير!

الشيخ: الكثير! الكثير! أنتم أيَّدتم هذا الوضع، أيَّدتم التكفيريِّين الذين يسفكون الدِّماء، وتشجَّعوا بكم، وعاضدتموهم، وإن قلتم إنَّكم سلفيُّون، وإنَّكم تخالفونهم في الرأي، ولكنهم يستفيدون من وقوفكم إلى جانبهم، وزادوا بكم جرأة على هذا الشعب فسحقوه سحقًا، فلم يبقوا له دينًا ولا دنيا! هل هذه الصفات يرضى بها الإسلام؟!

السائل: لا يا شيخنا! نحن قد جرى بيننا وبين هؤلاء قتال ونزاع طبعًا.

الشيخ: السبب الذي أوصل الشعب الجزائري الذي كان متجِّهًا إلى السلفية بأمَّته وشبابه وفتياته، جامعيين وغيرهم، متوجِّهين نحو النهج السلفي، هذا الوضع أحسن أو حينما جرت هذه الثورة وهذه الفتن؟

السائل: الوضع الآن ليس بأحسن!

الشيخ: طيِّب! أنتم قاتلتم ليكون الوضع أحسن مِمَّا كان؟

السائل: إي نعم! إي نعم!

الشيخ: فكيف كنت النتائج؟

السائل: سيِّئة يا شيخنا سيِّئة لحدِّ الآن!

الشيخ: أليس لكم عبرة في هذا؟! أليس هذا برهانًا على أن هذا الجهاد جهادٌ كان منطلقًا من جهل، ومن فتاوى يعني نسأل الله العافية لم يستنجدوا بالعلماء، واتخذوا أصحاب الشرور رؤوسًا جهالًا، فيُفتون بغير علم، فيَضلُّون ويُضلِّون، ولم يقفوا عند حدِّ الضلال والإضلال، بل تجاوزوه إلى سفك الدِّماء وهدم الإسلام.

الإسلام هُدم في الجزائر هدمًا شديدًا شنيعًا؛ بفعل هؤلاء!!

وربَّما لو لم يتعجلوا ومشوا بالعلم والبصيرة لربَّما كانت دولة الإسلام في الجزائر، ولكن لجهلهم وسوء نواياهم؛ لأنَّ نواياهم سيِّئة لا يريدون إلا الملك فقط، لا يريدون إعلاء كلمة الله، يريدون أن يتسنَّموا هم قمة الحكم، ولهذا السبب جعلت الانتخابات والديمقراطية والكلام الفارغ.

وهم ليس لهم إلا مصارعة الحكام، ولا همَّ لهم إلا أن يتسنَّموا قمة الحكم فقط، ثم بعد ذلك يديرون ظهورهم للإسلام، كما فعل أمثالُهم في السودان وفي تركيا وفي غيرها.

فهؤلاء لو وصلوا إلى الحكم لزادوا الناسَ خوفًا وظلمًا وابتعدوا عن الإسلام.

فالآن ... اعتبروا بهذا الذي حصل، وشمِّروا عن ساعد الجدِّ لتحصيل العلم

ودعوة هذا الشعب الطيِّب إلى كتاب الله وسنة الرسول حتى يعود إلى ما كان عليه قبل هذه الفتنة، ثم يتقدَّم إلى تحقيق الغاية التي ينشدها الإسلام.

السائل: شيخنا! على حسب قولكم إذًا لا يمكن الحكم بكفر حاكم من الحكام وإن كان يحكم بغير ما أنزل الله حتى يحكم عليه العلماءُ بذلك؟

الشيخ: نعم! حتى يرى العلماءُ فيه كفرًا بواحًا، ثم بعد صدور الفتوى هل يُقاتَل أو لا يُقاتل؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، هذا إذا كان كافرًا.

أنا جاءني شبابٌ في أول هذا القتال، فقلت: أعددتم للقتال، وهم كفار عندكم؟ قال: لا!

قلت: ما عندكم قوة، وهم عندهم طائرات، وعندهم دبَّابات، وعندهم كذا، من ورائهم بريطانيا وأمريكا، والدول كلّها، وأنتم ما عندكم شيء، فأنتم ما أعددتم العدَّة التي تُرهبون بها عدوَّ الله، قد أعددتم العدة التي تُطمِعون عدوَّ الله فيكم وفي الإسلام، فلو كان الحاكم كافرًا كفرًا بواحًا، في الجزائر وفي غيرها لكان يجب أن يُرجع في ذلك إلى العلماء، فهم الذين يُقدِّرون المصلحةَ والمفسدةَ، ومتى يُشرع القتال ومتى لا يُشرع إلخ، لا للسفهاء والجهلة وأصحاب الأهواء الطامحين إلى المُلك، فهذا من الخطأ، وقد عرفتم حصاد هذا التهوُّر.

فعليكم بالتوبة إلى الله تبارك وتعالى، فقد لا تسلمون من المسؤولية أمام الله في الدِّماء التي أُبيحت، وفي الأعراض التي انتُهكت، وفي الأموال التي سُلبت ونُهبت، فتوبوا إلى الله توبة نصوحًا بارك الله فيك فإنَّ عليكم المسؤولية أمام الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّكم شاركتم هؤلاء.

فتوبوا إلى الله توبة نصوحًا فيما وقع في حقِّ المسلمين ... مظلومين، ثم شمِّروا عن الساعد، والله يقبل التوبة.

وشمِّروا عن ساعد الجدِّ في طلب العلم، ونادوا إخوانكم الذين بقوا هناك في

الجبال أن يتوبوا ويعودوا إلى الله، بلِّغوهم مثل هذا...

السائل: شيخنا! بعض الإخوة المقاتِلين عندنا طرحوا سؤالًا فقالوا: إذا كان هذا ليس بجهاد، ولكن يُفكِّرون بالبقاء في الجبال بسلاحهم، ولا ينزلون، بدعوى أنَّهم يخافون من الحكومة، ما يكون توجيهكم لهم؟

الشيخ: أولًا: جاءني سؤال قبل سنة تقريبًا من واحد من هؤلاء التائبين.

قلت له: هل تعتبر أن عملكم هذا جهاد؟

قال: نعم!

قلت له: يا ابْنِي! هذا خطأ، الجهاد: إذا كنتم تريدون إعلاء كلمة الله فيجب أن تزحفوا إلى دولة أوربية: إمَّا إيطاليا، أو فرنسا، أو إسبانيا ... هم كفار، تزحفون بجيشكم إلى بلد كافر فاسق بكفره حكومةً وشعبًا، وتدعونهم إلى الدخول في الإسلام، ليشهدوا أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن استجابوا فالحمد لله، وإن لم يستجيبوا فتطلبون منهم أداءَ الجزية، فإنْ أَبَوْا حينئذ يصحُّ القتال، ولكن قتالًا شريفًا، لا تُنتهك فيه الأعراض، ولا تقتل فيه النساء، ولا الصبيان، ولا .. ولا .. إلى آخر الشروط التي في إطار الإسلام في الجهاد الإسلامي النظيف، الذي ينفع ولا يضر.

فتستفيد منه البلاد ... الفاتحون والبلاد المفتوحة.

أما جهاد هؤلاء السفهاء، فوالله! لقد شقي بهم الإسلام والمسلمون، بارك الله فيكم.

الآن ننصح هؤلاء بأن يعودوا، وأظنُّ أن الدولةَ لن تقتلهم، وقد توجِّه لهم أسئلة ثم تتركهم كما بلغنا.

ليس الخطورة ... كما يُصوِّر الشيطان لهؤلاء: أنَّهم إذا عادوا فسيُقتلون، وكذا وكذا.

يا أخي! لو قُتلت أنتَ بارك الله فيك وسَلِم الناسُ من أذاك، هذا هو المطلوب.

فليرجعوا! وثِق أن النتائج ستكون طيبة.

ولو فرض أنَّه سيكون هناك سجن وقتلٌ فعليهم بالصبر، عليهم بالصبر بارك الله فيك لمصلحة الإسلام، ولمصلحة هذا الشعب، وليستعيد أنفاسه، ويُفكِّر قليلًا، ثمَّ يعود إن شاء الله إلى الوجه الطيب المشرق الذي كان عليه سابقًا.

السائل: إذًا ما حكم من بلغه هذا، ثمَّ بقي مُصرًّا على القتال؟

الشيخ: والله! هذا ظالم، ويُناشَد أن يتقي الله، وأن يندم على ما صنع، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، إن كان له عقلٌ يُدرك به ما حصل من الفساد، وما نزل بهذا الشعب من الأضرار في دينه ودنياه، أن كان فيه بقية من خير فسيعود إلى ما كان عليه من قبل. وإن كان إنسانًا منحرفًا قد استولى عليه الشيطان، فهذا: الله يتولى حسابه، ولا يجوز نصره ... ولا يجوز أن تُدعم جماعتُه، ولا أن يُمَدُّوا بالعون والسلاح أو بالمال أو بأي شيء.

السائل: شيخنا! إذا رؤساء المقاتلين لم يستجيبوا لهذه الدعوات الطيبة، ما واجب كلِّ مقاتل في حقِّ نفسه؟

الشيخ: أقول بارك الله فيك : هؤلاء المقاتلون هل هم التكفيريُّون أم هم الذين يدَّعون السلفية؟

السائل: أقول: الذين يدَّعون السلفية.

الشيخ: الذين يدَّعون السلفية: أنا أظنُّ أن في سلفيَّتهم خللًا كبيرًا جدًّا، بحيث لم يَبْقَ عندهم من السلفية إلا الادِّعاء، وإلاَّ لو كانوا سلفيِّين ما خرجوا أولًا.

وثانيًا: حينما جاءتهم فتاوى العلماء لعادوا أدراجهم إلى [بيوتهم]، فأنا أعتقد أن هؤلاء يحملون السلفية اسمًا، وليسوا صادقين في سلفيَّتهم، ولو كانوا صادقين كما

قلت ما دخلوا في هذه الفتنة، ولو دخلوها لخرجوا منها بسرعة، بمجرد [سماع] كلام العلماء، تفضل!

السائل: شيخنا! ما هو واجب كلِّ جندي الآن من المقاتِلين، إذا رؤساؤهم أَبَوْا الاستجابة لهذه الدعوة الطيِّبة؟

الشيخ: حقُّه أن يتوب إلى الله ويرجع يا أخي! هذا حقُّه يا أخي!

هذا لا يجوز؛ لأنَّ الجهادَ هذا أولًا: هو يُكفِّر الحكومة، وهذا الحكم جائر، الحكم لا شك أنَّه طاغوت، القوانين طاغوتية، لكن هل كلّ واحد يؤمن بهذا الطاغوت؟ حتى الحاكم نفسه يؤمن بهذا الطاغوت؟

وهل نحن على بصيرة وعلى برهان واضح أن هذا هو الكفر البواح؟ ما فيه أدلَّة بارك الله فيك، أخوه مسلم، يصلي...

على كلٍّ حال عنده على الأقل كفر، وهذا ظالم لا شك، فاجر، لكن لا يخرج من دائرة الإسلام إلا بدليل واضح كالشمس، وكثير ... مسلمين مكرهين...

القتل كلُّه في المسلمين والمساكين والضعفاء، قد يكونون مكرَهين، ينبغي إدراك هذه الأشياء، بارك الله فيك.

السائل: نعم، هذا واضح يا شيخنا وجيد، حفظكم الله وجزاكم عنَّا كلَّ خير.

الشيخ: أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، والتشمير عن طلب العلم، وادرسوا هذه الأبواب خاصة دراسة واعية، ادرسوا أحاديث الرسول في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة والعقائد السلفية، ومِن جامع المسانيد لابن كثير، وكتب الفقه، وكتب ابن تيمية وابن القيم، وادرسوا الأمور هذه واستوعبوها تمامًا.

وقبلها ادرسوا العقيدة، وتمكَّنوا فيها، والشريعة الإسلامية، وتمكَّنوا فيها.

والشعب الجزائري يحتاج إلى علماء، ما يحتاج إلى مقاتلين جهلة فجرة، ما يحتاج إلى هذا الصنف الذي أوصله إلى هذه الهوة السحيقة من الجهل والضلال

والفقر والضياع، يُريد علماء حكماء يسيرون بالأمة في الطريق الإسلامي الصحيح، ويدفعون عنهم المفاسد، ويُقدِّرون المصلحة ويضعونها في موضعها، والمفسدة ويضعونها في موضعها، ما يريد هؤلاء الناس الطائشين، فتجنَّبوا هؤلاء، عليكم بالعلم بارك الله فيكم العلم والعمل وتقوى الله والإخلاص في كلِّ ذلك.

والشعب الجزائري من أفضل الشعوب، ومن أسرعها استجابة إلى الحقِّ، وأيضًا شمِّروا عن ساعد الجدِّ لدعوتهم إلى المنهج السلفيِّ الذي هو دين الله الحق.

السائل: شيخنا! بلغنا أنَّكم ممَّن يحمل لواء الجرح والتعديل في هذا الزمان، فنوَدُّ أن نسألكم عن بعض الأشخاص الذين لهم مكانة ههنا عن بعض المقاتلين، نبدأ بأبي قتادة الفلسطيني الماكث في بريطانيا، هل تعرفونه شيخنا؟

الشيخ: أسمع أن هذا من أسوأ خلق الله وأفجرهم وأجْرئهم على الفتوى، وأنَّه يُبيح قتل الأطفال والنساء، فبئسما صنع، وبئسما أفتى هذا الرجل!!

وهذا ليس من أهل العلم، هذا من أهل الأهواء؛ ومن الأدلة: أنَّه يعيش في بلاد الكفر، وأنا أشكُّ أن بريطانيا تشجِّع هذه الأصناف؛ لأنَّها تريد للعالم الإسلامي دمارًا، وهؤلاء أنزلوا بالشعب الإسلامي من الهلاك والدَّمار ما يشفي صدورَ الكفار.

هذه النتائج التي وصلتْ إليها الجزائر، مَن يفرح بها؟

يفرح بها اليهودُ والنصارى وأعداءُ الإسلام.

ومن أوصل الشعب الجزائري إلى النتائج المُرَّة غير هذه الفتاوى ...؟!

هل تعلمون أن أبا قتادة سلفي؟

السائل: لا نعرفه سلفيًّا، شيخنا!

الشيخ: سلفي؟

السائل: لا نعرفه سلفيًّا.

الشيخ: ... لا تعرفونه بالسلفية، يعني: تكفيري؟!

فقال أحد المقاتلين: تكفيري إيه!

وقال السائل موافقًا زميله: أي نعم!

قال الشيخ: خلاص، تعرفه وتسألني عنه؟

قال السائل: حتى يعرفه الإخوة؛ لأنَّ الإخوة مخطؤون فيه، فإذا سمعوا كلامَكم، وأنتم أهلٌ للقول فيه، فيُؤخَذ قولكم إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

الشيخ: جزاك الله خيرًا.

السائل: شيخنا! أيضًا: أبو مصعب السوري، هل تعرفونه؟

الشيخ: لا! أبو مصعب مَن؟

السائل: السوري هذا؟!

الشيخ: هو في بريطانيا يعيش؟

السائل: ربَّما، وهو يتكلَّم أيضًا في هذه المسائل: التكفير والجهاد.

الشيخ: ... أبو حمزة !من قيادات الشر والفتن!

وأظنُّ أن لهم علاقات بأعداء الإسلام، بريطانيا وغيرها والله أعلم تشجِّعهم على هذه الفتن التي يثيرونها في بلاد الإسلام، وعلى هذه الفتاوى التي تضرُّ بالمسلمين ولا تنفعهم؟

السائل: شيخنا! ما قولكم في أسامة بن لادن؟

الشيخ: والله! ما هو بعيد عن هؤلاء! ما هو بعيد عن هؤلاء!

السائل: شيخنا! الإخوة .. نحن مثلًا .. الجماعة السلفية .. الإخوة في الجماعة

السلفية كما كنت أسلفتُ لك خرجوا متأوِّلين؛ ظانِّين أن هذا جهاد مشروع وقد أخطؤوا، وقد مضى عليهم في هذه سنوات من التعب والنصب، وهناك فيهم من قُتل! فما حكم تلك السنوات التي كانوا فيها متأوِّلين من التعب والنصب؟

وما حكم من قتل أيضًا منهم؟

الشيخ: والله! فهم لا تبصَّروا في الأمر، ولا رجعوا إلى العلماء، وأنت تعلم أن الذي يحصل جاء هذا مصيره بارك الله فيك هم حكموا على الحكومة والله أعلم والشعب بالكفر، [وشرعوا في إراقة الدماء] هذا مصيره مصير الخوارج، والله أعلم، هذا ما أعتقد، وأعوذ بالله أن كنتُ قد أخطأتُ!

السائل: يا شيخ! هل تختمون هذه المكالمة بنصيحة توجِّهونها للإخوة؟

الشيخ: النصيحة الأولى: أوصيكم بتقوى الله تبارك وتعالى، والإخلاص لله في كلِّ قول وعمل، والتشمير عن ساعد الجدِّ في طلب العلم من مناهله ومنابعه الصحيحة من كتاب الله وسنة الرسول وكتب السلف الصالح، ثم كذلك دعوة الناس إلى هذا المنهج الصحيح، والتربية عليه تربية صحيحة، مَن يموت منهم يموت على الإسلام الحقِّ، على عقيدة صحيحة وعلى منهج صحيح وعلى بصيرة من دينه.

ثم هؤلاء الذين يستقيمون على منهج الله لن يُضيِّعهم الله تبارك وتعالى، ولن يضيِّع أعمالهم إن شاء الله.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يُجنِّبنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ومسألة الجهاد ليست مسألة سهلة يعني بهذه السهولة، يعني ... يَقتُل ثم يُكتب في المجتهدين وفي المؤوِّلين ... والله أعلم؟! هذا مصيرهم بيد الله عزَّ وجلَّ ... وأنَّهم مخطئون عليهم مسئولية أمام الله تبارك وتعالى.

فلينصحوا أنفسهم جميعًا بتقوى الله و بلزوم كتابه وسنة رسوله عليه الصلاة

والسلام، والسير على نهج السلف الصالح في العقيدة والعمل والمنهج، فلا سداد إلا للعلم النافع، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح.

السائل: يا شيخنا! ههنا أخ مقاتل يريد أن يسألكم، نحوِّل إليه المكالمة.

السائل: شيخنا! حفظك الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

السائل: لقد سألك أخونا وكانت الأجوبة شافية كافية، وعلى أتَمِّ البيان والحمد لله تبارك وتعالى غير أنِّي في الختام أطلب منكم شيئًا بعد هذا الذي أصابنا وأصاب الأمة، إلا وهو أن تألِّفوا رسالة توجِّهونها إلى الشباب في الجزائر، تحثُّونهم فيها على الأخذ من أهل العلم، وتبيِّنون أسماء العلماء المعاصرين، وتبيِّنون كذلك رؤوس الخوارج؛ لأنَّ في هذه البلاد ينعدم العلماء السلفيُّون.

ربَّما في بعض البلدان يجد الشباب من يوجِّههم إلى السنة ومنهجهم ويبيِّن لهم الحقَّ والباطلَ، لكن في أماكن كثيرة من هذا الوطن تجد الشباب لا يعرف، ويقرأ الرسائل ويسمع الأشرطة، وتجده في حيرة من أمره: هذا يقول هكذا، وذلك يقول هكذا، وحيثما أوقع الشباب في ضلال الجبهة الإسلامية للإنقاذ، ولذلك يا شيخنا نتمنى أن تجيبوا لنا هذه الدعوة وهذا الذي طلبناه منكم.

الشيخ: أرجو الله تبارك وتعالى أن يحقق هذا الأمل الذي تقترحه...

السائل: شيخنا! اذكر لنا تاريخ المكالمة والاسم حتى يتأكَّد الإخوة أن هذه المكالمة حديثة.

الشيخ: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد، فهذه المكالمة جرت بيني وبين بعض الإخوة الجزائريِّين الذين يُهمّهم حقنُ دماء المسلمين، جرت هذه المكالمة في الثاني من رمضان عام ١٤٢٠هـ، وأنا ربيع بن هادي عمير المدخلي، أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منِّي هذه النصيحة، وأن ينفع بها، وأن يهدي إخواننا الذين يخالفوننا أن يعودوا إلى الصواب والرشد والهدى .

مسألة : قال جامع هذه الفتاوى عبد الملك بن آل حمد المبارك :

نخلص معشر القرَّاء من هذا الجمع إلى خمس نتائج هي:

النتيجة الأولى: وجوب الحذر من الخروج على السلاطين بعد هذا العرض الطيِّب من هؤلاء الأعلام المُجتهدين، يتبيَّن القارئُ أن مسألةَ الدِّماء التي تحياها كثيرٌ من بلاد الإسلام مع الأسف، ويستعدُّ آخرون لِلِقَاءِ مصرعِهم على عتبة هذا الفكر، دون التفاتٍ إلى نصوص الشارع الحكيم، ولا استفادةٍ من الواقع الأليم! يتبيَّن القارئُ أن هذه المسألةَ ليست قضية واقع، يختلف الجوابُ فيها من بيئةٍ إلى أخرى؛ لأنَّ أسوأ أحوال هؤلاء الحُكَّام الذين يُراد الخروجُ عليهم، أنَّهم كفَّار كما يُصوِّرُ منازعوهم، مع هذا لَم يُجَوِّز أحدٌ من هؤلاء المفتين الخروجَ عليهم؛ لأنَّ الدِّماءَ ستُراق بساحة الفتن بلا جدوى، فلا الحقُّ يُنصر، ولا الكفر يُكسَر؛ إذ الشوكةُ كعادتها تنوء بعصبة السلطان.

وإلاَّ فلماذا لَم يُقاتِل إبراهيم عليه السلام النمرودَ؟!

ولماذا لم يُقاتِل موسى عليه السلام فرعونَ، بل كان فارًّا منه؟! ولماذا لَم يُقاتِل موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام المَلِك الذي كان يأخذ كلَّ سفينةٍ غصبًا؟!

ولماذا نهى الله رسولَه محمدًا ﷺ عن قتال الكفار وهو في مكة مستضعَفٌ..؟!

قال القرطبي رحمه الله عند قصة الخضر مع الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبًا: «وتحصَّل من هذا: الحضُّ على الصبر في الشدائد، فكم في ضمن ذلك المكروه من الفوائد، وهذا معنى قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولئن كانت الحال كما هي الحال على أن الحُكام مسلمون، فقد سبق بيانُ أن الشارع الحكيم الذي أوْجب الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر كما أوْجَب الجهاد هو الذي نهى عن قتالِهم، وهذا هو الذي استظهر أدلَّته هؤلاء الأكابرُ العلماءُ، إذن فالحُكام إذا كانوا كفَّارًا أو كانوا مسلمين بغضِّ النظر عن برِّهم

وفجورهم. النتيجة الآن لا خروج .

ومناط الحكم الأوَّل هو: المصلحة والمفسدة، وهو من مدارك أهل الاجتهاد من العلماء.

ومناط الحكم الثاني: هو النصُّ الصريحُ الدَّالُّ على ذلك.

فرحم الله امرأً نظر بعين الحقِّ: الكتاب والسنة، وفهمهما كما فهمهما السلفُ الصالِح، وجرَّد عقلَه عن الهوى، وجاهد نفسَه من سَوْرَة الغضب، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقال رسول الله ﷺ : «**ليس الشديدُ بالصُّرَعة، إنَّما الشَّديد الَّذي يَملك نفسَه عند الغضب**» .

واعلم أن صلاح الخارجين لا يُغيِّر من الحكم شيئًا؛ لأنَّه لَم يُنَط به الحكمُ كما سبق، وعلى هذا يكون من اللَّغْوِ أن يسأل بعضُ الإخوة عن أحوال الخارجين، فيقولون: هل هم من أهل السنة أو سلفيُّون؟

وذلك لأنَّ الخروجَ على إمام مسلمٍ لا يشفعُ له صلاحُ صالِحٍ ولا عِلمُ عالِمٍ، ولو كان الخارجون سلفيِّين حقيقةً لَما خرجوا بعد أن استقرَّ الأمرُ على ما نقلتُهُ عن السلف في مقدِّمة الكتاب!

قال ابن تيمية رحمه الله فيمَن خرج على بعض خلفاء بني أميَّة كابن الأشعث، وابن المهلب: « **فهُزموا وهُزم أصحابُهم، فلا أقاموا دِينًا، ولا أبْقوا دُنيا، والله تعالى لا يأمر بأمرٍ لا يحصل به صلاحُ الدِّين ولا صلاحُ الدنيا، وإن كان فاعلُ ذلك من أولياء الله المتَّقين ومن أهل الجنَّة** ».

النتيجة الثانية: عِظَم شأن الدِّماء على كلِّ حالٍ، فإنَّه بعد هذا الإجماع التام من قِبل هؤلاء الأكابر الفضلاء، لم تَبْقَ لمخالفٍ حجَّةٌ يتعلَّق بها، ولا سيما للتَّقيِّ العاقل الذي يتخايل بين عينيه القيام بين يدي الله، وقد قال الله تعالى في صفات

عباد الرحمن:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الفرقان].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«لو أن أهلَ السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكَبَّهم الله في النار»**.

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: **«لَزوالُ الدنيا أهْوَن على الله من قَتل رجل مسلم»**.

واعلم أن للمقتول كلمة يقولها تحت عرش الرحمن، فعن ابن عباس أنَّه سُئل عمَّن قَتَل مؤمنًا متعمِّدًا، ثم تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى؟ فقال ابن عباس: وأنَّى له التوبة؟! سمعتُ نبيَّكم ﷺ يقول: يا ربِّ! سَلْ هذا فيم قتلني؟ حتى يُدنيه من العرش، فتلا هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء].

وعن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ قال: **«يَجْثو المقتولُ يوم القيامة على الجادَّة، وإذا مرَّ به قاتِلُه قال: يا ربِّ! قتَلني هذا، فيقول له: لِمَ قَتَلْتَه؟ فيقول: أمَرَني فلانٌ! فيُعذَّبُ القاتلُ والآمِرُ»**.

ثمَّ اعلم أن لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) حُرمةً عظيمةً؛ فقد كان رسول الله ﷺ يتوقَّف عن قتل قوم من المنافقين استحقوا القتل من أجل هذه الكلمة.

فعن النعمان بن بشير قال: كنَّا مع النبي ﷺ، فجاء رجلٌ فسارَّه، فقال: اقتلوه، ثم قال: أيشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: نعم! ولكنَّما يقولها تعوُّذًا، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تقتلوه، فإنَّما أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منِّي دِماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها، وحسابهم على الله»**.

وينبغي للمسلمِ أن يكون على وَجَلٍ من ربِّه من أن يَموتَ المسلمون من أجلـه، فقد قال مروان لابن عمر بن الخطابِ رضي الله عنهما: « هَلُمَّ أُبايعك؛ لأنّـك سيِّدُ العـربِ وابنُ سيِّدها، فقال له ابن عمر: كيف أصنَع بأهل المشرق (يريد أن الشوكةَ لهـم)، والله ما أحبُّ أنَّها دانت لِيَ سبعين سنة وأنّـه قُتـل في سـببِي رجـلٌ واحـد! فخـرج مروان وهو يقول:

إنِّي أرى فتنةً تغلي مراجِلُها والمُلك بعد أبي ليلى لِمَن غلبا

النتيجة الثالثة: تصحيح التوبة إنَّني أتقدَّم بالنُّصح للتائبين من العمل المسلَّح بـأن يُخلِصوا الله في رجـوعهم، وذلـك هـو وصـف التوبـة النَّصـوح، ومنـه رجـوعهم إلى الاستقامة على مذهب أهل السنة، وعدم الرَّتع في المـذاهب المنحرفـة عـنهم، وتـرك الروغان، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه].

قال سعيد بن جُبير: « ثمَّ استقام، قال: لزوم السنة والجماعة».

ولئن زادوا على هذا بيانَ فساد ما كانوا عليه لكان ذلك أدلَّ على صدق التوبة.

وتفصيلُه يكون بأن يعرفوا خطأَهم حقَّ المعرفة، ثمَّ يُصلحوه ثانيًا ما استطاعوا، ثمَّ يُبيِّنوا لغيرهم ثالثًا، حتى يعلمَ الناسُ حقيقةَ هذه الـدعواتِ الدمويـة، ويتجنَّبـوا سبيلَها؛ لأنَّها شؤمٌ على الأمَّـة الإسـلامية، قـال الله تعـالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة].

أمَّا معرفتهم خطأَهم فهذا أصلُ توبتِهم الصادقة؛ إذ لو لَم يعرفوا خطأَهم معرفةً شرعيةً، لَما تَمكَّنوا من أن يتوبوا توبـةً شـرعيةً، وإنَّمـا قـد يتوبـون توبـة سياسـةً! فليتوبوا على بيِّنات من الكتاب والسنة، لا تحت إرهاب السجون ودقِّ الأسنَّة.

وهذا يكون بالاتِّصال بأهل العلم؛ لِيُطْلِعوهم على الحقِّ في هذه المسائل، حتى لو هاجت فتنةٌ لا قدَّر الله لَم يكونوا إحدى أدواتها، بل ثبتـوا فيهـا ثبـات الجبـال الرواسي، وإن تمالأ عليها الجنُّ والأناسي.

وليَحذروا من توبةِ مَن ردَّه الجدار وهو حريصٌ على خَرْقه؛ فإنَّ « من العصمة ألا تجد! »، ولكن ليتوبوا توبة قادرٍ على الرجوع إلى القديم الفاسد، ولكن يتركه لوجهِ الله.

وليكونوا مغاليقَ للشرِّ، وليحذروا أسبابَ الفتن؛ فإنَّ منها نشرَ مساوئ السلاطين، والتحزُّب ضدَّهم، وانتهاز فُرَص ضعفهم، لإثارة العامَّة عليهم وغيرها من أسباب الشرور؛ فإنَّ التنزُّهَ عن هذا كلِّه دليلٌ على صدق التوبة، وصفاء السريرة.

قال عبد الله بن عُكيم رحمه الله:

« لا أُعينُ على دم خليفة أبدًا بعد عثمان، فقيل له: يا أبا معبد! أَوَ أعَنْتَ عليه؟ قال: كنتُ أعُدُّ ذِكرَ مساويهِ عَوْنًا على دمه».

وليَكن همُّهم الأكبر أن يرضى اللهُ عنهم وأن يغفر لهم ما سلف؛ فإنَّه الواحد القهار، والعزيز الجبَّار والكبير المتعال الذي تُخشى سَطوتُه، وغضبُه هو الغضبُ الذي ما بعده غضبٌ يُبالى، وليَكبُر طمعُهم في عفو الله، ولا يَضيرُهم ما يقوله الناسُ، كما قال خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء].

وإليكم هذه العبرة:

كان مسلم بنُ يَسَار رحمه الله مِمَّن خرج مع ابن الأشعث زمن الحَجَّاج بن يوسف، ثمَّ تاب من ذلك وندم ندامةً شديدةً، مع أن الحجَّاجَ ليس بالوالي الذي تُحمَدُ سيرتُه، فقد قال مكحول: « رأيتُ سيِّدًا من ساداتكم دخل الكعبةَ، فقلت: مَن هو يا أبا عبد الله؟ قال: مسلم بن يسار، فقلتُ: لأنظُرنَّ ما يصنعُ مسلمٌ اليوم.

فلمَّا دخل قام في الزاوية التي فيها الحَجَر الأسود يدعو قدر أربعين آية، ثمَّ تحوَّل إلى الزاوية التي فيها الركن فقام يدعو قدر أربعين آية، ثمَّ تحوَّل إلى الزاوية

التي فيها الدرجة فقام يدعو قدر أربعين آية، ثمَّ جاء حتى قام بين العمودين عند الرُّخامة الحمراء، فصلَّى ركعتين، فلمَّا سجد قال: اللَّهمَّ اغفِر لي ذنوبي وما قدَّمتْ يداي، اللَّهمَّ اغفِر لي ذنوبي وما قدَّمتْ يداي، ثمَّ بكى حتى بلَّ المرمر » ولأبي نعيم زيادة قال فيها الراوي: « فيَرَون أنَّه ذَكر ذلك المشهدَ الذي شهدَه يوم دير الجماجم!» يريد خروجَه، فتأمَّل هذه التوبة، ما أصدقها!

مع أنَّه يجب التنبُّه إلى أن مسلمَ بنَ يسار أُخرجَ مع ابن الأشعث مُكرَهًا، فقد قال أيوب السختياني: « قيل لابن الأشعث: إن سرَّك أن يُقتَلوا حولك كما قُتلوا حول جمل عائشة فأخرِج مسلمَ بنَ يسار معك، قال: فأخرجه مُكرَهًا !

قلت: فإذا كانت هذه هي توبةُ مَن شارك في الخروج على مثل الحَجَّاج وهو مُكرَهٌ، مع أنَّه لَم يُعمِل فيه سيفًا ولم يُرِق دمًا، فأنْعِم بها توبة!

والذي يظهر أن مسلمًا رحمه الله فزع هذا الفزع العظيم؛ لأنَّه قد قيل له: ربما رآك بعضُ الناس في صفِّ الخوارج فانخدع بك، وخرج تأسِّيًا بك حتى قُتل، فقد روى أبو قِلابة: « أن مسلم بنَ يسار صَحِبَه إلى مكة، قال: فقال لي وذكر الفتنة : إنِّي أحمدُ الله إليك أنِّي لَم أرْمِ فيها بسهمٍ، ولم أطعن فيها برُمحٍ، ولَم أضرب فيها بسيفٍ، قال: قلت له: يا أبا عبد الله! فكيف بِمَن رآك واقفًا في الصفِّ، فقال: (هذا مسلمُ بنُ يسار، والله! ما وقف هذا الموقفَ إلا وهو على الحقِّ)، فتقدَّم فقاتَل حتى قُتل؟!

قال: فبكى وبكى حتى تَمنَّيتُ أنِّي لم أكن قلتُ له شيئًا.» !!

وفي رواية: « فبكى والله! حتى وَدِدتُ أن الأرضَ انشقَّت فدخلتُ فيها.»!!

هذه هي سيرةُ السلف، وتلك هي توبتُهم، فخذها سمحةً طيِّبة بها نفسُك، واحذر من التأويلات الفاسدة، والاعتذارات الباردة!

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق].

النتيجة الرابعة: الضرورة إلى العلم وأهله كما أتقدَّم بالنصح للجميع بأن

يتعلَّموا دينَ الله عزَّ وجلَّ، وأن يجتهدوا لتكوين علماء لبلدهم؛ فإنَّ جميع بلاد المسلمين بحاجة إلى علماء ربَّانيِّين.

والجزائر أحوجُ بلاد الله إليهم، فقد أقفرت أرضُها منهم، والشعبُ متديِّنٌ، لكنَّه أضحى بعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين كغنَم بلا راعٍ، فلذلك استخفَّه كلُّ داعٍ، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى فصادف قلبًا خاليًا فتمكَّنا

فأدرِكوا أُمَّتكم بصناعةِ علماء يحميكم بهم الله، قبل أن يُداهمكم ما هو شرٌّ من هذه الدواهي، وتغشاكم حيرةٌ ليس لها من دون الله كاشفة!!

وانتجبوا لَها من أبنائكم أوقدَهم قريحة، وأبرَّهم نصيحة، وأسدَّهم نظرًا، وأوفرَهم ذكاءً، وأغزرهم حفظًا، وأزكاهم زكاءً.

وما وُجد العلماء إلا كانوا لقومهم أمنةً من كلِّ مبتدِعٍ معانِدٍ، وحفظًا من كلِّ شيطان مارِد!

وأرجو أن تتأمَّلوا هذه القصَّةَ الآتية :فعن يزيد الفقير قال:

« كنتُ قد شَغَفَنِي رأيٌ من رأي الخوارج ، فخرجنا في عِصابةٍ ذوي عدد نريد أن نَحجَّ، ثمَّ نخرجَ على الناس ، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يُحدِّث القومَ جالسٌ إلى ساريةٍ عن رسول الله ﷺ ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنَّميِّين ، قال: فقلتُ له: يا صاحبَ رسول الله! ما هذا الذي تُحدِّثون؟ والله يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠]، فما هذا الذي تقولون؟

قال: فقال: أتقرأُ القرآنَ؟ قلتُ: نعم!

قال: فهل سمعتَ بِمقام محمد ﷺ ، يعني الذي يبعثه فيه؟ قلتُ: نعم!

قال: فإنَّه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرج اللهُ به مَن يُخرج .

قال: ثمَّ نَعتَ وضعَ الصِّراط ومرَّ الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك.

قال: غير أنَّه قد زعم أن قومًا يَخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنَّهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنَّة فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنَّهم القراطيس.

فرجعنا، قلنا: وَيْحَكم! أَتَروْنَ الشيخَ يَكذِبُ على رسول الله ﷺ ؟!

فرجعنا، فلا والله! ما خرج منَّا غيرُ رَجل واحد »، أو كما قال أبو نعيم .

والشاهدُ من القصَّة ظاهرٌ من فقرته الأخيرة؛ إذ عَصَم الله المسلمينَ من شرِّ الخوارج يومئذٍ بِما بثَّه جابرٌ من علمٍ وَرِثه من رسول الله ﷺ.

وينبغي التنبُّه هنا إلى أثر العقيدة الصحيحة في تثبيت الحقِّ وردِّ الباطل، مع ذلك فقد طاب لقومٍ دعوةٌ مع الإعراض عنها استهانة بأثرها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وواقعُ الجزائر مَخوفٌ، ولو زالت عنه الفتنة الآن؛ فإنَّ بلادًا بلا عُلماء ثغرٌ لا يُسَدُّ، ما حلَّ به عدوٌ فكريٌّ إلا توطَّن، وفي مثل هذه المجتمعات البريئة تعيش الأوبِئةُ.

وهذا البلد قد أغناه الله عزَّ وجلَّ بعلماء في الطبِّ والهندسة والرياضيات وما إليها، والحمد لله.

كما أغناه الله ب (فقهاء الواقع!)، أعني الذين يَستَهويهم مُطاردة الإذاعات والجرائد، والأمر لله.

لكن العلماء الذين أعني هم طِرازٌ نَدَرَ فأَنْذَرَ!

لذلك أقول: علماء لا مُفكِّرين! وفقهاء لا متفقِّهة مزَوَّرين! ومجتهدين لا (دعاة) على موائد الكتاب والسنة تربَّوا، ومِن معتقَد السَّلف نَهَلوا حتَّى ارتوَوْا.

التيجة الخامسة: المُعرِضون عن الهدي النبوي لا يَجنون إلا الخيبة إن المتضلِّعَ من العلوم الشرعية يستفيد أولَّ ما يستفيد من سيرة الرسول ﷺ في مجاهدة الباطل؛ حتى يرسخَ في القلب أن ما من جماعةٍ تُخالفُ هديَ النبيِّ ﷺ إلا نتجَ عن ذلك الذِّلَّة والهَوَان، كما قال رسول الله ﷺ: **«جُعل الذِّلَّةُ والصَّغارُ على من خالف أمري»** .

وما يَعيشُه كثيرٌ من الجماعات الإسلامية ليس ابتلاءً بقَدْر ما هو عقوبة من الله؛ لأنَّ الابتلاءَ يعقبُه النَّصر كما هو معلوم، فأين انتصارُ الحقِّ عند هؤلاء، وقد شُوِّهت صورتُه بسببهم؟!

وهذه نتيجةٌ حتميَّةٌ للمخالفة، وعلى هذا فليست العبرة في تكثيف النشاط والتظاهر بالغيرة على الدين في ليلٍ من ظلمات المخالفات، ولكن العبرة في إصابة طريق النبيِّ ﷺ الذي قال :مَن رغِبَ عن سُنَّتِي فليس منِّي ، والله المستعان.

انتهت الفتاوى ونكرر السؤال ترى هل استفادت جماعات العنف من التجارب؟ هل وعت ماقالته ورددته كثيرا ؟ هل طبقت ماتغنت به من حكمة وفهم للواقع والتبصر بالمآلات ؟

إننى أعرض هنا لبعض المواقف نجلى بها الحقائق ، وهى جلية لمن كان عنده عقل وتجرد من دواعى الهوى ..

*- عندما قامت ثورة يناير تخلفت الجماعة الإسلامية عنها ، ولم تشارك فيها، بل اعتبرت الثورة عملا غير محسوب وغير مسؤول ، وأصدرت قيادتها التصريحات التى تدعو الشباب للانصراف من الميادين ، وكتب الدكتور ناجح إبراهيم مقالة قال فيها: « ارحموا عزيز قوم ذل » يقصد به مبارك ، لكن الجناح المتشدد فى الجماعة بقيادة عصام دربالة وعاصم عبد الماجد وصفوت عبد الغنى لم ترق لهم هذه التصريحات ، رغم عدم مشاركتهم فى الثورة ، وعدم نزولهم إلى الميادين كما نزل الشعب ، واعتبروا هذه التصريحات تخاذلا من القيادة المتمثلة فى مهندس كرم زهدى ، ودكتور ناجح إبراهيم ، وبدؤوا يتحدثون ويعلنون

مواقفهم الرافضة لهـذه السياسـة ، وظهـر صـفوت عـد الغنـى مسـؤول بالجنـاح العسكرى سابقا ، والمتهم بقتل رفعت المحجوب وفرج فودة ، على قناة الجزيـرة وجعل يهاجم قيادة الجماعة ويتساءل لماذا لم تنزل الجماعة إلى ميدان التحرير مع الثوار ؟ فتدخل عبر الهاتف دكتور ناجح إبراهيم وكان وقتها فى مدينة ميت غمر ، فى جولة يحذر فيها من صفوت عبـد الغنـى وفريـق المتشـددين أمثـال المرحـوم عصام دربالة .

وأعلن أن صفوت عبد الغنى يكفر الحاكم ، ويتنصل من مبادرة وقـف العنـف ويخالف مضمونها ، ووجه دكتور ناجح حديثه إلى المذيع قائلا له : سـل صـفوت عن رأيه فى الحاكم ؟ هل يكفره أم لا ؟ إنه يكفر الحـاكم ويسـعى للخـروج عليـه وحربه – (كلام فى هذا السياق) – وقال له : أنت لم تنزل إلى التحرير إلا بعدما نزل إليه العشاق والحبيبة ، وأعلنوا زواجهم أو خطبتهم فى الميـدان ، نزلـت للفسـحة والتنزه ولم تشارك أنت فى الثورة ، وتبادل الطرفان الاتهامات ، وقبلها بأيـام قلائـل كانت قيادة الجماعة قد أعلنت فصل صفوت عبد الغنى من الجماعة ، كما أعلنت توقيف نشاط عصام دربالة لحين التحقيق معه ، واستندت الجماعة فى قرارهـا إلى خرق هؤلاء للمبـادرة وأنهـم يحرضـون عـلى العنـف وتكفيـر الحـاكم ، ونصـت الجماعة على ذلك فى بيان لها ، وصرحت به قياداتها كما ذكرنا عـلى لسـان دكتـور ناجح إبراهيم الذى جعل يطوف المحافظات محذرا من الاثنين ، ومعلنا قرارات الجماعة بشـأنهما ، وكـذلك تكلـم مهنـدس كـرم زهـدى بـنفس الكـلام، ففـى تصريحات أدلى بها لجريدة الأهرام قال زهدى : - « إن القيادى بالجماعة صفوت عبد الغنى والذى كان مسؤولا للجناح العسكرى يقود هذه المجموعة ، مما دفـع مجلس الشورى لإصدار قرار بفصله ، مع وقف القيـادى عصـام دربالـة وإحالتـه للتحقيق ....» واعتبر زهدى أن مايحدث الآن من عمليات تحريض مـن جانـب بعض القيادات هدفه السير وراء التصريحات غير المسؤولة والتـى أطلقهـا عبـود الزمـر ، وأدت إلى حالـة مـن البلبلـة فى قطاعـات عريضـة مـن المجتمـع ، ....وكشف زهدى النقاب عن قيام صفوت عبد الغنى بتحريض بعـض شـباب

الجماعة على الذهاب إلى مايعتبرونه مواقع جهادية مثل ليبيا ودول أخرى للقتال هناك، وقال زهدى ...« علمنا بهذه الأنباء التى تدفعنا للوقوف يدا واحدة ضد من يخرج علينا بهذه الأفكار لدرء الفتنة فى مهدها ، مشيرا إلى أن عصام دربالة يدعم صفوت فى توجهاته المخالفة لاتجاه الجماعة الإسلامية ومجلس الشورى، ......وأضاف زهدى : - « أن الذين أعلنوا أن المبادرة قد انتهت لايعبرون سوى عن أنفسهم ، ولايمثلون رأى الجماعة الإسلامية ، فالمبادرة مبدأ ، وعقيدة ، وشرع ودين » .

ولم تكتفى الجماعة بهذه التصريحات لبعض قياداتها ، وإنما أصدرت بيانا رسميا بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠١٢م تحت عنوان : « بيان هام وعاجل من الجماعة الإسلامية » ، هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان هام وعاجل من الجماعة الإسلامية

اجتمع مجلس الشورى بتاريخ ١٥ / ٣/ ٢٠١٢م واتخذ القرارات الآتية :

لقد أطلقت الجماعة الإسلامية مبادرتها الشهيرة لوقف العنف ودشنت معها عودتها إلى وسطية الإسلام وواقعيته ، وتركت إلى غير رجعة بهذه المبادرة أمرين وهما : - العنف عملا وفكرا ، واليوم ثبت لدينا بالدليل القاطع سعى قلة من الجماعة للعودة إلى فكر ما قبل المبادرة ، عن طريق عقد لقاءات مع عدد من الإخوة وحثهم على ترك فكر المبادرة ولذا قررنا الآتى : -

فصل الأخ صفوت عبد الغنى من الجماعة الإسلامية .. وكذلك كل من ثبت عليه عودته إلى فكر ما قبل المبادرة .

وقف الشيخ عصام دربالة من عضوية مجلس شورى الجماعة الإسلامية لحين التحقيق معه .

وقد صرح الشيخ عبود الزمر بتصريحات كثيرة هذه الأيام تخالف فكر

المبادرة، وهذه الآراء لاتمثل الجماعة الإسلامة .. ولكنها تمثل فى المقام الأول أصحابها مع تقديرنا الشخصى لهم .

والجماعة الإسلامية غير مسؤلة عن أى أحد يطرح فكرا مخالفا لفكر المبادرة، كما ننصح إخواننا الأوفياء من أبناء الجماعة الإسلامية بعدم نقض العهود التى عاهدوا الله عليها .

- تشكيل لجنة من القيادات الوسطى لتنفيذ سياسات المرحلة التى يضعها مجلس الشورى فى المرحلة القادمة والإعداد لانتخابات حرة نزيهة فى المرحلة القادمة من القاعدة إلى القمة .

- المبادرة لم تكن صفقة مع نظام ولم تكن دورانا حول حكومة .. ولكنها دوران حول الشريعة الغراء وتجارة مع الله فى المقام الأول والأخير .

- والجماعة الإسلامية ستظل على عهدها مع الله سبحانه وتعالى ، ثم مع مجتمعها الذى يحبها وتحبه ، وتتواصل معه ويتواصل معها .

- وستظل متمسكة بكل سبل الدعوة السلمية فكرا وسلوكا .. وستكمل مسيرتها فى هداية الخلائق ، وإصلاح المجتمع وفق ماجاءت به الشريعة الغراء .. ممسكة بشمولية الإسلام ووسطيته واعتداله .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

مجلس شورى الجماعة الإسلامية .

انتهى البيان ورغم مالنا عليه من ملاحظات - نرجىء الحديث فيها الآن - غير أن هذا الإجراء لم ينل قبول الطرف الآخر المتهم ، وطعن هؤلاء على القرار بأنه لم يصدر بالأغلبية ، لامن حيث الحضور ولا من جهة التصويت عليه ، وبالتالى لم يعترفوا به ، وزادت الضغوط على كرم زهدى وناجح إبراهيم حتى ألغى القرار السابق بالفصل والتوقيف ، ولاندرى لماذا ألغى القرار مادام قد قامت لديهم الأدلة على تورط المتهمين فعلا فى المخالفات المنسوبة إليهم ؟ لكن هذا ماحدث .

ونشطت الدعوة للانتخابات لاختيار مجلس الشورى الجديد ، و تمت بصورة عليها الكثير من الملاحظات ، وأطيح بكرم زهدى وناجح ابراهيم من رئاسة المجلس الجديد ، واعتذرا عن حضور أى اجتماعات للمجلس ، واعتبرا الانتخابات التى جرت غير نزيهة ، وبها كثير من العيوب ، ولكن كان الأمر قد قضى ، وتربع تيار العنف على سدة التوجيه فى الجماعة الإسلامية ، ليكون عصام دربالة رئيسا برغم أنه يفتى بكفر الحاكم ، ويعتبر أن ماقامت به الجماعة من عنف إنما كان ردا للعدوان ، ودفاعا مشروعا عن النفس ، وكذلك كان ولايزال عاصم عبد الماجد يقولها ، ودخل صفوت عبد الغنى وعلى الدينارى وغيرهما إلى المجلس الجديد ،لم تفلح لجنة الوساطة فى الصلح بين الفريقين ، وسيطر تيار العنف ، ليعلن أكثرهم ما كان يخفيه بالأمس ، وليظهر للكافة أنهم فعلا لازالوا دعاة عنف مهما أنكروا هم ذلك ، وتظاهروا بالسلمية وهاهى بعض أقوالهم ومواقفهم تشهد عليهم :

يقول عاصم عبد الماجد على صفحته الفيس بوك :

........« إما أن يكون الصالحون في مصر قادرين على التغيير وإنهاء سيطرة القتلة والفسدة على السلطة وإما لا.

فإن كانوا قادرين فليعزموا أمرهم ، وليجمعوا كلمتهم ، وليفعلوا.

وإن لم يكونوا قادرين فليخرجوا من هذه القرية ..الظالم أهلها ...الفاسق جلها ...الكافر نخبتها.

ووالله لو خرجتم لأهلكها الله ودمرها..

وها هو العطش والجوع يدق أبوابها.. ...

أخرجوا كما خرج موسى عليه السلام ومن معه واتركوهم لمصير كلاب فرعون وحميره.

اخرجوا فوالله لن تضيق عليكم الأرض بما رحبت.

اخرجوا فقد خرج ٨ ملايين مصريا من قبل طلبا للدنيا.. فلن تضج بلاد العالم لو خرج ٨ ملايين آخرون فرارا بدينهم.

مرة ثانية.. إما أن تغيروا .. أو أن تخرجوا.........» انتهى مقاله....

ويقول أيضا :معلقا على صورة نشرها للدكتور أسامة الأزهرى وهو يصافح أحد الكلاب (وبرغم تحفظنا على الصورة) فعلق عاصم قائلا :

« صلة رحم بين كلب السلطة وكلب الحراسة » . وقال من مسجد الفتح :

«سنزحف إلى ميدان التحرير ونخلصه من الدنس ، وميدان التحرير به دعارة ومخدرات وخمور» .ويقول : .. «لم أندم على قتلى لضباط الشرطة فى أسيوط لأن هذا خدمة للإسلام وهم من عليهم الندم»،... و«قتل الضباط في أسيوط شرف لي»،... «عندما قتلنا السادات كانت ثورة سلمية ولست نادمًا على قتل الجنود في أسيوط»، ومن تصريحاته الأخيرة تحذيره للكنيسة « بألا يضحوا بأبنائهم ويجعلوهم يشاركون في ٣٠ يونيو» .

عاصم عبد الماجد يتخذ من الدعوة والجهاد ذريعة للقتل والعنف والتخريب باسم الدين، والدين من هذه الأعمال بُراء .

وأصدر أحد بياناته المحرضة على العنف، في ٩ فبراير من العام الحالي ٢٠١٦م، حَرَّضَ فيها «عبد الماجد»، أنصار «الإخوان» على تبني العنف خلال الفترة المقبلة، لتحقيق أهداف الجماعة الإرهابية، مؤكدًا على ضرورة الاستعانة بالإرهابيين في سيناء لتحقيق الإخوان أهدافهم لأنهم لن يستطيعوا إعادة محمد مرسي بالملصقات وإن طبعوا أكثر من ٢٠٠ مليون ملصق.

وقال فى يوم ٢٥ يونية فى مؤتمر الشريعة خط أحمر بأسيوط : أقول لمن يظنون أننا سننزل يوم ٣٠ بإستراتيجية دفاعية أننا سنأتى بإستراتيجية هجومية ، إننا سنأتى فى يوم ٣٠ بمائة ألف شخص كل شخص منهم يعادل ألف شخص لتأييد الرئيس مرسى . وسجله حافل بالعنف والإرهاب ممارسة وتحريضا .ويعتبر الاغتيالات

سنة نبوية كما صرح فى برنامج أجرأ الكلام لطونى خليفة .

ويقول طارق الزمر الهارب إلى تركيا : وقد وقف على المنصة وصاح قائلا « إذا كانوا يهددوننا ب ٣٠/ ٦/ فنحن نتوعدهم أنهم سيسحقون وستوجه لهم الضربة القاضية .ونشر على صفحته الفيس بوك. قائلا ....».. ما يسمونه (فوضى) في منطقتنا هي إرهاصات التغيير التي تمر بها كل الأمم الناهضة«....وهو الذى حرض مرسى على عدم التراجع عن إعلانه الدستورى وقال له نحن معك ، . ولازال يمارس التحريض على مصر من تركيا .ومواقفه على اليوتيوب والفيس بوك أشهر من أن تذكر هنا .

ويقول الأزهرى محمد الصغير فى مؤتمر لدعم الدستور بمنطقة إمبابة موجها حديثه إلى الرافضين للدستور : - « لولا إخواننا من الإخوان كنا كنسناكم لكن إخواننا فى الإخوان بيقولوا لينا بلاش وأنا أنصحكم بالتعامل مع عصام العريان بدلا من صفوت عبد الغنى وفى كل خير» . أى يهددهم إن لم تستجيبوا لعصام العريان سيتدخل صفوت عبد الغنى وطبعا صفوت معروف بالعنف والإرهاب وفتاوى القتل والاغتيالات .

أما عصام دربالة : فقد صمم على الاستمرار فى تحالف دعم الشرعية المؤيد للإخوان ومظاهراتها التى تتسم بالعنف والحرق والتخريب ، وظل متمسكا بموقفه هذا رغم اعتراض الكثير من قيادات الجماعة عليه .، ودائما كان يردد إن مامارسته الجماعة الإسلامية من عنف وقتال إنما كان ردا للعدوان الواقع عليها من الدولة ، وأصدر كتابا حرم فيه قتل المتظاهرين تحريما قاطعا ، على حين لم يحرم قتل الجنود والضباط بنفس القوة ونفس الدرجة ، وقيل بأن هذا الكتاب كان سببا لاعتقاله وإحالته للنيابة حيث مات فى سجنه ﷺ ،.. أما جماعة الإخوان فهذه قنواتها تحرض على العنف والقتل والحرق والتخريب ليل نهار ، ويصدرون البيانات بالأعمال التخريبية التى يقومون بها من حرق سيارات الشرطة ، وضرب للجنود ، وتدمير للمركبات والمنشآت ، وغير ذلك من صور العنف التى يروجون لها لخدمة سلميتهم

المزعومة التى قالوا عنها سلميتنا أقوى من الرصاص ، ولقد أعلنوا يوم ٢٩ يوليو ٢٠١٣ عن انضمام مجموعة من السلفية الجهادية رافعين الأعلام السوداء وذلك من فوق منصة النهضة ، بل زاد إرهابهم علنا عندما صرحوا من فوق منصة رابعة يوم ٣١يوليو بتشكيل مجلس حرب ، ورددوا هتافات لاسلمية بعد اليوم ، وصرح قائلهم : « أقول لقوات الجيش والشرطة ارحلوا من سيناء ، ، ..وهكذا أوردها سعد وسعد مشتمل ...ماهكذا ياسعد تورد الابل ، هذا مانطقت به ألسنتهم ، وربما كان ما تخفى صدورهم أكبر . « والله يعلم ماتصنعون» .

إنهم حتى فى سياستهم لايعرفون لغة السياسة يقول مدنى مزراق مسؤول جيش الإنقاذ الذى خاض حربا ضروسا ضد النظام الجزائرى فى التسعينات ثم قام بعدها بتسليم كافة أسلحته إلى السلطات ، في حوار مع قناة « الوطن الجزائرية ذات الاتجاه الإسلامي، «إذا صحح بوتفليقة موقفه بخصوص اعتماد حزبنا فاللهم بارك، وإذا لم يصححه سيسمع مني ويرى ما لا يتصوره إطلاقا». سبحانك ربى ما أعظمك ، ذات اللهجة وذات العنجهية والاستعلاء التى تكلموا بها فى التسعينيات وتصرفوا على أساسها فأوردتهم المهالك وصدر قرار بحل الجبهة بل وحظر النشاط السياسى على قادتها ومن تورط فى عمليات العنف ، إنهم لايستفيدون من التجارب ، ولايعقلون ماينزل بهم من أحداث .يقول الكاتب الجزائرى محمد خوجة فى كتابه سنوات الفوضى والجنون « **...لم يتوفر لقادة جبهة الإنقاذ الإسلامية تصور محدد لمطالبهم وأساليب تنفيذ أهدافهم، ولم يتحلوا بالانسجام والمرونة لقيادة حزب في حجم جبهة الإنقاذ الإسلامية. لقد طور قادة الجبهة الإسلامية خطابا ناريا يقصي كل من يخالفهم في الرأي، وجرى تقسيم الجزائريين إلى كفار ومسلمين، وتجريم الدولة الجزائرية ورموزها، والاستعاضة عنها بنموذج آخر، أطلقوا عليه اسم الدولة الإسلامية** » . جريدة الشرق الأوسط . السبت ٠٦ شعبان ١٤٢١ هـ ٤ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ٨٠١٢

لقد كان حصاد هذه التجربة أكثر من (٢٠٠٠٠٠) مئتى ألف قتيل وأكثر من (١٣) مليار دولار خسائر مادية و(٧) آلاف مفقود بخلاف الجرحى والمصابين.

ولايزالون يتحدثون عن العمل للإسلام قال مدني مزراق، القائد السابق لـ«الجيش الإسلامي للإنقاذ» المنحل في الجزائر، لدى نزوله ضيفا على برنامج «نقطة نظام» لحسن معوض، إنه «قتل جنودا جزائريين، وليس نادما على ما فعل، لأنه كان ضحية وفي وضعية دفاع عن النفس». ويقول أيضا « ...... وأن التنظيم الذي كان يقوده لم يرتكب أي مجزرة، ولم يعتدِ على الآمنين، لكنه يقر بأنه قتل من كان حريصا على قتله، على حد قوله، وراح يردد: أنا مظلوم وضحية، ولست قاتلا. أنا داعية في سبيل الله». وقال « ...... «لست نادما لأنني قتلت لأنني ضحية، لكنني حزين ومتألم». موقع العربية الحدث بتاريخ ٧من فبراير لعام ٢٠١٥م أليس هذا هو مايقوله دعاة العنف فى مصر بلفظه ومعناه ؟ تشابهت قلوبهم فتطابقت أقوالهم وأفعالهم وليتهم يكتفون بذلك ، بل نراهم يزاحمون على مقعد الرئاسة الجزائرية وقال على بن حاج لصحيفة «النهار» الجزائرية، إنه قرر سحب استمارة الترشح للانتخابات الرئاسية المقبلة، وذلك في الوقت المناسب، معتبراً تأخير الإعلان عنه أمراً استراتيجياً تماماً، كما يفعل الرئيس بوتفليقة الذي أراد مراوغة الجميع بحنكته السياسية. راجع العربية الحدث ٢ من فبراير لعام ٢٠١٤م . ألا يستحون؟ وأيناك يا حمرة الخجل؟

الفصل الثالث

التحرير في كشف شبهات التفجير

لعل فيما ذكرنا من فتاوى العلماء الأكابر والبيانات والأقوال الصادرة عنهم كفاية وغناء لمن أراد الوقوف على الحق ، واحتاط لدينه ، ونزه سمعة الإسلام أن ينسب إليه ماليس منه ، وأن تشوه صورته في عيون العالم ، فيكتفي المرء التقي الحريص على مرضاة الله ، المتجرد في سعيه يقتفي أثر الرسول الأعظم ﷺ ، ويقف عند حدوده سبحانه لايتعداها ، ويقيم نفسه على شريعته المعصومة لايحيد عنها ، كل ذلك وهو يردد ماردده الصالحون الكرام من قبله :

لله قمنا ولنعش في حبه ... ولنقتفي إثر الرسول وصحبه

قالوا ذلك رغم قولهم قبلها :

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد مابقينا أبدا

نحن الذين بايعوا على الهدى ... نحن جنود الله أشبال الفدا

إنا إذا ماشئت مصباح الهدى ... أو أننا نار على كل العدا

إنهم رغم بيعتهم لرسول الله على الجهاد ماعاشوا في حياتهم لايخالفون سنته ، ولايتجاوزون طريقته ، ولايتقدمون عليه ، لافي قولهم ولافي عملهم ، وإنما يقتفون أثر الرسول الكريم وصحبه العظام ﷺ أجمعين ويذرون ظاهر الإثم وباطنه، وينأون عن الشبهات وقاية لدينهم وأعراضهم .

غير أن الشيطان يوحي ويزين ، ويحسن ويزخرف ، ويلقي الشبهة تلو الأخرى، ويحتال المرة بعد المرة ، ويوسوس الفينة ثم الفينة ، وحرصا منا على سد منافذه ، ودحض شبهاته ، وإنهاء وساوسه ، وكشف تلبيساته ، ودرءا لداعي الهوى ، وإزالة للجهل المتفشي في المجتمعات الإسلامية عامة ، ولدى دعاة التفجير والعنف خاصة ، حرصت على اضافة هذا الفصل الذى وقفت على مادته في كتاب سيد العفاني «ماهكذا تورد ياسعد الإبل» ، ثم قمت بمراجعته على موقع صيد الفوائد ، وكذلك موقع الإسلام اليوم الذى نقل عنه العفاني ، ووجدته بحثا وافيا كافيا للرد على كل مايثار من شبهات ، ومايتردد من أسئلة ، وهاأنا أنقله

بتمامه مع تعديل في العنوان الرئيس للموضوع ، وقد تضمن الفصل أسئلة ثمانية استخلصها القائمون على الموقع من بين مئات الأسئلة التى وردت إليهم عقب وقوع تفجيرات الرياض السالف ذكرها ، وبالرغم من ورود هذه الاستفسارات بصدد أحداث الرياض خاصة فهى تنسحب على كل أعمال العنف والتفجير المشابهة سواءا وقعت تلك الأعمال في الرياض أو في غيرها من الأماكن ، فالعبرة بنوع العمل قبل مكانه ، وإن كان للمكان أحيانا أثر في الحكم سواء بالتشديد والإغلاظ ، أو بالتخفيف والتهوين ، فليست التفجيرات في مكة مثلا والمدينة كالتفجيرات في غيرهما من الأماكن مع تسليمنا أن هذه التفجيرات بصفة عامة جريمة كبرى ، واعتداء سافر على النفس والمال والوطن وعلى الدين الذى جاء ليحفظ على الناس ضرورياتهم الخمس ، ويقضى حاجاتهم ، وييسر لهم معيشتهم، وكل ذلك من مقاصد الإسلام السامية ، وتهديد هذه الأمور والعبث بها بلا برهان من الله ساطع قاطع حرام وممنوع ، وحتى لا أطيل على القارئ بذكر مقدمات أو مسلمات أترك المجال وأفسح الطريق لعلماء الإسلام يردون ويوضحون ، ويكشفون ويجلون ، ويعالجون ويناقشون هذه الأفكار الظلامية ، ويفندون تلك الشبهات التى تعتمدها وتروجها هذه الجماعات الظالمة ، وتقوم على أساسها بتلك الأعمال الغاشمة ، فلنترك العلماء يوضحون ، ويجيبون على هذه الأسئلة ، ولكن بعد هذه المقدمة الموجزة التى قدم بها الموقع بين يدى الأسئلة وإجاباتها والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

وقعت تفجيرات الرياض ففَزَّعتْ القلوب ، ورَوَّعتْ الآمنين ، وفَجعتْ المؤمنين ، وألقتْ في روعهم الأسى والحزن .

لقد اندفع منفذوها سِراعاً يقصدون الموت ، ليستطعموا به الحياة ، وفعلوا فعلتهم يستروحون بها ريح الجنة ، ويرجون أن تقربهم عند الله زلفى ، ولسان حالهم يقول : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه :٨٤] ، فهي عندهم باب من أبواب الجهاد ، وطريق من طرق الجنة .

ولئن ذهب أولئك وأفضوا إلى ما قدّموا ، فإن الأفكار التي انطلقوا منها باقيةً ما بقيت منطلقاتها وأسسها الفكرية ، وستجد لها أنصاراً وأتباعاً يحملونها ليترجموها إلى أفعالٍ تُكرِّر المأساة ليتكرر معها الشجب والاستنكار .

إنَّ منْ أخطرِ دلالات الحدث : أنه حدثٌ مصطبغ بصبغة الجهاد ، متلبسٌ بلبوس التدين ، ومن اصطبغتْ أفعاله بهذه الصِبغةِ فلا حيلة في صرفه عنها ، إلا بمحاورته وإقناعه بخطأ استدلاله وخطورة فكرته ، وهذا إنما يتحقق باستعراض أدلته وتمحيصها ومناقشتها .

وبالرغم من مرارة الحدث ودهشة الصدمة إلا أن كثيرين لم يتناولوا الحدث بما يتناسب ودلالاته وخطورة آثاره ، وإنما تناولوه بقدر ما في صدورهم من التغيظ والحنق على فاعليه ، ولذلك لم يجاوز تناولهم إياه لغة الشجب والاستنكار والتنديد والتبرؤ ، فبدا تعاملاً سطحياً ، خُلُواً من الغوص إلى جذور المشكلة ، وتلمُّسِ أسبابها ومعالجةِ فكرتها .

إنَّ الأعمال التخريبية التي يمارسها المراهقون في المرافق العامة قد يجدي معها أسلوب التأديب والعقوبة ، وقد لا تفتقر معالجتها إلى لغة الحوار ، لأنها لا تلتبس بشبهة ، ولا تحمل فكرة غير فكرة الانتقام والتعبير عما في النفس من

التسخُّط والغضب، وقد تكون بدافع حُبّ العبث والمشاغبة .

أما هذه الأعمال فهي تنطلق من فكرة لها طريقتها في حشد الأدلة وطريقتها في الاستدلال بها، لتنتج عملاً مصطبغاً بصبغة الدين ولبوس التعبد والقربى، فلا بد للشبهة أن تكشفَ، ولا بد للأدلة التي استند عليها أن تناقش، ولطريقة الاستدلال أن تصحح، ولا بد للعاطفة الإيمانية الصادقة أن تُفرغَ حيث يصح أن تفرغ .

وليس لنا طريق إلى ذلك إلا من خلال فتح نافذة الحوار الصادق الهادئ البعيد عن نغمة الإقصاء والتكفير والتنفير والمشاتمة .

ومن هنا كان لموقع (الإسلام اليوم) تعامله الخاص مع الحدث استشعاراً للمسؤولية، فقد غاص موقع (الإسلام اليوم) للأعماق، وسبَرَ وأبعدَ النظرَ، واستكشف ما وراء الحدث، فوقف على أسباب المشكلة، واستقصى أدلتها عند أصحابها .

وكانت له بذلك سابقةً انفرد بها، حيث فتح باب الحوار، فتلقى التساؤلات والاعتراضات في ذلك بتجرد وموضوعية وشفافية وسعة صدر، وفسح المجال أمام تساؤلات واستفسارات زواره ومتصفحيه، فوصلنا نحو من ثلاثمائة تساؤل واستدلال حول هذا الموضوع، وقد استوعب الموقع جميع تلك الأسئلة والاستفسارات دون حذف شيء منها، أو إقصائه، أو تغييره - كما وعد -، اللهم إلا ما كان منها مكرَّراً متشابهاً، ثم جمعها في ثمانية أسئلة جامعة لكل ما ورد، ثم عرضها على أصحاب الفضيلة المشايخ للإجابة عنها، وقد أجاب عنها جمع من العلماء، منهم :

د . خالد بن علي المشيقح : أستاذ الفقه بجامعة الإمام

أ .د . سعود بن عبد الله الفنيسان : عميد كلية الشريعة سابقاً

د . عبد الله بن وكيل الشيخ التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية): أستاذ الحديث بجامعة الإمام

الشيخ عمر بن عبد الله المقبل : المحاضر بقسم السنة بجامعة الإمام

أ .د . ناصر بن عبد الكريم العقل : أستاذ العقيدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الشيخ هاني بن عبد الله الجبير : القاضي بالمحكمة الكبرى بجدة

ثم تولَّى المكتب العلمي للموقع جمع الإجابات والتأليف بينها ، ومن ثم عرضها في (خلاصة جامعة) تشتمل على أوجه الجواب كلها ، مع مراعاة الاختصار .

ونرجو أن يكون هذا العمل مساهمة في علاج المشكلة من زاويتها الفكرية - ولعلها الأهم - ، وفتحاً لأفق الحوار الجاد المؤصل في قضايا غاية في الخطورة والأهمية ، إذ هي قضية بلد الإسلام في أمنه واستقراره ، سائلين المولى عز وجل أن يهدينا جميعاً لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويجنبناه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

المكتب العلمي : بموقع الإسلام اليوم

السؤال الأول:

ما الذي يجعل التفجيرات في الجزيرة عملاً إرهابياً ، وفي غيرها من بلاد المسلمين جهاداً وعمليات استشهادية ؟ لماذا يكون قتل المدنيين المسلمين (تبعاً) في غير بلاد الجزيرة من الجهاد !! وتفجير المباني في غير الجزيرة من الجهاد ؟!! أليست كلها بلاداً إسلامية ؟ .

فما الفرق بين عملية في فلسطين يموت فيها يهود ومخابرات يهود مع بعض الفلسطينيين وعملية هنا ؟ أعني من ناحية فقهية بغض النظر عن المصلحة ؟ فلو بعد عشرين سنة صارت المصلحة في التفجير فهل يجوز ؟!

الجواب :

يجاب عن هذا السؤال من عدة وجوه :

الوجه الأول : الفرق بين التفجيرات في الجزيرة ، والعمليات الاستشهادية في فلسطين والشيشان وأفغانستان ، هو أن الكفار في المملكة العربية السعودية معاهدون ، فلا يجوز إيذاؤهم ولا الاعتداء عليهم ما داموا مقيمين لعهدهم لم يباشروا شيئاً مما يُعتبر نقضاً له ، وربما لا يرضون بسياسة دولتهم ولا معاملتها للمسلمين ، فلا ينبغي أن يحملوا أوزار غيرهم ، والله يقول : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، ويقول : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ اعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة : ٨] .

وأما الكفار في فلسطين والشيشان وأفغانستان فهم حربيون مُعتدون مُحتلون ، ليس بينهم وبين أهلها عهد ولا أمان ، وإنما هم محاربون ، ولذا فقتالهم بالوسائل الممكنة أمر مشروع ، بل هو جهاد في سبيل الله ، لقوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج] ، ولقول النبي ﷺ كما ورد في النسائي (٤٠٩٥) ، والترمذي (١٤٢١) وأبو داود (٤٧٧٢) وابن ماجه (٢٥٨٠) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه : من قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه

فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد .

فلابد من التفريق بين أنواع الكفار ، فإنهم على أربعة أقسام : ذميون ، ومعاهدون ، ومستأمنون ، وحربيون .

- فالذمي هو من أقام بدار الإسلام إقامة دائمة بأمان مؤبّد .

- والعهد هو عقد بين المسلمين وأهل الحرب على ترك القتال مدّةً معلومة .

- والمعاهدون هم أهل البلد المتعاقد معهم .

- وأهل الحرب هم أهل بلاد الكفر التي لم يجرِ بينهم وبين المسلمين عهد .

وأما المستأمن فهو الحربي الذي يدخل دار الإسلام بأمانٍ مؤقت لأمرٍ يقتضيه .(« الدر النقي » لابن عبد الهادي ١/ ٢٩٠ ، المبدع (٣/ ٣١٣ ، ٣٩٨) ، كشاف القناع (٣/ ١٠٠).

فالفرق بين الحربي والمعاهد أن الحربي ليس بينه وبين المسلمين عهد ولا صلح ، بخلاف المعاهد .

والفرق بين الذمي والمستأمن أن الذمي هو من يقيم إقامة دائمة بأمان مؤبد ، أما المستأمن فحربي دخل بلاد الإسلام لغرض ، متى انتهى ذلك الغرض خرج لبلده .

والمعاهد والذمي والمستأمن جميعهم معصوموا الدم ، لا يجوز الاعتداء عليهم ولا التعرّض لهم ، قال تعالى : ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡ﴾ [التوبة : ٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً : من قتل معاهداً لم يـرَح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً . أخرجه البخاري (٣١٦٦) .

وقد عاهد النبي ﷺ أصنافاً من المشركين كبني قريظة وبني النضير ، وهادن قريشاً في الحديبية على ترك القتال عشر سنين ، وأن من جاء من قريش مسلماً رده النبي إليهم ، وهذا كله معلوم في كتب السنة والسيرة .

أما الحربيون فجواز قتلهم ليس على الإطلاق ، بل منهم من يجوز قتله ، ومنهم من لا يجوز قتله إلا إذا قاتل بنفسه أو برأيه .

فكل حربي بُنْيته صالحةٌ للقتال فهو من المقاتلة ، سواء باشر القتال ضد المسلمين أو ساعد على قتالهم بماله أو رأيه أو مشاعره .

وأما من ليست بنيته صالحة للقتال كالنساء والصبيان والشيوخ والمعاقين ونحوهم ممن لا يعين على القتال بنفس ولا رأي ، فإنه لا يقتل ، لنهيه ﷺ عن قتل النساء والصبيان ، كما في الحديث المتفق عليه عند البخاري (٣٠١٥) ومسلم (١٧٤٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، إلا إذا أعانوا الكفار على القتال ، أو ترسوا بهم ، أولم يمكن التمييز بينهم ، لحديث الصعب بن جثامة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ سُئل عن الذراري من المشركين يُبيَّتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم ، فقال: هم منهم . متفق عليه عند البخاري (٣٠٢١) ، ومسلم (١٧٤٥) .

فتلخص أن الذمي والمعاهد والمستأمن لا يقتلون ، وأما الحربي فمن كان من أهل القتال جاز قتله ، ومن لم يكن من أهل القتال فلا يجوز قتله إلا تبعاً .

إن من المتقرر لدى علماء الإسلام – وما نظن المخالفين ينازعون في ذلك – أن الكفر ليس مُوجباً للقتل بكل حال ، لأدلة كثيرة :

منها : قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة :٢٥٦] .

ومنها : ما شُرع من تخيير الكفار بين الإسلام وبذل الجزية والقتال .

ومنها : النهي عن قتل من لا شأن له بالقتال ، كالنساء والصبيان وكبار السن والمنقطعين للعبادة ، الذين لا يشاركون المقاتلين بالفعل أو الرأي .

وفي تقرير هذا الأصل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

« وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ، ومقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فمن مَنع هذا قوتل باتفاق المسلمين ، وأما من لم

يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزَّمِن (الضعيف) ونحوهم، فلا يقتل عند جمهور العلماء إلا أن يقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر إلا النساء والصبيان – والأول هو الصواب – وذلك أن الله أباح مِن قتل النفوس ما يُحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، أي أن القتل وإن كان فيه شر وفساد ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر». [السياسة الشرعية ص(١٣٢) وما بعدها].

الوجه الثاني: أنه لا يلزم من جواز القتل ابتداءً جوازه بالفعل في زمن أو مكان معين، لأن مشروعية القتال منوطة بإعزاز الدين وظهور الغلبة للمسلمين وإذلال الكفار، فإذا ظهر لدى أهل الاجتهاد أن القتال في حالة معينة مفسدته أعظم من مصلحته لم يجُز القتال حينئذ، ونصوص أهل العلم طافحة بهذا الأمر في الكلام عن صور عديدة تندرج تحت هذا الضابط العام، ومن ذلك ما جاء في «مغني المحتاج» (٤/ ٢٢٦):

«إذا زادت الكفار على الضِّعف ورُجي الظفر بأن ظنناه أن ثبتنا استُحِب لنا الثبات، وإن غلب على ظننا الهلاك بلا نكاية وجب علينا الفرار، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أو بنكاية فيهم استحب الفرار».

وقال الشوكاني في «السيل الجرار» (٤/ ٥٢٩):

«إذا علموا – أي المسلمون – بالقرائن القوية أن الكفار غالبون لهم، مستظهرون عليهم، فعليهم أن يتنكبوا عن قتالهم، ويستكثروا من المجاهدين، ويستصرخوا أهل الإسلام، وقد استُدِل على ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وهي تقتضي ذلك بعموم لفظها... ومعلوم أن من أقدم وهو يرى أنه مقتول أو مأسور أو مغلوب فقد ألقى بيده إلى التهلكة».

الوجه الثالث: ما ذكروه في السؤال خارج موطن النزاع، فإن المسألة

المُتحدث عنها هي قتالهم في غير هذه البلاد ، لا سيما وأنهم قد دخلوها بعهود أمان ، وما حدث في بعض بلدان المسلمين لا يقتضي نقض كل عهد في كل بلدان المسلمين ، خاصةً إذا تذكرنا أن بلدان المسلمين أصبحت ولايات متعددة تنفرد كل ولاية بسلطة مستقلة ، ولها علماؤها وأهل الحل والعقد فيها ، كما قرره فقهاء الإسلام ، كإمام الحرمين والشوكاني وصديق حسن خان والشيخ محمد أبو زهرة (يراجع الإرشاد ص (٤٢٥) ، السيل الجرار (٤/ ٥١٢) ، الروضة الندية (٢/ ١٨) الوحدة الإسلامية ص (٦٤) وما بعدها) ، وهو الرأي الذي لا يسع المسلمين سواه ، إذ لو قيل بخلافه لبطلت ولايات الإسلام المتعددة من عهد بني أمية ، حيث نشأت ولاية الأندلس إلى يوم الناس هذا ، ولا يزال علماء الإسلام يبايعون أهل تلك الولايات ، ويُحرمون الخروج عليهم ، ويرون وجوب طاعتهم في غير معصية الله .

وإذا تقرر عدم انتقاض العهود في كل بلاد الإسلام بانتقاضها في بعضها بمباشرة القتال ، فمن باب أولى عدم انتقاضها بالتسبب والإعانة ، كما في الشيشان وفلسطين .

إلاَّ أنه مما يجب أن يفطن له أنه مع عدم انتقاض هذه العهود ، فإنه لا يجوز الوفاء بما يتضمن التخاذل عن نصرة المسلمين في البلدان المعتدى عليها ، فإن وقع هذا الشرط فهو باطل لا يلزم ، بل لا يحل الوفاء به .

السؤال الثاني :

يقول البعض : أن هذه التفجيرات لا تحرم لكون بعض قتلاها من المسلمين الأبرياء الذين لا ذنب لهم ، فمِثل هؤلاء يجوز قتلهم تبعاً لا قصداً ، قياساً على قتل المسلمين الذين يتترس بهم الكفار .

قال ابن تيمية : «وقد اتفق العلماء على أن جيش الكفار إذا تترس بمن عنده من أسرى المسلمين ، وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون ، وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم». (« الفتاوى » ، ٢٨ / ٥٣٦ - ٥٣٧ ، ج ٢٠ / ٥٢)

وقال في « الإنصاف » : وإن تترسوا بمسلم لم يجز رميهم إلا أن نخاف على المسلمين فيرميهم ويُقصد الكفار ، وهذا بلا نزاع « الحاشية على الروض » ، ٤ / ٢٧١)

ويمكن القول بأن هؤلاء القتلى ولو كانوا مسلمين فإنهم أشبه بالطائفة الممتنعة، وقد أفتى بكفرها أبو بكر والصحابة ، وهو الصحيح ، وأجمع العلماء المتقدمون والمتأخرون على قتالهم ، فهم طائفة ممتنعة بالشوكة عن إقامة أحكام الله داخل مجمَّعهم .

فما تعليقكم على هذا الكلام ؟

الجواب :

أولاً : قياس قتل المسلمين في عمليات التفجير في الرياض على قتل المسلمين إذا تترّس بهم الكفار قياسٌ مع الفارق من عدة وجوه :

الوجه الأول : ما قرره أهل العلم من أن قتل المسلمين المترس بهم لا يجوز إلا بشرط أن يُخاف على المسلمين الآخرين الضرر بترك قتال الكفار ، فإذا لم يحصل ضرر بترك قتال الكفار في حال التترس بقي حكم قتل المتترَّس بهم على الأصل وهو التحريم ، فجوازه إذاً لأجل الضرورة ، وليس بإطلاق ، وهذا الشرط لا بد منه ، إذِ الحكم كله إعمال لقاعدة دفع الضرر العام بارتكاب ضرر خاص (« الأشباه والنظائر » لابن نجيم ، ص ٩٦) .

قال القرطبي : (قد يجوز قتل الترس وذلك إذا كانت المصلحة ضروريَّة كلية ، ولا يتأتى لعاقل أن يقول لا يقتل الترس في هذه الصورة بوجه ، لأنه يلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين) (« الجامع لأحكام القرآن » ، ١٦/ ٢٨٧) .

أما لو قَتل المسلمون المتترَّس بهم دون خوف ضرر على المسلمين ببقاء الكفار ، فإننا أبطلنا القاعدة التي بني عليها الحكم بالجواز ، فقتل المسلمين ضرر ارتُكب لا لدفع ضرر عام بل لمجرد قتل كُفَّار ، قال ابن تيمية : (ولهذا اتفق

الفقهاء على أنه متى لم يمكن دفع الضرر عن المسلمين إلا بما يفضي إلى قتل أولئك المترس بهم جاز ذلك) (« مجموع الفتاوى »، ٢٠/ ٥٢) .

فأين هذه الضرورة في قتل المسلمين الذين يساكنون النصارى في تلك المجمعات السكنية المستهدفة ؟

الوجه الثاني : أن مسألة التترس خاصة بحال الحرب (حال المصافّة والمواجهة العسكرية) ، وهؤلاء الكفار المستهدفون بالتفجير لسنا في حال حرب معهم ، بحيث يكون من ساكنهم من المسلمين في مجمعاتهم في حكم المترَّس بهم ، بل هم معاهَدون مسالمون .

الوجه الثالث : بيَّن أهل العلم أن قتل المسلمين الذين تترس بهم الكفار لا يجوز ، إلا إذا لم يَتَأَتَّ قتل الكفار وحدهم ، والكفار المستهدفون في تلك التفجيرات يمكن قتلهم - على فرض أنه لا عهد لهم ولا ذمة وأن دماءهم مهدرة - دون أذية أحد من المسلمين ، فضلاً عن قتله .

الوجه الرابع : اختلاف حال المترَّس به عن حال الحراس ونحوهم ، فالمترَّس به عادة هو أسير لدى الكفار ينتظر الموت غالباً على أيديهم ، لكنهم يتقون به رمي المسلمين ، أما الحراس - فضلاً عن المارة والجيران - فهم آمنون في بلادهم ، فبأي وجه يفاجؤهم أحد من المسلمين بأن يقتلهم لكي يقتحموا على من يحرسون من المعاهدين والمسلمين المقيمين معهم أو المتعاملين معهم ؟ .

الوجه الخامس : أن الله تعالى بيّن أن من مصالح الصلح في الحديبية أنه لو سَلط المؤمنين على الكافرين في ذلك الحين لأدى إلى قتل أقوام من المؤمنين والمؤمنات ممن يكتم إيمانه ، فلولا ذلك لسَلط المؤمنين على أولئك الكافرين ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٥] .

قال القرطبي رحمه الله (« الجامع لأحكام القرآن » ، ١٦/ ٢٨٥) : «لم تعلموهم أي لم تعرفوا أنهم مؤمنون أن تطؤوهم بالقتل والإيقاع بهم . . .والتقدير : ولولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم لأذِن الله لكم في دخول مكة ، ولسَلطكم عليهم ، ولكنَّا صُنَّا من كان فيها يكتم إيمانه . وقوله : ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ المعرة العيب . . .أي يقول المشركون : قد قتلوا أهل دينهم . . .

لو تزيّلوا أي تميزوا ، ولو زال المؤمنون عن الكفّار لعَذب الكفار بالسيف . . .

وهذه الآية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن .» أ.هـ. بتصرف .

فتبين من هذه الأوجه أن قياس المسلمين الذين يساكنون الكفار في المجمعات السكنية على مسألة التترُّس قياسٌ غير صحيح .

ثانياً : الطائفة الممتنعة هي التي تمتنع عن إقامة شيء من شعائر الإسلام الظاهرة ولها شوكة ، فلا تُلزم بإقامة هذه الشعيرة إلا بالقتال ، كقرية اجتمعت على ترك الأذان مثلاً وكان لها شوكة لا يمكن إلزامهم بالأذان إلا بالقتال ، أما لو امتنع أفراد أو جماعة لا شوكة لها ولم يقاتلوا فلا يُقاتلون ، بل يُلزمون بأمر الشارع .

ومن امتنع عن أداء الزكاة من العرب بعد موت النبي ﷺ كان لهم شوكة وقوة لا يتأتى إلزامهم إلا بقتال ، وقد قاتلوا فقاتلهم أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم . انظر ما رواه البخاري (١٤٥٧) ، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

أما الممتنع عن الزكاة بدون شوكة فقد حكم فيه النبي ﷺ بقوله : « فإنا آخذوها وشطر ماله ». رواه أبو داود (١٥٧٥) والنسائي (٢٤٤٤) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه .

وعليه فإن من أقام في مجمع سكني لا تقام فيه أحكام الله لا يكون في حكم الطائفة الممتنعة التي يجب على الإمام إنذاره وأمره بإقامة شرع الله ، فإن امتنع وكانت له شوكة أو قاتل جاز قتاله حتى يُذعن .

قال ابن تيمية : (ولا يُقتل من ترك الصلاة أو الزكاة إلا إذا كان في طائفة ممتنعة، فيقاتلهم لوجود الحراب كما يقاتل البغاة) . (مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٠٠) .

والقول بأن حراس المجمعات من المسلمين ، وكذلك السائقون والطباخون وعمال الصيانة ونحوهم ممتنعون عن الشعائر ، لا أساس له من الشرع أو الواقع ، ولا يوجد أي وجه للشبه بينهم وبين الطائفة الممتنعة . بل لو فرضنا أن بعضهم يخدم الكفار بما هو محرم ، كإدخال الخمور لهم ، فإن ذلك منكر تجب إزالته وعقوبة فاعله ، ولكنه لا يُعد من الطائفة الممتنعة في شيء .

السؤال الثالث:

وجود بعض المدنيين الأبرياء من الكفار في عِداد القتلى لا يُحرم هذه العمليات، فقد روى الصعب بن جثامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سئل عن أهل الديار من المشركين يبيَّتون فيُصاب من نسائهم وذرياتهم ، قال : هم منهم .

فهذا الحديث يدل على أن النساء والصبيان ومن لا يجوز قتله منفرداً يجوز قتلهم إذا كانوا مختلطين بغيرهم ولم يمكن التمييز ، لأنهم سألوا الرسول ﷺ عن البَيات وهو الهجوم ليلاً ، والبيات لا يمكن فيه التمييز ، فأذن بذلك لأنه يجوز تبعاً ما لا يجوز استقلالاً .

ويلزم لمن قال بمسألة قتل الأبرياء من دون تقييد ولا تخصيص أن يُتهم الرسول ﷺ والصحابة ومن بعدهم بأنهم من قتلة الأبرياء على اصطلاح هؤلاء القائلين ، لأن الرسول نصب المنجنيق في قتال الطائف ، ومن طبيعة المنجنيق عدم التمييز ، وقتَل النبي عليه الصلاة والسلام كل من أنبت من يهود بني قريظة ولم يُفرِّق بينهم ، قال ابن حزم في « المحلى » تعليقا على حديث : عُرِضت يوم قريظة على رسول الله ﷺ فكان من أنبت قتل ، قال ابن حزم : وهذا عموم من النبي ﷺ ، لم يستبْقِ منهم عسيفا[1] ولا تاجراً ولا فلاحاً ولا شيخاً كبيراً ، وهذا إجماع

(١) وهو الأجير لحفظ المتاع والدواب .

صحيح منه . « المحلى » (٧/ ٢٩٩) .

قال ابن القيم ﷺ في « زاد المعاد » : وكان هديه ﷺ إذا صالح أو عاهد قوماً فنقضوا ، أو نقض بعضهم وأقره الباقون ورضوا بـه ، غـزا الجميع ، وجعلهم كلهم ناقضين كما فعل في بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع ، وكما فعل في أهل مكة ، فهذه سنته في الناقضين الناكثين .

وقال أيضا : وقد أفتى ابـن تيميـة بغـزو نصـارى المشـرق لمـا أعـانوا عـدو المسلمين على قتالهم فأمَدوهم بالمال والسلاح ، وإن كانوا لم يغزونا ولم يحاربونا ورآهم بذلك ناقضين للعهد ، كما نقضت قريش عهد النبي ﷺ ، بإعانتهم بني بكر ابن وائل على حرب حلفائه .

ولا يزال القادة المسلمون يستعملون في حروبهم مع الكفار ضربهم بالمنجنيق، ومعلوم أن المنجنيق إذا ضرب لا يفرق بين المقاتل وغيره ، وقـد يصيب مـن يسميهم هؤلاء بالأبرياء ، ومع ذلك جرت سنة المسلمين على هذا في الحروب ، قال ابن قدامة ﷺ : ويجوز نصب المنجنيق لأن النبي ﷺ نصب المنجنيق عـلى أهل الطائف ، وعمرو بن العاص نصب المنجنيق على أهل الإسكندرية .

(« المغني والشرح » ، ١٠ / ٥٠٣) .

وقال ابن قاسم ﷺ في « الحاشية » : ويجوز رمي الكفار بالمنجنيق ولو قَتل بلا قصد صبياناً ونساء وشيوخاً ورهباناً ، لجواز النكاية بالإجماع ، قال ابن رشد ﷺ : النكاية جائزة بطريق الإجماع بجميع أنواع المشركين (« الحاشية على الروض » ، ٤/ ٢٧٠) .

ثم نقول لهؤلاء : ماذا تقصدون بالأبرياء ؟

فهؤلاء لا يخلون من الحالات الآتية :

الحالة الأولى : أن يكونوا من الذين لم يقاتلوا مع دولهم ، ولم يعينوهم لا بالبدن

ولا بالمال ولا بالرأي والمشورة ولا غير ذلك ، فهذا الصنف لا يجوز قتله بشرط أن يكون متميزاً عن غيره ، غير مختلط به ، أما إذا اختلط بغيره ولم يمكن تميزه فيجوز قتله تبعاً وإلحاقاً ، مثل كبار السن والنساء والصبيان والمرضى والعاجزين والرهبان المنقطعين .

قال ابن قدامة : ولهذا جاز قتل النساء والصبيان في البيات ، وفي المطمورة[1] إذا لم يتعمد قتلهم منفردين ، بخلاف حال القدرة عليهم ، وقتل بهائمهم يُتوصل به إلى قتلهم وهزيمتهم ، وليس في هذا خلاف . (« المغني والشرح » ، ١٠ / ٥٠٣) .

وقال : (ويجوز تبييت العدو ، قال أحمد بن حنبل : لا بأس بالبيات ، وهل غزو الروم إلا البيات ؟ قال : ولا نعلم أحداً كرِه البيات (« المغني والشرح »، ١٠/ ٥٠٣).

الحالة الثانية : أو هم مِن الذين لم يباشروا القتال مع دولهم المُحاربة ، لكنهم معينون لها بالمال أو الرأي ، فهؤلاء لا يسمون أبرياء ، بل محاربين ومن أهل الردء (أي المعين والمساعد) .

قال ابن عبدالبر رحمه الله في « الاستذكار » : لم يختلف العلماء فيمن قاتل من النساء والشيوخ أنه مباح قتله ، ومن قدر على القتال من الصبيان وقاتل قُتل . (« الاستذكار » ١٤ / ٧٤) .

ونقل الإجماع أيضا ابن قدامة رحمه الله في إباحة قتل النساء والصبيان وكبار السن إذا أعانوا أقوامهم ، وقال ابن عبدالبر رحمه الله : وأجمعوا على أن رسول الله ﷺ قَتل دريد ابن الصمة يوم حنين ، لأنه كان ذا رأي ومكيدة في الحرب ، فمن كان هكذا من الشيوخ قُتل عند الجميع . (« التمهيد » ١٦ / ١٤٢) .

الحالة الثالثة : أن يكونوا من المسلمين ، فهؤلاء لا يجوز قتلهم ما داموا مستقلين ، أما إذا اختلطوا بغيرهم ، ولم يمكن إلا قتلهم مع غيرهم جاز ، ويدل عليه مسألة التترُّس وسبق الكلام عنها .

(١) المطمورة هو السجن . « المعجم الوسيط » .

الجواب :

إن مما نحمده للسائل لِياذه بكلام أهل العلم ، ونقل نصوص من عباراتهم ، وهو منهج إذا اكتمل واضطرد وحسن معه القصد أفضى بصاحبه إلى طريق الصواب ، وإن من أهم ما يُنبه إليه طالب العلم ضرورة ضم النصوص بعضها إلى بعض ، والصدور عن دلالتها مجتمعة ، وعدم ضرب بعضها ببعض ، أو الانتقاء منها بإعمال بعضها والإعراض عن بعض ، ولهذا ألّف العلماء في الجمع بين النصوص والتوفيق بين دلالاتها وتنزيل كل نص على ما يناسبه ، وكذلك كلام أهل العلم فإنه يُجمع بعضه إلى بعض ، ويصدر عن مجمُوعه ، ولا يعامل باجتزاء منقوص وإنما باستقراء متكامل ، ولذا فإن دلالة هذه النقول المذكورة في السؤال لا بد أن تُستكمل بذكر النصوص الشرعية الأخرى في هذه المسألة وكلام أهل العلم عليها ، وأن يتكون الرأي بعد البحث والنظر ، لا أن ينطلق الإنسان في بحثه ليحشد لرأي قد حسمه وفرغ منه ، وإن كان منطلقه عاطفة جيّاشه وحميّة صادقة ، فالمقام مقام امتحان القلوب للتقوى ، وصدق التحري لمراد الله عز وجل ، والخضوع والتسليم لحكمه ، وبذلك يكتمل النظر ، ويتحقق بتوفيق الله الوصول إلى الحق بتجرد وإنصاف .

فإذا نظرنا بهذا النظر إلى هذه المسألة فإنا نجد أصلاً عاماً قررته النصوص الشرعية ببيان جلي ، وهو تحريم قتل النساء والأطفال ومن ليس من أهل القتال منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠ ﴾ .

قال القرطبي (٢/ ٣٤٨) : قال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد : هي محكمة ، أي قاتلوا الذين هم بحالةِ من يقاتلونكم ، ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشَبههم .

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أن امرأة وُجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة ، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان . أخرجه البخاري (٣٠١٤) ومسلم (١٧٤٤) ، قال النووي في « شرح مسلم » (١٢/ ٧٣) : أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث ، وتحريم قتل النساء والأطفال إذالم يُقاتلوا .

٣- عن سلمان بن بردة قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه ثم قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً . . .» . رواه مسلم (١٧٣١) .

٤- عن رياح بن ربيع قال : كنا مع النبي ﷺ في غزوة ، فرأى الناس مجتمعين على شيء ، فبعث رجلاً فقال : انظر إلى ما اجتمع هؤلاء ؟ فجاء فقال : على امرأةٍ قتيل ، فقال : « ما كانت هذه لتقاتل» ، وعلى المقدمة خالد بن الوليد ، قال : فبعث رجلاً فقال : « قل لخالد لا يقتلن امرأة ولا عسيفاً ». أخرجه أبو داود (٢٣٢٤) وصححه الألباني .

فاستنكر النبي ﷺ قتل المرأة ، وبين سبب استنكاره ، وهو كونها ليست من أهل القتال ، فقرن النبي ﷺ كونها لا تقاتل بمنع قتلها ، فدل على أن علة القتل هي القتال .

وكذا ذِكره ﷺ العسيف ، وهو الأجير لحفظ المتاع والدواب ، فلا يقتل إلا أن قاتل ، وبناءً عليه فكل مستأجر لأعمال غير قتالية لا يجوز قتله ولو حضر لأرض المعركة .

٥- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أنه خرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان ، وكان أميراً على جيش فقال له : (إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما حبسوا أنفسهم له) . أخرجه مالك (٩٧٣) .

٦- عن عمر رضي الله عنه أنه قال : اتقوا الله في الفلاحين . أخرجه البيهقي (٩/ ١٩) .

إن هذه النصوص مجتمعة تدل على أن القتال إنما هو لأهل المقاتلة والممانعة،

أما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة فلا يُقتل ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وإذا كان أصل القتال المشروع في الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ؛ فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين ، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء ، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله ، لأن القتال هو لمن يقاتلنا إذا أردنا إظهار دين الله كما قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ . انتهى مختصراً من «مجموع الفتاوى » (٢٨/ ٣٥٤) .

إن هذه النصوص من كلام الله عز وجل ، وكلام رسوله ﷺ وأصحابه وعلماء الأمة الراسخين متواردة على حرمة دم من ليس من أهل القتال ، وأنها مُصانة بحكم جليّ واضح ، فإذا وُجد من النصوص ما يُظن أن ظاهره يخالف هذا جُمع بين هذه النصوص بحيث تأتلف ولا تختلف قائلين ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ، عائذين بالله أن نشابه من يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .

ولذلك فإن هذه النصوص المتظاهرة لا يمكن أن تعطل دلالتها ، ويبطل معناها بحديث التبييت المشهور .

فإن الاستدلال بحديث (التبييت) المروي في البخاري (٣٠٢١) ومسلم (١٧٤٥) عن الصعب بن جثامة رضي الله عنه على إباحة قتل الأبرياء من الكفار غير المحاربين استدلال بالشيء في غير موضعه ، فلا يصح من وجهين :

الوجه الأول : أن الذين أجاز النبي تبييتهم ، ولو أصيب نساؤهم وأطفالهم ، إنما هم الكفار المحارِبون الذين يقيمون في ديار الحرب ، وليس بينهم وبين المسلمين ميثاقٌ ولا عهد ، فيدخل النساء والذراري تبعاً ، بخلاف هؤلاء المستهدفين في المجمعات السكنية ، فهم معاهدون معصومون .

ولذا جاء في لفظ الحديث : « سئل عن الذراري من المشركين » ، وهؤلاء الأبرياء الذين قُتلوا في التفجيرات مقيمون في ديار الإسلام لا في ديار الكفر ، ولسنا

معهم في حالة حرب ، وحتى لو فرض غلط المسلمين بعقد الأمان لهم ، فإن الذمة لهم باقية وذمة المسلمين واحدة ، وقد نص ابن تيمية مراراً [على أن][1] شبهة الأمان تُنزل منزلة الأمان . انظر « الصارم المسلول » (٢/ ٥٢٢) .

الوجه الثاني : على التسليم بأن هؤلاء حربيون ، فإن مسألة التبييت إنما جازت للحاجة ، وليست هي الأصل ، بل الأصل تحريم قتل نساء الكفار وصبيانهم وشيوخهم حتى في ساعة القتال ، إذا لم يظهر منهم قتال أو إعانة عليه .

ويبقى جواز التبييت مقيداً بما إذا تعذر تمييز المقاتلة زمن الحرب والقتال ، أولم تكن مقدوراً عليها إلا بالتبييت ، إما لقوتهم ، أو لتحصنهم ، أو نحو ذلك ، جمعاً بين النهي عن قتل النساء والأطفال والترخيص بالتبييت .

ولذا لم يقع من الرسول تبييت لليهود وهم مجتمعون في حصونهم وقلاعهم ، لأنه قد قدر عليهم بغير التبييت .

قال ابن حجر في « فتح الباري » (٦/ ١٤٦) في شرحه لحديث التبييت :

« قوله : (هم منهم) أي في حكم تلك الحالة ، وليس المراد إباحة قتلهم بطريق القصد إليهم ، بل المراد إذا لم يمكن الوصول إلى الآباء إلا بوطء الذرية ، فإذا أصيبوا لاختلاطهم بهم جاز قتلهم ». أهـ .

وقال الشافعي في « الأم ٧/ ٣٧٠ » : « وتمنع الدار من الغارة إذا كانت دار إسلام أو دار أمان بعقدٍ عقده المسلمون لا يكون لأحد أن يغير عليها ، وله أن يقصد قصد من حل دمه بغير غارة على الدار . فلما كان الأطفال والنساء - وإن نهي عن قتلهم - لا ممنوعي الدماء بإسلامهم ولا إسلام آبائهم ، ولا ممنوعي الدماء بأن الدار ممنوعة استدللنا على أن النبي ﷺ إنما نهى عن قصد قتلهم بأعيانهم إذا عرف مكانهم ». أهـ .

---

(١) في الأصل : (في على أنه) ، وليس لها معنى ، ولعل الصواب ما أثبت إن شاء الله . الناشر .

وكذلك القول في نصب المنجنيق ، فإنها نصبت على محاربين تحصنوا في حصونهم التي هي دار حرب ، وليست كالحال هنا .

أما إذا ثبت أن هؤلاء المعاهدين ردء للعدو أو جواسيس فإن عهدهم ينتقض وهذا من اختصاص ولي الأمر ، فينبذ إليهم ويبلغهم ويطردون من البلاد وليس ذلك مبيحاً لقتلهم ابتداءً بلا إنذار ولا ثبوت تهمة فضلاً عن قتل من لا يجوز قتله ممن ساكنهم أو عمل عندهم ..

السؤال الرابع:

قوله ﷺ : «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» متفق عليه . فدل الحديث على أن كل المشركين من اليهود والنصارى لا يجوز لهم الإقامة في جزيرة العرب، إلا لفترة وجيزة لقضاء حاجة أو استيفاء دين أو غيره ، وأنه ليس لهم عهد ولا أمان ولا ذمة ، في جزيرة العرب ، وخاصة الأمريكان .

وبناءً عليه فالمقيمون في المجمعات السكنية لا ينطبق عليهم هذا الجواز ، فلذلك يجب إخراجهم ولو بالقوة .

أما كونهم ليسوا بأهل ذمّة ، فالذي نعرفه بأن أهل الذمة هم أناس يعيشون في بلاد الإسلام ، وتجري عليهم أحكام المسلمين ، وهؤلاء لا يكونون في جزيرة العرب ، لأن الكافر لا يسمح له باستيطان جزيرة العرب .

أما كونهم ليسوا بأهل هدنة ، فنحن تعلّمنا بأن المهادن هو حربي عقدنا معه اتفاقاً على وقف الحرب بيننا وبينه لمدة معلومة على أن يكون في بلاده ، ولا يحارب المسلمين أو يُعين على حربهم ، فالجنود الأمريكان في بلاد المسلمين ، وهم يحاربون المسلمين الآن في العراق وأفغانستان . . .إلخ ، فكيف يكونون أهل هدنة ؟!

ثم ألم ينقض الأمريكان عهدهم في كل حين ، فهل نبقى نحن على عهدٍ هم نقضوه ؟

طبعاً هذا إذا فرضنا مجرد فرضية أن العهد الذي دخلوا به هو عهد صحيح يثبت أثره لعاقده ، لكن الصحيح أن العقد الذي يجيز للكفار الإقامة في جزيرة العرب إقامة طويلة هو عقد باطل ، كما ذكر ذلك الشيخ العلاّمة بكر أبو زيد – عضو اللجنة الدائمة وعضو هيئة كبار العلماء – في كتابه « خصائص جزيرة العرب» (ص ٣٤) .

هذا بالإضافة إلى أن الأمريكان محاربون بالاتفاق ، وقد حكم سعد بن معاذ في بني قريظة أن تقتل مقاتلتهم ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قال : «**أصبت حكم الله من فوق سبعة أرقعة**» ، فكان الصحابة يأتون بالصبي ، فينظرون فإن كان أنبت قتلوه ، وإلا تركوه !

فكان هذا دليلاً على أن البالغ من العدو الخائن للعهد ، والمحارب لله ورسوله والمسلمين ، يعتبر مقاتلاً ، يجوز استهدافه وقتله .

فالأمريكان محاربون ، خانوا العهد ، وحاربوا المسلمين في كل مكان ، سواء بالمباشرة كما في أفغانستان والعراق ، أو بالمساعدة كما في الشيشان وفلسطين بدعمهم للروس واليهود هناك .

فإن قيل تلك بلاد حرب ، فهل الأمريكان الذين يدفعون الضرائب ، وأيد ٧٠٪ منهم رئيسهم في الحرب على العراق ليسوا محاربين ؟

فإن قيل : بعضهم ليس محاربا ، فهل في حالة عدم القدرة على التفريق بينهم يلزمنا أن نكف عنهم جميعا ؟ أليس النبي ﷺ قد قال عن الذين يبيتون فيصاب من ذراريهم : (هم منهم) ؟

ثم إنهم بعد الإنذار بأنهم لا عهد لهم في بلاد المسلمين لا يبقى لهم عهد .

أما كونهم أهل أمان ، فنحن نتساءل : من أعطاهم الأمان ؟! أحاكم اتفق العلماء على كفر مثله لموالاته الكفار ، أم حاكم اتفق العلماء على كفر مثله لتحكيمه غير شرع الله ؟!

الجواب :

الجواب عن الاستدلال بحديث : (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) من وجوه :

الوجه الأول :

هذا الحديث لا يدل على جواز قتل مَن في جزيرة العرب من اليهود والنصارى والمشركين ألبتة ، لا بدلالة منطوقه ولا بدلالة مفهومه .

ولا يدل كذلك على انتقاض عهد من دخل جزيرة العرب من اليهود والنصارى لمجرد الدخول ، ولم نجد من قال بذلك من أهل العلم .

وغاية ما فيه : الأمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب ، وهو أمر موكول إلى إمام المسلمين ، ولو كان فاجراً .

ولا يلزم من الأمر بإخراجهم إباحة قتلهم إذا بقوا فيها ، فهم قد دخلوها بعهد وأمان ، حتى على فرض بطلان العهد ، لأجل الأمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، فإن الكافر الحربي لو دخل بلاد المسلمين وهو يظن أنه مستأمن بأمانٍ أو عهد لم يجز قتله حتى يبلغ مأمنه أو يُعلِمه الإمام أو نائبه بأنه لا أمان له .

فقد ذكر المرداوي في « الإنصاف مع المقنع والشرح الكبير » (١٠/ ٣٤٨ - ٣٥٢) عن الإمام أحمد أنه قال : « إذا أشير إليه أي الحربي بشيء غير الأمان ، فظنه أماناً ، فهو أمان ، وكل شيء يرى العِلج (أي العدو من الكفار) أنه أمانٌ فهو أمان ، وقال : إذا اشتراه ليقتله فلا يقتله ، لأنه إذا اشتراه فقد أمّنه ، قال الشيخ تقي الدين يعني ابن تيمية : فهذا يقتضي انعقاده بما يعتقده العلج ، وإن لم يقصده المسلم ، ولا صدر منه ما يدل عليه ». أ.هـ .

كما أن الأمان يجوز من الإمام الأعظم للكفار ، ومن سائر المسلمين لآحاد الكفار ، قال في « الروض » (٤/ ٢٩٦) : « ويصح الأمان من مسلم عاقل مختار غير سكران ولو قِناً - أي عبداً - أو أنثى بلا ضرورة من إمام لجميع المشركين ،

ومن أمير لأهل بلدة ، ومن كل أحد لقافلة وحصن صغيرين ». فيصح الأمان لهؤلاء الكفار من الإمام ومن سائر المسلمين .

الوجه الثاني :

لا يُسَلَّم بقول من قال بأن هؤلاء لا عهد لهم ولا أمان ولا ذمة ، فقد قال الشافعي : «فرض الله عز وجل قتال غير أهل الكتاب حتى يُسلموا ، وأهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، وقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فهذا فرض الله على المسلمين ما أطاقوه ، وإذا عجزوا عنه فإنما كلفوا منه ما أطاقوا، فلا بأس أن يكفوا عن قتال الفريقين من المشركين وأن يهادنوهم ، وقد كفَّ رسول الله ﷺ عن قتال كثيرٍ من أهل الأوثان بلا مهادنة إذا انتاطت[1] دورهم عنهم ، مثل بني تميم وربيعة وأسد وطي ، حتى كانوا هم الذين أسلموا ، وهادن الرسول ﷺ ناساً ، ووادع حين قدم المدينة يهوداً على غير ما خرج أخذه منهم». انظر « الأم » (٤/ ١٨٨) .

قال شيخ الإسلام في « الاختيارات » (ص ٤٥٥) : «ويجوز عقدها – أي الهدنة – مطلقاً ومؤقتاً ، والمؤقت لازم من الطرفين يجب الوفاء به ما لم ينقضه العدو ، ولا يُنقض بمجرد خوف الخيانة في أظهر قولي العلماء ، وأما المطلق فهو عقد جائز يعمل الإمام فيه بالمصلحة».

وقال ابن القيم في « أحكام أهل الذمة » (٢/ ٨٧٤) : «والقول الثاني هو الصواب أنه يجوز عقدها مطلقاً ومؤقتاً ، فإذا كان مؤقتاً جاز أن تُجعل لازمة ، ولو جُعلت لازمة جُعلت جائزة بحيث يجوز لكل منهما فسخها متى شاء ، كالشَّركة والوكالة والمضاربة ونحوها جاز ذلك ، لكن بشرط أن يُنبذ إليهم على سواء ، ويجوز عقدها مطلقة ، وإذا كانت مطلقة لا يمكن أن تكون لازمة التأبيد ، بل متى شاء نقضها ، وذلك أن الأصل في العقود أن تعقد على أي صفة كانت فيها

(١) أي بعدت دورهم ، يقال مكان نطيط أي بعيد . « المعجم الوسيط » .

المصلحة ، والمصلحة قد تكون في هـذا وهـذا ، وعامـة عهـود النبـي ﷺ كانـت كذلك مطلقة غير مقيدة ، جائزة غير لازمة ، منها عهده مع أهل خيبر مـع أن خيبـر فتحت وصارت للمسلمين ، ولكن سكانها كانوا هم اليهود».

الوجه الثالث :

أن لأهل العلم في تحديد جزيرة العرب المقصـودة في الحـديث كلامـاً طـويلاً وخلافاً مشهوراً بعد اتفاقهم على تحريم استيطانهم لحرم مكة ، وليس هذا موضـع بسط الخلاف .

الوجه الرابع :

أن الأمر بإخراج المشركين مـن جزيـرة العـرب يُحمـل عـلى مـا إذا لم يحـتج المسلمون إليهم في عمل لا يحسنه غيرهم ، أو لا يُستغنى عن خبراتهم فيها .

ويدل لذلك إقرارُ النبي ﷺ اليهود على الإقامة بخيبر ليعملـوا فيهـا بالفلاحـة ، لعجز الصحابة وانشغالهم عن ذلك .

ولذا أبقاهم أبو بكر طيلة حياته ، وعمر صدراً من خلافته ، لحاجـة المسـلمين إليهم .

ولما كثر عدد المسلمين في آخر عهد عمر ، وقاموا بشـأن الفلاحـة والزراعـة ، استغنوا عن اليهود ونقض بعضهم ذمته ، فأجلاهم عمر رضي الله عنه إلى الشام .

يقـول الإمـام الطحـاوي في « شـرح مشـكل الآثـار » (٧/ ١٨٩) بعـدما سـاق مُصالحة رسول الله ﷺ ليهود خيبر على أن لهم الشطر من كل زُرع ما بـدا لرسـول الله أن يقـيهم : «فلمـا كـان زمـن عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه غـالوا في المسـلمين وغشوهم ، ورموا ابن عمر من فوق بيته ففدعوا يده (والفدع ميل في المفاصل مـن عظام اليد) ، فقال عمر رضي الله عنه : من كـان لـه سـهم مـن خيبـر فليخـرص[1] حتـى

(١) الخرص : هو التقدير بالظن ، يقال : خرص النخل أي قدّر ما عليه من الرطب تمرا . « المعجم الوسيط » .

يقسمها بينهم ، فقال رئيسهم : لا تخرجنا ودعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ، فقال عمر لرئيسهم : أتراه سقط عني قول رسول الله ﷺ لك : «كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً» ؟ وقسمها عمر رضي الله عنه بين من كان شهد خيبر يوم الحديبية».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (٢٨/ ٨٨ - ٨٩) : «لما فتح النبي ﷺ خيبر أعطاها لليهود يعملونها فلاحةً ، لعجز الصحابة عن فلاحتها ، لأن ذلك يحتاج إلى سكناها ، وكان الذين فتحوها أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانوا نحو ألف وأربعمائة ، وانضم إليهم أهل سفينة جعفر ، فهؤلاء هم الذين قسَّم النبي ﷺ بينهم أرض خيبر ، فلو أقام طائفة من هؤلاء فيها لفلاحتها تعطلت مصالح الدين التي لا يقوم بها غيرهم – يعني الجهاد - فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتحت البلاد ، وكثر المسلمون ، واستغنوا عن اليهود فأجلوهم ، وكان النبي ﷺ قد قال : «نُقِركم فيها ما شئنا» ، وفي رواية : «ما أقركم الله» ، وأمر بإجلائهم عند موته ﷺ فقال : «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» . ولهذا ذهب طائفة من العلماء كمحمد بن جرير الطبري إلى أن الكفار لا يقرون في بلاد المسلمين – الجزيرة - بالجزية ، إلا إذا كان المسلمون محتاجين إليهم ، فإذا استغنوا عنهم أجلوهم كأهل خيبر ، وفي المسألة نزاع ليس هذا موضعه» أ.هـ .

وقال ابن القيم في « أحكام أهل الذمة » (٢/ ٤٧٦) بعد أن ذكر أن الكفار إما أهل حرب أو أهل عهد ، وأن أهل العهد ثلاثة أصناف : أهل ذمة ، وأهل هدنة ، وأهل أمان ، قال عن أهل الأمان :

«وأما المستأمن فهو الذي يقدُم بلاد المسلمين من غير استيطان لها ، وهؤلاء أربعة أقسام : رسل ، وتجار ، ومستجيرون حتى يُعرض عليهم الإسلام والقرآن ، فإن شاءوا دخلوا فيه ، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم ، وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها ، وحكم هؤلاء ألا يُهاجوا ، ولا يُقتلوا ، ولا تؤخذ منهم الجزية ، وأن

يعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن ، فإن دخل فيه فذاك ، وإن أحب اللحاق بمأمنه أُلحق به ، ولم يُعرض له قبل وصوله إليه ، فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان». أ. هـ .

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله شرح صحيح مسلم (مخطوط) عندما سئل : هل يجوز استخدام العمال من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ؟ فقال : «نعم يجوز ذلك ، لكن لا يجوز أن يسكنوا ويكونوا مواطنين ، هذا ممنوع في جزيرة العرب ، لكن إذا دخلوا في تجارة أو عمل غير مقيمين دائماً فلا بأس». أ. هـ .

ويشهد لذلك ما رواه البخاري في « صحيحه » (٣٧٠٠) في قصة مقتل عمر رضي الله عنه الطويلة ، وفيه أنه لما قُتل ، أمر ابن عباس أن ينظر من الذي قتله ، فلما أخبره أنه أبو لؤلؤة ، قال عمر : «قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقاً ، فقال أي ابن عباس : إن شئت فعلت ! أي أن شئت قتلنا قال : كذبت ، بعدما تكلموا بلسانكم ، وصلوا قبلتكم ، وحجوا حجكم ! . . .».

قال ابن حجر في « الفتح » (٧/ ٦٤) :

قوله : «قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة» ، في رواية ابن سعد من طريق محمد بن سيرين ، عن ابن عباس ، فقال عمر : «هذا من عمل أصحابك ! كنت أريد أن لا يدخلها علج من السبي ، فغلبتموني» ، وله من طريق أسلم مولى عمر قال : قال عمر : «من أصابني ؟ قالوا : أبو لؤلؤة ، واسمه فيروز ، قال : قد نهيتكم أن تجلبوا عليها من علوجهم أحداً فعصيتموني». ونحوه في رواية مبارك بن فضالة .

وروى عمر بن شبة من طريق ابن سيرين قال : «بلغني أن العباس قال لعمر لما قال : لا تدخلوا علينا من السبي إلا الوُصفاء[1] : أن عمل المدينة شديد ، لا يستقيم إلا بالعلوج».

---

(١) الوصيف هو الخادم ، وجمعه وصفاء . « المعجم الوسيط » .

قوله : «إن شئت فعلت» ، قال : ابن التين : إنما قال له ذلك ، لعلمه بأن عمر لا يأمر بقتلهم .

قوله : «كذبت» ، هو على ما أُلِفَ من شدة عمر في الدين ، لأنه فهم من ابن عباس من قوله : «إن شئت فعلنا» ، أي قتلناهم ، فأجابه بذلك ، وأهل الحجاز يقولون : «كذبت» في موضع «أخطأت» ، وإنما قال له «بعد أن صلوا» ، لعلمه أن المسلم لا يحل قتله ، ولعل ابن عباس إنما أراد قتل من لم يُسلم منهم ». انتهى .

فهذا الصنيع من عمر رضي الله عنه وهو الذي أجلا اليهود إلى تيماء وأريحاء دليل على أنه فَهِمَ من الأمر بالإخراج أنه إخراج خاص بالمواطنين ، وأما المقيمون من هؤلاء إقامة غير دائمة ، أو الواردون على المدينة وهي من الجزيرة بالإجماع فلا يشملهم النهي .

ولم يكن عمر وهو مَنْ هو في قوته في دين الله ليجامل العباس أو ابنه في بقاء العلوج وهو يرى أن ذلك محرم ، ولكنه كان يرى أن ذلك أي عدم استقدامهم أولى ، ولكنه لم يُلزِم به ، مع أنه إمام هدى ، وأمير المؤمنين ، وأحد الخلفاء الراشدين ، ومثله لإمامته العامة يسوغ له أن يأمر بما يرى مصلحته وإن كانت المسألة من مسائل الاجتهاد ، ويجب السمع والطاعة له ، ومع ذلك لم يفعل عمر من ذلك شيئاً ! .

فأي برهان أوضح من هذا على دلالة حديث الأمر بإخراج اليهود والنصارى الذي كان عمر أحد رواته كما ثبت في صحيح مسلم .

كما يشهد لهذا ما رواه ابن خزيمة في « صحيحه » (١٣٢٩) عن جابر رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾. الآية ، [التوبة : ٢٨] قال : «إلا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الذمة » ، أي له عقد أمان مع المسلمين ، وليس المقصود أهل الذمة بالإصطلاح الفقهي المعروف .

فتُحمل إذاً دلالة حديث إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب على المنع من استيطان المشركين لجزيرة العرب ، لا إقامتهم فيها للعمل المؤقت ، أو التجارة كما هو شأن الكفار الوافدين .

الوجه الخامس :

أن الكفار في البلاد في الجملة أهل وَفادة وليسوا من أهل الإقامة ، وهذا لا يُسوِّغ الدخول لكل وافد من الكفار ، فإن هذا يُمنع بمناط آخر ، لكن من احتاجه المسلمون ساغ وفوده ، وقد قاله النبي في وصيته التي فيها ذكر إخراجهم : (وأجيزو الوفد بنحو ما كنت أجيزهم) كما في الصحيح ، البخاري (٣٠٥٣) ، ومسلم (١٦٣٧) ، وكأنه تنبيه على الجمع بين الحكمين ، وأنه لا تعارض بينهما ، ولهذا فإن عمر لما أخرج اليهود ، استند إلى الحديث ، لكنه مع ذلك ترك بعض أعيان الكفار من الرقيق وغيرهم لم يخرجهم فتأمل هذا .

الوجه السادس :

أن القول بانتقاض عهد كل مشرك لأجل إقامته في جزيرة العرب يلزم منه أن تكون دماء الكفار من غير الأمريكيين والأوروبيين مهدرةً ، وأموالُهم مباحةً ، فليس انتقاض العهد بالإقامة في الجزيرة مخصوصاً بالنصارى الأمريكان والأوربيين وحدهم!

فيلزم من القول بإهدار دماء نصارى الأمريكان والأوربيين القولُ بإهدار دماء وإباحة أموال نصارى الدول الأخرى ، إذ جميعهم نصارى مشركون ، وهم في الحكم سواء .

ولا شك أن القول بانتقاض عهد كل مشرك لأجل إقامته في جزيرة العرب ، ومن ثم إهدار دمه وإباحة ماله يفضي إلى فوضى واضطراب وظلم .

ومما يُعجب له أنه على مدار عشرات السنين لم يثر هذا الأمر ليكون سبباً لقتال

أهل الأمان مع وجودهم بين ظهرانينا .

إن هذا ظاهر في أن مسألة جزيرة العرب لم تكن مسألة أصلية لدى هؤلاء ، وإنما استدعيت لتقوية الموقف الحادث من هذه التفجيرات .

الوجه السابع :

أن فساد الوصف لا يلزم منه فساد الأصل ، ولو فُرض أن الأمان المُعطى لطائفة من الكفار قد تضمّن شروطاً فاسدة ، فإن هذا لا يلزم منه فساد عقد الأمان وإهدار دم الكافر .

ثم إن إنذار العدو (أمريكا مثلاً) بنقض العهد وإعلان الحرب ليس موكولاً لآحاد الناس ، بل هو موكول إلى أولي الأمر من العلماء والسلطان الأعلى للدولة ، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الجهاد مع ولي الأمر ، برّاً كان أو فاجراً ، والسمع والطاعة بالمعروف كما في الحديث : «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» ، أخرجه البخاري (٧١٤٢) من حديث أنس ﷺ . وفرقٌ بين إنكار المنكر وحض الحاكم على إنكاره بقدر المستطاع ، وبين الإقدام على التغيير باليد ، وارتكاب مفاسد لا حصر لها .

الوجه الثامن :

ليس كل موالاة للكفار تكون كفراً ، فقد اشترط بعض العلماء مع مساعدة الكفار المودة لهم ، لقول الله عز وجل : ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة :١] ، واشترط بعض العلماء ألا يخشى المسلم سطوة الكافر وظلمه عن المساعدة ، لآية الممتحنة وقصة حاطب بن أبي بلتعة (راجع « تفسير القرطبي » ، سورة الممتحنة) .

قال الشيخ عبداللطيف بن حسن في « الدرر السنية » (١/ ٤٦٦) : «وأما إلحاق الوعيد المترتب على بعض الذنوب والكبائر فقد يمنع منه مانع في حق المعين كحب الله ورسوله . . . إلى قوله : وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعة وما فيها من الفوائد ،

ففعل حاطب نوع من الموالاة بدليل سبب نزول الآية في قوله تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الآية ، فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان ووَصَفه به ولم يكفر ، لأن النبي ﷺ قال : «خلوا سبيله».

كما أنه يلزم من هذا تكفير المعين ، وتكفير المعين لا بد من شروطه وانتفاء موانعه ، قال الشيخ ابن تيمية في « الفتاوى » (١٢/ ٤٩٨) : «وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار فهذا يقف على الدليل المعين ، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه ، وإذا عُرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه أنه من الكفار لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل ، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر ».

وقال ابن تيمية ﷺ عن الإمام أحمد في المجلد (٢٣/ ٣٤٨) : «وإنما يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته والقائلين بخلق القرآن ، وقد ابتلي بهم الإمام[1] حتى عرف حقيقة أمرهم ، ومع ذلك ما كان يكفر أعيانهم» انتهى .

وأيضاً قال ابن تيمية في المجلد (١٢/ ٤٦٦) : «وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبيَّن له ، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك ، بل لا يزول إلا بعد قيام الحجة وإزالة الشبهة».

الوجه التاسع :

أن كُفر الحاكم ليس موجباً لبطلان عقد الأمان ، لأن الكافر دخل بلد الإسلام على أن الحاكم نافذ الكلمة وله الولاية والسلطة .

والأمان ليس من الأمور التي لا تقام إلا بأمر الأمير وحده ، ولا يشترط فيها تمام شروط الولاية بل الثابت عكس ذلك ، لقول النبي ﷺ عن المؤمنين : «يسعى

(١) أي أحمد / .

بذمتهم أدناهم ». أخرجه البخاري (٣١٧٩)، ومسلم (١٣٧٠)، وأحمد (٩٩٣)، من حديث علي ﷺ، وكذلك أمان أم هانئ للمشركين: « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ». أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦/ ٨٢)، كتاب الصلاة، من حديث أم هانئ ﷺ، ولذا نص العلماء – كما سبق – على أن الأمان يصح من كل مسلم ولو عبداً أو أنثى.

ومهما يكن من شيء، فقد اختلف العلماء في المقصود بإخراجهم، وهي مسألة محل اجتهاد، وفيها خلاف معروف، ومن تمسك برأي سابق للأئمة فلا يجوز الطعن عليه فضلاً عن نقض العهد برأي آخر، وإلا لسقطت كثير من العقود في المعاملات والعقود بين المسلمين أنفسهم لوجود من يقول ببطلان أو فساد هذا العقد أو ذاك، ومعلوم أن مسائل العقود والعهود فيها نزاع كثير معروف في كلام الفقهاء، وليس لمن رأى رأياً مخالفاً أن يحمل الناس عليه، أو يفتات على جماعة المسلمين بتنفيذه..

السؤال الخامس:

المجاهدون أو ما تسميه أمريكا تنظيم القاعدة ليس بينهم وبين أمريكا عهد، فيجوز لهم قتالهم، قال ابن القيم: «ومنها: أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام، فخرجت منهم طائفة فحاربتهم وغنمت أموالهم ولم يتحيزوا إلى الإمام لم يجب على الإمام دفعهم عنهم ومنعهم منهم، وسواءً دخلوا في عقد الإمام وعهده ودينه، أو لم يدخلوا. والعهد الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين لم يكن عهداً بين أبي بصير وأصحابه وبينهم. وعلى هذا فإذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم عهدٌ جاز لملك آخر من ملوك المسلمين أن يغزوهم ويغنم أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهد، كما أفتى به شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية – قدس الله روحه – نصارى ملطية وسبيهم، مستدلاً بقصة أبي بصير مع المشركين».

الجواب :

صحيح أن المجاهدين أو ما يسمى ب«تنظيم القاعدة» ليس بينهم وبين أمريكا عهد ولا ذمة ، فيجوز لهم قتال الجنود الأمريكان الذين غزوهم واحتلوا ديارهم، ولكن لا يجوز لهم قتال الأمريكان المدنيين في بلادٍ لهم فيها عهد وأمان حتى يخرجوا منها .

أما أبو بصير ﵁ حينما قاتل كفار قريش ، فإنه لم يقاتلهم في مدينة رسول الله ﷺ التي هي محلُ أمان لمن تحيَّز إليها منهم ، لأنهم فيها معصومون مستأمنون.

بل لم يقتل أبو بصيرٍ رسولَ قريش حين رآه عند رسول الله ﷺ ، وكان هذا الرسول قد فرّ من أبي بصير بعد أن قتل أبو بصير صاحبَه ، مع أنه لم يكن ثمة عهد بينه وبين هذا الرجل ، فالذي منعه من هذا هو أن الرجل قد تحيَّز إلى النبي ﷺ .

وهذا التقييد مستفادٌ من النص ذاته ، المنقول عن ابن القيم ﵀ ، حيث قال : «ومنها (أي من فوائد قصة أبي بصير) : أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام فخرجت منهم طائفة فحاربتهم وغنمت أموالهم ولم يتحيزوا إلى الإمام لم يجب على الإمام دفعهم عنهم ومنعهم منهم ، وسواءٌ دخلوا في عقد الإمام وعهده ودينه ، أو لم يدخلوا . والعهد الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين لم يكن عهداً بين أبي بصير وأصحابه وبينهم» .

فنلحظ أن ابن القيم قد قيَّد جوازَ قتل الطائفة التي لم تدخل في عقد الإمام وعهده (كأبي بصير مع رسول الله ﷺ) للمعاهدين بألاّ تتحيَّز الطائفة إلى الإمام ، إذ من مقتضى المعاهدة والأمان أن يحمي الإمام المعاهدين من أي اعتداء عليهم متى كانوا في سلطانه .

وهذا صريح في استقلال كل دولة أو جماعة بذمتها وعهودها ، ولذا لم يكن مشروعاً للذين ليس بينهم وبين الأمريكان عهد أن يعتدوا عليهم في بلادٍ لهم مع أهلها عهدٌ وذمة .

السؤال السادس :

كنّا نظن بأن هؤلاء الكفار كانوا يتدخلون في شؤوننا - وما زالوا - منذ أكثر من أربعة قرون ، يعني : قبل تفجيرات نيويورك وواشنطن ، وقبل تفجيرات الرياض والخُبر ، وقبل احتلال فلسطين وأفغانستان ، بل منذ أن أوجد الرسول ﷺ نواة المدينة الإسلامية الأولى في مدينته ﷺ !! فما الذي تغيّر ؟!!

نحن كنا نظن بأن هؤلاء الكفار لا يزالون يقاتلوننا حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا ، قاتلناهم أم لم نقاتلهم !! نحن كنا نظن بأن هؤلاء الكفار لم ولن يرضوا عنّا حتى نتبع ملّتهم ، فجّرناهم أم لم نفجّرهم !! نحن كنا نظن بأنهم ينفقون أموالهم ليصدونا عن سبيل الله ، ترصدنا لهم أم لم نترصّد لهم !! نحن كنا نظن أنهم يريدون لنا الشرّ وما زالوا يحاربون ديننا ، جاهدناهم أم لم نجاهدهم !!

لم يقل الصحابة : يا رسول الله : لا تُغير على قوافل قريش فتستعدي قريشاً !!

يا رسول الله : لا تقاتل الكفار في الجزيرة فيجتمعوا على حربك !!

يا رسول الله : لا تحشد الجيوش لقتال قيصر ، وإنْ حشد الجيوش لاستئصال الإسلام ، فإنه لا قبل لنا بهرقل وجنوده ، وعليك بالحوار والنقاش البنّاء ، عليك بحوار الشجعان ، وجهاد البيان لا السنان !!

يا رسول الله لا تُنفذ بعث أسامة ، يا خليفة رسول الله لا تنفذ بعث أسامة ، لا تستعدِ علينا الروم !! لا قِبَل لنا بالروم . . أين نحن وأين الروم ؟!!

يا خليفة رسول الله : وماذا لو ارتدّت العرب ؟!! ابق في المدينة ولا تخرج لهم وادعهم إلى الإسلام بالرفق واللين فنحن ضعفاء ، وماذا لو تركوا دفع الزكاة ، ما زالوا يُصلّون !!

يا خليفة رسول الله : لا تقاتل القوى العالمية الكبرى ، فلا قِبَل للمسلمين بهم، وعليك بدعوتهم بالندوات والمحاضرات والبيانات والنقاشات والحوارات عبر الوسائل الإعلامية المُتاحة !! .

الجواب :

ونحن نسألكم : متى بدأ النبي ﷺ يغير على قوافل قريش ، ويبعث السرايا والجيوش ، ويغزو قبائل العرب ، ويخرج لغزو الروم ؟! إنه لم يفعل ذلك إلا بعد أن قويت شوكة المسلمين وكثر عددهم ، وصارت لهم دولة تؤويهم وتحميهم .

ألم يمكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة ممنوعاً من قتال كفار قريش ، مأموراً بالصبر والصفح وكف اليد ، حتى إذا هاجر إلى المدينة ، وصارت له قوة ومنعة وشوكة أُمر بالجهاد والنفير لقتال الأعداء .

لقد أخذ النبي ﷺ بجهاد اللسان والبنان قبل السيف والسنان ، وجاهد بالقرآن وحاور وراسل وكاتب ، فمن فعل فِعله فقد اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، ولا يصح أن يقال من أخذ بهذا إنه خوار جبان .

ثم ما تبلغ هذه التفجيرات في بلاد المسلمين - والتي يقتل فيها عشرات من الكفار المدنيين - من النكاية بالأعداء والإثخان فيهم ؟!

لا نشك أن هذه الأعمال تمنح الأعداء الذريعة بالمجان ، للتدخل في شؤون البلاد الداخلية وتحقيق بعض مآربهم .

إن هذه الأعمال ظاهِرة المفسدة ، عديمة المصلحة ، حتى ظن بعض الأخيار أنها من تدبير الاستخبارات الصهيونية والأمريكية ، وليست من عمل المسلمين .

ما منا من أحد إلا وهو يفرح بالنكاية في الأعداء والإثخان فيهم وقتلهم ، ولكن حيث يكون العمل مشروعاً ظاهر المصلحة ، ينفع المسلمين ولا يضرهم .

وقد ذكر العز بن عبد السلام في « قواعد الأحكام » (٩٥) : «أن أي قتال للكفار لا يتحقق به نكاية بالعدو فإنه يجب تركه ، لأن المخاطرة بالنفوس إنما جازت لما فيها من مصلحة إعزاز الدين ، والنكاية بالمشركين ، فإذا لم يحصل ذلك وجب ترك القتال لما فيه من فوات النفوس وشفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام ،

وبذا صار مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة» . انتهى مختصراً .

وليت هؤلاء فعلوا فعلتهم هذه في المعسكرات اليهودية في فلسطين أو في الثكنات العسكرية الصليبية في العراق ، لكان فعلاً مشروعاً لا يجد أحدٌ مدخلاً لإنكاره وتخطئة فاعله ، فهو جهاد في سبيل الله ، وقتال للمحتل الغاشم ، ودفاع عن بلاد المسلمين .

السؤال السابع :

لو اقتصرتم على إبداء وجهة النظر في تقدير المفسدة المترتبة على هذه الأعمال، لكان أخير من الحكم عليها شرعاً بالتحريم ، وأمر هذه العمليات لا يخرج عن الإطار الذي تشكل ملامحه النقاط السابقة المذكورة ، لكنكم حرَّمتم وجرَّمتم ولم يقتصر الحديث عن المصالح والمفاسد ، علماً أن تقدير المصالح أمر نسبي ، وفي ظل عدم وجود حكومة مسلمة معتبرة تتولى الفصل في هذه المسائل ، فإن كلاً سيبقى يغني على ليلاه .

فإن صدق أن من قام بتلك العمليات من المجاهدين ، فإن المجاهدين يعتبرون أمريكا مستهدفة في كل مكان ، ولا يقسمون السياسات الأمريكية وفق مصالح الحكومات ونظرة مشايخنا – غفر الله لهم – ، كما أن المجاهدين لا يعتدون بتحالفات الحكومات مع أمريكا المحاربة للإسلام والمسلمين ، وينظرون لتلك الحكومات على أنها معطلة لأحكام الشريعة .

الجواب :

الذي ندين الله به ، ونرى أنه لا يسعنا السكوت عنه هو إنكار هذه التفجيرات في بلاد الإسلام ، فهو منكر عظيم ، فيه سفك للدماء البريئة ، وترويع للآمنين وإفساد في الأرض ، لذا يجب إنكاره والبراءة منه كما هو الواجب في سائر المنكرات ، وتخطِئة فاعله ، فالمنكرات التي يجب على المسلم إنكارُها ليست مختصةً بالفواحش ، وتضييع الفرائض ، وأكل المال الحرام ، ونحو ذلك مما هو

من قبيل التفريط في التدين ، ولكنه يطال أيضاً مظاهر الإفراط ، كالغلو والعنف التي هي أشد فتكاً وأعظم خطراً .

فالمسألة ليست مجرد موازنةٍ بين المصالح والمفاسد ، حتى يقول لنا أحد : إنه يسعكم أن تسكتوا ولا تُثرِّبوا ، وتَعذروا ولا تُدينوا !

ومع ذلك فنحن لا نُكَفر من فعلها لمجرد فعلها ، ولا ننهى ولا نتورع من الترحم عليه والاستغفار له والصلاة عليه .

إن التفريق بين النظر المصلحي والحكم بالحرمة والقول بأن التقدير للمصالح نسبي ، وأنه لا جهة مسؤولة عن تقدير هذه المصلحة ، بل كل يجتهد ويقدر ما يشاء ، فهذا أمر لا يصدر عن فقه للاعتبارات الآتية :

الأول : أن أهل العلم قد نصوا على حالات يحرم فيها القتال ، وذلك إذا أدى إلى ضرر بليغ بالمسلمين ، ومعلوم أن تقدير هذا الضرر نتاج النظر المصلحي .

الثاني : أن هؤلاء النافين للربط بين النظر المصلحي والتحريم هم يربطون بالفعل بين النظر المصلحي والوجوب ، فيوجبون مثل هذه التصرفات بناء على ما ارتأوه من المصلحة ، فكيف تكون المصلحة موجِبة للفعل ، ولا تكون المفسدة محرِّمة لفعل آخر ؟! .

الثالث : أن كون المصلحة من الأمور النسبية لا يعني عدم حاجتها للضوابط الشرعية ، فإن الاجتهاد الشرعي من الأمور النسبية ، ومع ذلك لم يجُز لكل أحد أن يجتهد حتى يستكمل الأدوات التي نص عليها أهل العلم ، ومن المعلوم أن أمور السياسة الشرعية العامة أحوج إلى هذا الضبط من الأمور الفقهية الخاصة ، فإنها تحتاج مع العلم إلى معرفة بواقع الناس ، وتجربة واسعة وحسن تقدير للأمور وتشاور بين أهل الاختصاص .

من المقرر لدى أهل العلم أنه يجب الرجوع حين التنازع إلى الكتاب والسنة

من خلال أهل الاجتهاد والنظر ، ولا يكاد ينازع أهل العلم والنظر في مفسدة ما حدث من هذه التفجيرات .

السؤال الثامن :

إذا كانت إدانة هذه التفجيرات لأنها نقض لأمان ولي الأمر لمن استأمنه من هؤلاء الكفار المستهدفين ، وبالتالي فهو خلل في الالتزام بالبيعة في أعناقنا لولي الأمر ، فنحن ليس في أعناقنا بيعة لولي الأمر ، حيث لم يبايعه أي واحد منا ، وعلى فرض أن في أعناقنا بيعة ، فأين العهد والأمان اللذين أعطاهما ولي الأمر لهؤلاء الكفار من يهود ونصارى ؟

أجاب على هذا السؤال : معالي الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع فنسوق جوابه بنصه :

الجواب :

أما ما يتعلق بالبيعة فأهل الحل والعقد في البلاد من علماء ووجهاء وأعيان قد بايعوا ولي الأمر بالأصالة عن أنفسهم وبالنيابة عن القوم من رجال ونساء ، كما كان الشأن في ذلك حينما قام المُقدمون في قومهم عن عموم المسلمين في مبايعة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم من جاء بعدهم من ملوك المسلمين ، فلم تكن المبايعة من العموم فرداً فرداً من ذكور وإناث ، وإنما كانت مبايعة المقدمين منهم من أهل الحل والعقد مبايعة عامة عن جميع المسلمين في تلك البلاد ، ولم يقل أحد من علماء المسلمين كافة أن مبايعة ولي الأمر عينية على كل مكلف من ذكر أو أنثى ، بل هي فرض كفاية إذا قام بها البعض من أهل الحل والعقد صار ذلك القيام عن الباقين ، ولزمت البيعة الجميع .

أما التساؤل عن العهد المعطى لهؤلاء الكفار في بلادنا من قبل ولي الأمر ، فهو التأشيرة التي لا يدخل الأجنبي البلاد إلا بحصوله عليها ، وهي تعني عقداً يقتضي العهد والأمان لحاملها من حيث حمايته وحماية حقوقه حتى يبلغ مأمنه ، كما تعني رعاية

هذا الأجنبي لتعليمات وتنظيمات البلاد ورعايته لأعرافها وتقاليدها وحقوقها ، فالتأشيرة عقد بين حاملها ومُصدرها تعني الحقوق والواجبات ، والله سبحانه يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، وقال تعالى : ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾.

والنصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الحض والتأكيد على الوفاء بالعقود والعهود متضافرة في ذلك ، والله المستعان .

وبعد

فإن القضايا التي تتعلق بمصالح الأمة وتتصل بمصيرها لا يصلح أن ينفرد أحدٌ فيها برأي يفتات فيه على الأمة وعلمائها غير مكترث بأقدارهم وآرائهم ، والواجب في مسائل كهذه المسألة أن يُستشار فيها أهل العلم والرأي ، فلا يُصدَرُ فيها إلا عن اجتهادٍ جماعي تتكامل فيه شروط الاجتهاد ، وتستتم فيها النظرة الصائبة ، فيعصمها من غائلة الرأي الفردي الذي كثيراً ما يعتوره قصور النظر والهوى وسوء التقدير ، وقد كُتب على الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة .

ولا بد أن تكون أفعالنا مضبوطة بضوابط الشرع ، مستنةً بسنة النبي ﷺ في المنشط والمكره ، وفي اليسر والعسر ، فمهما بدت الحوادث التي تعصف بالأمة مؤلمةً شديدةَ الوقع في النفوس ، فإن ذلك لا يعفينا من ضرورة الصدور عن الدليل الشرعي والتزام قيمنا ومبادئنا ، والتقيد بضوابط الشرع في التعامل مع الكفار على اختلاف الأحوال .

وإذا كنا نتنادى بضرورة تحكيم الشريعة ، فإن أول ما يتقاضانا هذا الواجب أن نحكِّم الشريعة في أنفسنا وأعمالنا ، فمن المقرر لدى كل مؤمن أن تحكيم الشريعة ليس متوجّهاً للأنظمة والحكومات فحسب ، بل يجب أن تكون شريعة الرحمن هي المهيمنة على الحياة كلها ، حياة الأفراد والمجتمعات ، وفي التعامل مع الأحبة والأعداء .

وإذا كان واجب على الشباب أن يصدروا عن علماء الأمة فيما يحتسبونه عند

الله من مسائل الجهاد وغيره ، فإن على العلماء أن يوسعوا لهم صدورهم ومجالسهم ، وأن يتلقّفوهم بأيدٍ حانية تذللهم للحق ، وتصرِّف عاطفتهم الصادقة على ما يحب المولى ويرضاه .

وختاماً للخاتمة فإن القول في هذه المسائل خطير ، والخطأ فيها قد يكون باب هلكة ، ولذا فإن علينا بذل الجهد في البحث ، وجمع النصوص والأقوال مكتملة غير منقوصة ، ومراجعة العلماء ومباحثتهم ، وقبل ذلك وبعده اللياذ بالله – عز وجل – وصدق اللجأ إليه ، ودعائه والضراعة إليه أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يهدينا فيمن هدى ، وأن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، وأن يهدينا للتي هي أقوم ، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، وأن نتذكَّر وَصاة النبي ﷺ لحبيبه وقريبه وصهره علي رضي الله عنه أن يكثر من قول (اللهم اهدني وسددني) ، وأن نتذكَّر بالهداية هداية الطريق وبالسداد سداد السهم ، فنكثر من هذا الدعاء النبوي العظيم اللهم اهدنا وسددنا .

والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

تعقيبات وتعليقات

تعقيب معالي الشيخ : عبد الله بن سليمان المنيع

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين ، محمد بن عبد الله ، سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بحسن قدوة إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد اطلعت على « أسئلة جريئة وأجوبة صريحة » المراد وضعه في موقع (الإسلام اليوم) ، والصادر من مجموعة من إخواننا ذوي الفكر المستنير ، والغيرة على عقيدتنا ومصالح بلادنا وأهلها وولاة أمورهم ، ومن ذوي التحصيل العلمي ، والبعد النظري ، والبصيرة في أسلوب الجدل وسلامة المنطق .

لقد قرأت هذه الأسئلة الجريئة والإجابة عنها ، وجرى مني الربط بينها وبين

آثار الانحراف العقدي الموصل إلى الغلو وضيق العطن المنتج هذه التفجيرات ، والتخطيط لتفجيرات أخرى في أماكن متعددة ، ومنها مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فحمدت الله تعالى أن جعل في موقع (الإسلام اليوم) علماء يقارعون الحجة بالحجة الدامغة ، والبيان بالبيان الأجلى ، وعلى مسلك الدعوة الهادئة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ ، وبالبصيرة التي هي مسلك رسول الله ﷺ ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾.

ولا شك أن السبيل لمناظرة ومجادلة من حاول تأييد تصرفه بنصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو النظر في هذه النصوص ، ومدى وجاهة تطبيقها على التصرف ، وهذا ما جاء في الإجابة عن هذه الأسئلة التي يصدق عليها أنها شُبه وتمويه وتضليل وجهل أو تجاهل في التطبيق ، فقد كشفت الإجابة عن هذه الشبه مدى الجهل والضلال في النظر أو الظن أو الاعتقاد ، وأن الأمر في هؤلاء الغالين في الاعتقاد ، ثم الإقدام على الفساد والإفساد ، ومحاربة الله ورسوله بمحاربة مصالح المسلمين ، والعمل على زعزعة وزلزلة الأمن والاستقرار في بلاد تعتبر أكثر البلدان الإسلامية تميزاً في التعلق والتمسك بمقتضيات الدين ومتطلباته ، أن الأمر في هؤلاء يجعلهم مقصودين بقول الشاعر :

ما هكذا يا سعد تورد الإبل   وعلِمت شيئاً وغابت عنك أشياء

فشكر الله للقائمين على موقع (الإسلام اليوم) جهدهم المبذول ، وجعل عملهم خالصاً لوجهه الكريم والله من وراء القصد .

عبد الله بن سليمان المنيع

عضو هيئة كبار العلماء.

تعقيب سماحة الشيخ : عبد الله بن جبرين

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد :

فبعد قراءة هذه الشبهات والجواب عنها تبين لي أن الجواب صواب ، وأن الذين ذكروا الشبهات أخطؤوا مع اجتهادهم ، وليس كل مجتهد بمصيب ، فقد حصل بهذه التفجيرات ضرر كبير على الأبرياء والأخيار ، وتضييق على الصالحين، واتهام الكثير بالاشتراك في هذه العمليات ، فنبرأ إلى الله من هذه العمليات القديمة والحديثة ، والله الموفق ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

د . عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

تعقيب فضيلة الشيخ : عبد العزيز الراجحي

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته، واهتدى بهداه ، وبعد :

فقد اطلعت على أجوبة مجموعة من المشايخ في خلاصة جامعة على أسئلة وشبه حول تفجيرات الرياض ساهم فيها موقع (الإسلام اليوم) بكشف هذه الشبه وحل هذه الإشكاليات ، مشاركة في الدلالة على الخير ، فألفيت إجابة المشايخ على الأسئلة إجابات سديدة موفقة – إن شاء الله – ، وليس لي عليها سوى ملحوظات طفيفة وهي :

١) جاء في ص (٨) [1] السطر الأول قول : «وربما لا يرضون بسياسة دولتهم، ولا معاملتها للمسلمين ، فلا ينبغي أن يحملوا أوزار غيرهم . . إلخ ، أقول : الذي يظهر لي أنه لا أثر لرضاهم بسياسة دولتهم ومعاملتها للمسلمين أو عدم رضاهم ما داموا معاهدين .

(١) أي من البحث موضوع الأسئلة والإجابات عليها.

٢) من الملحوظات الهامة أنني لا أرى ولا أوافق من يرى أن التفجيرات التي يفجر الإنسان فيها نفسه بين الكفار في فلسطين أو في الشيشان أو في أفغانستان أنها عملية استشهادية بل هي عملية انتحارية لما يأتي :

أنها قتل للنفس ، وهي داخلة في عموم النصوص التي تدل على تحريم قتل النفس ، وأنه من كبائر الذنوب ، وأدلتها كثيرة معروفة ، ولا يقاس هذا على انغماس المسلم في صفوف الكفار عند التحام القتال الذي ورد في حديث أبي أيوب - رضي الله عنه - ، لأنه قياس مع الفارق لأمرين :

- أحدهما : أن الذي يدخل في الكفار لا يقتل نفسه ، بل يقتله الكفار ، وقد يدخل فيهم ويثخن فيهم بالجراح والقتل ثم يخرج سالماً .
- الثاني : أن دخوله في الكفار إنما يكون وقت القتال ، بخلاف الذي يفجر نفسه ، فإنه يفجر نفسه بين قوم آمنين وفي غير وقت القتال .

ويدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين أن عامر بن الأكوع لما تبارز مع اليهودي ارتدّ إليه ذباب سيفه[1] فأصاب عين ركبته فمات ، فتكلم بعض الصحابة وقالوا إنه بَطلَ[2] جهاده مع رسول الله ﷺ ، فحزن أخوه سلمة بن الأكوع ، فأتى إليه النبي ﷺ فوجده حزيناً فسأله ، فقال : إنهم يقولون أن جهاد عامر بَطلْ ، فقال النبي ﷺ : «كذب من قال ذلك ، إن له أجرين ، وجمع بين أصبعيه ، إنه لجاهدٌ مجاهد ، قلَّ عربيٌّ مشى بها مثله» .

ووجه الدلالة : أنه إذا كان بعض الصحابة أشكل عليهم هذا الأمر وظنوا أنه بطل جهاد عامر لكونه مات بسبب سيفه بدون اختياره ، فكيف بمن يفجر نفسه ، ويقتل نفسه باختياره .

وهذا الذي يظهر لي من أن تفجير الإنسان نفسه محرم لا يجوز ، وهو من قتل

(١) ذباب السيف هو حد طرفيه . « المعجم الوسيط » .

(٢) أي ذهب عليه ثوابه ، فصار كأن لم يكن جاهد .

النفس ، وقد سئلت عنه قبل سنتين في الدورة العلمية ، ونشر في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ، وتكرر السؤال أيضاً في الدروس وأجبت بهذا الجواب ، وهو الذي كان يفتي به سماحة شيخنا الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله وجمعنا معه في دار كرامته .

هذا وأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد ، وصلاح النية والعمل ، والثبات على دين الإسلام حتى الممات ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي .

تعقيب فضيلة الشيخ الدكتور/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد اطلعت على الأسئلة الواردة إلى موقع (الإسلام اليوم) حول التفجيرات التي حصلت في الرياض وجواب الإخوة المشايخ عليها ، وهي خطوة جيدة في التحاور الجاد مع الأفكار ، ومحاولة الوصول إلى أصولها ومناقشة منطلقاتها ، وما دمنا نحتكم إلى الوحيين بعيداً عن الهوى وحظوظ النفس فلن نضل ولن نشقى .

وهؤلاء الشباب أمانة في أعناق الجميع ، والصراحة والصدق معهم واجب على كل من يريد وجه الله ، ويحرص على قطع الطريق على من يتربص بالدين وأهله ، ويشوه سمعة الإسلام ويستر محاسنه ، من الكفار والمنافقين وأوليائهم .

إن مراعاة المصالح والمفاسد من أهم ما يجب على الدعاة والمربين نشره وتأصيله في منهج الدعوة إلى الله والعمل لنصر دينه ، بناء على القاعدة العظيمة التي ذكرها الله في كتابه كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، وانتهجها النبي ﷺ في سيرته الزكية ، ومن ذلك

إبقاؤه بناء الكعبة على قواعد الجاهليين بدلاً من نقضها وبنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام، ومثل تركه قتل المنافقين الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة: ٦٦]، وقوله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ [التوبة: ٧٤]، وكان مما هموا به ارتكاب أكبر جريمة في الدنيا وهي اغتياله ﷺ، وهؤلاء وغيرهم من المنافقين لم يجرِ عليه من أحكام الكفر شيئاً، بل عاشوا وماتوا مشمولين بأحكام أهل القبلة ظاهراً، بل إنه ﷺ لم يفضحهم عند الأمة بأعيانهم فخص حذيفة رضي الله عنه بأسمائهم، دون أن يتعارض ذلك مع استمراره ﷺ في جهادهم بالحجة والموعظة، والتحذير منهم والإعراض عنهم وغير ذلك.

وإن مخالفة سنته واتخاذ غيره أسوة لا يورث إلا الفتنة أو العذاب: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، وهذا إبراهيم عليه السلام الذي أوحى الله تعالى إلى سيد الخلق أجمعين باتباع ملته، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣]، تعلَّل بأنه سقيم، ولم يقل إني لن أخرج معكم لأنني أريد أن أخلفكم في أصنامكم بما تكرهون، وحين سأله قومه لم يقر بأنه الذي حطم الأصنام، بل أوقع أعداءه في الإيهام فقال: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ ، هذا وهو إمام الموحدين وهو القدوة في البراءة من المشركين، وقد خاطب أباه بألين خطاب وألطفه كما في سورة مريم، ولما يئس منه وعد بالاستغفار له حتى نهاه ربه، فظهر بهذا أن تحقيق الولاء والبراء لا يتعارض مع الحكمة والفطنة والمداراة ومعاملة الناس بالخلق الحسن.

كما أن السياسة الشرعية من أعظم أنواع الحكمة التي يهبها الله لأوليائه وجنده قبل أن يمكن لهم في الأرض وبعده، فهذا رسول الله ﷺ يهادن قبائل اليهود، ويصالح قريشاً، وينصرف عن ثقيف، ويستميل زعماء غطفان وغيرها بالعطاء، وكان إذا أراد أن يغزو قوماً ورّى بغيرهم، وإذا عاداه قوم حرص على مصالحة الآخرين ليتفرغ لهم، وإذا حالفته قبيلة – مثل خزاعة – وهب مشركها لمسلمها

ولم يستعدِه، إذ لو فعل فربما خسر القبيلة كلها، وكان ﷺ يفرق بين من نصره وحماه من المشركين، وبين من عاداه وآذاه وآذى أصحابه، كما أن المشركين كان منهم من تقاسموا على الكفر، وعلقوا صحيفة الجور والحصار في الشعب، ومنهم من أنكرها ومزّقها.

إنه لمن المؤسف أن تغيب هذه الحقائق عن بعض إخواننا الدعاة وطلبة العلم، أو يستجرهم حماس بعض الشباب إلى إهماله، فنجدهم يستسلمون لأمواج الأحداث، ويدفعون بأنفسهم إلى موقع التهمة المباشرة في كل حادث، ويظهرون خلجات صدورهم على الأوراق، ولا يميزن بين ثبات مبدأ العداوة في الدين، وبين سعة أساليب التعامل مع المخالفين، مع صراحة النصوص في أن المخالفين لنا في الدين ليسوا على حكم واحد، بل منهم المحارب المعتدي، ومنهم المسالم العادل، ومنهم النائي بداره عنا فلا تربطنا به علاقة حرب ولا سلم، بل منهم من تقتضي المصلحة أن نتركه ما تركنا ولا نهيجه علينا، وقد جاء هذا الأخير منصوصاً عليه وهو مذهب بعض فقهاء الأمة[1]، هذا عدا من يربطه بالمسلمين عهد ذمة أو صلح أو هدنة أو أمان، والأمة الواحدة أو القبيلة الواحدة، يكون فيها نوعان من هؤلاء أو أكثر، والتفريق بينهم في التعامل ثابت بصريح القرآن،

(١) في مذهب الإمام مالك أنه لا يجوز ابتداء الحبشة والترك بالحرب عملاً بحديث: (اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة). قال مالك: (لم يزل الناس يتحاشون غزوهم). وهذا واضح في تاريخ الفتوحات الإسلامية، فقد امتدت شرقاً وغرباً إلى أقصى الأرض، ولم يحاول المسلمون فتح الحبشة مع قُربها، ومعرفتهم بأحوالها، فلا يبعد أن يكون ذلك مقرراً لديهم. ومعلوم احتجاج الإمام مالك بعمل أهل المدينة، والحديث المذكور متفق على آخره، وهو قوله: (يستخرج كنز الكعبة ذو السويقتين من الحبشة)، وبتمامه رواه الإمام أحمد (٥/ ٣٧١) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا موسى بن جبير وهو ثقة. وهذا غير مسلم (انظر التهذيب)، والاستدلال بالمتفق عليه كاف في توجيه القول بترك إهاجتهم.
وأما حديث النهي عن قتال الترك فمن رواية ابن لهيعة (انظر « مجمع الزوائد » (٥/ ٣٠٣ - ٤١٣)، وتفصيل الكلام عن الروايات ليس هذا مقامه، لكن الثابت تاريخيا أن إهاجة المغول على المسلمين بقتل رسل جنكيز خان فتحت على المسلمين شراً وبيلاً.

وصحيح السنة ، وسيرة الخلفاء الراشدين ، وإجماع العلماء .

إنني أذكر المشايخ الأفاضل جميعاً بأن العلماء يجب أن يقودوا لا أن يقادوا ، وبأن الشجاعة في مواجهة الحماس غير المحسوب لا تقِل أهمية عن الشجاعة في مواجهة العدوان ، وأن الصدع بالحق لا يقتصر على مخاطبة الحكام بل يشمل مخاطبة الجماهير والأتباع كذلك .

وإن اتهاماً يوجه إليك أيها الشيخ أو الداعية بأنك مخذِّل أو متخاذل – مع درء فتنة عظيمة عن الأمة والدعوة – خير لك وللإسلام من أن يكال لك الثناء ثم تلقى الله وفي عنقك أنفس مسلمة معصومة ، وأموال مسلمة معصومة ، أو أسرى من المسلمين بِيد العدو أخذهم غنيمة باردة ، وذرائع لأهل الكفر يتسلطون بها على أهل الإسلام ، وأسباب لأهل النفاق يحاربون بها الدعوة ، ولا شيء يقابل هذا إلا موت عدد من الناس قد يموتون في حادث سيارة ، وقد يكونون ضد حكومتهم في عدوانها ، بل قد يكون فيهم مسلمون كما رأينا في تفجيرات الرياض ، فلو كان قتلهم جائزاً من كل الوجوه لكانت النتيجة خاسرة بميزان المصلحة والمفسدة .

إخواني :

إنه يجب إعادة النظر في مفهوم النصر والهزيمة ، والربح والخسارة ، وفقاً لطبيعة المرحلة وأهداف الدعوة على منهاج النبوة ، وقد مر المسلمون في أول الإسلام بثلاث مراحل ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال : «كانوا قبل بدر يسمعون الأذى الظاهر ويؤمرون بالصبر عليه ، وبعد بدر يؤذون في السر من جهة المنافقين وغيرهم فيؤمرون بالصبر عليه ، وفي تبوك أمروا بالإغلاظ للكفار والمنافقين ، فلم يتمكن بعدها كافر ومنافق من أذاهم في مجلس خاص ولا عام»[1] ، وإذا قمنا في كل مرحلة بواجب الوقت ، وراعينا واجب المكان أيضاً فذاك مقتضى الحكمة والمصلحة الدينية ، فمثلاً قبل أيام من وقوع التفجيرات

(١) «الصارم المسلول» ، ص ٢٢٧ ، ط : المكتب الإسلامي) .

الأخيرة حدث في السفارة الأمريكية في الرياض حادث كان مصلحة للدين ، ونصراً للمؤمنين ، وغيظاً لليمين المتطرف والأصوليين الإنجيليين ، وكان بطل هذا الفتح هو الداعية الإسلامي (ذاكر نايق) الذي ألقى محاضرة عن الإسلام هزت قلوب الحاضرين وأسلم بعدها إثنان من الموظفين حالاً ، وهنا نسأل : أليس الأجدر بالدعاة إلى الله أن يقتحموا ميدان الدعوة لفتح القلوب وأن لا يخلطوا بين ميادين الجهاد هناك على الثغور ، وبين ميادين الدعوة هنا في الرياض ؟ وأن يقاوموا العدوان متساندين لا متخالفين ، وبذلك تتوازى أعمال الأمة ولا تتعارض ، ويلقى المعتدون المحتلون جزاءهم العادل ، وفي الوقت نفسه يجد المنصفون منهم والراغبون في الخير طريقهم إلى الإسلام ، ويرون تقديرنا لرفضهم العدوان ، عملاً بما أخبرنا به ربنا وما نراه بأعيننا من أنهم ليسو سواءً ، وقد اعتقلت حكومتهم الطاغية أكثر من ألف منهم في يوم واحد بسبب رفضهم العدوان علينا ، واحتجاجهم على ذلك بإقامة الحواجز على الطرق الرئيسية! ومن جهة مراعاة واجب المكان نقول : هذه الحملة الظالمة التي قامت على الإسلام بسبب الحادث في أمريكا وغيرها ، وهذه الضجة من الاستنكار له في العالم الإسلامي عامة ، وهذه البلاد خاصة ، هل كانتا ستقعان لو وقع هذا الهجوم على قاعدة أمريكية في أفغانستان أو العراق ؟

إذا كنا متفقين على الجواب بالنفي ، فلماذا لا نتفق على وضع كل شيء في موضعه الصحيح ؟ إن حجم الاستنكار هنا في الداخل فاق كل التصورات ، ولو قال قائل إنه إجماع لصدق ، وهذا أمر عادي بل مطلوب ، ولكن له جانب سيئ هو أن مثل هذه التفجيرات التي تقع هنا وهناك من بلاد الإسلام تلحق ضرراً مباشراً بالمجاهدين المرابطين على الثغور ، وبقضاياهم العادلة ، وحقهم المشروع في مقاومة المحتلين ، وهم أكثر الناس معرفة بحجم الضرر أو هكذا ينبغي أن يكونوا، فالقول قولهم لا قول الأدعياء الذين لا يُعرف من هم! ومن هنا أدعو الإخوة المشايخ إلى مراجعة موقفهم ومصارحة الشباب بذلك ، كما أدعو الإخوة المجاهدين جميعاً إلى استنكار هذه الأعمال ، ودعوة الأمة إلى توحيد صفها

لنصرتهم وتسديدهم ، وأدعوهم إلى توجيه الشباب من أتباعهم إلى ترك هذه الأعمال ولا سيما في دار الإسلام ، وتوجيه جهودهم إلى جبهات القتال ، وثغور الرباط وحدها ، والحرص على كسب تأييد الشعوب ، وقبل نشر هذه السطور اطلعت على إعلان إخواننا المجاهدين في الأرض المقدسة واستنكارهم لما حدث فنعم ما فعلوا ، كما أن استنكار جماعة الجهاد المصرية له مما يجدر بالشكر والتقدير .

إن أمن بلاد الحرمين أمن لكل مسلم من ساكن ومقيم وحاج ومعتمر ، وهو أمن للدعوة وللجهاد في كل مكان ، وهذا أصل عظيم يجب أن يكون نصب أعين كل عالم وداعية ومجاهد من المسلمين في أرجاء الأرض كلها ، ولنكن جميعاً يداً واحدة في الضرب على يد من يريد مسخ عقيدة الأمة وتبديل شريعتها وتشويه مناهجها ، وإفساد أبنائها وبناتها ويحارب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها كائناً من كان . فهؤلاء هم الذين يريدون أن يخرقوا السفينة ، ويُهدم الحصن الأخير للإسلام ، وليس العدو هو حامل السلاح علينا فقط ، بل هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ، وجهادهم نوع آخر مطلوب كجهاد أولئك ، لكن بغير وسائله قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:٧٣] ، وما يسعون إليه هو أكبر من كل تفجير وأعظم من كل تدمير قال تعالى : ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ ، وللحديث عن هؤلاء مقامه الذي لا تحتمله هذه الذكرى .

إن من يتأمل حالنا مع الله ، وموقعنا من الاعتصام بحبله والتمسك بهديه ، لا يعجب من وقوع البلاء ، بل يعجب من سعة رحمة الله وفضله علينا وعفوه عن كثير مما كسبت أيدينا ، فالابتعاد عن هدي الله وشريعته يتزايد ، والمنكرات تتكاثر ، والغفلة تستحكم ، والاغترار بمتاع الدنيا يسلب الألباب ، والركون إلى الظالمين وموالاة الكافرين يجاهر بهما الناعقون ، وقائلوا كلمة الحق والناصحون المشفقون الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر تسكتهم قوة الباطل ، وتأكل

لحومهم وسائل الإعلام ، ودعاة الشرك والبدعة يرفعون رؤوسهم بلا حياء ولا وجل[1] ، وبعض المحسوبين على الدعوة أعرضوا عن قول الله تعالى : ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، وأمثالهم من الآيات ، وقوله ﷺ : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» ، وأمثالها من الأحاديث ، واشتغلوا بالثلب والتجريح لمن يخالف رأيهم من العلماء والدعاة والخطباء ، يلتمسون لهم العيوب ، ويتصيدونها بأبعد التأويلات ، ويطعنون في سرائر القلوب والنيات ، ويطمسون المزايا والحسنات ، ويستخفون بهذا من الناس ولا يستخفون من الله ، وأمة هذا حالها جديرة بأن يلبسها الله شيعاً ، ويذيق بعضها بأس بعض ، ويسلط عليها عدواً من سوى أنفسها . نسأل الله تعالى أن يتوب علينا جميعاً ، وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، إنه جواد كريم .

(١) صدق حفظه الله ، ومن تأمل واقع بعض البلاد الآن كسوريا وتركيا ومصر والسودان وغيرها وجد هذا واقعا مرا ، فعبادة الأضرحة محروسة بقوة السلطان ، وبدع الصوفية – لا سيما بدعة المولد – تقام في أزمانها وأمكنتها بحضور بعض المشايخ والمسؤولين ، وفعل المنكر والدعوة إليه حرية شخصية ليس لناصح أن يعترض عليها باعتزاز ، ومن قرأ كتابات بعض العلماء ممن عاشوا في بعض البلدان خارج الجزيرة العربية شعر بواقع الغربة الذي كانوا يقاسونه ، انظر ما كتبه الشيخ صديق حسن خان القنوجي في كتابه « رحلة الصديق إلى البيت العتيق » ، وبعض كتابات الشيخ الألباني لما كان في الشام ، وغيرهم من المشايخ رحم الله أمواتهم وحفظ أحيائهم. على السنة وثبتهم ، وحفظ علينا نعمة التوحيد والسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخُفوت كلمة أهل البدع في بلادنا ، آمين . الناشر

الفصل الرابع

ظلام من الغرب

الكثير يسأل من وراء هذه الأحداث ؟ من الذى يساعد فى خلق الأزمة ويعمل على صناعتها ؟ من الذى يرعى الفتنة وينفخ فيها ؟ من الذى ينشر الظلام فى بلادنا؟ لقد حذر الإسلام من الفتنة ولعن من أيقظها ، وحتى لاتطول بنا الحيرة ولا نتمادى فى التحليلات والافتراضات والتخمين فقد قصر علينا أصحاب الشأن الطريق ، لقد وضعوا أيدينا على السبب ، وأوقفونا على العلة ، من وراء صناعة الأزمات بعالمنا الإسلامى ، من الذى يحرض الشعوب على حكوماتها ، ويغرى الناس بعضهم ببعض ، ولقد وقفت على فصل فى كتاب « فصول عن السياسة الشرعية » لعبد الرحمن عبد الخالق والصادر عام ١٩٨٣ بالكويت ، وها أنا أنقل بعضا مما ورد فى هذا الفصل ، نتعرف به على الحقيقة ، ونضع أيدينا على مثيرى الفتن ، وصانعى القلاقل فى بلادنا ، ونرصد دعاة الظلام وهم يخططون ويدبرون، ويمكرون ويتآمرون ، وينفخون فى النار لايطفؤون .

وكان مما قاله عبد الرحمن عبد الخالق فى فصوله : -

« بعد قيام الثورة الإيرانية واستلامها الحكم فى إيران ظن بعض الذين لايقرؤون خلفيات الأحداث .....أن الثورة الإيرانية إسلامية التوجه ، وأنها الحليف الطبيعى لهم ضد الأنظمة التى لاتحكم بالإسلام ، وأن الوقت قد حان لتفجير العالم الإسلامى من داخلة ، وإقامة الخلافة الإسلامية ...وقامت من أجل ذلك حركات وانتفاضات فى كل بلد عربى تقريبا ، وخاصة فى مصر والسعودية وتونس وسوريا ، .وابتدأت عناصر إيرانية من الذين هيأتهم إيران لما يسمونه بتصدير الثورة تتصل بالعناصر العربية المستعدة والمتهيأة لهذا التفجير ، وابتدأت ليبيا وسوريا وإيران تشكل حلفا واحدا لتفجير العالم الإسلامى ، وسارع مستشرقون وعملاء لروسيا وأمريكا وإسرائيل يعقدون ندوات ، ويدعون لها شخصيات إسلامية مرموقة ، لمناقشة مستقبل الإسلام ... المهم أنه مابين سنة ١٩٨٠ - ١٩٨٢م عقدت عدة مؤتمرات سرية وعلنية كلها تستهدف كيفية تفجير الثورة الإسلامية العالمية ، .وللأسف أن الذى تزعم ذلك هو الحكم فى سوريا

وليبيا وإيران .

ففى شهر ديسمبر ١٩٨١ م نشرت مجلة «الأوبزرفر البريطانية» مقالا جاء فيه :

(طار إلى لندن فى نهاية الأسبوع الماضى ممثلو الحركات الإسلامية المعارضة فى عدة بلدان ، لعقد مؤتمر سرى مدته ثلاثة أيام ، يعتقد بأنه أول مؤتمر من نوعه يعقد على هذا المستوى .

ويشير المؤتمر إلى تطور فى الانبعاث الذى يجتاح العالم الإسلامى ، وذهب ممثلون إلى لندن لإعطاء إطار عام تنظيمى ، وإستراتيجية مشتركة إلى الحركة الكبيرة الواسعة النطاق للنشاط الإسلامى .

ورغم الجهود التى بذلت لإبقاء المؤتمر سريا فإن من المعروف أنه ضم قادة جماعات وأحزاب معارضة إسلامية من غرب إفريقيا إلى الفلبين ، ومن أفغانستان إلى تونس ، ومن تلك البلدان حيث الحركات السرية أنشط مثل مصر وسوريا والسودان والعراق ، كانت بعض هذه الجماعات قد أقامت فعلا اتصالات فيما بينها، ويعتقد بأ ن مؤتمرات أصغر قد عقدت فى مراكز أوربية أخرى .

لكن مؤتمر لندن يوحى بظهور شىء أشبه بدولية إسلامية موجهة ضد الأنظمة الحاكمة فى كثير من بلدان آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط ، وهذه الجماعات لديها الكثير من الأمور المشتركة وان كانت همومها مختلفة ، وأعضاؤها فى كل بلد تقريبا من الشباب خاصة وبصورة غالبة ، وهى تتركز فى الجوامع والجامعات ، .

وقبل هذا المؤتمر بشهرين تقريبا أى فى أكتوبر ١٩٨١م عقدت ندوة فى أمريكا لمجموعة من المستشرقين والمهتمين بالدراسات الإسلامية ، وكانت تحت عنوان : « لماذا تتعثر حركات البعث الإسلامى » ؟ وكانت النتيجة التى خلص لها المؤتمرون والذين كان فيهم عدد كبير من ممثلى الحركات والتنظيمات الإسلامية فى العالم أن السبب فى تأ خر البعث الإسلامى أن الجماعات الإسلامية تهتم بقضايا هامشية كالتربية والتعليم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبذلك تشتت

جهودها ، وإن عليها إذا أرادت النجاح أن تحصر هدفها فى دائرة واحدة من دوائر الصراع ، وهو صراع الحكام فقط ، والوصول إلى السلطة السياسية ، لأنه عن طريق الوصول إلى السلطة السياسية تتعدل كل القوانين والنظم .

والعجيب أن هذا المؤتمر الاستشراقى العلنى الذى عقد فى أمريكا والمؤتمر السرى للتنظيمات الإسلامية الذى عقد فى لندن قد توصلا إلى نتائج واحدة تقريبا ،

كان من أطرفها أن الاتحاد السوفيتى ليس عدوا للمسلمين ، وإنما عدوهم فقط هو أمريكا ...واسمع ماتقوله صحيفة الإكسبريس الفرنسية عن مؤتمر لندن السرى الذى عقد فى منتصف ديسمبر ١٩٨١م تقول : - « ومهما يكن من أمر فإن الأحزاب الإسلامية فى العالم بأسره التقت فى منتصف ديسمبر الماضى فى مؤتمر سرى جدا ، عقد فى لندن ، وضم ممثلين عن كل الحركات الإسلامية ، من ثوار الفلبين المسلمين إلى ممثلى الحركة الإسلامية فى مصر، وقد أرسلت إيران وليبيا ممثلين عنهما إلى المؤتمر الذى ناقش مطولا مسألة العلاقة مع الاتحاد السوفيتى ، وحول هذه النقطة يقول الجامعى التونسى « عبد الكريم » : -

« اسمع نحن لاننظر للعلاقات مع السوفيات من نفس الزاوية التى تنظرون منها ، إن عدونا هو الرأسمالية والمستعمرون الذين ألقوا بنا فى الوحل وليس السوفيات ، ليس السوفيات هم من يساندون إسرائيل ويذلون العرب ، طبعا السوفيات كفار لكنهم ليسوا أعداء تاريخيين لنا حتى الآن على الأقل » .

هكذا خلص المؤتمران إلى اعتبار الاتحاد السوفيتى ليس عدوا للمسلمين، وإنما أمريكا هى العدو الأول ، خلصا لذلك على الرغم من انعقاد أحدهما فى أمريكا والآخر فى بريطانيا ، وعلى الرغم من احتلال السوفييت وقتها لأفغانستان ، وتناسى المؤتمران أن الشيوعية قامت على جماجم وأشلاء الملايين من المسلمين الذين أخضعتهم لسلطتها ثم داستهم بالدبابات .

تقول صحيفة الأوبزفر البريطانية حول هذه النقطة : - « ومن الاستنتاجات

الرئيسية التى توصل إليها المؤتمر فى مراجعاته للوضع العالمى أنه على الرغم من حرب الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان فإن الولايات المتحدة تأخذ مكان الاتحاد السوفيتى كعدو رئيسى للعالم الإسلامى » .

وتقول ايضا - « وفى المقابل اعتبر الاتحاد السوفيتى حكيما وموثوقا ويخدم قضية السلام ، واستمع المؤتمر إلى أن السوفيت فى كثير من أرجاء العالم يسعون للحوار مع المسلمين .....» .

لكن من الذى دعا لهذا المؤتمر ؟ ماهى أجندة أعماله ؟ من الذى وضع له تلك الأجندة ؟ من الذى يتابع توصياته بعد انتهاء الاجتماعات ؟

هناك يد خفية غير ظاهرة حتى لأبرز المشاركين فى المؤتمر وهو الأستاذ سعيد رمضان ، الداعية المعروف وزوج ابنة الأستاذ حسن البنا ، والذى يعيش فى لندن وأوربا منذ عام ١٩٥٤م ، أى مايزيد على الثلاثين عاما ، ورغم ذلك لايعرف الكثير عن هذا المؤتمر، ففى حوار له مع صحيفة الإكسبريس الفرنسية يقول سعيد رمضان :- « أقول لكم بكل صراحة أنه فى البداية لم يكن لدينا أى تحديد لسبب اجتماعنا ، وحتى عندما افترقنا لم يكن الجواب قد أصبح واضحا ، ....وإن الوضع معقد جدا ، وإنه لكذلك فعلا بالنسبة للإخوان المسلمين ، على الأقل بعد أن صارت جماعات متطرفة تتخطاهم بمدى تعصبها ، مما يجعلها أشد عرضة للوقوع فى فخ الأعداء » هكذا يقول الرجل ويخاف من الوقوع فى فخ الأعداء .

ويقول سعيد رمضان فى نفس الحوار : « .... إن الوضع معقد جدا ...وهذا يسمح باللعب بالريح الإسلامية التى تهب على العالم الإسلامى وحرفها فى هذا الاتجاه أو ذاك ، ففى كل عمل للحركة الإسلامية كما يقول سعيد رمضان « يوجد رجال مخلصون وآخرون من المندسين » .

انتهت المؤتمرات الغامضة المشبوهة على هذه الرؤيا ، الضغط على الأنظمة الحاكمة ، وعدم اعتبار الاتحاد السوفيتى عدوا للمسلمين ، وإنما العدو الأول

هى أمريكا ، ولاحظ معى أنها نفس شعارات الثورة الإيرانية التى أعلنت الحرب على نظام الشاة ، ووصفت أمريكا بالشيطان الأكبر ، وهتفت ضدها فى الحرم ، واحتلت سفارتها وحاصرت قواتها . بينما كانت تساعد السوفيت في أفغانستان.

وتولت الصحافة ترويج الفكرة وإشعال فتيل الحرب ضد الأنظمة الحاكمة فى الدول الإسلامية ، وينقل عبد الرحمن عبد الخالق مقالا نشرته مجلة المجتمع الكويتية يومها - وهى لسان حال الإخوان المسلمين بالكويت - ، نسبه هو إلى الكاتب الدكتور عبد الله النفيسى ، يروج لفكرة العداء بين الحركات الإسلامية وأنظمة الحكم ، وهنا أسوق بعض الفقرات التى وردت فى هذا المقال لأنها ستكشف لنا الكثير يقول الكاتب : -

« الحركة الإسلامية فى حالة حرب مع أعدائها الفعليين بكل ماتعنيه الحرب من قتل وتشريد وتدمير ومثله وتعذيب وإعدام ، هذه حقيقة لاينتطح فيها عنزان ، وإذا كان الأمر كذلك ، وهو فعلا كذلك ، فمن أول فهم قوانين الحرب أو مبادئ الحرب ......تحديد العدو والاقتصاد فى القوى ، بتعبير آخر لابد من حصر دائرة الصراع من خلال تحديد من هو العدو الفعلى ؟ وبالتالى ضخ القوى ضده و تلافى بعثرتها وتشتيتها .....» .

ثم يقول الكاتب « إن العدو الفعلى واليومى للحركة الإسلامية هو الأنظمة ، وإن المعوق الفعلى واليومى لمسيرة الحركة الإسلامية هو الأنظمة ، وان العدو الفعلى الذى يتسلح بالأجهزة المادية والمالية والإعلامية ، والذى يتمتع بالشرعية الواقعية فى مواجهته للإسلام كدعوة وكحركة هو أيضا الأنظمة »

ويقول أيضا « إن المعركة الفعلية للحركة الإسلامية ينبغى أن تكون مع الأنظمة ،...إن كل المظاهر السلبية فى أى مجتمع من المجتمعات هى نتيجة طبيعية مفروزة من طبيعة النظام العام الذى يعيش فى ظله المجتمع ، وليست وليدة اختيارات فردية ...»

ثم يقول الكاتب : « ....إن العدو الفعلى والمعوق الفعلى لمسيرة الدعوة هى

الأنظمة وليست الجماهير ...وإن العمل الإسلامى الذى يتحرك بمعزل عن هذه الحقيقة الجارحة لن يحقق أى نتيجة على المدى البعيد...... » انتهى مانقلته عن عبد الرحمن عبد الخالق فى فصوله عن السياسة الشرعية وتتزاحم بذهنى مجموعة من الأسئلة :

هل عرفنا من يقف وراء الحرب المستعرة بين الحركات الإسلامية كما تسمى نفسها وبين الأنظمة الحاكمة فى العالم الإسلامى . ؟

هل عرفنا سر مشاركة إيران وسوريا وليبيا فى هذه المؤتمرات ؟ وسر تبرئة الاتحاد السوفيتى من عدائه للإسلام ؟ هل عرفنا سر اشتعال الحرب بين الجماعات الإسلامية وبين الأنظمة الحاكمة ؟ يقول الدكتور عمر عبد الرحمن فى خطبة له ألقاها بأمريكا : « من هنا كانت الثورة الإسلامية فى إيران مظهرا من مظاهر العزة ، والقوة والمجد ، وإنها لتبعث فى روح المسلمين المجاهدين فى كل مكان بعامة ، وفى مصر بخاصة روح الأمل واليقين ، هذه الثورة التى أزالت ومازالت تزيل طواغيت وجب علينا نحن المسلمين أن نزيلها ، لقد مرغت أنفهم فى التراب ، وجعلتهم يتحدثون عن قوة الإسلام ، ويرهبونها ، هذه الثورة الإسلامية فى إيران مشرق أمل ومبعث فرحة وسرور ، وانطلاق للجهاد فى سبيل الله، والمسلمون فى كل مكان يترسمون خطاها ويفرحون بانتصاراتها العظيمة » انتهى من كتاب « القطبية هى الفتنة » ، وقد ظهر لنا السبب في إعداد الجماعة الإسلامية بمصر ملفًا كاملاً عن ثورة الخوميني ومدحها لها.

هل علمنا لماذا تعقد هذه المؤتمرات فى لندن وأمريكا ، وفى بلاد الغرب ؟ هل عرفنا السر وراء تكفير هذه الجماعات لجميع حكام المسلمين خاصة حكام البلاد العربية ؟ يقول محمد سرور نايف فى مجلة السنة العدد ٢٦ لسنة ١٤١٣هجرية متحدثا عن طبقات العبودية لغير الله « فالطبقة الأولى يتربع على عرشها رئيس الولايات المتحدة ......والطبقة الثانية هى طبقة الحكام فى البلدان العربية وهؤلاء يعتقدون أن نفعهم وضرهم بيد بوش ولهذا فهم يحجون اليه ،

ويقدمون اليه النذور والقرابين ....» انتبه لقوله طبقة الحكام فى البلدان العربية لتعرف من وراء هذه الأفكار ، ولماذا لم يقل حكام الدول الإسلامية فيدخل فيهم حكام إيران مثلا ؟ أم أن حكام إيران مسلمون وحكامنا العرب فقط هم الكفار ؟ ولكن لاتعجب هكذا الأهواء تفعل بأصحابها . والآن أسأل :

هل يوجد ثمة فارق بين مايقوم به المجلس الثورى المصرى « هكذا كما يسمى نفسه » وكذلك مايسمى بـ «البرلمان الشرعى المصرى » أو مايسمى بـ«جبهة علماء المسلمين فى العالم » ، وكلهم يتخذ من الغرب مقرا له وكلهم يعقد المؤتمرات واللقاءات مع الأجهزة الغربية ؟ ثم هل يوجد فارق بين مانراه اليوم وبين مؤتمر لندن أو مؤتمر أمريكا الذين انعقدا فى الثمانينات ؟

لعل الصورة تكون قد اتضحت لنا لماذا تستعر الحرب بين الجماعات المسماة بالدينية وبين الحكومات فى الدول الإسلامية ، لعلنا نتبين دور ايران وحلفائها فى المؤامرة ، لعلنا نعرف لماذا الغرب يأوى هذه الجماعات ؟ ولماذا يعقدون معها اللقاءات ويجرون معها الحوارات ؟ لماذا يسمح لهم بالحديث في مجلس العموم البريطاني.

بقى أن أذكر أنه عندما قامت ثورة الخومينى أرسلت جماعة الإخوان وفدا على أعلى مستوى للتهنئة والمباركة بنجاح الثورة ، وكتب الإخوان فى ذلك الكثير من الأبحاث والمقالات ، وكذلك أصدرت الجماعة الإسلامية فى مصر بيانات التأييد والمباركة ومجدت الثورة الخومينية فى الكثير من أدبياتها ، وعقدت المقارنات بين إيران ١٩٧٨ وبين مصر ١٩٨٧م واعتبرت الشباب الإيرانى يعيش معانى الإسلام الحق أو كلمة نحوها ، وكذلك اتخذ الكثير من العناصر الهاربة من إيران مقرا لها ..ولما مات الخومينى صدرت كذلك بيانات المواساة والنعى لموت الإمام روح الله كما يسمونه وقد ملأ الأمة ظلما وظلاما ، ، فقد أطعمها لهيب الانتقام ، وسقاها بأقداح السقام ثم نرى جماعات العنف ينعون موته ورحيله يقولون : « ياروح الله قد أديت فنم عليك سلام » . .

الفصل الخامس

هكذا فلنبلغ الإسلام

الإسلام دين الله الخالد، وكلمته العليا، ورسالته المعجزة، يهدى للتى هى أقوم، ولقد ذكر الشنقيطى فى كتابه القيم أضواء البيان بحثا مطولا حول أية الإسراء: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، أفاض فيه وإجاد، واستخرجه الأستاذ ساعد غازى فى رسالة مستقلة بعنوان « محاسن الإسلام » وزاد عليها من تعليقاته الرائعة والتى أدعو القارئ لمطالعتها، ليقف من خلالها على شيء من عظمة هذا الدين، إنه أحسن الحديث، وأحكم الحكم، وأوفى رسالة، وأشمل منهج، وأصلح مايلتزم به القوم، بل لاصلاح بحق إلا صلاح الإسلام، ولانجاة للناس من مشاكلهم الدنيوية والأخروية إلا بالعودة إليه، والالتزام به، ولن يكون ذلك إلا بعرض العلماء والفقهاء والدعاة لحقائق الإسلام ناصعة نقية، واضحة خالصة من اللبس والغبش، بطريقة تحبب الحق إلى الخلق، وتكشف للعالم عن جوانب العظمة فى هذا الدين القيم مع وجود القدوة العملية أمامهم.

إن العالم اليوم أحوج مايكون إلى الإسلام، ليشفى من أمراضه وعلله سواء النفسية أو الاجتماعية أو الأمنية والاقتصادية، ليتخلص العالم من حالة التربص التى تسيطر عليه، ويتعالى عن هواجس العدوان والكراهية التى تحركه تجاه هذا الدين الذى جاء رسوله « رحمة للعالمين »، وصلحت رسالته لكل عصر ولكل مصر، وسبقت فى عطائها ونفاستها كل جديد نافع ومفيد، وفى هذا الفصل نعرض لنماذج الدعاة الذين حملوا رسالة الإسلام إلى العالم فى عزة وقوة وهدوء، فوقف الجميع أمامهم مذعنين، وأسلم الكثير معهم خاضعين، وصفقوا لهؤلاء الدعاة مبهورين، وأقروا بعظمة هذا الدين. بعدما أشرق عليهم بشيء من سناه، ووجد من الدعاة والعلماء من حمل إلى الناس نوره وهداه، وقد سطر المسلمون بإسلامهم صحائف من ضياء، وكانوا مشاعل من النور، فلنقف على شيء من جوانب عظمة هذا الدين وذلك في عدة مباحث.

المبحث الأول

قبسات النبوة

ذكر الدكتور عز الدين فراج فى كتابه القيم « نبى الإسلام فى مرآة الفكر الغربى» فصلا تحت عنوان : نبى الإسلام فى المؤتمرات الدولية والندوات العلمية فكان مما قال :

فى عام ١٩٢٨ م عقد المؤتمر الدولى التاسع عشر لمكافحة المسكرات فى مدينة انفرس ببلجيكا ، ...لبحث الموضوعات التالية :

الأول : بحث مقدم إلى اللجنة الطبية للمؤتمر الذى يقرر عدم فائدة الخمر فى تدفئة الاجسام ، ووقايتها من البرد .

الثانى : بحث مقدم من اللجنة الطبية للمؤتمر وموضوعه - جرعة طود (شراب من الويسكى المعتق) ...، .وهل تصلح كعلاج للضعف والهزال ؟

الثالث : بحث مقدم من اللجنة الاجتماعية للمؤتمر .. هل فى تحريم الخمر مصادرة للحريات العامة ؟

وفى هذا المؤتمر العالمى وقف كبير أطباء مستشفى فيينا قائلا : -

« لقد كان رجال الطب على خطأ عظيم إذ كانوا يوصون بتعاطى جرعات من المشروبات الكحولية للاستفادة منها فى مقاومة البرد ، لما كان يبدو من تأثيرها الظاهر فى تدفئة الجسم عند تناولها ، واستطرد هذا الطبيب قائلا :

إن أى شعور بالدفء فى هذه الحال إنما هو شعور كاذب ، إذ يعقبه انخفاض فى درجة حرارة الجسم .

ثم فتح باب المناقشة فقال أحد الحاضرين :

« كان أهل جزيرة أيسلندا وهى من أشد البلدان بردا يستعينون على مقاومة البرد بتعاطى المشروبات الروحية ، فكثرت بينهم الوفيات إلى حد أقلق بال ولاة الأمور، فألفوا لجنة لهذا الغرض ، وأ ثبتت هذه اللجنة أن كثرة الوفيات فى الجزيرة راجع إلى أن القوم يستنفدون حرارة أجسامهم بما يتعاطون من المسكرات ، فيصعد الدم من داخل الجسم إلى سطح الجلد ، فتبيده برودة الجو تدريجيا ، حتى تأ تى على أخره ، فتنتهى الحياة بانتهاء الحرارة .

وهذه الظاهرة هى التى دفعت برلمان أيسلندا إلى إصدار تشريع يحرم الخمر فى البلاد » .

ثم نهض من بعده مبعوث بلاد السويد فقال :

« أريد أن ألفت أنظار أعضاء المؤتمر إلى ماحدث للدكتور سكوت ١٢٦٦-١٣٠٨ م وصحبه فى رحلتهم عندما ذهبوا فى منطاد لارتياد القطب الجنوبى ، فقد أدرك سكوت تأثير الخمر فى الأجواء الباردة ، فأوصى أصحابه بألا يشربوا خمرا حتى لايفقدوا مناعة أجسامهم على تحمل البرد ، ..وعندما نسى أصحابه النصيحة وعمدوا إلى زجاجات الويسكى ، كانت النتيجة كما دونها سكوت فى مذكراته : «أن الذين اتبعوا نصيحته واجتنبوا شرب الخمر نجوا وحدهم من الموت دون غيرهم » .

عندئذ قام ممثل مصر فى المؤتمر وهو الأستاذ أحمد غلوش يقول :

« إن الضحايا البشرية التى أشار إليها حضرات الأعضاء قد سلم المسلمون من أمرها بسبب اتباعهم أوامر نبيهم محمد ﷺ ، فقد حذرهم من شرب الخمر وأوضح لهم أنها لاتنفع فى مقاومة البرد ...ثم ترجم لهم الحديث النوى التالى : عن ديلم الحميرى قال سألت النبىﷺ وقلت : يارسول الله إنا بأرض باردة نعالج فيها عملا شديدا ، وإنا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد

بلادنا .

قال : «هل يسكر ؟» قلت: نعم . قال : « فاجتنبوه» .قلت : إن الناس غير تاركيه .، قال : « إن لم يتركوه فقاتلوهم ». أبو داود وصححه الألباني ، عندئذ دهش أعضاء المؤتمر ، وقابلوا كلمته بالتصفيق والاستحسان ، وطلبوا منه أن يملى عليهم نص الحديث النبوى .

• وعندما حان الكلام عن جرعة طود وعدم الفائدة منها فى التداوى وقف أحد أعضاء المؤتمر قائلا : -

« هناك الآلاف من المرضى ، كنا نحن معاشر الأطباء نوصيهم ونصف لهم أنواعا من الخمر تعجيلا لشفائهم ، والحقيقة أننا كنا نعجل بالقضاء عليهم .، فما كان من ممثل مصر فى هذا المؤتمر إلا أن وقف قائلا : -

« لقد سبقكم إلى هذا نبى الإسلام ، فقد أوضح لقومه أن الخمر لاتنفع للتداوى ، ثم ترجم لهم الحديث النبوى التالى : « عن طارق الجعفى رضي الله عنه أنه سأل النبى ﷺ عن الخمر فنهاه عنها فقال : إنما اصنعها للدواء ، فقال ﷺ إنها ليست بدواء ولكنها داء » رواه مسلم وأبو داود والترمذى . وراح ممثل مصر فى هذا المؤتمر يعقب على هذا الحديث النبوى ويقول :-

« لقد جاء نبينا الكريم محمد ﷺ بهذه الحقيقة العلمية الواضحة منذ آلاف السنين، ..ونحن معشر المسلمين نتمسك بهذا النصح الثمين ، حتى ليفضل أحدنا أن يقضى نحبه على أن يشرب دواءًا فيه مسكر ، حذرا من مخالفة الله ونبيه» .

فعجب أعضاء هذا المؤتمر من مطابقة أرائهم ونظرياتهم الجديدة لأقوال نبى الإسلام ، وأدركوا أنهم لم يأتوا بجديد .

وعندما جاء دور الكلام عن موضوع هل فى تحريم الخمر مصادرة للحريات العامة ؟ وقف أحد أعضاء المؤتمر يقول : -

« تبا لنا معشر الأوربيين مادمنا لانطبق تحريم هذه المسكرات ، ... يجب أن

نمنع الناس من إدمان الخمر ولو بالالتجاء إلى القوة والعنف ، فوقف ممثل مصر يقول :

« ماجئنا بجديد ، فسأل المجتمعون وكيف ؟ فعاد يجيب : - « الدين الإسلامى لم يكتف بتحريم الخمر وشربها وبيعها وصنعها وحملها وتقديمها وربح ثمنها ، بل أنزل بشارب الخمر عقوبة بدنية وهى جلده ثمانين جلدة ، زجرا له وصونا للحريات العامة أن تكون عرضة لاعتداء مدمنى الخمر » فعلا هتاف الأعضاء وأبدوا إعجابهم الشديد بما سمعوا ، بعد أن أدركوا أن نبى الإسلام قد سبقهم إلى هذه الآراء والأفكار التى زعموا أنها جديدة ، والتى جاءوا لبحثها والتشاور فى أمرها من أقصى المعمورة .

ثم يقول دكتور عز الدين فراج : وفى يوم من الأيام اجتمع بعض علماء الغرب فى ندوة لهم يتباحثون ويتجادلون ، وكان بينهم طالب شرقى ، وطال بهم الجدل عن الحجر الصحى .. متى بدأ ؟ وكيف بدأ ؟ وتشعبت الأمور أمامهم وتباينت وجهات النظر ، فإذا بهذا الطالب الشرقى يضع حدا لهذا الجدل الخاطىء بقوله : - « أن فضل الحجر الصحى لايرجع إلى أوربا ... فأول من فكر فيه هو نبى الإسلام محمد ﷺ.

فصاح الجميع فى دهشة وحيرة قائلين : - « وكيف ذلك »؟ فعاد الطالب الشرقى يوضح

ويقول : - « إن نبى الإسلام هو أول من قال : - « إذا سمعتم بالطاعون فى أرض فلاتدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلاتخرجوا منها » البخارى والنسائى وغيرهما .

ثم التفت إليهم هذا الطالب وقال : - « أليس هذا هو أفضل ماوصل إليه البحث العلمى والحجر الصحى الحديث » ؟ .....وطالبه هؤلاء العلماء بالحصول على نص هذه الأحاديث فما كان من هذا الطالب إلا أن عاد إلى بيته

ليحضر لهم نص هذه الأحاديث النبوية وترجمتها .وبذلك تبدد جدلهم وانتهى نقاشهم بعد هذه الحقيقة الساطعة ، وصاح واحد منهم : - « لقد كان نبيكم عالما بيولوجيا » .فتمتم الطالب وعاد يقول : - « يعد هذا النبى أول من فكر فى قانون الحجر الصحى للحيوان فقد قال ﷺ: « لايورد ممرض على مصح ، وان الجرب الرطب قد يكون بالبعير فاذا خالط الابل أو حككها أو أوى إلى مباركها وصل اليها بالماء الذى يسيل منه » .فعجب العلماء من أن تأتى هذه الحقائق العلمية عن الحجر الصحى على لسان هذا النبى .

ثم استطرد هذا الطالب الشرقى يقول : - « ألايحق لنا بعد هذا كله أن نعد نبى الإسلام أول من فكر فى مبادئ الحجر الصحى ؟ فأيده فى ذلك كل الحاضرين ، وتقدم أحد هؤلاء العلماء قائلا : - « لو علمت أوربا بهذه الحكمة السامية وعملت بها حين اجتاحها الطاعون فى أواسط القرن الرابع عشر الميلادى لخفت حينئذ الخسائر التى منيت بها فى الأرواح ، فقد قدر عدد الموتى الذين قضى عليهم هذا المرض بخمس وعشرين مليونا من الأنفس ، كان سبب انتشار المرض المشار إليه هو نقل التتار له حين نزحوا إلى جنوب روسيا سنة ١٣٤٦م ، ومنها حمله البحارة غربا إلى حيفا فى أكتوبر ١٣٤٧م ، ولجهل القوم وقتئذ بالحجر الصحى طردت البحارة من تلك البقعة فانتشر المرض فى البلاد التى نزلوا فيها ، بل أن سكان سينا أنفسهم حين انتشر فيهم المرض تفرقوا إلى نواح مختلفة فنشروا المرض فى صقلية كلها ، ثم حل المرض بجنوا وبيزا فى أوائل ١٣٤٨م ، وانتقل إلى بريطانيا فى نفس السنة ، وانتشر فى جنوب فرنسا ومنها وصل إلى باريس، ومنها إلى انجلترا وايرلندا وألمانيا وماجاورها ، ولبث الحال كذلك حتى سنة ١٣٧٠ - ١٣٧٤م .

إنها عظمة الإسلام تتجلى للعالم عندما تجد من يكشف للناس جوانبها ، وليس من يحمل إليهم القتل والسيف ، ولا من يتكلم عن ملك اليمين والسبي كما يفعل نفرٌ من الموتورين في بلاد الإسلام ويصدرون ذلك للعالم .

المبحث الثاني

صوت من وراء المتوسط

العلماء يعرفون الإسلام ، ويفهمون الواقع من حولهم ، ويدركون جيدا مايحتاجه العالم من هذا الدين العظيم ، ويعلمون عن بصيرة ماذا يقدمون للناس وماذا يحدثونهم عن هذا الدين ، إنهم يحيطون بمبادئ هذه الرسالة الخالدة ، ويقفون على مقاصدها العليا ، ويستوعبون وسائل هذا الدين وآلياته فى التواصل والتعامل مع الآخرين مهما كانت عقيدتهم ، وأينما كان موطنهم ، ومهما كانت مواقفهم من الإسلام ومن المسلمين ، إن وظيفة العلماء ورسالتهم هى تقديم هذا الإسلام العظيم إلى الناس بصورته البيضاء النقية الخالية من الغلو والأرجاء ، والبعيدة عن الإفراط والتفريط إنها الوسطية الصفة الأساس والركيزة لهذا الدين ، إنهم حكماء علماء فقهاء يسمعون الآخر مايحتاج إلى سماعه وليس مايطلبه هو أو مايتمناه ، إنهم دائما يتذكرون قول الحق سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾إنها بصيرة العلم ونور الحكمة يحددان للداعية مايقول ومايسكت عنه ، يرسمان له مايأتى ويوضحان له مايذر ، وفى هذا المبحث أعرض كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التى ألقاها أمام البرلمان الأوربى والتى نشرتها مجلة الأزهر بعددها الصادر بتاريخ رجب ١٤٣٧ هجرية مايو ٢٠١٦ م الجزء ٧ السنة ٨٩ .لعل دعاة العنف يعرفون ماذا يقولون ، ويدركون مايحتاجه العالم من الإسلام.

وقد اخترت كلمتين للإمام الأكبر ألقاهما في ألمانيا إحداهما أمام أعضاء البرلمان والثانية ألقاها بجامعة مونستر بألمانيا .

المطلب الأول :

نص كلمة فضيلة الإمام الأكبر

أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف أمام البرلمان االألمانى

«بسم الله الرحمن الرحيم

البروفيسور/ نوربرت لامرت رئيس البرلمان الألماني

السيِّدات والسَّادة: أعضَاء البوندستاج الموقَّرُون

الحُضُور الكَرِيم!

السَّلامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبرَكَاتُه

واسْمَحُوا لِي في بِدايَة حَديثي أن أتقدَّم لَكُم بِخَالِص الشُّكر، لإتاحَة الفُرصَة لِأن أكُون بَينكَم أتحَدَّث إلَيكم وإلى الشَّعب الألمَاني العَرِيق مِنْ خِلَالُكم أيُّهَا السَّادَة البَرلَمانيُّون، والسَّادَة الحُضُور.

وَكَمْ أنَا سَعِيد بِوجُودِي في مَبْنَى البُوندستاج التَّارِيخيِّ، الَّذِي تَخْتَزِن جُدرَانه ذِكْرَيَات أحْدَاثٍ عَالَمِيَّةٍ كَانَت نُقْطَة تَحوُّل في مِسَار التَّارِيخ الأُورُبِّي .وكَيْفَ أن هَذا البَرلَمَان اسْتَطَاع أن يَعْبُر بِالشَّعْب الألمَاني مِن أزَمَاتِه السِّياسِيَّة والاقتِصَادِيَّة والاجتِمَاعيَّة إلى دَولَة مَرمُوقَة يُشَار إليهَا بِالبَنَان كَأنمُوذج يحتذي في التَّنمِيَة المُسْتَنِدَة إلى قِيَم الحُرِّيَّة والعَدْل والمُسَاوَاة.

وَبِهَذِه المُنَاسَبة أُحَيي المستشارة السيدة/ أنجيلا ميركل، وأقدِّر لها باسم الأزهر الشريف، موقفها الإنساني النبيل من الرجال والنساء والأطفال الفارِّين من جحيم الحُروب وويلاتها في الشرق، رغم ما قد تعانيه هذه السيدة الفاضلة من ظروف ضاغطة لم تستطع أن تثنيها عن هذا الموقف الشجاع الذي سيكتبه لها التاريخ بحروفٍ من نُور، وقد أصدر الأزهر بيانًا شكر فيه المستشارة ميركل على أريحيتها الكريمة تجاه الإسلام والمسلمين حين شاركت سيادتها في مظاهرات

برلين المندِّدة بالإسلاموفوبيا وثبَّتت – في شجاعة الأبطال – مقولة الرئيس الألماني الأسبق كرستيان فولف: أن الإسلام جزء من ألمانيا .

وأستسمحكم -أيُّهَا السَّادة البرلمَانيون!– أن أُقَدِّم نفسِي لحضراتكم بحُسْبَاني رَجُلًا مُسْلِمًا تخصَّص في دِراسَة الإسلام، وفَهمه كما أراده الله للنَّاس، وكما بلَّغه لهُم رَسُوله مُحَمَّد ﷺ.. وأنَّه لا انتِمَاء لي إلى أيِّ تيَّار سياسيٍّ أو توجه حِزبيٍّ، ولا أتبنَّى أيَّة أيديولوجيَّة من أيديولوجيات اليمين أو اليسَار، أو غيرها من أيديولوجيات العصر، ولا أسعى إلى ذلك، لا اعتقادًا ولا ترويجاً، وإنَّمَا أنَا مُسْلِم مُحِبّ للبَشريَّة جمعَاء، مهموم بقضايا «السَّلام»، بكل أبعاده الدِّينيَّة والاجتماعيَّة والعَالَميَّة، أبحث عن هذا السَّلام وأتمَنَّاه للنَّاس كل النَّاس، مَهْمَا اختلفت أوطانهم وأجناسهم وقوميَّاتهم، وكيفما كانت أديانهم وعقائدهم ومذاهبهم.

أيُّهَا السيدات والسادة الأجِلاء!

ما جئتكم واعِظًا ولا متغنيا بينكم للإسلام، ولكن جئت أُخاطِب عَدالتكُم في إنصاف هذا الدِّين الذي يستحق منكم أن تدفعوا عنه ما لحق به من ظلم وتهم، يبرؤ منها وينكرها أشد الإنكار، بسبب تصرفات قلة من المنتسبين إليه، فهمته فهمًا قبيحًا، وقدمته للناس في صورة دين دموي يعادي الإنسانية ويدمر الحضارات.

هذا الدين – كما تعلمون حضراتكم – دين مرتبط بالأديان السماوية برباط عضوي لا ينفصم؛ فنحن المسلمين نؤمن بأنَّ كلاً من التوراة والإنجيل والقرآن، هُدىً ونور للناس، وأن اللاحق منها مصدق للسابق، ولا يتم إيماننا بالقرآن ولا بمحمد إلا إذا آمنا بهذه الكتب السماوية وبموسى وعيسى وبمن قبلهم من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، ونقرأ في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة].

وليس صحيحًا ما يقال عن الإسلام من أنه دين قتال أو دين سيف، فلفظة «السيف» هذه ليست من ألفاظ القرآن ولم ترد فيه ولا مرة واحدة.. ويؤمن المسلمون بأن الله أرسل محمدًا رحمة للعالمين، وليس رحمة للمسلمين فحسب، بل أرسله الله رحمة للإنسان والحيوان والجماد والنبات، جاء في القرآن الكريم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾، وقال محمد عن نفسه: «**أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**»، ومن يفهم تعاليم هذا النبي خارج إطار الرحمة العامة والسلام العالمي، فهو جاهل به وبتعاليمه ومسيء إليه .

والإسلام لا يبيح قتال غير المسلم بسبب رفضه للإسلام أو لأيِّ دين آخر، فالله كما خلق المؤمنين خلق غير المؤمنين أيضًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [التغابن]، وما خلق الله غير المؤمنين ليأمر بقتلهم واستئصالهم، فهذا عبث لا يليق بحكمة البشر، فضلًا عن الحكمة الإلهيَّة، وحريَّةُ العقيدة مكفولة في القرآن بنص صريح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف: ٢٩].وقوله أيضًا: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وجاء في الدستور الذي بعث به النبي ﷺ إلى اليمن: «مَنْ كَرِهَ الإسلام مِنْ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ، فَإِنَّهُ لَا يُحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ»، ولم يسجل التاريخ عن المسلمين في البلاد التي حكموها حالة واحدة خيروا فيها أهل البلاد بين اعتناق الإسلام أو السيف، بل كانوا يُقِرُّون أهل هذه البلاد على أديانهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولا يرون بأسًا من العيش بجوارهم والاختلاط بهم والتزاوج معهم.

والجهاد في الإسلام ليس منحصرًا في القتال الذي هو رد العدوان، بدليل أن الجهاد الأكبر في الإسلام هو جهاد النفس والشيطان ونوازع الشر، ويدخل في مفهوم الجهاد الشرعي كل جهد يبذل من أجل تحقيق مصالح الناس، وفي مقدمتها المجهود الذي يبذل من أجل مقاومة الفقر والجهل والمرض، وإغاثة المحتاج، وخدمة الفقراء والبؤساء ومساعدتهم، والإسلام لا يأمر المسلمين بالجهاد المسلح ولا يحضهم عليه إلا في حالة رد العدوان، والتصدِّي للحروب

التي يشنها عليهم أعداؤهم، فهنا يجب القتال للدفاع، وهذا النوع من الجهاد تقره كل الأديان والأعراف والحضارات. وليس صحيحًا، بل من الخطأ الفاحش ما يقال من أن الجهاد في الإسلام هو حمل السلاح لقتال غير المسلمين وتعقبهم والقضاء عليهم، ومما يؤسف له أشد الأسف أن يُروَّج هذا الفهم الخاطئ والتفسير المغرض لنصوص القرآن والحديث للإساءة إلى الإسلام والمسلمين.

وشريعة الإسلام شريعة مؤسسة على مبادئ العدل والمساواة والحرية وحفظ كرامة الإنسان، وقد أعلن نبي الإسلام مبدأ المساواة بين الناس في زمن لم يكن قد نضج فيه العقل البشري لأن يستوعب فحوى هذا المبدأ أو يتصوره، لأنه لم يكن يعرف مجتمعًا غير مجتمع الطبقية والعبيد والسادة، ورغم ذلك أطلق محمد ﷺ صرخته الخالدة: «النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ»، ولم تمض على وفاة النبي عشر سنوات حتى جاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ليصرخ هو الآخر في وجه أحد الولاة المسلمين، وهو يُعنِّفه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

وأعتقد أنه لديكم أيها السيدات والسادة هنا في أوروبا من القوانين والتشريعات كثيرًا مما يتطابق وتشريعات الإسلام -في هذا المجال-، روحًا ونصًا، وبخاصَّة تلكم التشريعات التي تحفظ للإنسان كرامته وتؤمِّن له حريته، وتحقق له العدالة والمساواة مع غيره، بغض النظر عن انتماءاته الدينية أو العرقية.

وهنا أقول لأبناء ديني من المسلمين الذين يعيشون في أوروبا وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ من النسيج الأوروبي الاجتماعي المتماسك، أن يراعوا هذه القِيَم العُليَا لمجتمعاتهم التي يعيشون على أرضها، وأن يفيدوا منها في تقديم صورة مماثلة، عن الإسلام وتعاليمه السمحة الجميلة، التي تحترم الآخر، بغض النظر عن دينه أو مِلَّته أو جنسه، وأن يكونوا على ذكر دائم لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة]، وكم وددت لو أن كل مسلم يعيش في أوروبا كتب هذه الآية في لوحة جميلة ووضعها على مكتبه أو متجره، أو على شاشة هاتفه النقال، وتذكَّر في كل

حين، أن البِرَّ الذي هو قِمَّة الأدب والإحسان مع الوالدين، مطلوب هو بعينه مع من يسالمنا ولا يقاتلنا، وأن القسط والعدل والوفاء هو خُلق المسلم مع أخيه في الإسلام وأخيه في الإنسانية سواء بسواء.

أمَّا المرأة فهي في شريعة الإسلام شريكة الرجل في الحقوق والواجبات، وبتعبير نبي الإسلام محمد ﷺ: «النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»، ولا تظنوا أيُّهَا السَّادة أن بعض ما تعانيه المرأة الشرقيَّة من تهميش هو بسبب تعاليم الإسلام، فهذا زعم باطل، والصحيح أن هذه المعاناة إنَّما لحقتها بسبب مخالفة تعاليم الإسلام الخاصة بالمرأة، وإيثار تقاليدَ عتيقة وأعراف بالية لا علاقة لها بالإسلام، وتقديم هذه التقاليد على الأحكام المتعلقة بالمرأة في الشريعة الإسلامية وقد فقد المجتمع المسلم كثيرًا من طاقاته الخلاقة والإنتاجية حين سَمَحْنا – نحن المسلمين – بتهميش دور المرأة وإقصائها عن مواقع التأثير في مجتمعاتنا الشرقية.

أيُّهَا السيدات والسادة!

التعَدُّديَّة بينَ النَّاس واختلافُهم طبيعة قرَّرها القُرآن الكَريم، ورتَّب عليها قَانُونَ العَلاقَة الدَّوليَّة في الإسلام، وهو «التَّعَارُف» الذي يَسْتَلزم بالضَّرورَة مبدأ الحوار مع من نتفق ومن نختلف معه، وهذا ما يَحتاجه عالَمُنا المُعاصِر -الآن- للخروج من أزماته الخانقة، ومن هنا كان من الصعب على المسلم أن يتصوَّر صَبَّ النَّاس والأُمَم والشعوب في دين واحد أو ثقافة واحدة، لأن مشيئة الله قضت أن يخلق الناس مختلفين حتى في بصمات أصابعهم، يقول القرآن: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾، والمؤمن بالقرآن لا يرتاب في أنه ليس في إمكان قوَّة ولا حضارة أن تُبدِّل مَشِيئة الله في اختلاف النَّاس،وينظُر إلى النَّظَريَّات الَّتي تحلم بجمع الناس على دين واحد أو ثقافة مركزية واحدة نظرته إلى أحلام اليقظة أو العبث الذي يُداعِب أحلام الطفولة.

وَمِنْ هُنَا كان من الطبيعي والمنطقي أن ينفتح الإسلام على المسيحيين واليَهُود

انفتاحًا لافتًا للنظر، ويمد معهم من جسور العيش المُشْتَرَك والسَّلام المُتبادَل، ما يصل إلى إقرار زواج المُسْلِم من مَسِيحيَّة أو يَهُوديَّة تبقى على دينها مع زوجها المُسْلِم، ولا يجوز لزوجها المسلم أن يحول بينها وبين الذَّهاب إلى كنيستها أو مَعْبَدها، أو يمنعها من مُمَارسة شعائرها في بيت زوجها المسلم.

ولَعَلَّ بعض حضراتكم أيُّهَا السَّادة النواب المحترمون! يتهامس مُعترضًا على ما أقول، أو مُتسائلاً مُستنكِرًا فيما سمع: إذا كان الإسلام والمسلمون بهذه الصورة الورديَّة المُضيئة، فكيف خرجت الحركات الدِّينيَّة المُسَلَّحَة من عباءَة الإسلام والمسلمين، مثل »داعِش« وأخواتها. تَقْتُل وتُدَمِّر وتقطَع الرِّقَاب بِاسْمِ الله وبِاسْمِ الإسلام وشريعته؟ ألا تهدم هذه المشاهد اللاإنسانيَّةُ المُرعبة كلَّ ما قُلتَه عن الإسلام من أنَّه دين السَّلام والأخوة الإنسانيَّة والتراحم بين النَّاس؟

وإجابتي على هذا السُّؤال – باختصار – هي: لو أن كل دين من الأديان السَّمَاويَّة حُوكِم بما يقترفه بعض أتباعه من جرائم والقتل والإبادة لَمَا سَلِمَ دين من الأديان من تُهمَة العُنف والإرهاب، ذلك أن الإرهابيين الَّذين يُمارسون جرائمهم باسم الأديان لا يمثلون هذه الأديان، بل هم – في حقيقة الأمر – خائنون لأمانات الأديان التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها.

إنَّ الأديان إنَّما تُفهَم من تعاليمها الإلهيَّة ومن تطبيقات الأنبياء الَّذين حملوا هذه التعاليم وبلَّغوهَا للنَّاس ودعَوهم إليها.. هكذا كانت رسالة سيدنا محمد، وهكذا كانت رسالة سيدنا عيسى وسيدنا موسى وكل رسالات السَّمَاء إلى البَشر..

ثُمَّ إن هذا الإرهاب الَّذي نعانيه جميعًا الآن أدَانَه العَالَم الإسلامي كله: شعوبًا وحكومات وأزهرًا وكنَائِس وجامعات ومفكرين ومثقفين وغيرهم، وعلينا جميعًا – مسلمين وغير مسلمين – أن نقف صفًا واحدًا لمجابهة التطرف والإرهاب والظلم بجميع أشكاله، وأن نبذل أقصى ما يمكن من أوجه التعاون من أجل القضاء على هذا الوباء القاتل.

ثُمَّ إن الإرهاب لا يُفَرِّق بين ضَحايَاه ما داموا لا يعتنقون أيديولوجيته وأفكاره

المُتطرِّفة، وإذا كان البعض لا يزال يعتقد أن الإسلام يبرر جرائم الإرهاب فعلى هذا البعض أن يتذكر أن المُسْلِمين هم من يدفعون ثمن هذا الإرهاب من دمائهم، وأشلاء أجسادهم ونسائهم وأطفالهم أضعاف أضعاف ما يدفعه غير المسلمين من ضحايا هذا الوباء.. فكيف يصح في الأذهان أن ينسب المسلمون إلى هؤلاء القتلة الذين يبرؤ منهم الإسلام والمسلمون أنفسهم.

ولعلكم تتفقون معي في أنَّه لا مفر للشرق والغرب حيال هذا الإرهاب العابر للقارَّات من انفتاح حقيقي متبادل بين الأديان والمؤمنين بها، بل لا مفر من صنع السلام أوَّلًا بين رجال الأديان وعلمائها، وأنا مِمَّن يؤمنون بقوة بالشعار الذي أطلقه منذ وقت قريب اللاهوتي المعاصر هانس كونج «Hans Kung» وأعلن فيه أنه: «لا يمكن أن يكون ثم سلام بين الشعوب مادام لا يكون ثَمَّ سلام بين الأديان ..( )»وهو نفس الشعار الذي أطلقه شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي في لندن عام ١٩٣٦ عندما نادى بالزمالة العالمية والفهم الصحيح المتبادل بين حضارة الغرب وحضارة المسلمين.

واسمحوا لي أيُّهَا السيدات والسَّادة أن أقول: إنَّنِي حين أتحدَّث عن مجتمعاتكم بشيء من الإعجاب بسياساتكم التي تقوم على المُسَاواة والدِّيمُوقراطيَّة ورعاية حُقُوق الإنسان، يَسألني البعض مُستنكِرًا: إذا صحَّ ما تقول فيما بين الشعوب الأوروبيَّة فإنَّنَا لا نَرى شيئًا من ذلك في كثير من مواقف الغَرب حِيال البلاد الإسلاميَّة، فالكثيرون في الشَّرق العَربيِّ والإسلاميِّ لا يعرفون من الغرب إلا سياسة الكيل بمكيالين، وسياسة المصالح الخاصة التي لا تراعي مصالح الشعوب، ويضربون من الأمثلة على ذلك ما حدث في «العراق» و«ليبيا» وغيرهما، ورسالتي إليكم أو رجائي الكبير هو أن تعملوا - باهتمام - على تغيير هذه النَّظرة القاتِمة المتشائمة، ولَعَلَّنا نبدأ معًا صفحة جديدة نعمل فيها على ترسيخ السَّلام العَالميِّ، وإخماد نيران الحروب ووقف شلالات الدماء والفرار من الأوطان، وحل القضية الفلسطينية حلًا عادلاً يضمن السلام والاستقرار في

المنطقة. فهذه يدي ممدودة إليكم للعمل سويًا من أجل هـذه الأهـدف الإنسـانية النبيلة.. فهل من مُجيب؟

السيدات والسادة!

إنَّ الديموقراطيَّة الَّتي نتطلع لأن ترفرف أعلامها عالية خفاقة في بلادنـا العربيَّـة والإسلاميَّة، لَا يمكن أن تتحقَّق بالحروب وصراع الحضارات والفوضى الخلَّاقة وأنهار الدِّماء وقعقعة السِّـلاح، بـل بالتبـادل الحضـاري بيننـا وبيـنكم، والحـوار المتكافئ غير المستبد، وبرامج تبادل التعليم والصناعة والتكنولوجيا.

وَمَعَ أن الأزهر دائم الاهتِمام بتجديد خطابه ومناهِجه التعليميَّة، إلا أنَّه ضَاعَف من هذه المُهِمَّة في السَّنوات الأخيرة، ويضيق الوقـت عـن سَـرد الخطـة الشَّـاملة للتجديد والتطوير، ويكفي أن تَعْلَمُوا أن عُلَمَاء الأزهر يتصدون الآن في كل مكـان للأفكار المَغلُوطة، التي تَحرِّف الدِّين وتستغله في الدعوة إلى الفِتنـة العَمْيَـاء الَّتـي تَسْتَحِلّ الدِّمَاء وتُدَمِّر الأوطَان، وذلك من خلال وسائل عـدة منهـا القوافـل التـي تجوب العالم للدعوة إلى السلام العالمي، وتُحصِّن عقول الشباب مـن التـردي في بؤرة الإرهاب، وكذلك من خلال مرصد الأزهر الإلكتروني الـذي يعمـل بلغـات عدة، ونتوقع له انتشارًا عالميًا في المستقبل القريب.

وقد عقد الأزهر مؤتمرًا في ديسمبر من عام ٢٠١٤ دعا إليه علمـاء المسـلمين مـن الشيعة والسنة ورؤساء الكنائس الشرقية وبعض الكنائس الغربيـة وممثـل الإيزيـديين من العراق، وانتهى في بيانـه الجمـاعي إلى إدانـة كـل الفـرق والجماعـات المسـلحة والمليشـيات التـي تنـتهج العنـف والإرهـاب وتـروع الآمنـين، وأن المسـيحيين والمسلمين في الشرق إخوة عاشوا معًا على مدى قـرون عديـدة والجميـع عـازم عـلى مواصلة العيش في دولـة وطنيـة تحقـق المسـاواة وتحتـرم الحريـات، وأن التعـرض للمسيحيين وغيرهم باسم الدين هو خروج عن تعاليم الإسلام، وأن التهجير القسري جريمة مستنكرة نجمع على إدانتهـا، وقـد ناشـد الأزهـر المسـيحيين أن يتجـذروا في أوطانهم حتى تزول موجة الإرهاب الذي نعاني منه جميعًا.

واليوم يدين الأزهر جميع الأعمال الوحشية التي يقترفها دعاة الإرهاب والتي كانت كوت ديفوار آخر مسارحها الكريهة، ولا يفوتنا هنا أن نعزي الشعب الألماني في ضحيتهم في هذا الحادث المؤسف.

السَّيدات والسادة!

يعيش في أوروبا اليوم ما يَقْرُب من عشرين مليون مُسْلِم، معظمهم ولد في أوروبا وأصبح أوروبيًّا ، وأقول: يجب أن يتمتع هؤلاء جميعًا بالمُسَاواة بينهم وبين المُواطِنين من أصول أوروبية، وألَّا تتركوهم يشعرون بأَنَّهم مُهَاجِرون يَعيشُون على هامِش المُجتَمَع، ويفتقدون ولاءهم لمجتمعهم الذي ينتمون إليه، فالولاء للأوطان هو «المَناعَة» القَويَّة الَّتي تَقِف ضِدَّ الانزلاق إلى التَّطَرُّف والعُنف.

هذا وإنَّ شُعوب الشَّرق العَربيِّ والإسلاميِّ لتنظُر إلى أوروبا باعتبارها الشَّريك الأقرب في حضارة البحر المُتوسط، ومن ثَمَّ فإنَّ هذه الشعوب تعوِّل عليكم كثيرًا في نهضاتها التنمويَّة والعلميَّة، ولا يكون ذلك إلا بالتعاون المثمر وباحترام إرادة شعوبها في اختيار مصائرها ورسم مستقبلها.

ومرَّة أُخرى أُكَرِّر ما قُلته آنفًا من أن الأزهر إنما جاء ليمد يده إليكم، وإلى الإتِّحاد الأوروبيِّ من خلالكم.. من أجل ترسيخ علاقات الإخاء الإنساني، والسَّلام العالَميِّ بين الشَّرق والغَرب بصفة عامَّة وبين الأزهر والمواطنين المُسْلِمين في أوروبا، الَّذين أتوجَّه إليهم في ختام كَلِمَتِي أمام هذا البَرلمَان العَريق بأنْ يمثلوا النموذج الإنساني الرَّاقي للدِّين الإسلاميِّ ولنبيهم الَّذي بُعِثَ رَحْمَةً للعالَمين جميعًا وليس للمُسْلِمين وحدهم.. والأزهر مستعد لتقديم المناهج التي تعصمكم من الاستقطابات المنحرفة، وتعينكم على تمثيل دينكم الإسلامي بحسبانه دينًا صالحاً للتعايش في كل زمان ومكان، وتذكَّروا أن دينكم هذا كانت له في قلب أوروبا إضاءاتٌ إنسانيةٌ وحضاريةٌ، لا يزال صداها يتردد في أروقة الجامعات الأوروبية حتى يوم الناس هذا، وحسبنا ما شهد به الأديب الألماني،

جوته ومن قبله الأديب والناقد المسرحي ليسنج للإسلام وحضارة المسلمين..

لقد أطلت عليكم، وعذري أنني جئت إليكم وفي قلبي أمل، يتردد مثله في قلوب مليار وسبعمائة مليون مسلم، في التعايش السلمي والحوار الحضاري بين الشرق والغرب، وليس أقدر على تحقيق هذه الأمنية من هذا البرلمان العريق، الذي يمثل شعبًا يقدر الحرية والديموقراطية تقديرًا حقيقيًا، جعلنا نحتفظ لألمانيا في قلوبنا بشعور خاص وثقة نعتز بها. ونعول عليها في علاقات متميزة في المستقبل إن شاء الله..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المطلب الثانى :

كلمة شيخ الأزهر أمام ملتقى مقومات السلام فى الأديان بجامعة مونستر بألمانيا كما نشرتها بوابة أزهرى التعليمية ، وكذلك مجلة الأزهر عدد شعبان لسنة ٢٠١٦م . والتى قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سِيَادَة الأُسْتَاذَة الدُّكتُور/ أورسولا نيليس الموقَّرة

رئيس جامعة مونستر

السَّادَةُ العُلَمَاء أعضَاء هَيْئَة التَّدْرِيس

البَنَات والأبنَاء مِنْ طالِبَات وطُلَّاب الجَامِعَة

السَّلامُ عَلَيكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبرَكَاتُه

وأُحَيِّيكُم جَمِيعًا، وأتقدَّم بِخَالِص الشُّكْر والتَّقدِير إلى أ.د/ نيليس لتكرمها بِدَعوَتي للمُشارَكة في هذا المُلتقَى العِلْمِيِّ، والتحَدُّث إلَيكُم والاسْتِمَاع مِنكُم، حَوْلَ أخْطَر قَضِيَّة تأخذ بخناق عالَمنا المُعَاصِر، وتَتحَدَّى كُل إنجَازَاته الحضَاريَّة، بَل تكَاد تُلْقِي بِهَا في مَهَبِّ الرِّيح، هَذِه القَضيَّة هِيَ قضيَّة «السَّلَام» الإقلِيمِيِّ والدَّولِيِّ، وحِمَايَةِ الحضَارات الإنسَانيَّة مِمَّا يُتربَّص بِهَا مِنْ مَخَاطِر عَدِيدَة، على رأسها الإرهَاب العَابِر للقَارَّات، والَّذي أن تُرِكَ يَنْمُو ويَقْوَى فإنَّ النَّتِيجَة الحَتْمِيَّة هِيَ «عَودة البَشَرِيَّة كُلها إلى حَالَة مِن الهَمَجِيَّة والفَوضَى، رُبَّمَا لَا يَعْرِفُ التَّاريخ لهَا مَثِيلًا مِنْ قَبْل».

وَاسْمَحُوا لِي أيُّهَا السَّادَة العُلَمَاء والمُفكِّرُون، أن أطْرَح رُؤيَتِي في هذا المَوضُوع بأسلُوب غير تقليديٍّ، وَهِيَ رُؤيَة تكَوَّنَت لَديَّ من انشِغالي بقَضيَّة البَحْث عَن «السَّلَام»، الَّذِي افتَقَدْتُه طَويلًا، وبِخَاصَّةٍ في السَّنَوات الأخيرة الَّتي أصْبَحَت فيهَا شَرْقنا العَربي مَسْرَحًا يَوميًّا لِلدِّمَاء والدَّمَار والمَوت والخَرَاب.

إنَّ المُتحَدِّث الَّذِي يَقِفُ بَين أيديكم –أيها السادة!- يُمَثِّل جِيلًا كَامِلًا، قَد لَا أَعْدُو الحَقِيقَة لَوْ قُلْت إنَّهُ لَمْ يَنْعَم بالسَّلَام حِينًا، إلا كرت عَليه الخطوب والحُروب أحْيَانًا كَثِيرَةً، وذَلِكَ في غَيْرِ مَا سَبَب مَعْقُول ولَا مَنطِق مَقبُول لَقَدْ شَهِدتُ، وأنا طِفلٌ لَمْ أُكمِل العَاشِرةَ بَعدُ، العُدوَانَ الثُّلَاثِيَّ عَلَى مِصْر عَام ١٩٥٦، وعَانَيتُ مع أقْرَانِي مِنْ صُوَر الفَزَع والرُّعبَ مَا لا أُريد أن أسْتعيدُه في ذاكِرَتي وأنا في العَقد السَّابع من عُمْري الآن، وَلَمْ تَمُرّ أعوامٌ عَشْرٌ حَتَّى دَهمَتنا حَرب ١٩٦٧، وعِشْنَا بَعْدهَا سَنوات خَمسًا في أجْوَاء خَانِقة ثَقِيلَة مُحْبِطة، فَقَد ضَاعَت سَيْنَاء بأكمَلهَا في طَرْفَة عَيْنٍ، وأصْبَح الخَطَر على الأبْوَاب، وعِشْنَا اقتِصَاد حَرب لَا يَكَاد يُلَبِّي الحَاجَات الضَّرُورِيَّة، وإنْ أنْسَى لَا أَنْسَى تَدْمِير مَدْرَسَةٍ عَلى كُلّ مَن فِيهَا مِنْ التَّلَامِيذ مِن البَنَاتِ والبَنين.

ثُمَّ جَاءَت حَرْبُ التَّحْرِيرِ عَام ١٩٧٣، وكَان لهَا مَذَاقٌ مُختَلِفٌ هَذِه المَرَّة، عَرفْنَا مَعَهُ لأَوَّل مَرَّة مَعْنَى الانتِصَار وزَهْوَ اسْتِردَادِ الكَرَامَةِ.. وظَنَنَّا بَعد ذَلِكَ أن الشَّرق العَرَبيَّ دَخَل بِالفِعْلِ مَرْحلَةَ الاسْتِقرَار والتَّنمِيَةِ الشَّامِلَةِ، واللَّحَاق بقِطَار التَّقَدُّم والسَّلَامِ والرَّخَاء، غَيْرَ أنَّه سُرعَان مَا أظلتنا حُروب جَدِيدَة مِنْ نَوعٍ آخَر، وبنظَرِيَّات حَدِيثَة، لَا يَتوجَّه الصِّرَاع المُسَلَّح فِيهَا إلى عَدو خَارجِيٍّ، بَل يَرْتَدُّ إلى الدَّاخِل بَيْنَ أبنَاء الوَطَن الوَاحِد والشَّعْب الوَاحِد، بَعد أن تُمَهِّد الأرض وتُفرَش بِبُؤَر التَّوَتُّر المَذْهَبِيِّ، والنِّزَاع العِرْقِيِّ والطَّائِفِيِّ، وتُصَدِّرَ الأسْلِحَةُ لِأطْرَاف الصِّراع، لِتَبْدَأ بَعْد ذَلِكَ حُرُوبٌ ضَارِيَةٌ تَأتِي عَلَى الأخضَر واليَابِس.

ويُحَارُ العَقْلُ السَّوِيُّ في البَحْثِ عَنْ سَبَب واحِد مَنطِقِيّ، لِهَذا الدَّمَار الَّذي حَلَّ بأغْلَب دول المَنْطِقَة، فالتَّخَلُّص مِنَ الأنظِمَة الدِّيكتَاتُورِيَّة لَا يَتطَلَّب قَصْف الشُّعُوب الآمِنَة بالطَّائِرات، وهَدْمَ البُيُوتِ عَلَى رُؤوسهم ورؤوس نِسَائهم وأطفَالهم، والطَّوائِف العِرقِيَّة والمَذْهَبِيَّة طَالَمَا تعَايشَت في هَذِهِ المَنْطِقَة في أمَانٍ وسَلَام دهرًا طويلاً، والأديَانُ والمَذَاهِبُ لَيْسَت وَلِيدَة اليَوم، وإنَّمَا هِيَ قَدِيمَة قِدَم هَذِهِ الأديَان والمَذَاهِب، وَقَد عَاشَت هِيَ الأُخرَى في سَلَام تَحْت ظِلَال الحَضَارة الإسلاميَّة، لَمْ تُرزأ في مُعتَقداتها، وَلَا مُقدَّراتها، بَلْ كانَت عُنصر ثَراء وتَمَاسُك في

بنيَان المُجْتَمَع ولُحْمَته ونَسِيجِه المُشْتَرك.

كَمَا يُحَارُ العَقْل في تَفْسِيرِ تَزامُنِ انْدِلَاع هَذِه الحُروب في مَنْطِقَة وَاحِدة، وَبينَ أبنَاء الشَّعب الوَاحِد؛ دُونَ سَائِر الشُّعُوب عَلَى وَجْه الأرْض!!.

وَقَد وَضَعْتُ خَريطَةَ العَالَم مَرَّة أَمَامِي، وَرُحْتُ أَبْحَث بَين قارَّاتها عَن مَنْطِقَة أَسْمَع فيها قَعْقَعة السِّلَاح، أو أرَى شَلَّالَات الدِّمَاء، أو أتابع طَوابِير الفَارِّين والهَائمين عَلَى وجُوههم في الصَّحَراء تَحت الثُّلوج والأمْطَار بِلَا مَأوى ولَا غِذَاءٍ ولَا دَوَاء، فَلَمْ أَجِد مَسْرَحًا لِهَذِه المَآسِي غَيْرَ الحِزَام العَربيِّ والإسلاميِّ.

وتسَاءَلتُ هَل كَانَت مَنْطِقَتُنا تَمرّ بِظُروفٍ أو تَغيُّرات تَفرض عَلَيْهَا حُروبًا كَتِلْكَ الَّتي بَدأت ولَا نَدرِي مَتَى تَنْتَهِي؟ وَهَل الثَّورَةُ عَلَى نِظَام مِنْ أنظِمَة الحُكْم في عَصْرنا هَذا يُشْعِلُ في البِلَاد حُروبًا داخِليَّة لأعوامٍ عِدَّةٍ لَا يَتوقَّف فيهَا شَلَّال الدَّم يومًا أو بعض يَوم؟! إلى أَسْئِلَة كَثيرَة تَبحَث حَتَّى الآن عَنْ إجَابَة مَنطِقيَّة فَلَا تَجِد، واليَقِين الوَحِيد الَّذي اصْطَحَبتُه مَعِي في خِضَمِّ هَذِه الأَسْئِلَة الحَيْرَى، أن الإسلام – أو الأديَان– لَا يُمْكِن بِحَالٍ مِنْ الأَحْوَال أن يكُون مِنْ وراء هَذا الجَحِيم الَّذي انْدَلَع وفَقَدَ السَّيْطَرة عَلَيْه، وإنْ كَان المُسْتَفيدُون مِن هَذِه الحُرُوب قَد بَرعُوا في اسْتِغْلَال الدِّين كَوَقُود يَضْمَن اشْتِعَال الحَرب واسْتِمْرَار الخَرَاب والدَّمَار..

وَلَا أُرِيد –أيُّهَا السَّادَة الأكَادِيميُّون العُلَمَاء – أن أُطِيل عَلَيْكُم في سَرْدِ هَذِه الشَّوَاهِد المَأسَاويَّة الَّتِي تَعيشهَا مَنْطِقَة الشَّرْق الأوسَط، فَأنْتُم تَعْلَمُونهَا، رُبَّمَا بِأعْمَق وأدَقّ مِمَّا أعْلَم، وَلَكِن أُريد أن أَقُول إنَّه لَيْسَ صَحِيحًا أن يَتوَجَّه بَحْثُنَا عَنْ أَسْبَاب السَّلَام المَفْقُود في تعَالِيم الأديَان السَّمَاويَّة، وإنَّمَا يَجِب البَحْث عَنْهُ في الظُّرُوف السِّيَاسِيَّة وتضَاربهَا إقْلِيميًّا وَدَوليًّا، وسِيَاسَات الهَيْمَنَة العَالَمِيَّة، وفي المَذَاهِب الاقتِصَادِيَّة المُنْفَلِتَة مِنْ ضَوَابِط الأخْلَاق، والَّتِي لَا يَجِد دُعاتهَا وفَلاسِفَتهَا ومنظروهَا أيَّ حَرَجٍ في أن تَسْعَد قِلَّةٌ مِنْ البَشر عَلَى حِسَاب الكَثْرة الكَاثِرة مِنْهُم، وأنْ يُكرّس الغِنَى والثَّرَاء والعِلْم والتَّقَدُّم والرَّخَاء في الشَّمَال، ويُكَدَّس الفَقْر والمَرض والجَهْل والبُؤس في الجَنُوب، يَجِب أن نَبْحَث

عَنْ أسْبَاب غِيَاب السَّلَام في هَذَا الخَلَل المُقَنَّن بَيْنَ ضِفتي المُتوسط، بَل نَبْحَث عنه في سُلُوك الحضَارات الكُبْرَى المُعَاصِرة الَّتِي لَا تَجِد بأسًا في اخْتِراع عَدو مَوهُوم، تُدِير عَلَيْه رَحَى الحَرب وتُصَدِّر لَه الصِّرَاع بَعِيدًا عن أراضيها حَتَّى تظفر هِيَ بوحدة الصَّف وبِسَلامها الاجتِمَاعي الدَّاخِلِي في مُوَاجهَة عَدوِّها الخَارِجي.. أن هَذِه التَّعقِيدَات الدَّولِيَّة، والَّتِي أَشَرْتُ إلى بعض انعكَاسَاتها السَّلْبِيَّة مَسْؤُولَة عَنْ كَثِير أو قَلِيل مِنْ مُعَانَاة العَالَم العَرَبِيّ والعَالَم الإسلاميّ الآن، وَبِإمكَان مُؤَسَّسَة الأُمَم المُتَّحِدَة الَّتِي أُنشِئَت مِنْ أَجْلِ حِفْظِ الأَمْن والسَّلَام الدَّولِيِّين أن تسهم في احتِواء مُشْكِلَات الشَّرق الأوسَط وتُحَاصِر نِيرَانه وتنقِذ الأرَامِل والثَّكَالَى واليَتَامَى الَّذين لَا نَاقَةَ لَهُم ولَا جَمَل مِن وَرَاءِ هَذا الصِّرَاع.

أَيُّهَا السَّادَة!

أَرْجُو أن تَعْذُرُونِي في صَراحَتِي هَذِه الَّتِي رُبَّمَا تَجاوزَت المُتَعَارَف عَلَيْه في هَذِه المُخَاطَبَات وعُذرِي أَنَّنِي أَتحدَّث إلى زُمَلَاء وَعُلَمَاء لَا أَعْتَقِد أن مَنْهجهُم في بَحْث القَضَايَا الشَّائِكَة يَسْمَح بانتِقَاء بَعض الفُروض وإغفَال البَعض الآخر في اسْتِخْلَاص النَّتَائِج الصَّحِيحَة.. مِن هُنَا وَجبَت المُصَارَحة، وهَذا الَّذي صَارَحتكُم بِه هُو رأي الغَالبيَّة السَّاحِقَة مِن المُثَقَّفِين والمُفَكِّرِين والمُحَلِّلِين في الشَّرق، وتُقَدِّمَه وسَائِل الإعْلَام وشَبَكَات التَّوَاصُل الاجتِمَاعِيّ وكأنَّه أَمْرٌ ثَابِتٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

أمَّا عَن مُقَومَات السَّلَام في الأدْيَان، فَإِنَّ هَذَا المَوضُوع لَا أَستَطِيع اليَوم أن أَزِيد فِيه كَلِمَة وَاحِدة عَمَّا قُلْتُه وكَرَّرتُه في مُؤتَمَرات حوار الأديَان في عَوَاصِم أوروبَا وأمريكَا وآسيَا، على مَدَى خَمسَة عَشر عَامًا خلَت، وحَتَّى لَا أُرْهِق مَسَامِعَكُم اسْمَحُوا لِي أن أُلَخِّص عَقِيْدَتِي في هَذَا المَوضُوع، مِن خِلَال الدِّين الَّذي أَنْتَسِبُ إِلَيْه، وَأُؤمِن بِسَمَاحَته وَرَحْمَته للعَالَمِين:

فَأَوَّلًا: أن الأدْيَان السَّمَاويَّة مَا نَزَلَت إلا لترسِم للإنسَان طَرِيق السَّعَادَة في الدُّنيَا والآخِرة، وتُعَلِّمَه قِيَم الرَّحْمَة والحَقّ والخَيْر، وأَنَّ الله كَرَّمَه عَلَى سَائِر الكَائِنَات الأُخرى، واتَّخَذَه خَلِيفَة لَهُ عَلَى الأرْض، وَحَرَّم دَمه ومَاله وعِرْضه.. وإذَا سَمِعْتُم

أو قَرَأْتُم أن دِينًا مِن الأدْيَان السَّمَاوِيَّة سَمح بِإراقة الدِّمَاء واغْتِيَال الحُقُوق فَاعْلَمُوا أن هَا هُنَا تَدْلِيْسًا في تَصْوير حَقِيْقَة هَذَا الدِّين..

ثَانِيًا: نُؤْمِن نَحْنُ المُسْلِمين بِأَنَّ الإسلام لَيْسَ دِينًا مُنْفَصِلًا عَن الأَدْيَان السَّمَاوِيَّة السَّابِقَة عَلَيْه كَالمَسِيْحِيَّة واليَهُودِيَّة والإبْرَاهِيمِيَّة، بَل يُعَلِّمُنَا القُرآن أن الدِّين الإلَهِيَّ دِيْن وَاحِد اسْمُه الإسلام، بِمَعْنَى: الخُضُوع لله تعَالَى وعِبَادَته، وإسْلَام الوَجْه إلَيْه، وَأَنَّ مَا يُسَمَّى بِالأدْيَان في مُحَادثَاتنا هُوَ: رِسَالَات إِلَهِيَّة تُشَكِّل حَلَقَات مُتَّصِلَة في سِلْسِلَة الدِّين الوَاحِد..

وَمِن هُنَا وَجَدْنَا الإسلام يَتَّفِق مَع الرِّسَالَات السَّابِقَة عَلَيْه في أُصُول العَقَائِد وأُمَّهَات الأَخْلَاق، ويَرْتَبِط بها ارتباطًا عضويًا، فَالإيمَان بالأنبياء والرُّسُل السَّابِقِين وبِمَا أُنْزِل عَلَيْهم مِن الكُتُب السَّمَاوِيَّة جزء لا يتجزأ من إيمان المسلم بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبالقُرآن.

بَلْ يُحَدِّثُنا القُرآن بِأن مَا شرعه الله من الدِّين لِمُحَمَّدٍ هُوَ نَفْس مَا شرعه لِنُوح وإبرَاهيم ومُوسَى وعِيْسَى عَلَيْهم جَمِيْعًا أفضَل الصَّلَاة والسَّلَام، وهَذَا مَا يُفَسِّر لنَا انفِتَاح الإسلام عَلَى الأدْيَان السَّمَاوِيَّة السَّابِقَة عَلَيْه وبِخَاصَّةٍ: المَسِيْحِيَّة، مِمَّا نَعْلَمُه جَمِيْعًا وَلَا نَحْتَاجُ إلى بيَانه لظُهوره ووضُوحه.

ثَالِثًا: في القُرآن حَقَائِق ثَلَاث يَترتَّب بعضها على بعض، تتعلَّق بنَظْرة الإسلام للبَشَرِيَّة، وتحدِيده لِنُوع العَلَاقَة الَّتي يَجِبُ عَلَى المُسْلِمين أن يَتَمَسَّكُوا بِهَا في مُعَامَلاتهم مع غيرهم: الحَقِيْقَة الأولى: هِيَ أن مَشِيْئَة الله في خَلْقِه قَضَت أن يَخلقهم مُختَلِفين في الدِّين والعَقِيدَة واللَّون واللُّغة والجِنس، وأنَّ هَذا الاختِلاف لا يتبَدَّل وَلَا يَزُول، والحَقيقة الثانية المترتبة ترتبًا منطقيًا على ذلك هي أن لا مفر–والحالة هذه – من أن تكون العلاقة بين هذه القبائل والشعوب هي علاقة «التعارف» التي تعني: التعاون المتبادل، وقد نص القرآن على هذه العلاقة وعبَّر عنها بلفظة «التعارف» في الآية (١٣) من السورة (٤٩)، والعلاقة بين هاتين الحقيقتين علاقة تلازم منطقي صارم، لأنه لا يُتصور أن يخلق الله الناس مختلفين في الأديان، وفي

الوقت نفسه يبيح لهم أن تتحول العلاقة بينهم إلي علاقة صراع أو قتال أو علاقة حرب، فهذا تناقض بين حرية التعدد في المعتقد، ومصادرة هذا الحق في حالة القتال الذي ينتهي إلي حمل الناس على عقيدة واحدة.. وهنا تظهر حقيقة تاريخية هي أن المسلمين لم يشهروا السيوف في وجوه غيرهم بسبب معتقداتهم أو أديانهم، اللهم إلا إذا تحول الغير إلي عدو يقاتل المسلمين، فهاهنا القتال بسبب الاعتداء وليس بسبب الدين.. أما الحقيقة الثالثة التي ترتبط بالحقيقتين السابقتين ارتباط النتيجة بالمقدمات فهي حرية الاعتقاد، وتكفل الإسلام بحمايتها، ولعلي أذكّر بأمر تحفظونه عن ظهر قلب حين أذكركم بالآيتين: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ ، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾، وحديث محمد ﷺ: «مَنْ كَرِهَ الإسلام مِنْ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ، فَإِنَّهُ لَا يُحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ».

رابعًا: يقرر القرآن أن الله سبحانه ما أرسل محمد إلا رحمة للعالمين، وكلمة العالمين أوسع بكثير من كلمة المسلمين، بل هي في الفلسفة الإسلامية أعمّ من عالم الإنسان، حيث تشمَل عَالَم الحيوان والنبات والجماد، جاء في القرآن الكريم خطابًا لمحمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، وقال محمد ﷺ مخاطبًا الناس جميعًا: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ» ويضيق المقام بالطبع عن السلوك المذهل الذي كان يسلكه نبي الإسلام مع هذه العوالم، وأكتفي بالإشارة -فقط- إلى تعاليمه في حرمة قتل الكبير والضعيف والمرأة والصبي والأعم في جيش الأعداء، وحرمة قتل حيواناتهم، إلا لضرورة الطعام وعلى قدرها، وحرمة هدم بيوتهم وتخريبها وقلع نباتهم وتفريق نحلهم.. والعجيب أن يأتينا درس الرحمة بالإنسان والحيوان والنبات والجماد من موطن لا تُستاغ فيه الرحمة في حكم العادة، وهو حالة الحرب والعداء التي يُستباح فيها من القسوة ما لا يستباح في غيرها. ولكنها «الرحمة المهداة» التي بسطت رداءها على العالمين وكان للعدو منها نصيب.. هذا النبي الرحيم بالحيوان أخبرنا أن امرأة دخلت النار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، وأخبر أن رجلاً سقى كلبًا في يوم حر شديد فغفر الله له وأدخله الجنة..

خامسًا: لم تقتصر توجيهات القرآن في ربط الإسلام بالسلام على أصل الرحمة، ويترك المسلمين وشأنهم يتحلون بهذا الخلق الإنساني الرفيع أو يتخلون عنه مضطرين أو مختارين، وإنما كثف من لفظ «السلام» ومفهومه في القرآن بشكل لافت للنظر، حتى أصبح الإسلام والسلام وجهين لعملة واحدة إن صح هذا التعبير، ويكفي للتدليل العاجل على ذلك أن نعلم أن كلمة «السلام» بمشتقاتها وردت في القرآن مائة وأربعين مرة مقابل كلمة «الحرب» التي وردت بمشتقاتها (٦) فقط، ومن هنا لم يكن مستغربًا أن يقرر الإسلام مبدأ «السلام» كأصل في معاملة المسلمين وعلاقاتهم بغير المسلمين، وأن فلسفة القرآن لا مكان فيها لعلاقات الصراع والقتال مع المسالمين من غير المسلمين.

أَيُّهَا السَّادة العُلَمَاء!

والآن كيف ننزل بمفهوم السلام في الأديان إلى هذا الواقع المعقد؟ والإجابة التي أختم بها كلمتي هي: لابُدَّ أوَّلًا من صنع السلام بين رجال الأديان أنفسهم، وليس بين رجال الدين الواحد، وهذه معضلة تحتاج إلى حوار باحث عن المشتركات بين الأديان، وما أكثرها وأهمها، فما لم يتصالح رجال الأديان فيما بينهم فإنَّه لا أمل في قدرتهم على الدَّعوة للسَّلام والتَّبْشِير به بين النَّاس، إِذْ فاقِدُ الشَّيء لَا يُعْطِيه..

أمَّا كَيف ذَلِكَ فَهَذَا مَا أحتَاج إلى أن أسْمَعه من حَضَراتكُم.

شُكْرًا لِحُسْنِ اسْتِمَاعكُم؛

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبرَكَاتُه.

شيخ الأزهر

أحمد الطيب

المبحث الثالث

نور من المشرق

لئن كان صوت الأزهر قد دوى وراء المتوسط مجلجلا يعلن سماحة الإسلام ورحمته وحرصه على ترسيخ الأمن والسلام فى العالم ، ويكشف مدى حرص هذا الدين على التواصل بين الأمم والشعوب والإفادة من ثقافة بعضها البعض ، فهاهو يعلو مرة أخرى يهتف بالعالم من جهة المشرق ، الإسلام والسلام وجهان لعملة واحدة ، الإرهاب والقتل العشوائى الظالم ليس من الدين فى شىء ، يجب مقاومة الإرهاب والتخلص منه ، وإنقاذ البشرية من شروره ، على العلماء أن يتصدوا لكل فكر منحرف ، وواجب الحكام أن يساعدوا العلماء فى مهمتهم ويقدموا لهم كافة صور العون والمساعدة ، إن رسالة الإسلام ووظيفة رسوله الكريم جاءت لتكون رسالة رحمة للجميع ، ولقد بعث محمد ﷺ رحمة للعالمين ، هكذا تكلم الأزهر شارحا رسالة الإسلام النقية ، ولقد تولى هذا البيان العظيم للرسالة المحمدية رجل من أعظم رجالات الإسلام ، ومؤسسة هى أعظم المؤسسات العلمية ، على مستوى العالم وعلى مدار التاريخ ، لقد تحدث شيخ الأزهر ، بوصفه عالما من علماء الإسلام ، وباعتباره شيخا لمؤسسة الأزهر العظيمة ، ولنعرض لما قاله الإمام فى مطلبين نرى من خلالهما مدى عظمة وسمو ورقى هذا الدين ، الذى يكيد له أعداؤه ، ويسىء إليه بجهل بعض أبنائه ، وصدق القرآن الكريم ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ .

المطلب الأول: « شريف هداية الله »

فى أندونيسيا كان العالم ينتظر بترقب ماذا سيقول شيخ الأزهر ، وماذا سيقدم للعالم عامة ولدول شرق آسيا خاصة عن الإسلام وسمو رسالته ، وجاءت كلمة العلماء واضحة قوية ومدوية « الإسلام برئ من كل ماترون من دماء ، ومن كل ماتسمعون من عنف ، برىء من كل مايعيشه العالم من تدمير وتخريب ، إنه دين رحمة للعالمين ، دين بناء وإعمار ، وليس دين هدم ودمار ، وكانت الكلمة المباركة لشيخ الأزهر فى جامعة شريف هداية الإسلامية والتى جاء فيها :

«الحمد لله أن هيأ لي وللوفد المرافق من الأزهر الشريف ومن مجلس حكماء المسلمين زيارة جمهورية إندونيسيا، والالتقاء بشعبها الطيب العريق بكل طوائفه، وبخاصة أشقاءنا في الإسلام وإخوتنا في الدين، هذا الشعب الذي يحظى باحترام مصر وشعبها لما يمثله من ثقل في ميزان الأمة، وعلامة بارزة في تاريخ الإسلام والمسلمين، وإخلاصٍ في التمسُّك بالإسلام: عقيدةً وسلوكًا وتطبيقًا لشريعته الغرَّاء».

وأضاف «لو قلتُ: أن إندونيسيا قد حباهَا الله قدرة خاصة على تقديم الإسلام للعالم كله في صورة الدين الذي يدعو إلى سعادة الدنيا والآخرة، وتمتزج تحت ظلاله أصالة القديم وروعة الجديد، وتتصالح في رحابه حاجات الفرد ومصالح المجتمع».

وتابع، «استطاع هذا الشعب اكتشاف كنوز الإسلام الحنيف، وقيمه التشريعية والخلقية، واستخراج ما تختزنه من قيم العدل والمساواة والانفتاح على الآخر، والتشجيع على امتلاك مصادر القوة، وأسباب التقدم العلمي والتقني، والتوكل على الله والاعتماد عليه في امتلاك هذه الطاقات الروحية والمادية، ما أمكن هذا الامتزاج بين الإيمان والعلم والعمل دولة إندونيسيا لأن تقفز إلى صدارة الدول المتقدمة في المنطقة، وتصبح «نِمرًا»، رابط البأس والجأش بين النمور الآسيوية، وأن تضرب أروع الأمثال على أن الإسلام هو دين الدنيا والآخرة، ودين الحياة

ودين الإنسانية كلها، وان تفند بالدليل العملي مفتريات أعداء الإسلام وادعاء أنه دين الكسل والتواكل، والتخلف الاجتماعي، وأنَّه يعيق التنمية الاقتصادية والسياسية، بل أصبح النموذج الإندونيسي الآن مبعث فخر واعتزاز لدى المسلمين، نظرًا لتقدم اقتصادها تقدمًا هائلًا مرموقًا في جنوب شرق آسيا».

وتابع، «احتضن أهلُ إندونيسيا رسالة الإسلام التي وصلت إليهم على أيدي التجار المسلمين، ووافقت ما جُبل عليه أهل هذا الأرخبيل من الوداعة، ولين القلب، ونزعة الأمن، والميل إلى السَّلام، مع ما تميَّزت به عقيدة الإسلام وشريعته من وضوح وعدالة وسماحة، وكانت مناطق «نوسانتارا»، أوَّل مستقبل للإسلام في ذلكم العهد، ثم انتشر منها بعد ذلك وتوسَّع وتجدَّد حتَّى أصبحت إندونيسيا أكبر دول الإسلام قاطبة وأعظمها عددًا، وأشدَّها حُبًّا لله تعالى ولرسوله ﷺ وللقرآن الكريم وشريعته وأحكامه.. أمَّا أمرُ العلاقة بين شعبي «مصر وإندونيسيا»، فإنه يرجع -فيما يقول بعض المؤرخين- إلى عهد مُوغل في القِدَم، ثم تطوَّرَت هذه العلاقةُ عبر القرون إلى تبادلٍ تجاريٍ وعلمي وثقافي، وكان بعضُ الحجَّاج الإندونيسيين يمكثون بعد الحج بِمَكَّة المُكَرَّمة والمَدينة المنوَّرة، ليدرسوا العِلْم على أيدي أساتذة الأزهر وعلمائه، ويُسجِّل المؤرخون الأوروبيون أن خمسينات القرن التاسع عشر شهدت استقرار أوَّل جالية إندونيسيَّة بمصر، جاءت لتدرس العِلْم في الأزهر الشريف على أيدي علمائه وشيوخه، وقد سكن طُلَّابها في رواق من أروقة الأزهر سُمِّي باسمهم وهو :الرواق الجاوي، وكانت مطابع القاهرة تطبع مؤلَّفات عُلَمَاء الدِّين بإندونيسيا، كما تأثَّر الإندونيسيون عبر أبنائهم المقيمين بالأزهر بحركات تجديد الفكر الإسلامي في مصر التي اضطلع بها الإمام محمد عبده وتلاميذه من بعده، والحركات الوطنية بزعامة مصطفى كامل وزعماء التيَّار الوطني في ذلكم الحين.

وأكد أنه يدرس بالأزهر الشريف أكثر من ٣٥٠٠ طالب إندونيسي، يدرس منهم على نفقة الأزهر ٢٦٢ طالب وطالبة، ويُقدِّم الأزهر في كل عام لدولة

إندونيسيا ٢٠ منحة دراسية، كما بلغ عدد المبعوثين للتعليم الأزهري في إندونيسيا ٣١ مُعَلِّمًا.

وأضاف الطيب، أن عالَمنا المُعاصِر الذي نعيش فيه الآن تستبد به أزمات عديدة خانقة سياسيَّةٌ واقتصاديَّةٌ وبيئيَّة، ولعل أسوأها وأقساها على دول العالَم الثالث وشعوبه أزمة الأمن على النفس والعرض والمال، والأرض والوطن، وافتقادُ السَّلام وشيوعُ الفوضى والاضطراب، وسيطرةُ القوَّة، واستِباحةُ حُرمات المُستضعفين، والأقسى من كل ذلك والأمرّ أن تُرتكب الجرائم الوحشيَّةُ الآن، من قتل وإراقة للدماء باسم الدين، وتحديدًا دين «الإسلام» وحده من بين سائر الأديان، حتَّى أصبح «الإرهاب»، علمًا على هذا الدِّين ووصفًا قاصِرًا عليه لا يُوصف به دين آخر من الأديان السماوية الثلاثة، وهذا ظلم في الحُكم، وتدليس يزدري العقول والأفهام ويستخف بالواقع والتاريخ، فمن البيِّن بذاته أن بعض أتباع الديانات الأخرى مارسوا باسم أديانهم، وتحت لافتاتها، وبإقرار من خواصهم وعوامهم، أساليب من العنف والوحشية تقشعر منها الأبدان، وتشيب لها الولدان، وإلَّا فحدثوني عن الحروب الصليبيَّة في الشرق الإسلامي، والحروب الدينية في أوروبا، ومحاكم التفتيش ضد اليهود والمسلمين، ألم تكن هذه الحروب «إرهابًا» ووحشيَّة، ووصمة عار في جبين الإنسانية على مر التاريخ، وقد يقال أن هذه التجاوزات أصبحت في ذمَّة التاريخ، ولم يَعُد لها تأثير تنعكس آثاره المُدمِّرة على عالم اليوم.

وتابع، «حدثوني عمَّا يُسَمَّى الآن بالحرب الصليبيَّة الثانية، وهذه العبارة لم يجر بها لساني بسبب من وحي الصراع الذي نعيشه في العالمين العربي والإسلامي»، وإنَّمَا هي عنوان لكتاب صدر لباحث أمريكي مشهور هو: جون فيفر، عنوانه: «الحرب الصليبية الثانية.. حرب الغرب المستعرة مجددًا ضد الإسلام»، ولا يتسع الوقت بطبيعة الحال لعرض ما جاء في هذا الكتاب أو تلخيصه، ومثله عشرات الكتب في هذا الموضوع، لكنِّي أردت أن أُبيِّن أن الانحراف الذي حدا

بقلة قليلة من المنتسبين إلى الإسلام لارتكاب هذه الفظائع، التي أنكرها عُلَمَاء المسلمين ومفكروهم وعقلاؤهم وعامتهم وخاصتهم أشد الإنكار، هذا الانحراف حدث مثله بل أضعاف أضعافه في الأديان والمِلَل الأخرى، وشجع عليه رجال الأديان وباركوه ووعدوا مرتكبيه بالخلود في الجنان.

وأضاف، أن النظر في تاريخ «الإرهاب المقارن»، إن صحَّت هذه التسمية، يثبت أن المسلمين كانوا في قمة الإنصاف والموضوعية، وهم يفرقون بين الأديان ومبادئها ورموزها، وبين انحرافات المنتسبين لهذه الأديان، إن علماء المسلمين ومؤرخيهم كانوا يسمون هذه الحروب الإرهابية بحروب الفرنجة، ولم ينسبوها للأديان التي نشبت هذه الحروب باسمها، بل ما نسبوها حتى للصليب؛ وعيًا منهم بالفرق الشاسع بين الدين كهدي إلهي، وبين المتاجرين به في أسواق الأغراض والمصالح وسياسات التوسع والهيمنة، واحترامًا لمعتقدات الآخرين وما يدينون به، وذلك رغم ما تعرض له المسلمون قديمًا، ولا يزالون يتعرضون له حديثًا في مناطق كثيرة معلومة للجميع، ولكن لا يمكن الصمت عما يحدث الآن للمستضعفين من المسلمين اليوم من قتل، وإبادة جماعية وتهجير قسري في ميانمار، وسط صمت مخجل من المؤسسات الدولية المعنية، التي أناطت بها مواثيقها وقوانينها أمر الحفاظ على أمن الإنسان وحقه في الحياة، لا فرق في ذلك بين مسلم وغير مسلم. وكذلك لا يمكن الصمت عما يعانيه المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ، من احتلال وتهويد وتغيير لمعالمه الإسلامية، وإذا كانت بعض المؤسسات الدينية الغربية، قد سمحت لنفسها مناشدة العالم الآن لحل ما أسمته مشكلة اضطهاد المسيحيين في الشرق، وذلك رغم ما يؤكده الواقع من عيش مشترك وسلام متبادل بين المسلمين والمسيحيين الشرقيين، وأن ما يقع على بعض المسيحيين من اضطهاد وتشريد وتهجير في الآونة الأخيرة؛ يقع أضعاف أضعافه على مئات الآلاف من المسلمين الذين هلكوا هم ونساؤهم وأطفالهم في القفار والبحار، هربا من الجحيم الذي

يلاقونه في بلادهم، أقول: إذا كانت بعض المؤسسات الدينية الكبرى في الغرب قد سمحت لنفسها أن تطلق هذا النداء، فإني - بدوري أناشد عقلاء العالم وحكماءه وأحراره لحل مشكلات اضطهاد غير المسلمين للمسلمين في الشرق وفي الغرب أيضا، حتى يتحقق الأمن ويَعُمَّ السلام، وتَنعمَ الإنسانيةُ شرقا وغربا.

وأكد أنَّ الله، سبحانه وتعالى، لم يُنزل الأديان من لدنه لشقاء النَّاس ولا لتعريضهم للضرر والرهبة والخوف والرعب، وإنما أنزلها نورًا وهدًى ورحمة، والمسلمون على وجه الخصوص أبعد الخلق قاطبة عن الإرهاب، وما يتولد عنه من عنف، وقتل، وسفك للدم، وإزهاق للروح.. وأنا شخصيًّا لا أعلم دينًا ولا كتابًا سماويًّا توعَّد سفك الدماء بالعقوبة المغلظة في الدنيا والآخرة مثل الإسلام ومثل القرآن الكريم، فقد أوجب القرآن القصاص في القتل العمد في الدنيا، وتوعَّد قاتل العمد بجزاء شديد في الدار الآخرة: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء]. وتساءل ،كيف يُوصَف الإسلام بالإرهَاب وهو الدِّين الذي أعلن رسوله ﷺ أن المسلم هو «مَنْ سَلِمَ النَّاس مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، وقال: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ».. ولم يقتصر الإسلام على تحريم القتل وتحريم إسالة الدم فحسب، بل حرَّم ترويع الناس وتخويفهم حتى لو كان الترويع والتخويف على سبيل المزاح فقال ﷺ: «مَنْ أشارَ إلى أخيه بحديدةٍ، فإنَّ الملائكةَ تلعنُهُ حتَّى يَدَعهُ، وإنْ كَان أخاه لأبيهِ وأُمِّهِ»، وقال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أن يُرَوِّعَ مُسْلِمًا». وكيف يُتَّهم هذا الدين بالإرهاب والعنف والقتل والهمجية وقد وصف الله النبي الذي حمل هذا الدين وبلَّغه للنَّاس بأنَّه: رَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وهو ﷺ وصف نفسه بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»، أي أنا رحمة الله المهداةُ للعَالَمين، والمتأمل في الآية الكريمة والحديث الشريف لا بد له من أن ينتهي إلى حقيقتين لا مجال فيهما لريبة أو شك: الأولى: أن «الرحمة» بمفهومها الأعم الواسع هي الحكمة العليا التي من أجلها

بعث الله نبيه إلى الناس، وهـذا مـا يقتضيه أسـلوب القصـر البلاغـي في الآيـة وفي الحديث، وبحيث تتطابق الآية مع الحديث تطابقًا تمامًا في الدلالـة عـلى أن نبـي الإسلام هو –حصرًا– نبيُّ الرَّحمة، وبُعث من أجل الرحمة، وأن الرحمة بالخلق هـي الغاية من مجيئه إلى هذا الوجود. والقرآن الكريم نفسـه يثبت هـذه الحقيقـة مـن خلال رصد دوران كلمة «الرحمة»، وعدد مرَّات ورودها في آيات التنزيل، فمن بين سائر الفضائل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كالصدق والحلم والعدل والأمانة والعفو والكرم وغيرها، تنفرد صفة «الرحمة»، بكثرة ورودها في القرآن كثـرة لافتـة للنظر، فقـد وردت بمشـتقاتها في خمسـة عشـر وثلاثمائـة موضـع، مقارنـة بصـفة «الصـدق»، التـي وردت خمسًـا وأربعـين ومائـة مـرة، و «الصـبر»: تسـعين مـرة، و«العفو»٣٤ مرة، والكرم ٤٢ مرة، والأمانة ٤٠ مرة، والوفاء ٢٩ مرة.

وتابع: إن الحقيقة الثانية التي نستخلصها مـن التأمـل في الآيـة والحـديث هـي عموم رحمته ﷺ بالعوالم كلهـا، بمعنـى أنَّـه رحمـة الله إلى الخلـق كافـة وإلى النـاس أجمعين، وأن رحمته ليست خاصة بالمسلمين فحسب، بل تتعداهم –بـنص الآيـة– إلى غيرهم من سائر الأمم والشعوب، وهذا ما يؤخذ من كلمة: «العالمين»، والتـي لا يتوقَّف مفهومها ومعناها عند حدود عالَم الإنـس فقـط، بـل يشـمل أيضًـا كـل العوالم التي أحصاها العلماء والحكماء والفلاسفة، وحصـروها في عـوالم الإنسـان والحيوان والنبات والجماد. وأنتم لو ألقيتم نظرة سريعة عـلى سـيرته ﷺ فسـوف يُدهشكم شمولُ رحمته لكلِ هذه العوالم، بدءًا من الجمـاد وانتهـاءً بالإنسـان؛ فقـد كانت له مع الجماد صلاتُ مودةٍ وسلام، عبَّر عنها في قوله الشريف: «أُحُـدٌ جَبَـلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»، وفي قوله: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَـيَّ قَبْـلَ أن أُبْعَـثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» .وأوضح من ذلك نهيه الصريح لجيوش المسلمين أن يهدموا في حروبهم بيوت الأعداء، أو يخربوا عمرانهم، أو يقطعوا شـجرهم ويقلعـوا نبـاتهم، ويعقروا نخيلهم، وقد ورد ذلك وغيـره في أوامـر حاسـمة يقـول فيهـا النبـي ﷺ: «...لا تَغُلُّوا، وَلا تَغْدِرُوا وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا وليدًا» .وفي حديث آخـر: «... وَلا تَقْطَعُنَّ شَجَرَةً، وَلا تَعْقِرُنَّ نَخْلًا، وَلا تَهْـدِمُوا بَيْتًـا»، ووصـايا أخـرى سـار عليهـا

أصحابه وخلفاؤه من بعده، ومنها وصية الصدِّيق رضي الله عنه لجيش أسامة وتحذيرهم من قتل الأطفال في بلاد العدو أو الشيخ الكبير أو المرأة أو الأجير أو الرهبان. أو ذبح الحيوان إلا لضرورة الأكل، وعلى قدرها، دون تجاوز أو زيادة.ولَكُم أيُّهَا السَّادة، بل للعالَم كله، أن يُقارن ويتأمَّل الفرق بين هذه الأخلاق الإنسانية العُليا التي حكمت سيوف المسلمين، في حروبهم وألجمتها عن تجاوز العدل حتى في مواجهة العدو، وبين همجية الحروب الحديثة، التي تبيد النساء والرجال، والأطفال، إبادة جماعية، وتهدِمُ البيوت على رؤوس أصحابها، وتُزيل قُرى كاملة من الوجود، كي يتبين للجميع أن الإسلام هو دين الرحمة وأن نبيه ﷺ هو نبي الرحمة.

وأكد: أنه قصد من وراء هذه اللمحة السريعة أن يتساءل: كيف صُوِّر هذا الدين الذي يدور على مفهوم الرحمة ومعناها، وجودًا، وغايةً، وهدفًا، في صورة العُنف والقتل وإرهاب الآمنين، إن هذا الدِّين الحنيف ما كان لِيوصَم بهذا الإفك المفترَي لولا ما ابتليت به هذه الأُمَّة في الآونة الأخيرة بنابتة سوء من أبنائها وشبابها، يقترفون جرائم القتل والحرق، والتمثيل بجثث المسلمين وغير المسلمين، ويظنون أنهم بجرائمهم هذه يجاهدون في سبيل الله ويُحيون دولة الإسلام، وقد كفَّروا مَن خالفهم مِنْ المسلمين ولم يعتنق أفكارهم الشَّاذَّة، ومذاهبهم المُنحَرِفة، الَّتي يرفضها الإسلام ويبرأ منها وينكرها أشدَّ الإنكار.. والأزهر الشريف وهو يتحمَّل مسؤوليَّة البلاغ والبَيان أمام الله تعالى يوم القيامة، لا يألو جهدًا في التنبيه المُسْتَمِر على انحراف هذه الأفكار، وأنها ليست من الإسلام والقرآن والشريعة، لا في قليل ولا كثير، وأن هؤلاء مضلَّلون في تنكّبهم هدي الله ورسوله وأنهم، من حيث يعلمون أو لا يعلمون، وأنهم أساؤوا إلى الإسلام بأكثر مِمَّا أساء إليه أعداؤه، وشوَّهوا صورته السَّمحة النَّقيَّة، وقدَّموا بعبثهم بالإسلام صورًا مغشوشة شائهة استغلَّها أعداء هذا الدين السمح في داخل العالَم الإسلامي وخارجه، وطعنوا بها على الإسلام وثوابته، وسخروا من رسوله ومن سُنَّته وشريعته، ولايزال الأزهر يُنادي هؤلاء الشباب ويطمع أن يُفيقوا من سكرتهم، وأن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يعلموا أن الغلو الذي أدَّى بهم - وبنا معهم - إلى هذه

الفِتَن العمياء، قد حذَّرنا منه رسول الله ﷺ في قوله: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» ، وفي قوله: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، أي :المغالون والمتجاوزون في الأقوال والأفعال..وامتثالًا لقول الله تعالى :﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ نُذكِّر هؤلاء الذين بغوا علينا، وأساؤوا إلى ديننا وأمتنا وتاريخنا أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وأنه قد آن الأوان أن ليراجعوا أنفسهم، و يندموا على ما فرطوا في جنب دينهم وأمتهم، واللهُ عزَّ وجلّ-كما يعلمون - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ..﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر].

وأكد أن لعلماء الأُمَّة واجبهم الذي سنسأل عنه جميعًا أمام الله تعالى يوم القيامة، وهو بذل المستطاع من الطاقة والقوة والجهد، والتناصح من أجل الحفاظ على وحدة الأمة وصيانة عقائدها من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. وعلينا أن ننتبه إلى ضرورة العمل على ترسيخ فقه التيسير ومقاومة فقه الغلو والتشدد والتطرف، مع مقاومة ثقافة التحلل والتغريب وتدمير هوية المسلمين وثوابتهم وتراثهم العريق جنبًا إلى جنب. وأن نلتفت إلى خطر التعليم في ترسيخ فقه التيسير وثقافة التعايش، وتجديد المناهج انطلاقًا من القرآن والسُّنَّة الصحيحة، وما أجمع عليه المسلمون، والبعد كل البعد عن وضع الخلافيات في الفروع موضع القواطع والثوابت.

وَمِمَّا يَجب التنبُّه له شرعًا ضرورةٌ، بل وجوب، طلب الفتوى من أهل العِلم، المُلتزمين بمذاهب أهل السُّنَّة أصولًا وفروعًا، ومِمَّن لهم خبرة وبصر بمستجدات الواقع ونوازله، ويدركون خطر الآراء الخارجة عما أجمعت عليه الأمة، أو وقع عليه اختيار الجمهور من العُلَمَاء والفُقَهاء على مدَى أكثر من أربعة عشر قرنًا من

الزَّمان، وأنْ نعلم أن التعصب لهذه الخلافيات والفتاوى الغريبة قد أسهم كثيرًا فيما وصلت إليه الأُمَّة الآن من انقسام وتنازع وفشل، وفتح الباب على مِصراعيه للتدخلات الخارجية، بمخطَّطاتها الماكرة لتعبث ما شاء لها العبث بأمور المسلمين، وكانت النتيجة الكريهة لهذا الوضع أن صار بأسُنا بيننا شَديدًا .وليس أمامنا إلا الاعتصام بحبل الله، والتمسُّك بما أمر به في قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران] ، وذلك حتَّى لا يتحقَّق فينا الوَعيد الإلهيّ في قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال]، وأيضًا الوعيدُ النبوي في قوله ﷺ: «يُوشِكُ أن تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ. قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ.

وتابع، عَلينا –يَا عُلَمَاء الأُمَّة بكل مذاهبها ومشاربها- أن نتأمَّل جَيِّدًا التشبيه النبوي المعجز في هذا الحديث الشريف، والذي يصور قصعة فيها طعام شهي، وحولها جائعون متلهفون، يدعو بعضهم بعضًا لالتهامها وابتلاعها، على مرأى ومسمع من أصحاب القصعة وحُرَّاسها، المتشاغلين بما بينهم من توافِه الأمور وغرائب الأحوال، ولو أنَّنا استعرنا هذا التصور النبوي، وطبقناه على حال العرب والمسلمين اليوم، وما أفاء الله عليهم من ثروات ظاهرة وباطنة لا يحصرها العد، وتربُّصِ الأُمَمِ بهذه الثروات – لأدركنا إذن أين نقف اليوم من هذا الحديث الشريف الذي يكاد يستشرف واقعنا الآن من وراء ١٥ قرنًا من الزمان.

المطلب الثاني : «مولانا مالك بن إبراهيم»

مولانا مالك بن إبراهيم اسم لإحدى الجامعات الأندونيسية التى زارها شيخ الأزهر وتحدث فى زيارته إلى الأساتذة والطلاب الحضور بها ، لقد جلى الشيخ الكثير من حقائق الإسلام المطموسة ، وصحح العديد من المفاهيم المغلوطة ، وأنصف بعضا من المصطلحات المظلومة ، وهتف فى العلماء مبينا واجبهم ورسالتهم تجاه الإسلام والعالم فماذا قال الإمام ؟ جاءت الكلمة كالتالي:

الدكتور مودجينا راها ردجيو – عميد جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية، إخواني وزملائي أساتذة الجامعة، أبنائي وبناتي الطلاب والطالبات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد:

فإنَّه ليُسْعِدَني حقًا ويُشرِّفني أن ألتقي بكم أيها العلماء والشباب الباحثون وطلاب العلم، في رحاب «جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية»، وأن أشم عطر البحث العلمي في أجوائكم، وأرى الشوق إلى المعرفة في عيونكم، حتى إني لأغبطكم -عَلِم الله- لما أنتم فيه، وقد أثرتم حنيني إلى أيام التبتل في محراب العلم، والتنقل في أروقة الجامعة، والتمتع بتذوق نص تراثي، أو باكتشاف فكرةٍ جديدة، أو بتوجيه باحثٍ شابٍّ إلى أقرَبِ الطرق إلى بغيته المنشودة.

يعرف شعوري هذا جيدا، مَن اتخذ -عن قصد واختيار- التعليم مهنةً ورسالةَ حياةٍ، وهي رسالة الأنبياء من قبل، ويكفي المعلم شرفًا قوله ﷺ: «إنما بعثت مُعلِّمًا»، كما يُقدِّر هذا الشعور مَن ذاق حلاوة اكتشاف الحقيقة بعدَ عَناءِ البحث وطول التأمل وصدق الطلب؛ وقد كان حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله كثيرًا ما يُردِّد: «سُئِلَ حكيم: ما السعادة؟ فقال: هي في حجة تتبختر اتضاحًا، وشبهة تتضاءل افتضاحا».

وعندما كانت أمَّتنا -أيها السادة! - تمارس الفروسية، ويشب شبيبتها على

الخيل وثبًا لم يكن في شعورها وذوقها العام ما ينافس مُتعة الفروسية بحركاتها البارعة الرائعة، إلا الجلوس الهادئ إلى صفحات كتابٍ.

وكثيرًا ما ردَّد أبو الطيب المتنبي -رحمه الله:-

أعزُّ مكانٍ في الدُّنيا سرجُ سابحٍ   وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ

إن المعرفة هي أعز ما يطلب، وهي أول واجب على العقلاء، وهي تراث الأنبياء) :إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ)؛ وهي مفتاح باب الجنة: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ)؛ وهي عِصمة الأمة من الضلال والتيه: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أن أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»؛ رواه البخاري.

فهنيئا لكم تلك الحياة الممتعة، وهنيئا لمن رفعه الله فرعَى حقَّ ذلك التكريم ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾.

ثم أقول لكم أيها الإخوة :

فمنذُ ألف عام -بل تزيد-قامت في مصر، البلد الوحيد الذي يمتدُّ في فضاء القارَّتين العريقتين: آسيا وأفريقيا، وهما منشأ الحضارات الإنسانية، ومهبط كلِّ الرِّسالاتِ السماويَّة، قامت منارةٌ سامقةٌ، تبعث بأضوائها الهادية إلى أطراف العالَم كلِّه، وبخاصَّة شباب هاتين القارَّتين من أبناء الأمَّتين العربية والإسلاميَّة.

إنَّه الأزهر الشريف الذي بفضله أقفُ بينكُم اليوم، والذي أعدُّ هذا التكريم المقدور والمشكور، من إخوتنا في إندونيسيا، وفي جاوة معقل العلم والعلماء، أعده تكريمًا للأزهر في الحقيقة جامعًا وجامعة، بل هو تكريم للمسلمين متمثلًا في خادم الأزهر الشريف وخادم العلم والعلماء والفقير إلى الله تعالى الذي يقف بين أيديكم الآن.

وليس الأزهر أيها السادة -كما تعلمون- مجرَّد معهد عريق أو جامعة عالميَّة، ربّما كانت هي الأقدم في تاريخ الإنسانية التي تواصَلَ عطاؤها دون توقُّف، طوال هذه القُرون العديدة إلى اليوم، بل هو في جوهرِه رسالةٌ، ومنهجٌ، وخطابٌ فكريٌّ متميِّز.

فالأزهر الشريف يحملُ مسؤوليَّة الجانب العِلميِّ والدعويِّ من رسالة الإسلام، خاتمة الرسالات الإلهية إلى البشر كافَّة، رسالة السّلام العالمي والمساواة والعدالة والكرامة الإنسانيَّة، والتحرُّر من الآصار والقيود التي تُثقِل كاهلَ البَشر، وتُؤمن بكلِّ ما أرسَلَ اللهُ من رسولٍ، وما أنزَلَ الله من كتاب؛ ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾.

ويسلكُ الأزهرُ في فهمِ هذه الرسالةِ وتعليمها والدعوة إليها - منهجَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، كما تمثَّل في فِكرِ الإمام أبي الحسن الأشعري بمقالاته المنصفة، وسائر كُتُبِه الّتي شَقَّت طريقَ النّظر العقليّ في الأصلَين بعُمقٍ ووسطيّةٍ واعتدال، كما يتمثل هذا المنهج أيضا في أصول الأئمَّةِ المتبوعين من فُقَهاءِ الأُمَّة، دون تعصُّبٍ أو إقصاء؛ فأبو حنيفة ومالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ، أعلامٌ تتردَّدُ في رحاب الأزهر الشريف، وآراؤهم وأقوالهم تُدرسُ في أروقته وتحت قبابه، في سَماحةٍ فكريَّةٍ، ونظَر موضوعي جنبًا إلى جنبٍ، وبحثٍ مخلص النيَّة والهدَف عن الأقوى دليلًا، والأوفى بحاجاتِ الأمَّة في ظُروفِها المتغيِّرة، ونوازلها المتجدِّدة.

وما أروع ما قال أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته المشهورة عن الأزهر الشريف، والتي قال فيها:

وَسَما بِأَروِقَةِ الهُدى فَأَحَلَّها	فَرعَ الثُرَيّا، وَهيَ في أَصلِ الثَرى
وَمَشى إِلى الحَلَقاتِ، فَانفَجَرَت لَهُ	حِلَقًا كَهالاتِ السَماءِ مُنَوِّرا
حَتّى ظَنَنّا الشافِعِيَّ وَمالِكًا	وَأَبا حَنيفَةِ وَابنَ حَنبَلَ حُضَّرا

هذا وقد استَقامَ للأزهر على مَدَى القُرون منهجٌ يقوم أوَّلًا على بناء مَلَكَةٍ رَصِينة لدى أبنائه في اللُّغةِ العربيَّة، وأسرارها العبقريَّة، ثم في دِراسة الكتابِ والسُّنَّة، والعُلوم التي تخدمُهما، واستخلاص الأحكام الاعتقاديَّة والعِلميَّة منهما، أعني: علومَ أصولِ الدِّين وأصول الفقهِ، وعلومَ القُرآنِ، وعلومَ الحديثِ الشريف، وعلومَ الفقهِ المذهبي والمقارَن، مع إلمامٍ بما يعينُهم على فهم عصرِهم، وماضي ثقافتهم الإسلامية وأطوارها المختلفة، ومَنابع الثقافةِ الإنسانيَّةِ بوجهٍ عامٍّ، من الفلسفةِ الشرقيَّة والغربيَّة، والآدابِ القديمةِ والمعاصرةِ؛ ليُزوَّدوا منها بما يُعينُهم على فهم الماضي والحاضر والقُدرة على استشراف المستقبل، والإفتاء في النَّوازل والوقائع المتجدِّدة على منهجٍ عِلمِيٍّ وأصولٍ مقرَّرة.

ولئن سألتُموني عن السِّمة المميِّزة للمنهجِ الأزهري في الدَّرس العلميِّ فلأقولَنَّ: إنَّه منهجُ التحليل النَّصيِّ العَمِيق الدَّقيق لعُيون التُّراث الإسلامي والعربي، ممَّا خلَّفته القُرون الأربعةَ عَشَر من كنوز ثقافتنا؛ حتى تتكوَّن إلى جانب المَلَكةِ اللُّغويَّة مَلَكةٌ شرعيَّةٌ تُعين الخرِّيجينَ النُّجباءَ في هذا المعهد على الوَفاءِ بحاجات الأمَّة؛ ممَّا أهَّلَه للمَرجِعيَّة الإسلاميَّة الموثَّقة في العالَم الإسلامي كلِّه.

وقد قُدِّرَ لي -بحمد الله- أن أَدْلِفَ إلى رِحابِ هذا المعهد العَتِيدِ بعدَ تَنشِئَةٍ عربيَّةٍ رُوحيَّةٍ في بيتِ عِلمٍ ودين، وعلى يدِ أَبٍ حَفِيٍّ أورَثَني الكثير الذي أسأل الله أن يجزيه عني وعن العلمِ خير الجزاء، ثم نَعِمتُ بتوجيهِ أئمَّةٍ أعلامٍ من شُيوخ الأزهر، جمَعُوا بين العِلم الشَّرعيِّ على نهجِ الأئمَّة، والحكمة الإسلامية.

كما أبدعها الفيلسوف العربي يعقوب الكندي، والمسلكِ الرُّوحِيِّ على طريق أئمة السلوك والتُّقَى: الجُنَيد البغدادي والحارث المحاسبيِّ وأبي القاسم القُشيريِّ وأبي حامد الغزالي، وهو مَزِيجٌ غلَب على الأوساطِ الأزهرية منذُ الإمام المجدِّد ابن دَقِيقِ العيدِ وشيخِ الإسلام زكريا الأنصاريِّ، وصاحبِ «الفتح» ابنِ حَجَرٍ العسقلانيِّ، ثم الأئمَّةَ حسن العطار وعُليش ومحمد عبده والمراغي ومصطفى عبد الرازق وسليمان دنيا وغيرهم -رحمة الله عليهم أجمعين.

وتلكم هي أصول الخطاب الأزهري المتميِّز بالوسطيَّةِ في العقيدة بين أتباع السَّلَف المحترزين من التّشبيه ومن مزالق التأويلِ، والخلَفِ المستحسِنين للنظَر والقائلين بالتأويل بحسَبِ قانون العربيَّة ولفظ الشَّرْعِ الشَّريف، جَرْيًا على ما رُوِيَ عن إمام دار الهجرة: «الاستواء معلومٌ، والكيف مجهول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ»، وكذا التوسُّط بين إيثارِ التشدُّدِ أو التعصُّب لمذهب مُعَيَّنٍ في فهم خطاب الشارع، وبين التَّسيُّب العلمي، أو التفلُّت من أصول الاستدلال، والترجيح بين آراء الفقهاء على غير هدى.

وما يلقاه الخطاب الأزهري الوَسَطِيّ المعتدل الآنَ من قَبولٍ في العالَم الإسلامي وخارجه، إنَّما يرجعُ إلى هذه الرُّوح الّتي تمزجُ الفكرَ العلمي بالروح الصُّوفي، وتتمسَّك بالحدِّ الأوسط الذي وصفت في مجالي العقيدة والعمل، والّذي يعكسُ الرُّوح الإسلاميَّةَ الأصيلةَ التي تَسُودُ العالم الإسلامي -بحمد الله- بصَرْفِ النَّظَرِ عن بعض الأصوات الهامشيَّة هنا أو هناك.

وإنِّي لأشعُرُ بالسَّعادة البالغة أيُّها الإخوة لقُدومي في هذه المناسبة الكريمة، إلى إخوتي في الديار الجاوية، وقد خدمتُ العِلمَ الشريف والجيلَ الجديد، في عديدٍ من الجامعات في العالمين: العربي والإسلامي، وها أنَذا آتي إليكم ممثِّلًا لمؤسستكم الإسلامية العريقة «الأزهر الشريف»، وقد وُسِّدَتْ إليَّ قيادتُها وتوجيهُ دفَّتها في ظُروفنا المتغيِّرة والمضطربة، وإنِّي لأثِقُ بفضلِه سبحانَه وتوفيقِه، وبهِمَمِكم وإخلاصِكم وغَيْرتكم على دِينكم الحنيف، وتُراثكم العريق، وثقافتنا الإنسانيةَ السَّمحة.

ثُمَّ إنِّي شاكر لحضراتكم جميعًا تفضلكم بمنحكم إيَّاي الدكتوراه الفخريَّة، والتي أعتقد أنها إعلانٌ منكم بتكريم الأُخُوَّة بين مصر الأزهر وجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية.

شكرًا لكم جميعًا.. والسَّلام عَلَيْكُم ورَحمةُ الله وبَركَاته

• راجع كلمات الامام الأكبر ضمن كتاب « الامام الأكبر فى أندونيسيا » الصادر مع مجلة الأزهر بعددها السابق بيانه من قبل .

المطلب الثالث : ياليت قومي يعلمون

دعاة السوء وعلماء الضلالة وجماعات الإرهاب في ظاهرهم هداة ، وفى حقيقتهم قطاع طريق إلى الله ، فهم وإن قالت ألسنتهم اسمعوا إلينا نادت أفعالهم لاتقبلوا علينا ، فيصدون بأفعالهم الخلق عن الحق ، فما أقبح أثرهم على العباد ، وهؤلاء قد سقطوا من عين الله وسقطوا من عين الناس ، إنك تشعر بغصة في حلقك عندما تجد هؤلاء لايحسنون فهم الإسلام ، ولايحسنون تبليغه ، ولايتمثلون في أعمالهم وأحوالهم شريعته رغم أنهم أكثر الناس حديثا عنه ، وأبلغهم تعصبا له ، وأشدهم تشدقا به ، ورغم كل ذلك فهم أعظم الناس ضررا بالإسلام ورسالته ، وأشد الناس تنفيرا عنه ، ويطردون الخلق عن أبوابه ، ويقنطونهم من رحمة الله وثوابه ،وكأن شمس الإسلام لم تشرق في نفوسهم بكامل بهائها وضيائها ، وأسوق هنا مجموعة من شهادات علماء ومفكرى الغرب عن الإسلام نرى كيف تجلت لهم كمالاته ، وأشرقت في عقولهم شموسه ، واستقامت لديهم مفاهيمه ، وتحددت عندهم مبادؤه ومعالمه لتقارن أخي القارئ بين ماعليه جماعات العنف الذين سُلبوا نعمة العقل والفكر لترى كم هم سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان ، يدعون إلى الإسلام وليسوا منه في شيء برغم طول تباكيهم على الإسلام والعالم الإسلامى ونسوا أنهم سبب عظيم من أسباب بلائه ، ومصيبة كبرى من مصائبه وينقسم هذا المطلب إلى عدة مسائل ختامها نسائم الحرمين وذلك على النحو التالى .

مسألة : قالوا خيرا

لقد تواترت شهادات المنصفين من علماء ومفكرى الغرب بعظمة هذا الدين الإسلامى وهو غنى عن شهادتهم ، لكن رغم غنائه عنهم أنطقهم الله تعالى بالحق وبالحقيقة التى جهلها أو تجاهلها أو أساء إليها الكثير من أتباع هذا الدين ، بل لقد طمسها وشوهها جماعات التكفير والعنف الجائر الغير مبرر ، كثير من الغربيين اليوم لايعرفون عن الإسلام إلا الدماء ، ولايسمعون عنه إلا صوت التفجيرات ، ولايرون فيه إلا الخناجر والمدى فى يد داعش وأخواتها ، وعمد المغرضون منهم إلى اصطياد هذه الجرائم وتضخيمها والنفخ فيها لتأخذ حجما أكبر من حجمها الطبيعى ، وبدلا من أن ينسبوها إلى مرتكبيها نراهم يصرون ويتعمدون إلصاقها بالإسلام وبنبى الإسلام وقرآن الإسلام ، يساعدهم على ذلك حماقة التكفيريين ، وصمت الكثير من العلماء والمصلحين ، وتخاذل العديد من الحكماء والمفكرين ، حتى تجرأ هذا الفريق من الغربيين ورسم نبى الإسلام ورسول الرحمة بأبشع صورة عرفها التاريخ ، لقد نسى الكثير من الغربيين إنسانيات محمد الإنسان الكامل أمام قنابل وخناجر وسيارات داعش المفخخة ، وأمام التخريب الذى يقوم به أنصار داعش وأخواتها داخل بلاد الإسلام ، بل داخل مقدساتنا ومساجدنا المكرمة ، ورغم كل ذلك لازال فى النفق بصيص من نور ، وصوت يردد معنا نحن الأمة الوسط : -

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

وهاهى بعض شهاداتهم :

تقول الشاعرة (ساروجين نايدو) :

«لقد كان الإسلام في المسجد عند أداء الصلاة ، وفي ساحة الحرب إذ يقاتل المسلمون صفاً ، وكانت عدالة الإسلام تطبق خمس مرات في اليوم ، عندما كان الأمير والفقير يركعان ويسجدان كتفاً إلى كتف ... لقد شدتني مرات ومرات

وحدة الإسلام التي لا تتجزأ والتي تجعل من الإنسان أخاً للإنسان ... »

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه : «لا إكراه في الدين ، هذا ما أمر به القرآن الكريم ، فلم يفرض العرب على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام ، فبدون أي إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد، إذ تشرق الشمس عليه بدفئها ! وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة ، هكذا انعطف الناس حتى من بقي على دينه ، إلى السادة الفاتحين».

ويقول غوستاف لوبون في « التمدن الإسلامي» :

«كل ما جاء في الإسلام يرمي إلى الصلاح والإصلاح ، والصلاح أنشودة المؤمن ، وهو الذي أدعو إليه المسيحيين» .

ويقول المستشرق بول دي ركلا :

«يكفي الإسلام فخراً أنه لا يقر مطلقاً قاعدة (لا سلام خارج الكنيسة) التي يتبجح بها كثير من الناس ، والإسلام هو الدين الوحيد الذي أوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب إلى الفسق والفجور».

* الإسلام دين التسامح:

يقول المستشرق بارتلمي سانت هلر :

« إن دعوة التوحيد التي حمل لواءها الإسلام ، خلصت البشرية من وثنية القرون الأولى».

ويقول العلامة الكونت هنري دي كاستري : «درست تاريخ النصارى في بلاد الإسلام ، فخرجت بحقيقة مشرقة هي أن معاملة المسلمين للنصارى تدل على لطف في المعاشرة ، وهذا إحساس لم يُؤثر عن غير المسلمين .. فلا نعرف في الإسلام مجامع دينية ، ولا أحباراً يحترفون السير وراء الجيوش الغازية لإكراه الشعوب على الإيمان»

ويبين الشاعر غوته ملامح هذا التسامح في كتابه (أخلاق المسلمين) فيقول:«للحق أقول : أن تسامح المسلم ليس من ضعف ، ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه ، وتمسكه بعقيدته» .

ويؤكد هانوتو إعجابه بروعة التسامح الإسلامي فيقول : «إننا مدينون للمسلمين بالعدل والسلم والتساهل الديني ، ومن الواجب أن ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا في فهمه، وعلينا أن نتخذ (لا إكراه في الدين) شعاراً» .

ويقول المستشرق لين بول : «في الوقت الذي كان التعصب الديني قد بلغ مداه جاء الإسلام ليهتف (لكم دينكم ولي دين) ، وكانت هذه المفاجأة للمجتمع البشري الذي لم يكن يعرف حرية التدين ، وربما لم يعرفها حتى الآن»

يقول المفكر آرثر هاملتون :

«لو توخى الناس الحق لعلموا أن الدين الإسلامي هو الحل الوحيد لمشكلات الإنسانية»

ويؤكد هذا المعنى عالم القانون مارسيل بوازار :

«إن دخول الإسلام إلى الساحة العالمية ، وإعادة الأمر إلى نصابه بتحقيق التوازن المطلوب ، ليس هو مجرد مشاركة فعالة ، وإنما هو إنقاذ للوضع البشري المنهار» .

ويقول الفيلسوف جورج برناردشو : «الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها ، ولا نجد في الأديان حسناته ! ولقد كان الإسلام موضع تقديري السامي دائماً ، لأنه الدين الوحيد الذي له ملكة هضم أطوار الحياة المختلفة ، والذي يملك القدرة على جذب القلوب عبر العصور. قد برهن الإسلام من ساعاته الأولى على أنه دين الأجناس جميعاً ، إذ ضم سلمان الفارسي وبلالاً الحبشي وصهيباً الرومي فانصهر الجميع في بوتقة واحدة» .

ويقول شاعر فرنسا (لامارتين) : «الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن

يفي بمطالب البدن والروح معاً ، دون أن يُعـرِّض المسـلم لأن يعـيش في تأنيـب الضمير ... وهو الدين الوحيد الذي عباداته بلا صور ، وهو أعلى ما وهبه الخـالق لبني البشر».

انتهى من كتاب : «ربحت محمدا ولم أخسر المسيح». وراجـع فى ذلـك أيضـا رسالة « شهادة كبار الحكماء والمفكرين على عظمة الرسول الأمين » لمحمد بـن عبد الله الطالبى .

مسألة : وقال الأمير :

وكان أهم حدث فى تاريخ العلاقات بين الإسلام والغرب شهدته بريطانيا، عندما ذهب الأمير تشارلز إلى جامعة أكسفورد بتاريخ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣ وألقى فى مركز الدراسات الإسلامية خطابه لإعادة الاعتبار إلى الإسلام وكشف ما أحاط به من حملات التشكيك.......

وقال الأمير في كلمته : إن الحقيقة المحزنة أنه على الرغم من التقدم فى التكنولوجيا ووسائل الاتصال، وانتقال الناس على نطاق واسع عبر الحدود، واختلاط الأجناس، وكشف كثير من الألغاز فى هذا العالم، فإن سوء الفهم بين الإسلام والغرب ما يزال مستمرا، بل ربما أخذ يزداد.

كما قال تشارلز بعد ذلك صراحة : أن سوء الفهم بالنسبة للغرب لا يمكن أن يكون حصيلة الجهل. ففى أرجاء العالم أكثر من ألف مليون مسلم، وفى دول الكومنولث الوثيقة الارتباط ببريطانيا يعيش ملايين المسلمين، وفى دول الغرب يعيش أكثر من عشرة ملايين مسلم، والجالية الإسلامية فى بريطانيا تنمو منذ عقود، فهناك حوالى ٥٠٠ مسجد فى بريطانيا، والاهتمام الشعبى بالثقافة الإسلامية يتنامى بسرعة.. أن الإسلام يحيط بنا من كل جانب.. ومع ذلك يستمر الشك والخوف.

وكان مما قاله الأمير تشارلز كذلك : إن الصراع الذى يعانى منه العالم الإسلامى نتيجة لسوء استخدام السلطة وتضارب الأفكار، والنشاطات المهيجة التى يمارسها القادة المتعصبون والمجردون من الضمير، ولكن المحزن أن الصراع يندلع نتيجة عدم القدرة على الفهم، وما يؤدى إليه سوء الفهم من تعمق الخوف وانعدام الثقة. ومن الغريب أن يستمر سوء الفهم بين الغرب والعالم الإسلامى مع أن ما يربط بينهما أقوى بكثير مما يفصل بينهما. فالمسلمون والمسيحيون واليهود كلهم (أهل الكتاب). والإسلام والمسيحية يشتركان فى الوحدانية.. الإيمان بإله واحد، وبأن الحياة الدنيا فانية، وبأن الإنسان مسؤول عن

أفعاله ويحاسب عليها فى الآخرة. ويشترك المسيحيون والمسلمون فى كثير من القيم مثل العدل والإحسان إلى الفقراء واحترام المعرفة والحياة العائلية واحترام الوالدين، ولكن- مع ذلك- فإن معظم فترات التاريخ تميزت بالصراع بين العالمين، واستمرت فترة العداء المتبادل أربعة عشر قرنا، وقد أدى ذلك إلى وجود شعور دائم بالخوف والشك. لأن كلا من العالم الغربى والعالم الإسلامى غالبا ما ينظر إلى الماضى بمنظور مختلف ومتعارض مع منظور الآخر.

كما علق تشارلز على اختلاف زاوية الرؤية للتاريخ فى العالمين الإسلامى والغربى بأن المسألة ليست فى تحديد أى الصورتين أكثر صحة من الأخرى، أو أيهما يخالف الحقيقة، ولكن المسألة هى وجود سوء التفاهم نتيجة الفشل فى فهم رؤية الآخرين للعالم وللتاريخ ودور الغرب فى هذا التاريخ. وبالنسبة للغربيين فإنهم ينظرون إلى التاريخ على أن الإسلام كان دائما تهديدا لهم، بالفتوحات العسكرية فى العصور الوسطى، وبعدم التسامح والتطرف والإرهاب فى العصر الحديث. وقد أدى فتح القسطنطينية عندما سقطت فى يد السلطان محمد عام ١٤٥٣م وهزائم الأتراك خارج العاصمة النمساوية فيينا عام ١٥٢٩ و١٦٨٣م كل ذلك أدى إلى إثارة الخوف فى نفوس الحكام الأوروبيين. كذلك فإن تاريخ البلقان فى ظل الحكم العثمانى فيه أمثلة على الوحشية ضربت جذورا عميقة فى مشاعر الغربيين. ولكن التهديد لم يكن فى اتجاه واحد، ولكنه كان من الجانبين، فبعد غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨ وما تلاه من غزوات وفتوحات فى القرن التاسع عشر تغيرت الصورة وأصبحت الدول الغربية تحتل العالم العربى كله، وبدا أن انتصار أوروبا على المسلمين اكتمل بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية.

ويعرض الأمير تشارلز لنتائج وآثار هذه المراحل من التاريخ فيقول :

إن أيام الفتوحات انتهت، ولكن موقف الغرب من الإسلام ما يزال يعانى حتى الآن، لأن أسلوب فهمنا للإسلام تأثر بالتطرف والسطحية، فكثيرون فى الغرب ينظرون إلى الإسلام بمنظار الحرب الأهلية المأساوية فى لبنان، وأعمال

القتل والتفجير التى تقوم بها جماعات متطرفة فى الشرق الأوسط. وينظرون أيضا بمنظار ما يشار إليه عموما باسم (الأصولية الإسلامية).. وقد تأثر حكمنا على الإسلام بالتحريف نتيجة اعتبار التطرف هو القاعدة فى الإسلام، وهذا خطأ جسيم، مثل الحكم على نوعية الحياة فى بريطانيا من خلال وجود جرائم القتل والاغتصاب والاعتداء على الأطفال وإدمان المخدرات.. فالتطرف موجود فى المجتمعات الإسلامية ولا بد من معالجته، ولكنه عندما يستخدم أساسا للحكم على مجتمع ما فإنه يؤدى إلى حكم ظالم.

وانتقل الأمير تشارلز إلى قضية أخرى من قضايا سوء الفهم، وهى حكم كثير من الغربيين على قوانين الشريعة الإسلامية بأنها قاسية ووحشية ومجحفة. والصحافة فى الغرب تروج هذه الأفكار الاعتباطية بينما الحقيقة مختلفة وأكثر تعقيدا، لأن الشريعة الإسلامية شريعة الإنصاف والرحمة، وعلينا أن ندرس التطبيق الفعلى للشريعة قبل أن نصدر أحكامنا، وعلينا أن نميز بين أنظمة العدالة التى تدار باستقامة، وأنظمة العدالة، كما نراها عند التطبيق، وتكون قد حرّفت لأغراض سياسية وتحولت إلى شيء مختلف عن الإسلام. وعلينا أن نتذكر أيضا النقاش الحاد الدائر فى العالم الإسلامى نفسه حول مدى شمولية وأبدية الأحكام والدرجة التى يتغير ويتطور بها تطبيق الأحكام باستمرار.

المشكلة ليست فقط فى وجود قدر كبير من سوء الفهم فى الغرب لطبيعة الإسلام، ولكن هناك أيضا قدرا كبيرا من الجهل بفضل الثقافة والحضارة الإسلامية على الغرب. فالعالم الإسلامى فى العصور الوسطى كان مصدر العلم والحضارة للغرب، ولكن لأن الغربيين يميلون إلى اعتبار الإسلام عدوا للغرب، ويرون أنه يمثل عقيدة وثقافة غريبة، فقد تجاهلوا أهمية الحضارة الإسلامية فى تقدم الغرب. فقد ازدهرت الثقافة والعلوم الإسلامية فى أسبانيا واستمرت ٨٠٠ سنة بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر. ومن أسبانيا (الأندلس) انتقلت العلوم والثقافة والحضارة الإسلامية إلى أوروبا التى كانت تعيش فى عصور

الظلام، وكانت هى اللبنات الأولى للنهضة الأوروبية. لقد قام المسلمون فى الأندلس بجمع وحفظ التراث الفكرى للحضارة اليونانية والرومانية وأضافوا الكثير فى مجالات العلوم الطبيعية، والفلك، والرياضيات، والجبر، والقانون، والطب، وعلم العقاقير، والبصريات، والزراعة، والهندسة المعمارية، والعلوم الدينية، والموسيقى. وأوروبا مدينة لكثير من علماء المسلمين فى الأندلس من أمثال ابن رشد، وابن زهر، كما ساهم علماء المسلمين فى الشرق من أمثال ابن سينا والرازى فى علوم الطب وابتكار طرق استفادت منها أوروبا على مدى قرون عديدة..

ويتحدث الأمير تشارلز عن تشجيع الإسلام للبحث العلمى وتقديره للعلماء، فيقول : وقد كانت قرطبة فى القرن العاشر الميلادى أكثر المدن تحضرا فى أوروبا، وكان فى أسبانيا (الأندلس) ٤٠٠ ألف مجلد فى مكتبة حاكم قرطبة، وهو عدد يزيد على عدد الكتب التى كانت موجودة فى جميع أنحاء أوروبا، وقد سبق العالم الإسلامى إلى نقل صناعة الورق من الصين قبل أن تعرف أوروبا صناعة الورق بأكثر من ٤٠٠ سنة، كما أن كثيرا من المزايا التى تفخر بها أوروبا فى العصر الحديث جاءت أصلا من أسبانيا أثناء الحكم الإسلامى، فالدبلوماسية، وحرية التجارة، ومناهج البحث العلمى، وتطوير الأزياء والفنون التشكيلية والموسيقية، والطب البديل وإدارة المستشفيات جاءت كلها إلى أوروبا من تلك الحضارة الإسلامية العظيمة..

يشير الأمير تشالز أيضا إلى أن الإسلام فى العصور الوسطى كان هو الدين الذى يتسم بالتسامح، ومنح اليهود والمسيحيين حرية ممارسة عقائدهم، وكان فى ذلك قدوة لم تقلدها دول كثيرة فى الغرب مع الأسف. والمدهش هو مدى عمق الأثر الذى تركه الإسلام فى أجزاء من أوروبا عاش فيها سواء فى أسبانيا أو فى البلقان، بحيث لايمكن اعتبار الحضارة الغربية غربية خالصة لأن فيها عناصر ومساهمات من الحضارة الإسلامية، فالإسلام ... - جزء من ماضينا وحاضرنا، وقد ساهم فى

إنشاء أوروبا معاصرة، إنه جزء من تراثنا وليس شيئا منفصلا عنه. وعلاوة على ذلك فإن الإسلام يعلمنا التفاهم والتعايش فى العالم، وهذا ما فقدته الديانة المسيحية مما أدى إلى ضعفها. ويمتاز الإسلام بنظرته المتكاملة للكون، ورفضه الفصل بين الإنسان والطبيعة، أو بين الدين والعلم، أو بين العقل والمادة، ويمتاز أيضاً بالمحافظة على نظرة تجمع بين الإيمان بالغيب ووحدة البشرية، بينما فقد الغرب هذه الرؤية المتكاملة للعالم مع ظهور كوبرنيكوس وديكارت والثورة العلمية، ولم تعد الفلسفة الشاملة للطبيعة جزءاً من معتقداتنا. ولو أخذنا بنظرة الإسلام لابتعدنا عن موقفنا فى دراسة العالم من أجل استغلاله والهيمنة عليه، وهذا الموقف هو الذى أدى إلى اختلال التوازن والفوضى فى العالم ..

ويقول الأمير تشارلز: لقد أصبحت الحضارة الغربية مركزة على الكسب والاستغلال، وعلينا أن نتعلم من الإسلام هذا الشعور بالوحدانية والطابع القدسى والروحى للعالم.

كما يقول الأمير تشارلز بصراحة: أن أساليب التفكير فى الإسلام يمكن أن تساعدنا، وهناك أشياء يمكن أن نتعلمها من نظام العقيدة الإسلامية، وأرى أننا نتجاهل هذه العقيدة بشكل يلحق بنا الضرر.

ويصرح أيضا: علينا أن نتعلم كيف نتفهم بعضنا، ونعلم الجيل الجديد أن يحسنوا فهم الإسلام، وأن نظهر الثقة والاحترام والتسامح ونتمسك بالقاسم المشترك الذى يجمع بيننا، وأن نتعاون معا لحل مشاكلنا المشتركة. وأن نرفض التصادم والمواجهة. علينا أن نتفاهم ونتسامح، ونفهم أهمية المصالح لكل من الغرب والعالم الإسلامى، وأننى على قناعة بأن العالمين الإسلامى والغربى يمكن أن يتعلما كثيرا من بعضهما البعض، فكما أن مهندس البترول فى الخليج يمكن أن يكون أوروبيا، فإن جراح القلب فى بريطانيا يمكن أن يكون مصريا. وإذا كانت الحاجة إلى التسامح لازمة على المستوى الدولى، فهى لازمة بقوة فى بريطانيا، لأن بريطانيا مجتمع متعدد الأجناس والثقافات. وعلينا أن نحترم ممارسة الشعائر فى

العقيدة الإسلامية، وتجنب القيام بأى أفعال يمكن أن تسبب إساءة للمسلمين. وفى نفس الوقت هناك حاجة إلى أن يحترم المسلمون تاريخ بلادنا وثقافتها وأسلوب الحياة فيها، والاندماج فى مجتمعنا.

هكذا فهم الأمير تشارلز الإسلام وهكذا تحدث عنه ، وهكذا يحتاج العالم أن يسمع دعوة الإسلام العظيمة لا أن يسمع دوى التفجيرات تحصد الأرواح وتحرق الممتلكات ليس فى بلاد الغرب وإنما فى عمق بلاد المسلمين حتى لم يسلم من شررها أرض الحرمين الشريفين ، ولامصر الكنانة . « راجع نص كلمة الأمير وتعليقات الدكتور عبد الصبور مرزوق عليها فى أبحاث ووقائع المؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٢-١٦ يولية١٩٩٧م المنعقد بالقاهرة ».

*ويقول الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه « الغرب والإسلام» ناقلا عن الفيلسوف والكاتب الروسى الكبير تولستوى الذى تصدى للحملة الظالمة على الإسلام ورسوله، فكتب يقول : لا شك أن هذا النبى من كبار المصلحين، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة بأكملها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسلام وتكف عن النهب وسفك الدماء. ويكفيه أنه فتح طريق الرقى لقبائل البدو التى كانت تعيش بمعزل عن العلم والحضارة.. وما حققه لا يمكن أن يحققه إلا شخص أوتى قوة وحكمة، وهو جدير بالاحترام.

وينقل الدكتور عبد الحليم محمود عن الفرنسى رينيه جينو كما جاء في كتابه :

(أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب) نقولا ذكر فيها بالتفصيل فضل الثقافة والعلوم الإسلامية على أوروبا وقال فيه: (إن كثيرا من الغربيين لم يدركوا قيمة ما أخذوه فى القرون الماضية من الثقافة الإسلامية، ومن الحضارة العربية، لأن ما ينشر عن ذلك ليس سوى حقائق مشوهة. ولقد عاشت أسبانيا وجزيرة صقلية ومنطقة جنوب فرنسا تحت الحكم الإسلامى ومنها انتقلت العلوم التى كانت مزدهرة فى العالم الإسلامى إلى أوروبا وكانت أوروبا فى ذلك الوقت تعيش فيما

يسميه الأوروبيون عصر الظلام. والأوروبيون يدّعون أنهم ورثة علوم اليونان والرومان والحقيقة التاريخية أن هذه العلوم لم تنتقل إلى الغرب إلا عن طريق المسلمين الذين حافظوا على هذه الثقافة وأضافوا إليها. ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم. وقد ساهم فى الحضارة الإسلامية العرب وغير العرب، والمسلمون وغير المسلمين، بفضل سماحة الإسلام واتساع أفق حكام المسلمين. ومن آثار الثقافة الإسلامية نلاحظ وجود ألفاظ فى اللغات الأوروبية ذات أصل عربى. وقد كانت الأندلس (أسبانيا) الجسر الذى نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا. وما زال علم الكيمياء يحمل الاسم العربى لأن المسلمين هم الذين أسسوا هذا العلم. وكذلك علم الرياضيات وعلم الفلك وما زالت مصطلحاته وأسماء النجوم تحمل أسماء عربية. ولم يعرف الأوروبيون شيئا عن المناطق البعيدة فى آسيا وإفريقيا إلا عن طريق علماء الجغرافيا والرحّالة المسلمين، وما زالت قصة الساعة المائية التى أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الامبراطور شارلمان تحمل دلالة التفوق العلمى والتكنولوجى فى الحضارة الإسلامية. ويضاف إلى ذلك تفوق علماء المسلمين فى علوم الجبر والهندسة، كما تأثر الشعراء والأدباء فى أوروبا بالثقافة العربية وتأثر الغربيون أيضا بفنون العمارة الإسلامية، ونقل الغربيون الفلسفة الإسلامية وبخاصة مؤلفات ابن رشد وابن سينا،........) .

إنها شمس الإسلام تجلت ، وحقائقه قد اتضحت ، وعظمته قد ظهرت ، على ألسنة العلماء الربانيين ، والحكماء النبهين ، والمفكرين المنصفين ، فأين هذا الوجه المشرق للإسلام فى حياة وخطاب جماعات العنف والإرهاب والتكفير ؟؟؟

مسألة : نسائم الحرمين

وفى أرض الحرمين هبت نسائم الرحمة ، وسمع العالم همس الوسطية الإسلامية يهز جنبات الكون ، يربت على أكتاف العالم ينبهه من سباته ، يرده من شروده ، يوقف جموحه الآبق ضد الإسلام وضد المسلمين ، هذا ديننا وتلك رسالتنا ، وهؤلاء أجدادنا ، وذاك تراثنا .

هؤلاء أبائى فجئنى بمثلهم   إذا جمعتنا ياجرير المجامع

لقد تحدث خادم الحرمين الشريفين فى كلمته ضمن فعاليات مؤتمر ظاهرة التكفير – الأسباب – الآثار –العلاج ، الذى انعقد بالمملكة ، وجاء فى الكلمة التى ألقاها عن جلالته سمو الأمير نايف بن عبد العزيز : –

« الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

يسرني أن أخاطبكم في هذه المناسبة المباركة على هذا الثرى الطيب وقد انتظم عقد علمائها ومفكريها للتباحث حول موضوع في غاية الأهمية ، حفلت به نصوص الشريعة الإسلامية تحذيراً وتنديداً وتنكيلاً.

أيها الإخوة الكرام:

إن اجتماعكم اليوم على محاور هذا المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير الذي نستشرف نتائجه وتوصياته يعد في طليعة الأعمال الملحة حيث الحوار قائم ومرتكز على الكتاب والسنة الذي حذر أشد التحذير من الانزلاق في مسائل التكفير بغير علم ولا هدى وهو مسلك فئة ضلت سواء السبيل وانحرفت عن جادة الحق التي بينها لنا أهل العلم على أصول الشريعة وقواعد الإسلام فلم يتركوا في هذا زيادة لمستزيد ولا ثغرة لمستدرك وهم الذين نفوا عن كتاب الله تحريف المغالين وتأويل الجاهلين.

ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل علم يكون له فتنة ومن يريد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً.

أيها الإخوة الكرام: إن من استقرأ تاريخنا الإسلامي واستنطق فصوله ومشاهده واطلع على أسباب قبول الإسلام والتصالح معه عبر التاريخ يعلم الحقيقة ويدرك مكامن وأسرار هذا الدين القويم الذي نهى شرعنا الحنيف عن الغلو والتطرف فيه والتقول على شرع الله بالكذب أو التأويل أو التكلف فمصرع الجميع في هذا واحد

وإن اختلف المخرج والمقصد. لقد قال نبينا ﷺ: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» وهذا الغلو هو مدخل ضلال الناس وخروجهم عن الإطارالشرعي والمحكم لدين الله الذي استقر بحمد الله في قلوب العالمين علماً وإدراكاً. إن هذا الانتشار لدين الإسلام بعالميته ونبل مقاصده لم ولن يكون بمفاهيم التطرف والغلو وأدوات التخريب والتدمير والاعتداء على النفوس البريئة التي قال الله تعالى في مقترف جرمها

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ وقال ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة» ولا يشك مسلم أدرك حقيقة الإسلام أن الاعتداء على النفوس البريئة بالتأويلات الفاسدة يتحقق في قول رسولنا ﷺ حين قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

إن ما نطرحه في هذا الشأن هو بيان وتبرئه لفكرنا الإسلامي الأصيل واعتدال منهجه وسمو مقصده ويكفي أن من لا يدين بدين الإسلام بوسطيته واعتداله قد اكتوى بأدوات التطرف لديه وهي المحسوبة على فكره ومنهجه، فالتطرف لا وطن له، ولا دين ونحن نؤكد من وحي شرعنا العظيم أن دين الله الوسطية بين الغالي فيه والجافي عنه وهو معنى قول الحق سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

وقول النبي ﷺ: «هلك المتنطعون».

لقد أرسل الله تعالى نبينا محمدا ﷺ شاهداً ومبشراً ونذيراً وبعثه بالحنيفية السمحة وبالرحابة والسعة وبمكارم الأخلاق والعفو والصفح والرحمة بالناس وإحسان الظن بهم حتى قال بعض السلف : لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد له في الخير محملاً ، فكيف إذا ارتد السوء إلى التفسيق ثم التكفيروعلى أثره القتل والتدمير؟ وهي حلقات متصلة يجر بعضها بعضا.

أيها الإخوة الكرام : لقد حذرت شريعة الله من التساهل في الحكم على الآخرين في أمور يسيرة لا تبلغ حد التفسيق فضلاً عن التكفير حتى ثبت عنه ﷺ قوله : **«من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما»** ، وهذا الحكم الشرعي في منتهى الخطورة وحري بالمراجعة والعظة وإذا كان سباب المسلم فسوقاً فكيف بتكفيره والمتأمل في الشروط والضوابط التي أوضحها علماؤنا في مسائل التكفير يقف أمام حواجز وموانع بالأدلة الشرعية تمنع من الانزلاق في هذا المنحدر الخطير.

لقد عانينا كما عانى غيرنا من مجازفات التطرف وضلال الفكر وليت الأمر توقف عند هذا الحد فلن يضرونا فيه إلا أذى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾، لكن تطور الأمر إلى أعمال تخريبية إفساداً في الأرض وإهلاكاً للحرث والنسل ومكراً بالليل والنهار في مد من الضلال لا بد لنا من مواصلة التصدي له ومناجزته بكل قوة وحزم ولن نفرح في هذا بشيء كما نفرح بهداية من ضل إلى سواء السبيل وهو منهجنا مع كل موقوف على ذمة هذه القضايا ومن جانب الصراط السوي وكابر الحق ورده فمرده إلى الشرع المطهر الذي نعتز بتحكيمه والاهتداء بهديه.

لقد غرر ببعض أبنائنا فئات نعلم ما وراءها من إرادة السوء بهذه البلاد فضلاً عن فئة أخرى تتلقف ما يرد على فكرها من نظريات التطرف والضلال وحسبنا أن مجتمعنا الإسلامي ينبذ بفطرته السليمة الأفكار الضالة والأساليب المتطرفة ولن نقبل بأي فكر ينال من ثوابتنا التي انعقد عليها وجدان كل مواطن فينا ولن نصادر أحداً في حرية فكره مادام في إطاره المعتدل وعليه فلن نرضى المساس بقيمنا

الراسخة ومحاولة تغيير وجداننا الوطني المتآلف على فطرته السوية ونهجه الوسطي المعتدل من قبل أي إنسان فهذا هو دستورنا وهذه عقيدتنا وسنكون مع غيرنا أرحب من غيرنا بنا والأيام دلائل وشواهد على أقوالنا وأفعالنا وسنكون في مجتمعنا الدولي أداة سلم وسلام وبر وصلة ووئام ندعو لخير البشرية ونعادي مد الشر ونقاومه ونبرأ إلى الله من أي قول أو فعل يحسب على مفاهيمنا ونحن منه براء وسجلنا مفتوح لكل طالب حق منصف متجرد .ولقد عانينا مثل غيرنا من أضرار ومفاسد الفكر الضال ولن يهدأ لنا بال حتى يستقيم على الطريقة أو نستأصله من أرضنا الطاهرة فلا مكان بيننا لهذا العنصر الدخيل ، أما قضايانا الاجتماعية الأخرى فهي في دائرة الحوار والنقاش بين أبناء الوطن الواحد وغالب الأطروحات في هذا لا تخرج عن أن تكون قضايا اجتماعية يقررها المجتمع السعودي ولها الصدارة في النفس وسيكون كل متسبب في فتح أبواب التيه المهلك على محك السؤال والحساب دنيا ودين والله حسيب وطليب كل ضال مضل وفاسد مفسد. وسنواصل بعون الله ملاحقة فئة الضلال والفساد والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

ونسأل الله أن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر ويدلنا على خير أمرنا ويلهمنا رشدنا إنه ولي ذلك والقادر عليه كما أسأل الله تعالى أن يسددكم ويبصركم .....ويجعل التوفيق والصواب حليفكم والاحتساب مقصدكم ولا يحرمكم الأجر والثواب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انتهى حديث خادم الحرمين الشريفين وما أحوجنا جميعا لتدبره والوقوف عليه، حكاما كنا أو محكومين ، وسطيين أو متشددين ، كلنا بحاجة للعودة إلى روح الإسلام الصحيح ، وجوهره النقى ، وحقيقته المشرقة ، كلنا بحاجة للعيش بالإسلام وللإسلام كما عاش أسلافنا السابقون .

ربما تكون الموضوعات التى عالجها خادم الحرمين ، وعالجها شيخ الأزهر فى كلماته متشابهة ، ربما تكون تعبيراتهما مكررة ، قد تكون أدلتها التى اعتمدا عليها فى كلماتهما المتعددة واحدة أو متشابهة ، نعم قد يكون ذلك صحيحا وبالرغم من صحته فقد آثرت أن أنقل الكلمات بنصها ، حتى تتكرر الموعظة والنصيحة من شخص الإمام وبذات الأدلة وفى نفس الموضوعات وكذلك على لسان خادم الحرمين ، لعل بتكرارها عليهم يفيقون من غفلتهم وينتبهون من شرودهم ، ويتفكرون مرة واحدة فيما سمعوه مرارا وتكرارا ، ومن يدرى ربما لامست قلبا مهيئا أو عقلا متفتحا فى لحظة من لحظات التجليات الإلهية على عباده فيعود ذلك الشخص إلى الإسلام الصحيح ، وربما أثر ذلك العائد فى غيره أو تأثر به غيره والله على كل شيء قدير .وكذلك فعلت فيما نقلته عن رجالات الغرب وإنصافهم لهذا الدين بعدما فهموه فهما أفضل مما عليه جماعات العنف علهم يسألون أنفسهم إذا قال الغربيون ذلك عن ديننا ما بالنا نحن نسيء اليه ونشوه صورته ونطمس معالمه ؟ « وليعلم دعاة العنف أن العالم كله ضدهم يستوى فى ذلك المسلمون منه وغير المسلمين ، جميعهم يرفض القتل والتكفير والتفجير ، وليعلموا أن الأمة الإسلامية كذلك ضدهم ، علماؤها وأمراؤها ، حكامها وحكماؤها ، العالم الإسلامى ضد التكفير والتفجير والإرهاب الظالم ، يقف فى وجه هذا الطاعون بالسيف والسنان كما يقف كذلك ضده بالحجة والبيان، ليحيا من حى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

هكذا النبهون من الغرب يعرفون الإسلام بصورة أفضل مما يعرفه بها جماعات العنف والإرهاب الذين لاينقلون للعالم عن الإسلام إلا الدم والموت والهدم والاغتيال ، وعندما أعدمت داعش الصحفى الأمريكى « ستيفن سوتلوف » ولم تستجب لتوسلات أمه وتذكيرها لهم بعفو النبى محمدﷺ عن خصومه وصممت داعش على ذبحه دون رحمة قالت أمه يومها « إن أمة النبى محمد لاتقتل » . ، إى والله قالت ذلك ، ورحم الله الشيخ محمد الغزالى عندما قال « إن مصيبة البعض

أنه يقرأ الإسلام من نعله » وفى كتاب داعش السكين التى تذبح الإسلام يقول المؤلفان « إن الغرب لو أنفق مليارات الدولارات ما استطاع تشويه الإسلام مثلما فعلت داعش وأخواتها ، وصدق من قال : الإسلام قضية عادلة يتولاها محامون فاشلون فتخسر هذه القضية ، ولو أنهم تركوا الإسلام يدافع عن نفسه لصال وجال في الدنيا كلها معلما وناصحا ومرشدا ، وميسرا لامعسرا ، ومجمعا لامفرقا ، وراحما لا قاسيا ، وداعيا لاجابيا ولاذابحا ، ومحببا للناس لامنفرا لهم ، ومحييا للنفوس لا قاتلا لها » . ولهذا مزيد بيان في قادم بإذن الله .

إنه الإسلام المكلوم من بعض اتباعه ، المنكوب فى الكثير من دعاته ، المظلوم من كثير ممن ينتسبون إليه ...حقا ياله من دين عظيم لو أن له رجالا يحملونه إلى العالم ، هذا هو ممثل مصر التى يقول عاصم عبد الماجد عنها « ....الظالم أهلها ، الفاسق جلها ، الكافر نخبتها » . وهذا هو الشرق الإسلامى الذى يحرقه ويدمره ويغتاله دعاة العنف وأصحاب الفكر التكفيرى ، فلا تكاد ترى بلدا إسلاميا إلا وقد أعملوا فيه القتل والحرق والتدمير ، زاعمين نصرة الإسلام الذى جاء ليبنى لا ليخرب ، ليعمر لا ليدمر ، ليبعث فى الأرض الحياة ، لا ليسلب من الأحياء حياتهم .

هذا هو الإسلام ، وليس الاغتيال الذى يعتبره عاصم عبد الماجد من السنة ويفخر به ، الإسلام رحمة للعالمين ، يعلم الجاهل ، ويذكر الناسى ، وينبه الغافل ، ويعظ من غلبته نفسه ، ويقنع من حار فكره ، ويأخذ بيد الناس كل الناس فى رفق وحب وأناة ، يحل مشاكلهم ، ويعطى محتاجهم ، ويعين ضعفاءهم ، ويواسى منكوبيهم ، وينصح لعاصيهم ، ويسترعلى مسيئهم ، ويقيل عثراتهم ، يحسن الحسن وينميه ، ويقبح القبيح ويقلوه ، ويقول رسوله ﷺ عن نفسه : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

أليس العالم بحاجة إلى معرفة هذه الصورة النقية المشرقة المضيئة التى بينها شيخ الأزهر فى خطاباته ، بدلا من القتل والترويع والتخوين والتفسيق والتكفير ؟

تلك الصورة التى يحاول التكفيريون ودعاة العنف طمسها ويسعون لتبديلها قتلا وحرقا وسبا وتكفيرا وتفجيرا وتدميرا ؟ ولكن حقا صدق الله سبحانه :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة].

وصدق الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة] .

الفصل السادس

الدين الحقيقي والدين الصناعي

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ أحمد أمين رحمه الله ، وحول ذات المعنى دندن الشيخ محمد الغزالى كثيرا ، وكلاهما من رسول الله مقتبس ، لقد علمنا الرسول الأعظم أن ثمة فارقا كبيرا بين المؤمن الحق والمسلم الصادق وبين من يقنعون بالأسماء ويكتفون بالشارات ، ويتباهون بالشعارات ، ولقد فرق القرآن الكريم بين دعوى الأعراب الإيمان وبين المؤمنين حقا فى سورة الحجرات ، الدين الصناعى يقنع بالمظهر ويغفل الجوهر ، يهتم بالفروعيات ويتعامى عن الأصول والكليات، يبحث عن المختلف فيه ، ويزهد فى المتفق عليه ، يكثر الكلام ويقل من العمل ، يسرف فى الجدال ويبخل بالذكر والاستغفار ، الدين الصناعى حركات تؤدى لاحياة فيها ولاروح ، بينما الدين الحقيقى روح تنبعث فى الحياة ، الدين الصناعى دائم العبوس ، مكفهر الوجه ، مقطب الجبين ، بينما الدين الحقيقى باسم الوجه ، بشوش الطلعة ، متهلل المحيا ، منفرج الأسارير ، هين لين سهل ، الدين الصناعى يسرف فى الخطايا والذنوب ، ويفتش دائما عن الزلات ويفشى العيوب ، بينما الدين الحقيقى دائم الطاعات ، شغلته نفسه عن الآخرين ، يفعل الحسنة وقلبه وجل من عدم القبول ، ويترك الصغائر ويعتقد أنه حتما مسئول ، بينما الدين الصناعى يرى نفسه قديسًا أو طاوسًا ، أو وليًا أو رسولاً ، الدين الصناعى لايرى صاحبه إلا نفسه ، ولايحركه إلا شهواته أو جهالاته ، بينما الدين الحقيقى يجد سعادته فى إسعاد الآخرين ، حركته وسكونه ، عقيدته وظنونه، عباداته وأخلاقه ومعاملاته تبدأ من مراد الله ، وتتجه إلى مولاه ، يرجو قبوله ويتحرى رضاه ، صامت اللسان ، ذاكر الجنان ، خاشع الأركان ، يقول بحاله قبل مقاله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ فهو بالله ولله ومع الله .

مع الله فى سبحات الفكر   مع الله فى لمحات البصر

مع الله عند حلول الأمان   مع الله عند احتدام الخطر

مع الله فى ساعات الأصيل   مع الله فى نسمات السحر

مع الله فى عبقات الربيع   مع الله حال انقداح الشرر

مـــع الله فى لفحــات الهجيــر   مـــع الله فى قطــرات المطــر
مـــع الله أن يضـــل المســـير   مـــع الله فى بزغـــات القمـــر
مـــع الله إن بســـجن يكـــون   مـع الله فى الـرهط والمـؤتمر
مـــع الله فى حـــب أهـــل التقـــى   مع الله فى بغض مـن قـد كفـر
مـــع الله إذ يـــوفى العهـــود   مـع الله ضـد مـن قـد غـدر

الدين الصناعى التدمير أقـرب اليـه مـن التعمير ، يطفـيء الشـموع ثـم يلعـن الظلام، يفرق ولا يجمع ، ينفر ولا يؤلف ، يحـذر ولا يبشـر ، يفضـح ولا ينصـح ، يعير ولا يغير ، لاتزال نفسه تقـوده حتـى تنـزل بـه الهزيمـة تلـو الهزيمـة ، يضـيع الأصحاب ، ويخسر الأحباب ، ويغلـق الأبـواب ، ويقطـع الحبـال والأسـباب ، يعيش دائما فى وحشه ، ويعانى عمره من الاغتراب ، دائما أمره على عجل ، لايفيد من صاحب تجربة ولا يتعلم من سابقة عمل .

لكن الدين الحقيقى منسجم مع نفسه ، مؤتلف مع مجتمعه ، متناغم مع أمتـه ، ينظر للنصف المملوء من الكوب ويحافظ عليه ويزيد فيـه ، يبـذر الحـب ويتابعـه ويصبر عليه وينميه ، يسأل أهل الـذكر ، ويـلازم أهـل الفكـر ، ويحفـظ الجميـل ويبذل الشكر ، فهو حُرٌ يرعى وداد لحظة ، وينتمى لمن أفاده لفظة ، ليس بجحـود ولا محسود ، ولا بالغالى ولا بالعنيد .

الدين الصناعى لايلوم يوما صاحبه ، ولايعاتبه ضميره ولايؤنبـه ، يـرى لنفسـه البراءة ، ويرى دائما فى غيره المساءة ، يحكـم بـالحيف ، وينطـق بـالزيف ، يـأتى الفرى والبهتان ، والغلو والتفريط فيه يجتمعان ، بينما الدين الحقيقى ، دائما يـتهم نفسه ، ضميره يرده ويوقطه ، يرفض الزور ويلفظه ، ينصف مـن نفسـه ، فى لحظـه ولفظه ، يكره العدوان ، ويرفض البهتان، ليس بالغالى ولا بالجافى ، الوسطية ديدنه والأصالة معدنه

ولما كنا قد ذكرنا فى ثنايا كتابنا هذا الكثيـر مـن مسـاوئ وشـرور أهـل التـدين

الصناعى الذين يروعون ولا يرغبون ، ويخربون ولا يعمرون ، يستهينون بالحرمات ولا يتورعون ، ويجترؤون على الأذى لايرعوون ، ولما كان الضد يظهر حسنه الضد ، وبالضد تتميز الأشياء ، لزم أن نقف مع أصحاب التدين الحقيقى ، وأرباب الفهم الصحيح ، أهل الحق ، وأرباب الصدق ، الذين ارتضاهم الله له عبادا ، وحباهم فى الدارين بشرى وإسعادا ، وزادهم بين خلقه هداية وإمدادا ، فصاروا أرشدهم فكرا وأطهرهم فؤادا ، وأحسنهم مقالا

وأوفقهم حالا ، فقال سبحانه ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

هكذا أهل الحق دائما يتبعون الأحسن ، ويتشوفون إلى الأفضل ، ويتمسكون بالأقوم ويقدمون الأصلح والأنفع والأدوم ، وقد رأيت أن أجمع فى هذا الفصل بعضا من صفاتهم على أن تكون مفيدة ومختصرة ، توفى بالمطلوب دون ملالة ، وتؤدى الغرض دون إطالة ، فجاء هذا الفصل بإذن الله فى أحد عشر مبحثا على النحو التالى:

المبحث الأول

يعمرون ولا يخربون ويصلحون ولا يفسدون

ذلك لعلمهم أنهم خلفاء فى الأرض وسادة فى الكون ؛ والخلافة والسيادة تعنى تعمير الحياة لاتخريبها ، وإصلاحها لا إفسادها.

إن القرآن ينص فى وضوح: - ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ولما تعجبت الملائكة واستفسرت كيف يكون خليفة وهو يفسد ويسفك الدماء ؟ قال الله لهم..

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وبدأ التأهيل الفورى لآدم عليه السلام بتعليمه الأسماء و معانى الأشياء ليسبغ على كل شيء اسمه الذى يناسب طبيعته ووظيفته ، وتم التوزيع لأسماء المفردات الكونية بدقة وروعة لتنتظم الحياة بعدها بإصلاح الأرض والعمارة فيها ، لينظر كيف تعملون .

وتأتى آيات القرآن واضحة أن الله أنشأ الإنسان من الأرض وطلب منه عمارتها فقال سبحانه:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود:٦١].

أ ى طلب منكم عمارتها وهو سائلكم عن ذلك.

فالإنسان السوى وظيفته العمارة والإصلاح ، بل هى غايته فى الحياة ، وهى العبادة المكلف بها.

يقول الإمام أبو القاسم القشيرى مامعناه كما نقل عنه ابن عاشور:-

«إن الإنسان له فى الحياة غايات ثلاثة هى العبادة ويمثلها قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات] ..وعمارة الأرض ويمثلها قوله.

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود]، والاستخلاف ودليله : قوله تعالى .. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة] ، وهذا الكلام من الإمام القشيرى لايعارض كون الإنسان مخلوقا للعبادة لأن الإمام إنما يفصل ويوضح معنى العبادة فأجملها أولا ، ثم فصلها بعد ذلك فكأنه يقول: - إن من العبادة خلافة الأرض وعمارتها ، و الرسول ﷺ يبشر من يغرس شجرة أو زرعا بعظيم الأجر فيقول ﷺ: «مامن مسلم يزرع زرعا او يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له بذلك أجر» (البخارى).

والحديث عن العمارة والإصلاح طويل ولكن يكفى فى ذلك أن الرسول ﷺ يوصى بعمارة الأرض وزراعتها حتى ولو على أبواب القيامة فيقول: «**إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها** » صححه الألبانى فى الأدب المفرد وفى الصحيحة ، كما صححه شعيب الأرناؤوط فى مسند أحمد

ليكن أخر عهدك بالحياة عمار لادمار، إصلاح لاهدم فإن نبى الله شعيبا يقول لقومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود]

والإصلاح سبب لبقاء الأمم ونجاتها.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود].

إن العجب كل العجب من أناس يحرقون ويدمرون ويخربون وهم يهتفون الله أكبر، أو يفسدون فى الأرض وهم يرددون باسم الله .

إن الله هو السلام المؤمن فكيف يتأتى ذلك مع التخريب والتدمير ؟ وإذا امتد التخريب إلى المؤسسات العلمية والثقافية والتراثية كانت المصيبة أعظم لأنها نذير ظلام يخيم على العقول يرتسم أمامنا فى المستقبل .

قد يقول قائل: إن هذه المؤسسات خرجت عن دورها الصحيح وخالفت وظيفتها ؟

وأقول له.. حتى وإن كان ذلك صحيحا فهذا لايبرر القتل والحرق ، أو كلما غضب شخص من موظف أو مسؤول أحرق عليه مقر عمله ؟

إذا خان طبيب وظيفته ومهنته هل نحطم المستشفيات ؟ أم نسعى لإصلاح العنصر الفاسد فإن لم ينصلح نقوم بإخراجه وإبعاده عن عمله ، فإن لم نتمكن حافظنا على مؤسساتنا حتى تتحسن الظروف ونقدر على التغيير.

أما أن أحرق وأخرب وأدمر فهذا حتى لايخدم فاعله لأنه لو تملك الدولة فسوف يتملكها مهدمة محطمة تحتاج إلى بناء وأموال يحصلها من جيوب الفقراء والكادحين الذين يزعم أنه قام من أجل مصلحتهم .

إننا لايصح أن نسحب أحكاما قيلت فى حق الكفار ونطبقها على المسلمين لأنهم اختلفوا معنا أو أبعدونا من المشهد ، فهذا هو الفساد والله لايحب الفساد ، والله لايحب المفسدين ؛ والله لايصلح عمل المفسدين و نهى الرسول ﷺ عن الإفساد حتى مع الكفار.

لقد فهم السلف معنى الإسلام فأقاموا أعظم حضارة ، رقيا وتمدنا وخلقا وطهارة وعدلا، لكن : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف].

فأفسدوا الدنيا ولم يصلحوا الدين ، فخسروا الاثنتين. إن الشريعة جاءت لتحقيق مصالح الناس فى الدنيا والآخرة وليس لإهدارها وتضييعها ، وكل فعل أو قول يهدم مصالح الأمة والإسلام والأوطان المسلمة فليس من الإسلام ، حتى وإن زعم من زعم .

إن الذين يفسدون ويخربون ، ويحرقون ويقطعون ، إنما يستنزلون على أنفسهم لعنة الله ، ويبعدون عن توفيقه ويشهدون على أنفسهم بالجهل والعمى قال تعالى : ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد] ، أن أهـل الحـق ، يعمـرون ولا يخربون ، ويصلحون ولا يفسدون .

وهذا هو الإسلام ، وهذا هو الدين الحقيقى ، مهما خالف المخالفون وخرب المخربون وزعموا أنهم يطبقون أو ينصرون الإسلام.

أهل الحق « يعمرون ولايخربون ويصلحون ولايفسدون».

المبحث الثاني

ينصحون ولا يفضحون .. يغيرون ولا يعيرون

الفارق ما بين النصيحة والفضيحة خيط رفيع دقيق لايفطن إليه الكثير من الناس.

النصيحة تعنى حرصك على المنصوح له ، وتلمس أسباب قبوله منك ، والدعاء له بانشراح الصدر وسداد الرأى ، واتخاذ أنسب الطرق والأوقات والأشخاص والأحوال التى يتهيأ الشخص فيها للسماع منك والقبول لقولك .

فتأتيه مثلا سرا بينك وبينه، دون علم أحد بنصحك له ، وتأتيه فى أوقات هدوئه واستعداده ، وليس فى وقت شغل ولا ساعة غضب ولا وقت ريبة وشك.

وتخاطبه بأحسن وأرفق العبارات والألقاب. وتكتفى بالتلميح دون التصريح مادام فى ذلك كفاية ، ولا تلح فى النصح والتكرار.

وتدعو له قبل نصيحته ، وتظهر له حبك وتقديرك لشخصه ومكانته العظيمة.

إن استجاب للنصح فهذا هو المطلوب ، وان أبى وجب عليك الصبر والتحمل معه والستر عليه .

ثم تلتمس من الأشخاص من يكون أكثر ملائمة منك وأرجى للقبول عنده ، وتوضح له أن الهدف من النصح إنما هو المصلحة العامة له وللآخرين وأن الناصح لايطمع من وراء النصيحة فى شىء ،ولا يرجو منفعة تعود عليه.

ثم بعد ذلك لاتفشى سر المنصوح له لاقبل النصح ولابعد النصيحة ، سواء قبل منك أم رد نصيحتك عليك .هذه هى النصيحة باختصار ...

أما الفضيحة فتتمثل فى الاستعلاء على المنصوح ، والتجريح له والخشونة عليه، وعدم المبالاة بقبوله أو رفضه ،والهجوم عليه فى أى وقت وأى مكان وأى حال ويكون همك مجرد إسماعه الكلام فقط دون المبالاة قبل أم رفض .

ثم إنك قد تمن عليه بنصحك له ، وتعيد وتزيد فى أخطائه ، وتشهر به عند الآخرين من أصدقائه أو الغرباء ، وتفشى سره قبل وبعد النصح وتتحدث به فى المنتديات . الأول طبق السنة فنصح ، أما الثانى فخالف وفضح ، ومع الفضيحة يحصل العناد والاستكبار والرفض من المنصوح له، ويفشل الداعية فى مهمته .

لقد لخص الشافعى ذلك فى قوله:

تعهدنى بنصحك فى انفراد	وجنبنى النصح فى جماعة
فإن النصح بين الناس	عيب لا أرضى استماعه

وجاءت الأحاديث توصى بالإسرار بالنصح خاصة مع ذوى المكانة والهيئة ،

فتأخذ بيده ، وتتنحى به جانبا تنصحه ولا تشغب عليه أمام الآخرين وتجرح فيه علانية. قيل لأسامة بن زيد « ألا تنصح لعثمان بن عفان ؟ قال وما أدراكم أنى لم أفعل ؟ إنما نصحت له سرا، أما أن أحرش عليه فلا أكون أول من يفتح الباب».

يجب أن نفرق بين من يريد الإصلاح فيتلمس طرقه ويصبر عليها ، وبين من يقول «قل كلمتك وامش» ؛ إن الثانى هذا لايعنيه شىء من خراب مالطة أو عمارها.

إنه فنجرى كلام لا أكثر ، إنه بالبلدى « بياع كلام» يقول ويتمنى عدم الاستجابة ليقول أكثر وأكثر .

أما الداعية الحق ، صاحب الدين الحقيقى فيود لو أن المنصوح له قد استجاب ، لأن النصيحة عنده تعنى كسب القلوب ، أما الفضيحة فهى كسب للمواقف ولا شك أن كسب القلوب أولى وأنفع.

كنا ونحن صغار نـذهب لصـلاة الجمعـة فنسـمع الخطيـب يسـب ويشـتم فى المجلة الفلانية لأنها نشرت صورة خليعة ،وهذا حرام وإشـاعة للفاحشـة ويظـل يسمى ويكرر فى اسم المجلة حتى نحفظ اسـمها ، ثـم نخـرج نشـتريها مـن أمـام المسجد ويكون بائع الجرائد فى غاية السعادة بهذا الشيخ لأن المجلـة قـد بيعـت جميع نسخها ودخلت بيوتنا جميعا نقلبها ونتصفحها .

هل الشيخ بذلك قد غير ؟ أم أنه أذاع المنكر وشهره ولم يغيره أو يزيله ؟

إننى أحيلك إلى كتاب رائع فى هذا الموضـوع اسـمه معاملـة الحكـام فى ضـوء الكتاب والسنة لترى كم نحن مقصرون متجاوزون حدود وأخلاق الإسلام ، كذا كتاب الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب وغيرها من كتب العلامة ابن القـيم رحمهم الله جميعا .

طبعا هذا الموضوع بحاجة إلى عـرض وسـرد أكثـر لكنننـى أجملتـه لـك لـتعلم أصحاب الدين الحقيقى الذين ذاقوا طعم الهداية فتمنوا لو أن الخلق جميعا ذاقوها فاجتهدوا فى النصيحة ، وترفقوا فى البيان ، وحرصوا على الهدايـة ، وحـافظوا عـلى مشاعر وقلـوب المنصـوح لهـم ، فتـرى أهـل التـدين الحقيقـى « ينصـحون ولا يفضحون و يغيرون ولايعيرون ».

المبحث الثالث

يصدقون ولا يكذبون.. ويوفون ولا يغدرون

الصدق والوفاء أبرز صفات الرسول ﷺ وأبرز سمات الرسالة ، حتى أنه ﷺ «قد شهد بصدقه كل الكائنات ، الأتباع والخصوم ، الواقع والتاريخ والعلم ، وسائر مفردات الكون فهو الصادق الأمين ورسالته صدق وعدل.

قال الله تعالى .. ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام] ...بل إن من شروط الرسول الصدق وعدم الكذب ، وعلى مثل هذا تربى أصحابه فكانوا أصدق وأوفى جيل عرفته البشرية ، لقد كان ﷺ صادقًا حتى لاح الصدق من وجه صاحب الرسالة قبل أن ينطق به فشهد ابن سلام له بقوله: «والله ماهذا بوجه كذاب» (صحيح رواه أحمد والترمذى وغيرهما).

لقد قال القرآن فى وصفه: ﴿ وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الزمر وقال عن الصحابة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ﴾[التغابن]

إن الدين الحقيقى لايعرف الكذب ولا المراوغة ، ولا التنصل من الوعود والعهود .

الصدق مع نفسك ومع الناس، ومع الله تعالى.

إن ناسا تملكهم العجب والغرور فظنوا أن كل مالديهم مقبول مشكور فقالوا:

« لو رشحنا كلبا ميتا سوف يختاره الناس وينجح فى الانتخابات » .

هكذا يعتقد تسليم الناس له حتى يقدموا على أنفسهم كلبا ميتا لأنه اختاره لهم ، ولم تمض شهور حتى خرج هؤلاء الناس أنفسهم ليسقطوه هو وقيادته كلها.

إن الصدق واحترام الكلمة هو أقصر الطرق للقلوب وكسب الثقة ، والاستقرار.

أما المراوغة والخداع واللف والدوران فإنها تأتى بعكس المرجو منها، لقد قالها القرآن واضحة ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر] ...

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل]

هكذا نصوص ثابتة .المكر والكذب يأتيان بعكس المطلوب.

إن الرسولﷺ لم يقبل أبدا أن يكذب المؤمن فقد سئل ﷺ أيكون المؤمن كذابا؟ قال: لا » رواه مالك والبيهقى وفيه ضعف .

كن صادقا مع نفسك فلاتظهر بغير حقيقتك ، لقد رأينا ناسا ظهروا بمظهر العمالقة وساعة الجد رأيناهم خلاف ذلك ، والعملقة الكاذبة لم تجلب لهم إلا الدمار، وأعطت الفرصة لخصومهم لضربهم الضربات الموجعة القاتلة ، ولم يستطع العملاق الكاذب حتى حماية نفسه فضلاً عن تحقيق هدفه ، والمتشبع بما ليس فيه كلابس ثوبى زور.

إن ناسا أعطوا عهودا فلم يحترموها بحجة طبيعة السياسة ، أو تغيرالمرحلة والظروف ولست أقنع بذلك التبرير السريع الغير مدروس ولامقبول .

لقد كان المسلمون طيلة قرون أعظم الناس سياسة ، وأ وفى الناس بالعهد ، وألزمهم للصدق فكيف جمعوا بين الصدق والسياسة ؟ وبين التدين والسياسة.؟

ليس العيب فى السياسة ولا فى الدين ، إنما فى أدعياء السياسة وأدعياء التدين ، العيب فى أصحاب التدين المغشوش ، الدين الحقيقى يصنع المبادئ ويبنى الأخلاق العظيمة ، ويرسخ القيم النبيلة ، ويظهر فى سلوك أتباعه ، يضبط الوسيلة ويصحح الغاية ، ويوضح الهدف ، وينقى النفس والقلب من أضغانهما ، أما الدين الصناعى والتدين المغشوش فهما ينمقان الكلمات ، ويدبجان العبارات ،

ويحسنان الشعارات ، ويعليان الأصوات ، وعند الاختبار ترى خلاف ماسمعت وصدق الله :

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران].

قل ماشئت وعند الجد تنكشف المعادن ، ادعى ماشئت وعند الاختبار تتجلى الحقائق.

إن الدين الحقيقى لايعرف أبدا الانتهازية ولا سمسرة المواقف ، ولا الصعود على جراح الآخرين تارة باسم الدين ، وأخرى باسم الوطن .

إن الدين الحقيقى مبادئ قبل أن يكون مكاسب ، والوطنية قيم وانتماء وليست استغلالا وادعاءا .

إن الصدق وبيان الحقائق حتى لوكانت مرة من أعظم خصال الإسلام ، أما تعليق الأخطاء والفشل على شماعة الآخرين ، وتبرئة المرء لنفسه فهذا نوع من الكذب الجديد، وتلبيس بالباطل والقرآن يقول : ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

إن القرآن يضع النقاط على الحروف :

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾[آل عمران].

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء].

لاتحمل عدوك الوزر وتبرئ نفسك حتى وإن كان هذا العدو يمكر بك .

قد يكون عدوك أضعف وأقل منك لكنه يحسن توظيف أخطائك وحماقاتك ، فتكون سببا فى نهايتك السريعة فلا تلمه ولكن لم نفسك أولا. فلولا فشلك مانجح خصمك ، ولولا تقصيرك ماتمكن منك عدوك ، ولولا ضعف جهاز المناعة ماغزى الجسم أى فيروس ، ولولا المرض ماعرف الناس قيمة الصحة ولا وجد دواء وعلاج وكى بنار.

يجب أن نكون صادقين ، كفى خداعا للبسطاء وإيهامهم بعصمتنا وتكالب أعدائنا علينا فالقرآن يقول فى وضوح : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى].

ويأبى فريق إلا القول هو من الأعداء وبسبب مكر الأعداء.

إن الأخلاق الفاضلة والصدق والوفاء قد ذكرها القرآن ضمن السور المكية إشارة منه إلى أنها تتصل اتصالا وثيقا بالعقيدة والإيمان وليست مسألة تكميلية فحسب ، إنما هى أساس فى الإسلام ومقصد من مقاصد الرسالة: « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

إكذب ماشئت ، راوغ ما استطعت ، لف در ما أمكنك ، لكن اعلم أنك فى كل كذبة تكذبها أو مراوغة تمارسها إنما تقرب من نهايتك خطوة.

قد تعيش بالمراوغة والكذب بضع سنين ولكنك حتما ستسقط بسببها مئات السنين ، بل كل السنين لأنه لايصح إلا الصحيح.

إنك عندما تحاول خداع الجميع ستخسر الجميع ، بل ستخسر نفسك أيضا ، وكفاك أن تعرف أنك غير صادق حتى وإن انخدع فيك الناس ، وحتما ستظهر الحقائق وتتجلى الأمور وينكشف الكذب المستور وساعتها سيعلم الناس أن تدينك كان تدينا مغشوشا ، وأن تدينك إنما هو تدين صناعى .

الصدق والوفاء أخص خصائص أمة الإسلام..

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرعد].

المبحث الرابع

يبذلون ولا ينتظرون

أى أنهم يقدمون كل شىء ولا ينتظرون أى مقابل مادى فى الحياة ، لاينتظرون حتى كلمة شكر، ولا ذيوع الصيت والذكر ، ولا الشهرة وثناء الناس ، ولا ينتظرون منصبا يحصلون عليه ، ولا مكافأة مالية تصرف ، ولا حتى شهادة تقدير تكتب باسمهم ، ولا شهادة ادخار توضع لهم فى بنك من البنوك .

إنهم لايريدون أى شىء وفى نفس الوقت يقدمون كل مايقدرون عليه من أجل هداية وصلاح الإنسان وسلامة المجتمع والأوطان .

إن أحدهم يعرق ويكد طوال النهار فإذا جاء وقت الغداء أو العشاء تراه يتسلل فى خفاء إلى بيته يتناول طعامه ثم يعود ، أو يميل على أحد المطاعم يأخذ رغيفا بسيطا يسد به جوعته من ماله الخاص.

إنه لايقيم وليمة بآلاف الجنيهات ولا يتناول مالذ وطاب ، ومالم يأكله من قبل فى بيته تحت بند العاملين عليها.

إنه لا يملأ كرشه وجيبه من أموال جمعها للفقراء والأيتام تحت بند أنه متفرغ للعمل ؛ ولست أدرى من الذى ألزمه بالتفرغ إلا واحد مثله فى المستوى والفكر والطبع استمرءا سويا أخذ هذه الأموال التى لاتحل لهما .

تسمع تارة أن هذا طالب علم وأن معيشته كلها من صندوق الدعوة وتسمع أن هذا أخ مجتهد لابد أن نوفر له طلباته من صندوق المسجد ، وتسمع أن هذا أخ مجاهد لابد أن تخلفه الدعوة فى نفسه وأهله بخير لأن من جهز غازيا أو خلفه فى أهله بخير فقد غزا .

فإذا فتشت لم تجد إلا السراب ، فطالب العلم لايعرف إلا النوادر والخلافيات، وتراه قد سمن وترهل من الأكل وبالتالى تبلد ذهنه عن التحصيل لأنه كما نعرف إذا امتلأت البطنة غابت الفطنة .

وتجد المجتهد ينام طوال النهار ويقضى ليله فى حكايات وسمر مع أصحابه يجرحون هذا ويعدلون ذاك ، ولاعدل عندهم إلا من وافقهم ، وتكثر خصوماته مع الناس .

وقد ترى المجاهد يخطط للتخريب فى مدرسة أو جامعة أو حافلة نقل أوماتش كرة أو خلافه وأحسنهم عملا عندهم من يفلح فى قتل بعض الجنود البسطاء .

ولا مانع طبعا من وجود بعض مجالات الخير فعلا ولكن المأساة أن تتحول الدعوة إلى باب جباية وتكسب وجمع الأموال وامتلاء الكروش والثلاجات بدون أن يكون للشخص وظيفة أو عمل يتكسب منه.

إن أشد مايؤلمك أن ترى القوافل تجوب الشوارع والقرى تجمع التبرعات تارة لفلسطين وأخرى لسوريا وثالثة للصومال وترى أطنانا من التبرعات ، ومئات ألآلاف من الجنيهات ، وكميات من الذهب والحلى قدمتها النساء المسلمات مساعدة للمحتاجين ، ثم لاتعرف أين ذهبت ؟ ولا كم جمعوا من الأموال ؟ فإذا جئت تسأل سبوك ولعنوك ثم يقيمون الوليمة بعد الوليمة ويحدثون الفقراء عن الزهد .

إنك تدفع تبرعك ولا تأخذ به إيصالا ، وكذلك يسحب من هذه الأموال دون إيصالات ولا سجلات رسمية ، وإن اعترضت على ذلك قالوا لك الأخ ثقة فلا تشكك فيه. لأن بعض الظن إثم .

كنت جالسا فى بنك فيصل يوما ، فجلست بجوارى سيدة منتقبة وبعد دقائق أخرجت ورقة من حقيبتها وقالت لى : يا أستاذ ممكن تشوف هذا الوصل سليم واللا مضروب؟

أخذت الورقة وجدتها إيصال تحصيل بمبلغ ٦٠٠٠٠ ستين ألف جنيه تبرعات لصالح سوريا هذا هو المكتوب فيه.

ثم قالت لى: لقد جاءنى شخص وحصل الفلوس وأعطانى هذا الإيصال وأريد أن أتأكد هل الفلوس وصلت أم لا ؟

قلت لها اضربى على التليفون الذى بالإيصال وتأكدى من الجهة المحصلة.

قالت لى ضربت عليهم ولا يرد أحد.

أخرجت تليفونى الشخصى واتصلت على الرقم فكان الرد أن هذا الرقم غير موجود بالخدمة.

قلت لها اذهبى إلى السنترال العمومى واسألى عن الرقم وكلميه ، وإذا لم تتوصلى لحل قدمى بلاغا للشرطة ، واحكى لهم أوصاف الشخص الذى حصل منك الأموال خرجت المرأة من البنك ذاهبة إلى السنترال ولا أعرف ماذا حدث بعدها .

قبل أن تدفع قرشا انظر أين يقع؟ أين يذهب؟ لابد أن تأخذ به إيصالا رسميا مسلسلا مختوما موقعا عليه من المحصل .

هناك هيئات رسمية وحسابات رسمية نعرف جهاتها وأصحابها ادفع تبرعاتك لهم ، أما أن تتبرع بدون إيصال ولمن لاتعرفة ولاتعلم هل يصل تبرعك لمن يستحقه أم لا فهذا خطأ كبير منك.

عندما ترى شابا فى العشرينات من عمره لايمارس أى عمل ويركب سيارة بمائة ألف جنيها فتسأله أنى لك هذا ؟ يقول لك: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

وكأن ماعند الله لاينزل إلا على الكسالى أمثاله ، أما الكادحون فإنما ينزل عليهم الفقر والعوز .

لقد عايشنا رجالا وشبابا يدعون إلى الله فما دخل جيبهم ولا بيتهم قرش واحد

من هذه الدعوة ، بل كانوا يدفعون من جيوبهم الفقيرة ، كان أحدهم يلبس حذاءه مقطوعا ليوفر ثمن كتاب يشتريه كان يمشى عشرات الكيلوات على قدميه لأنه لايملك ثمن المواصلات فيلقى درسه ثم يعود إلى بيته آخر الليل وقد أجهده المسير.

إننى لا أدعو الدعاة إلى الفقر ، لكنى أذكر نفسى والجميع ألّا يكون همهم الإنتفاع بشىء من وراء الدعوة ، وألا يجعلوها وسيلة للتكسب والثراء ، وألا تكون الدنيا هدفا من وراء الدين ، بل يقدموا كل شىء لدعوتهم.

لا ينتظرون منها عطاءًا ماديًا ، كفاك شرف الانتساب إلى الدعوة .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت] .

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود].

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [هود].

قل : إننى كلى وما أملك لك وليتك ترضى يارب ، وساعتها سيهتدى بك الناس ، ويقتنع بك الناس لأنك تعطى ولا تأخذ ، تقدم ولاتنتظر، وهذا هو حال الرسل والصالحين.، وهذا هو الدين الحقيقى لاالتدين المغشوش .

إننى لا أقول شرط الدعوة أن تعيش فقيرا ، ولكنى أقول إن شرط الدعوة أن تكون مخلصا زاهدا عما فى أيدى الناس ... ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيماعند الناس يحبك الناس ،

أعبدوه ليرضى فإذا رضى أدهشكم بعطائه.

المبحث الخامس

ينصفون من أنفسهم ويعدلون

الإنصاف والعدل عليهما قامت الأمة وتأسست الملة ...حتى أن القرآن يقول:

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة].

التقوى أن تتخلص من الانتصار لنفسك ، أن تقول الحق ولو على نفسك وذويك، وأن ترفض الخطأ حتى وان صدر عنك أو عن أحبابك.

التقوى أن تعترف بالفضل لأهله حتى وإن كانوا خصومك .

الإنصاف أن تمكن الناس منك متى أسأت إليهم أو تجاوزت معهم ، وتطلب منهم العفو والمسامحة ، وأن تقر من داخلك أنك أخطأت لا يكفى الاعتراف باللسان والقلب رافض إقرارك بالذنب .

إن الإيمان هو الإنصاف ففى الحديث الصحيح :

«ثلاث من الإيمان الإنصاف من النفس والإنفاق من الاقتار وبذل السلام للعالم» (البخارى).

لقد تربى الصحابة على ذلك فرأينا أبا ذر يضع خده على الأرض يستسمح أخاه لأنه أساء اليه .

علي ذلك تربت الأمة أفرادا وقيادات ، جماعات ووحدانا ، حتى عرفت بأمة العدل.

إن القرآن نزل يبرئ يهوديا من تهمة السرقة لأنه فعلا مظلوم ، وبين أن السارق ينتسب إلى المسلمين كما ورد فى سورة النساء .

لقد كان بإمكان الرسول ﷺ أن يؤخر الإعلان ببراءة اليهودى حتى ينتهى من قطع يده ثم بعد ذلك يعلن براء ته ويعتذر إليه ويعوضه ، ولكن حاشا رسول الله أن يفعل ذلك وقد جاء بالعدل والإنصاف.كيف يفعل وقد جاء بالعدل ؟

وماذا يغنيه أن يقطع يد عدوه ثم يخسر المبادئ والقيم والمصداقية فى دعوته ويعصى الله بذلك ؟

لا.. إن الحق أحق أن يتبع ، والعدل أول مهمات الرسول ﷺ.

قد يفهم البعض أن العدل هو ألا تضرب أحدا وألا تسرق ماله ولا تؤذى عرضه وهذا حق ولكنه ليس كل العدل.

إنما العدل أن تلتزم حدودك فى كل شىء ، وتعطى أصحاب الحقوق حقوقهم كاملة مادية كانت أو معنوية.

إن من الظلم أن تستلب صفات وحقوق وأدوار الآخرين ، وتخلع على نفسك أو على غيرك خلعة ليست له ولا لك.

إن القائد الذى ينزل نفسه منزلة الملهم أو المعصوم أو القديس يكون قد ظلم نفسه وظلم غيره.

إن القائد الذى يحرم أفراده حق الاعتراض والمناقشة يكون قد ظلمهم وصادر عقولهم.

إن مصادرة العقول والحجر على التفكير من أشد مساوئ التنظيمات السرية والجماعات التى تعمل فى الخفاء مهما زعموا خلاف ذلك .

لقد سمعنا قيادات هذه الجماعات يقدمون مرشحهم الرئاسى قائلين «لقد قدمنا رجلا لايقطع أمرا فى خاصة نفسه أو عامة حياته إلا بالرجوع إلى الجماعة» . ولا أعرف رئيسا فى التاريخ كان بهذه الصفات لايتخذ قرارا فى نفسه أو فى شأن غيره إلا بعد الرجوع إلى رؤسائه .

إنهم فى الحقيقة رؤساء الرئيس الذى رضيه الناس رئيسا لهم يختار لهم ويقـرر مصالحهم .

إن الفرد الذى يدعى لقائده أو لجماعته العصمة والقداسة إنما هو ظـالم لنفسـه ولقائده وجماعته بل ظالم للحق وللحقيقة .

قد يعييك الحوار مع شخص لتقنعـه بفكـرة بينمـا يلـوح عـلى وجهـه الاقتنـاع ولايجد ردا يرد به عليك ولكنه أبدا لايعترف بصحة رأيك أو بخطأ موقفه.

ليس المهم أن يقر ويعترف لكن المهم أن يكون مقتنعا أنه على خطأ فهذا بـاب أمل كبير فى التغيير، المهم أن تراه يتغيـر حتـى ولـو لم يقـر بقولـك هـدفنا التغييـر للأفضل وليس التحقير للمخطىء .

إن الطامة فى الجحود والاستكبار ، وربما زاد اللدد فى الفجور فيذهب يفتـرى عليك كلاما لم تقله لا لشىء إلا ليهز صورتك ويقوى موقفه ، وهو يعرف أنه عـلى خطأ.

كنا فى مجلس يوما فقال أحد الحضور: -

« لاتحتج بآية أو حديث إلا مـن خـلال تفسـير عـالم موثـوق فى فهـم الآيـة أو الحديث موضع الاحتجاج »

هذا كلام حسن لاخلاف عليه يجب أن نرجع إلى العلماء لئلا يقول كل إنسـان برأيه فى الدين .

انتهى المجلس وبعد أيام سمعنا من ينقل الكلام عن هذا الشخص على طريقـة « لا تقربوا الصلاة ». و«ويل للمصلين».

راح بعض الشباب يروجون عن هذا الرجـل أنـه يـرفض الاسـتدلال بـالقرآن والحديث وإنه «يقول لاتستشهد بآية ولا بحديث ».....

هكذا دون أن يكملوا كلام الرجل ، وهى الجملة التى أسقطوها عـن عمـد أو

غير عمد وهى قوله ......«..الا من خلال فهم عالم ثقة للآية أو الحديث ..»..

هكذا بتروا الكلام ليروجوا أن هذا الشخص علمانى يرفض القرآن والسنة.

مواقف محزنة من الكذب والتلفيق وتبرير الأخطاء ، بل وتقديس أصحابها مع أن الرسول ﷺ لم يبرر موقفا يوما بدون حق. لقد مر ﷺ على الناس وهم يلقحون النخل فقال لهم : « لو تركتموه فلعله كان أفضل » فتركوه فلم يثمر فرجعوا إليه يسألونه ﷺ فقال فى وضوح لهم« أنتم أعلم بشؤون دنياكم » .

« أو ظننت ظنا فلا تؤاخذونى فى ظنى» مسلم ..

اعترف ﷺ أنه ليس خبيرا فى الزراعة ، وأنهم فى الزراعة أعرف وأعلم بها .

لم يبرر اجتهاده ورأيه ، ولم يتهمهم ولم يحملهم الخطأ ، وإنما اعترف بخطأاجتهاده فى الزراعة وأؤكد فى الزراعة وليس الدين.. فهو ﷺ فى الدين والبلاغ معصوم .

ليتنا نتعلم ألا نستلب حقوق الآخرين وألا نلبس ثيابا ليست لنا .

إن الفرد الذى يعطى نفسه سلطة تطبيق القانون على الناس إنما يستلب وظيفة الدولة، والجماعة التى تعطى نفسها سلطة التحدث باسم المجتمع دون إذنه إنما هى تستلب وظيفة الأمة. والأمة متبوعة من الأفراد ولا تابعة لهم.

الإنسان الذى يسوغ لنفسه قول كل شىء وتشريع كل شىء، وإباحة أو تحريم كل شىء ، ومنع أو إجازة كل شىء الذى يعطى لنفسه الحق فى ذلك إنما يستلب صفات وأفعال الرب سبحانه ، وهو بذلك ظالم لنفسه ولربه وللناس.

العدل أن يوضع كل شىء فى موضعه ومنزله ومقامه ، وأن يوضع عند أهله أيضا.

إن الإنسان الذى يجلب الأيتام من دور الرعاية ليقدمهم فى التظاهرات حاملين أكفانهم إنما هو يظلم الأيتام ويظلم المؤسسة ويظلم الطفولة ويظلم المجتمع .

وقد تلجأ الدولة لإغلاق هذه المؤسسة وتجميد أموالها ويطرد الأطفال إلى الشوارع ، يتلقفهم كل مفسد وغوى ليصنع منهم قنابل موقوتة تهدد الدولة والمجتمع .

إن هؤلاء الأطفال لايميزون أفعالهم وغير المميز لايكلف ، وبالتالى لايحق لأحد استغلاله لخدمة مشروعه الخاص وتحقيق رؤيته

« إن المقسطين على منابر من نور على يمين العرش يوم القيامة ، الذين يعدلون فى أنفسهم وأهليهم وماولوا » مسلم

إن الفوضى التى تعيشها مجتمعاتنا هى أجلى صور الظلم وعدم العدل والإنصاف ولذلك يجب تعديل حياتنا كلها.

من الظلم أن نرتب الأشياء من حولنا ونترك الفوضى تأكل قلوبنا وعقولنا .

من الظلم تحريف وتغيير المفاهيم والقيم والمبادئ ، فنرى مثلا الحرية تحللا والتعبير عن الرأى تفسخا ، أوترى كل معارضة ولو محقة ومنضبطة نعتبرها إرهابا هذا أيضا من الظلم. الدين الحقيقى عدل وإنصاف ، صراحة ووضوح ، لايحابى ولايجامل ، ولايسمى الأمور بغير أسمائها « ولو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها « العدل والإنصاف » ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين» .

العدل العدل الإنصاف الإنصاف فالعدل أساس الملك والإنصاف من الإيمان وأهل الحق لايعرفون التدين المغشوش ، ولايلجؤون للحيل النفسية لتبرير الأخطاء ، وتهوين الأخطار فهم يقرؤون ليل نهار قوله تعالى : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾[الأنعام] .ولذا فهم دائما

ينصفون من أنفسهم ومن ذويهم ويعدلون .

المبحث السادس

يعظمون حرمات الله ، ولا يستهينون

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[الحج].

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج].

من أراد الخير عند الله وامتلأ قلبه بالتقوى ، وكان تدينه تدينا حقيقيا ليس دعاوى ولاشعارات لابد أن يعظم حرمات الله فلا يستهين بها .

إن الرسول العظيم يعظم شأن الحرمات ، ويضع ألف مانع ومانع دون انتهاكها ويعلن فى دستوره على مجمع من الأمة ومسمع من العالم :

«إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» ..إنه يوم النحر فى شهر ذى الحجة فى مكة المكرمة الدماء والأعراض والأموال حرام كحرمة هذه الثلاث .

إن القلب متى استهان بالمحرمات بات على خطر عظيم فهو أقرب للموت عندئذ منه للحياة ، والقلب القاسى الغليظ حتما بعيد عن الله تعالى وعن الناس وعن معنى الإنسانية.

لقد نشأ الصحابة والأمة بعدهم على تعظيم المحارم والتنزه عن الحرمات حتى إن الأمة تغار لامرأة واحدة تكشفت فى سوق بنى قينقاع فيقوم الرسول ﷺ والأمة من ورائه بإجلاء اليهود من المدينة .

إن حادثة عمورية تدوى صرخاتها فى أذان وضمير الأمة حتى اليوم وامعتصماه لكن :

رب وامعتصـــــماه انطلقـــت ... مــلء أفــواه الصــبايا اليــتم
لا مســـت أســماعنا لكنهـــا ... لم تلامــس نخــوة المعتصــم

بل إننا رأينا المسلمات تسقن سبايا وجوارى على يد أناس من جلدتنا ، يقاتلون باسم الإسلام فى سوريا والعراق وغيرها .

رأيناهن يعلقن على أعمدة الإنارة ويشنقن باسم الإسلام فى أرض الشام . لقد هجم الثوار على عثمان بن عفان فقتلوه وأثناء طعنهم إياه جاءت زوجته نائلة وألقت بنفسها على زوجها تحميه وتدافع عنه ، فجرحت أصابعها وتكشف شعرها.

فانتفض عثمان التقى ابن الثمانين سنة وهو ينزف يقول لها:-

«والله لضرب سيوفهم فى جسدى أهون عندى من تكشف شعرك يانائلة ، خذي خماركِ، فلعمري لدخولهم عليَّ أهون من حرمة شعرك»

إنه إيمان ذى النورين عثمان ﷺ يتمنى القتل ويستحبه ولا ينكشف شعر زوجته ، .هكذا كان ذوالنورين الذى يتغنى ناس بأنهم متمسكون بشرعيتهم الدستورية اقتداءا به فى عدم خلع نفسه من الخلافة .

لقد رأينا اليوم وسمعنا العجب من يبيح للزوج ترك امرأته تغتصب إذا تهددت حياته ولست أدرى أى حياة لديوث تلك التى نحافظ عليها ؟

رأينا من يزج بابنته وزوجته فى أتون المعارك والحرب ، يضربن ويحرقن ويشتمن ويقطعن الطريق، ثم يلقى القبض عليهن ، ويحلن إلى المحاكمات والسجون ليأتى هو بعد ذلك فيصورهن داخل القفص ويتاجر بقضيتهن التى دفعهن هو إليها ، ويبكى دموع التماسيح على الأعراض التى تنتهك ، والحرائر اللائى فى السجون ..

إن التعدى على النساء والأعراض ممنوع ..ممنوع ..ممنوع .. فما أكرم المرأة إلا كريم وما أهانها إلا لئيم ، ولكن أيضا تعريضهن للخطر والإهانة بمعرفة الأزواج والأقارب والأمراء هو أيضا جريمة لاتغتفر ، وتجارة خاسرة يقوم بها

أصحاب النفوس الدنيئة .

إنك تعجب من رجل يرفض أن يأكل تمرة من مال حرام ثم تراه يستبيح قتل البشر وأكل أموالهم أو إحراقها.

تعجب من رجل يحافظ على دراجة ثم هو يقتل راكبها ، بل تجد من يفتى بحرق السيارات وترويع النساء والأطفال داخل البيوت ، وليس فقط فى ساحة المواجهات ، فيفتى بجواز تحريق البيوت عليهن ليكف أزواجهن عن ملاحقة المتظاهرين كما يزعم .

انه التاريخ يعيد نفسه : عبد الله بن خباب بن الأرت صحابى رسول الله ﷺ قابل نفرا من الخوارج جلسوا تحت شجرة فسقطت ثمرة من ثمارها فهم أحدهم أن يأكلها فمنعه أخوه لأنها لاتحل له بدون إذن صاحبها فلفظها الخارجى من فمه.

ويمر عليهم خنزير فيضربه أحدهم بسيفه فينهاه صاحبه ويطلب منه الذهاب إلى صاحب الخنزير يدفع له ثمنه .

لكنهم قابلوا عبد الله بن خباب فسألوه من الرجل ؟

قال: أنا ابن صاحب رسول الله ﷺ.

قالوا: حدثنا حديثا سمعته من أبيك عن رسول الله .

قال: سمعته يحدث عن رسول الله قائلا:-

«ليكونن من أمتى أقوام سفهاء الأحلام ، حدثاء الأسنان ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

قالوا : هل حدثك بذلك ؟ قال: نعم .

فأخذوه على شاطىء النهر فقتلوه حتى سال دمه على صفحة الماء ، وجاءوا بامرأة له حامل فشقوا بطنها ، وقتلوها وقتلوا جنينها .

فعلوا ذلك بأهل الإسلام وبالنساء والأجنة ، وقد حرموا قتل الخنزير وأكل

تمرة بغير إذن صاحبها ، هل يوجد عمى وضلال أكثر من ذلك ؟

إنك تتحسر عندما ترى مثلا إسرائيل آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان مع كونها كفرت بأنعم الله ، بينما حولها سوريا والعراق ولبنان ومصر وغيرها تحترق وأهلها مسلمون يؤمنون بالله .

فإن سألت عن السبب قالوا من أجل الإسلام ، ولئن سألتهم لماذا لاتقاتلون إسرائيل ؟ لقالوا لك قتال العدو القريب أولى من قتال العدو البعيد.

وبالتالى فقتال شعوبنا وحكامنا مقدم عندهم على قتال اليهود المغتصبين الأرض الهاتكين العرض.

لست أدرى لماذا لاننصر الإسلام فى إسرائيل ؟ لماذا لانندافع عن الأعراض التى تنتهك هناك كل ساعة ؟

لماذا نرى شريط الفيديو يسب ويلعن إسرائيل وأمريكا والغرب ، ثم السيارة المفخخة تنفجر فى القاهرة وليس فى تل أبيب مثلا ؟ هل تشتم الكفار المحتلين وتفجر المسلمين المصلين؟ ما علاقة مترو الأنفاق بالحرب والصراع حتى نستيقظ على انفجارات اليوم أو غدا فى محطاته ؟ لماذا لانتوجه إلى إسرائيل أو أمريكا فى العراق نقاتلها ؟

لماذا داعش دولة الإسلام فى العراق والشام؟

ودالم دولة الإسلام فى مصر وليبيا ؟

ودامس دولة الإسلام فى مصر والسودان ؟

وداغس دولة الإسلام فى المغرب ؟

ودولة الإسلام فى اليمن والجزيرة ؟

لماذا لانسمع عن دولة الإسلام فى إسرائيل ؟

بل لماذا أنصار بيت المقدس تنشط فى القاهرة ؟ وتفجر فى المعادى ، وتغتال

الناس فى العريش ، وتحرقهم فى مدينة نصر ؟ وتحصدهم بالرصاص في حلوان .؟

إنها مفارقات غريبة رأيناها عندما رأينا الرايات السوداء فى العراق وسوريا والرايات الصفراء فى مصر ولبنان.

لكن لاتعجب إذا أخبرتك أن قياداتهم تقول « لم نؤمر بقتال إسرائيل بعد» وكانت قيادات العنف فى الثمانينات والتسعينات يقولون : « **إن الطريق إلى بيت المقدس لابد أن يمر بالقاهرة** »

و يقولون :

«إذا كان تحرير القدس هو أن نموت فى مصر فمرحبا بأعواد المشانق» .

كما تصور صدام حسين : أن الطريق إلى القدس لابد أن يبدأ من الكويت ، وكما زعم الخومينى أن تحرير المقدسات لابد أن يبدأ من بغداد . .. إنه التدين المغشوش ، تدين الجهل والأهواء ، تدين صغار النفوس حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقتلون أهل الإسلام ، ويتركون أهل الأوثان ، وأبسط الأمور عندهم هو قتل النفس ، ثم نراهم يبررون جرائمهم بقولهم عن الضحايا « يبعثون على نياتهم »

إن أهل الحق يعظمون الحرمات ولا يستهينون بالدماء والأعراض ولا بالأموال ولكن اليوم قد تغير بنا الزمان حتى هان علينا كل عظيم ، ورخص فى عيوننا كل نفيس، وتبدلت لدينا المفاهيم ، وجرفتنا الأهواء ، ولاحول ولاقوة إلا بالله .

إن الصحابى الجليل قالها قديما:- **إنكم تعملون أعمالا هى فى أعينكم أدق من الشعرة، كنا نعدها زمن رسول الله ﷺ من الموبقات** هذا زمانهم وذاك زماننا والكل يتحدث باسم الإسلام ؟ لكن شتان بين ظلام أهل التدين المغشوش وبين أنوار أهل الإيمان الحق ، وأصحاب الإسلام الصحيح ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال] .

المبحث السابع

يؤلفون ولا يؤلبون، ويجمعون ولا يفرقون

إن الله تعالى جعل المسلمين أمة واحدة، وكلفهم تكليفات جماعية، جعلها عليهم فرائض وواجبات، وناداهم بنداء الجمع، وأمرهم بالاعتصام والوحدة، ونهاهم عن التشتت والفرقة، واعتبر وحدتهم نعمة عظمى عليهم فذكرهم بها ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران].

ويوم القيامة تبيض وجوه أهل الوحدة والائتلاف، وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وشرع الإسلام للأمة أن تتوحد على المفضول، ولاتتفرق على الفاضل، واعتبر التفرق فتنة يجب درؤها، والوقوف في وجه من يدعو إلى شق الصف واختلاف الكلمة، ومنعه من تحقيق هدفه، حتى لو كان ذلك المنع بقتاله، واعتبر الخارج عن الجماعة بتفصيل لدى العلماء مرتكبا جريمة هى من أكبر الجرائم، ولذلك اعتبر تأليف القلوب، ونشر المحبة والوفاق في قلوب الناس أكبر وأعظم من كل شيء، ولايقدر عليه أحد سواه سبحانه فقال لنبيه ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال]، هكذا ماقى الأرض جميعا أقل قيمة من المحبة والألفة التى يضعها الله تعالى بين الخلق، .

ولقد سعى القرآن لترسيخ لغة التواصل والتفاهم والتآلف بين البشر بأكثر من طريق فتارة يذكرهم بأصل خلقهم والغاية التى وجدوا من أجلها فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، فأصلكم جميعا من أب واحد وأم واحدة، والهدف من وجودكم هو التعارف.

بل يردهم إلى الأصل الأول آدم عليه السلام فيقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وتارة يربطهم برابطة القوم والقبيلة فيقول: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ هكذا ينسب أخوتهم إلى قومهم عاد أو ثمود و مدين مالم يغلبوا رابطة القومية على رابطة الدين ، فمتى انحرفت عن رابطة الدين لم ينسبهم إليها فيقول: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ هكذا دون كلمة أخوهم لأن الحديث هنا عن شجرة يعبدونها فلايصح أن ينسبه إليهم برابطة الشرك والوثنية .

وتارة يربطهم برابطة الصهر والأسرة فيقول: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء]

وتارة أخرى يذكرهم بالجوار ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾.

وتارة يربطهم برباط الإسلام فيقول ﷺ «المسلم اخو المسلم » وتارة يربطهم برباط الإيمان ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وتارة يدعوهم إلى استغلال التنوع في الفائدة والخير فيقول : ﴿ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ «ويدعو الإسلام إلى غض الطرف وعدم المراقبة للناس ، والتغافل عن زلاتهم وحسن الظن بهم والتسامح فيما بينهم ، وبذل الإحسان وتقديم العفو ، كل ذلك وغيره ليسود التآلف والحب والتقارب بين الناس خاصة بين المسلمين ، وكل ماينفر من الطباع ويكره من التصرفات نهى عنها الإسلام ، سواء في ذلك الغيبة والنميمة والبهتان وقطيعة الأرحام والبغي والعدوان ، وجميع مايؤدى إلى قطع الروابط وانبتات الأواصر بين الناس منعه ونهى عنه ، وشرع التناصح بين الناس حكاما ومحكومين ، ودعى إلى الإسرار بالنصيحة لئلا يهيج الناس ويؤلبهم ، ولئلا يثيرهم ويحرضهم ، فكان الإسرار بالنصح في موضعه أفضل من الجهر

والإعلان به .

هكذا دعى الإسلام وهكذا قام المجتمع الإسلامى وطبق العلماء والفقهاء مبادئ التأليف وتوثيق الروابط وتقوية العلاقات بين الناس ، وسعوا في حل المنازعات والفصل في الخصومات ، والصلح بين المختلفين ، كل ذلك لأن الوحدة بين المسلمين ، والألفة بين أبناء المجتمع غاية نبيلة ومقصد جليل من مقاصد الإسلام ، فعاشوا بذلك زمرة القلب الواحد والصف الواحد .

كما وصفهم النبىﷺ « لا اختلاف بينهم ولاتباغض قلوبهم قلب واحد » البخارى ومالم يكن التآلف والتأليف كان التشاحن والتحريش ، ولئن انجى الله عباده المصلين من عبادة إبليس فأيس اللعين أن يعبد فسلك بهم مسلك التحريش والتهييج ففى الحديث قالﷺ : « **إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم** » مسلم ، وهو لايقول لهم هذا تحريش وأنا إبليس ، وإنما يأتيهم بالتلفيق والتلبيس ، حتى إذا خدع وأوهم ، وفرق وأبهم، ولى مقهقها وتركهم يبكون ، وهذا دائما ديدنه « يعرض الشر في معرض الخير ، والتمييز بينهما غامض وأكثر الناس لايبصرونه ، فيهلكون »

لكن أصحاب البصيرة وذوى التدين الحقيقى يسيرون ولسان حالهم يقول :

إن يبل مصطنع الإخاء فإننا	**نغدوا ونسرى في إخاء تالد**
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا	**عذب تحدر من غمام واحد**
أو يفترق نسب يؤلف بيننا	**عمل أقمناه مقام الوالد**

الإخاء والوصال والعمل المشترك نبضات تعنى الأمل في الحياة الآمنة ، وهكذا قال حذيفة بن اليمان وهو يحذر من الفتنة : « إياكم والفتن ، لايشخص إليها أحد ، فوالله ماشخص إليها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن » . ويحكى قتادة نهاية فتنة رآها وتحريش عاينه يقول : - « لقد رأينا والله أقواما يسرعون إلى الفتن وينزعون فيها ، وأمسك أقوام عن ذلك هيبة لله ومخافة منه ،

فلما انكشفت إذا الذين أمسكوا أطيب نفسا وأ ثلج صدورا وأخف ظهورا من الذين أسرعوا إليها وينزعون فيها ، وصارت أعمال أولئك حزازات على قلوبهم كلما ذكروها ، وايم الله لو أن الناس كانوا يعرفون منها إذ أقبلت ماعرفوا منها إذ أدبرت لعقل فيها جيل من الناس كثير » ..

وهكذا الفتن تميز الناس فهي وكلت بثلاث : الحاد التحرير الذى لايرى إلا العنف والسيف ، وبالخطيب الذى يدعوا إليها ويهيج عليها ، وهذان تبطحهما أرضا ، أما السيد العاقل فهى تمتحنه وتختبره والفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل .

والقلب مالم يكن بالله مرتبطا فإنما هو بالأهواء جواب

وكما قيل :

خالف هواك اذا دعاك لريبة فلرب خير في مخالفة الهوى

حتى متى لاترعوى ياصاحبى؟ حتى متى؟ والى متى؟ والى متى؟

وإذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى فإن فطام النفس عنه شديد

فلابد من تأليف القلوب والأرواح وتكامل الأدوار في الإصلاح لأنه :

ومايلبث الفتيان أن يتفرقوا إذا لم يؤلف روح شكل إلى شكله

فلابد أن ينسجم المرء مع مجتمعه ولايهيج ولايحرش لأن في ذلك رداه يقول إقبال :

كل من أوتى حظا من حياة فى سوى بيئته يلقى رداه

بلبل أنت ففى الروض امرح ومع السرب بلحن فاصدح

وإياك وحب الرئاسة فإن الرجل تكون الرئاسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لايبصره إلا البصير ، واعلم أن من طلب الرئاسة قبل مجيئها إليه فرت منه وجنت عليه ، وما أحب أحد الرئاسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليتميز هو بالكمال ، ويكره أن يذكر الناس أحدا عنده بخير، ومن عشق

الرئاسة فقد تودع من صلاحه .

إن التنــازع في الرئاســة زلــة لاتســتقال ودعــوة لم تنتصــر

أومـا تـرون الشـامتين أمـامكم ؟ ووراءكم من مضـمر أو مظهـر ؟

فلا داع للتحريش والتهييج ولا للتحريض والتأليب وإنما :

نـرى الـدهر قـد جـد في أمرنـا فياويــل تــدبيرنا إن هــزل

إذا اختـل شـيئا بنـاء الأسـاس تضـاعف في الصـرح ذاك الخلـل

فلابـد مـن رأب كـل الصـدوع وجمـع الصـفوف ودرء العلـل

ولابـد مـن قصـد ذات الإلـه وحشـد القـوى ليصـح العمـل

ومن كان له رأى فلاحرج أن يعرضـه في تسـامح وتناصـح ، ولابـد أن ننسـى الجراحات ونتعالى على الحزازات ، ونتخلى عن الثارات والعصبيات :

من اليوم تعارفنا وننسى ماجرى منا

فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا

وإن كان ولابد من العتب فبالحسنى

تعالوا بنا نطوى الحديث الذى جرى فلاسـمع بـذلك الواشـى ولادرى

تعـالوا بنـا حتـى نعـود إلى الرضـا وحتـى كـأن العهـد لم يتغيـرا

لقد طال شـرح القيـل والقـال بيننـا وماطـال ذاك الشـرح إلا ليقصـرا

مـن اليـوم تـاريخ المحبـة بيننـا عفا الله عن ذاك الخصام الذى جرى

تعالو نخل العتب عنا ونصطلح

وعودوا بنا للوصل والعود أحمد

ولاتخدشوا بالعتب وجه محبة

....له بهجة أنوارها تتوقد .

هكذا أهل الحق أصحاب التدين الحقيقى يؤلفون لايؤلبون ويجمعون لايفرقون .لايؤلبون طائفة ضد أخرى ، ولايحرضون أهل دين ضد آخرين ، ولايتنادون بنعرات العصبية كمن يقول: « الصعيد لايقبل هذا ولايرضى بهذا ، أو يقول الصعيد سيغضب وإذا غضب الصعيد سيحدث كذا وللأسف يتنادون بالعمل للإسلام ، وفى الحقيقة هم يدعون للإثم والعدوان ، ولهؤلاء أسوق لهم مقالة النبى الأكرم لما تداعى الغلامان يا للمهاجرين يا للأنصار ، ففزع ﷺ وقالها لهم خالدة مدوية: « أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم ؟ دعوها فإنها منتنة ».

المبحث الثامن

يصبرون ولا يتعجلون

الصبر مفتاح الفرج كما يقال. «و الصبر ضياء »كما ورد في الحديث الصحيح والصبر نصف الإيمان كما قال ابن القيم ﷺ وفى القرآن: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر]

الصبر هو الحظ العظيم:

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت]

والصبر هو العزيمة الكبرى :

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى]

كل شئ فى الحياة يحتاج إلى الصبر وما دخلت العجلة فى شئ إلا أفسدته حتى تقول العامة: فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة ، ويقولون: من تأنى نال ماتمنى وعاش طيلة عمره مهنا .

هكذا تواتر القرآن والحديث والفقه والعامة والمجتمع والعادة كلها تدعوالى الصبر وتحذر من العجلة .

لقد أمر الله بالصبر بأكثر من صيغة وعلى أكثر من درجة

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور]

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل]

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم]

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الشورى]

﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ ﴾ [المعارج]

..أى لا ضجر ولا شكوى فيه.

هكذا الصبر وهكذا علم الرسول أصحابه وقد جاءوا يطلبون الإذن لهم بالقتال ضد قريش فقال الله لهم

﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [النساء]، وقال ﷺ : « لم أومر بقتال».

فلما انصهرت نفوسهم فى بوتقة الإيمان ، وصبروا عليه وعلى مالاقوا من عنت ومشقة ، وتخلصت نفوسهم من حظوظها، ومن رغبات الثأر والانتقام اكتمل لهم التشريع ، وأذن لهم بالقتال بعد أن صفت نفوسهم من الشوائب .

انظر إلى كل مفردات الكون تجدها قامت على الصبر فالطفل يكون نطفة ثم جنينا ثم وليدا ثم غلاما ثم شابا ثم رجلا، ولو تصرف على أنه رجل من أول يوم لما استقامت له حياة ، وكيف لطفل أو غلام أن يتحمل أعباء الرجال ؟

فكان لا بد من الصبر حتى يكبر ويقوى ويصبح رجلا ككل الرجال .

إن الفلاح يلقى البذور فى الأرض ويتعاهدها شهورا حتى تنبت ، ثم تستوى ثم يأتى موسم الحصاد ، ولو حاول الحصاد قبل أوانه لما جنى إلا التعب والخيبة وضياع المجهود وسخرية الناس ، ومن تعجل الشىء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

إن الرجل يرمى الأساس فى الأرض ثم يشد القواعد والأعمدة الخرسانية ، ثم يرفع السقف ثم يبنى طابقا بعد آخر ، ولو أراد بناء العمارة فى يوم وليلة لتهدمت فوق رأسه وفوق رؤوس جيرانه ، ولو حاول بناء طابق قبل سابقه لعد مجنونا ، ولن يفلح .

فالحياة «مراحل .. ومشاوير.. وصبر».

لكن رأينا ناسا يخالفون سنة الله فى الدين والكون فيريدون الحصاد قبل الزرع وقبل السقيا والمعاهدة ، يريدون القيادة قبل أن يكونوا جنودا ناجحين .

هل يكون شخص عميدا لكلية قبل أن يتخرج فيها ويعين فيها ثم يكون رئيسا للقسم وبعدها عميدا للكلية؟

لن يكون عميدا قبل أن يمر بالسلم الوظيفى ، ويتدرب على مهام كل درجة ويتمرس فى أخلاقها وإلا سوف يصير أضحوكة وألعوبة فى أيدى الصغار والكبار، وسترى القائد يتصرف تصرفات الجنود ، والزعيم يعمل عمل الأتباع ، والعالم يتصرف تصرفات الجاهل لأنه لم يتدرب على ماهو فيه ، ولم يتأهل لما أسند إليه ؟

إن أى مهنة لابد أن تأخذ فيها دورات وكورسات تأهيلية ، ولابد أن يكون صبيا فى الورشة قبل أن يكون صانعا فيها ، وقبل أن يصبح مالكا لها ، لابد أن يذهب إلى الورشة يعامل معاملة الصبيان أولا ، والا فلن يفلح فى مهنته ، وسوف يضر بأموال الناس ويفسد ممتلكاتهم .

إن الفقهاء أوجبوا الحجر على من تطبب وليس بطبيب ، وعلى المقاول المفلس ، وعلى المفتى الماجن ، لأنهم جميعا غير مؤهلين لممارسة مهامهم ، وجميعهم يضر بالناس فى أموالهم وأبدانهم ودينهم ، فقال أبو حنيفة الإمام الأعظم بوجوب الحجر عليهم .

لماذا لايستفيق أناس أرادوا أن يتعلموا ويجربوا أنفسهم فى مستقبل أمة بأكملها؟ وليتهم تعلموا تحت إشراف الخبراء والمؤهلين ، وإنما أرادوا الانفراد والاستبداد بالأمور ، بل أقصوا كل من كان عنده خبرة أوأهلية ، أو سعوا فى إقصائه بتهم جاهزة ومعدة سلفا.

لابد من الاستفادة بالخبرات كلها حتى وإن اختلفت معها حتى لاتسقط منك الدولة ولا تغرق بك السفينة ، وكذلك لئلا يجتمعوا كلهم ضدك يعرقلون مسيرتك.

افهموا يرحمكم الله...خطوة خطوة ...بطيء أكيد المفعول ومن يدرى؟

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [الممتحنة]

إن ثورة يوليو لم تقص جميع رجال الملكية ، وإنما أبقت علي بعضهم فلما استوى عودها استبدلت بهم غيرهم شيئا فشيئا.

إن السادات لم يقص أبناء الناصرية بجرة قلم ، وإنما أبقى علي الكثيرين منهم حتى اشتد عوده ثم قام بثورة التصحيح.

وكذلك فعل مبارك ، ولاننسى نلسون مانديلا وكيف تصرف مع خصومه بعد ٢٥ سنة قضاها فى السجن جرت فيها حروب وسالت دماء لكنه تعالى على جراحه وتسامح وتصالح مع القوم ، وصبر رغم مرارة الإيذاء على نفسه .

إن إدارة الدول ليست مجالا لتصفية حسابات وخصومات قديمة ، ليست مبررا أن أشنع فى أول خطاب لى على فترة بعينها لخصومات كانت بينى وبينها ، وإلا فإننى أجمعهم ضدى من أول يوم وهذا نذير سوء .

ليست مبررا لأن أرسل سيارات الرئاسة تسحب بعض الكراسى ومكتبا خشبيا ومروحة من ضريح قائد سابق لأنه عذبنى أو لأنه حاربنى.

ما فات فات وابدأ من اليوم البناء ، لابد أن تنسى الجراحات والآلام وابدأ بالحب والتسامح والصفح والصبر الجميل.

إن القاعدة الأصولية تقول: « **من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه**».

لن تصل إلى ماتريد إذا تعجلت الأمور

لقد كتب الأستاذ أحمد أمين مقالا فى أيامه يقول لهم فيه « لماذا تأكلون تفاحكم أخضرا » ؟ أى قبل أن ينضج. وأن العجلة من الشيطان فلا تتبعوا خطوات الشيطان.

إن أصحاب الحق ، أرباب الدين الحقيقى يصبرون ثم يصبرون ثم يصبرون ، لأنهم يعلمون أن الصبر خير ، وما أعطى عبد عطاء أفضل وأوفى من الصبر ، وأن الدعوة لن تستقيم أبدا فى جو الاستفزاز وردود الأفعال ، فتشتم من شتمك وتضرب من ضربك وتكيد لمن كادك ، إنك متى فعلت ذلك فاعلم أنك تسير إلى نهايتك عن قريب لقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ وقال له ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف] هكذا يعلمه الله كيف يتصرف مع المشركين فما بالنا ونحن نتعامل مع المسلمين ؟

لابد أن نصبر ونوصى غيرنا بالصبر، كما فى سورة العصر أن كنا نقرأها. انك كلما حاولت الاستحواذ على الأمور كلما سلبت منك ، وكلما حاولت الانفراد برأى كلما ضاع رأيك ، وكلما سعيت لتأكل وحدك فإنك حتما ستجوع قريبا.

أشرك الناس معك ، واصبر عليهم ، وانس إساءتهم ، وأحسن إلى مسيئهم ، واجتهد فى البناء والشفافية ، ولن يصيبك سوء بإذن الله ، فإن حدث فقد أديت ماعليك وإلى الله تصير الأمور

أكرر :-

إن أهل الحق يصبرون ولا يتعجلون ، وأهل التدين الصحيح يتواصون بالحق وبالصبر ، ومن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

تخلصوا من حظ نفوسكم تملكوا قلوب شعوبكم وترضوا ربكم

تعلموا الصبر كما تتعلمون الصلاة ، لأن الله جمع بين الصبر والصلاة

فقال سبحانه ...

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة]

« تنسموا نسيم الصبر ، فإنه وإن كان فيه حرقة إلا أنه يفوح من أنقى الزهور ، زهور أولى العزم من الرسل ، ورائحة الصبر أطيب عند الله وعند الناس من ريح المسك » .

دعاة العنف لم يتخلقوا بهذه الأخلاق ، ولم يتصفوا بتلك الصفات ، وإنما جمعوا واجتمعوا على نقيضها ، فترى أحدهم يأتى فعلته سواء كانت ممارسة عنف ، أو تكفير أوتفسيق أو تبديع ، أو اتهام بالنفاق وقلبه مطمئن ، ونفسه راضية بما يفعل ، يظهر ذلك على قسمات وجهه ، وفى هتافاته ، بل تراه يباهى ويفاخر بفعلته تلك ، ويظن نفسه مجاهدا أو مجتهدا مجددا ، ويعطى نفسه حق الفتوى وإصدار الأحكام ، متناسيا أن للفتوى أهلها الذين كابدوا الدهر فى تحصيل العلوم ، وأنفقوا العمر فى دراسة المسائل ، وقدحوا زناد فكرهم للوقوف عى علل الشريعة ومقاصدها واستخراج الأحكام من أدلتها الكلية والتفصيلية ، ولئن أصاب واحد من دعاة العنف والتكفير الحق فى مسألة طار بها فى الأمصار ، وتغنى أتباعه بحصافته وفقهه ليل نهار .

أما إذا أخطأ وهذا فيهم كثير تجده وقد لوى رأسه ، وأشاح بوجهه ، واستنكف على الاعتراف بالخطأ أو الإقرار لغيره بالفضل ، حتى إنك تجد أحسنهم حالا بعدما يصدر فتاوى القتل والتخريب والتكفير ، وبعدما يظهر أهل العلم عواره ، ويكشفون تلبيسه وضلاله ، تجده بعدما أغلقت فى وجهه السبل ، وبعدما أعيته الحيل ، يقول فى استخفاف وتهوين للأمر:

« اجتهدنا وأخطأنا ولنا أجر واحد» متجاهلا أن للفتوى شروطها ، وأن للاجتهاد أهله ، وليس كل من قرأ يكون قادرا على الفتوى ، أو يصبح أهلا للاجتهاد، وأنقل هنا بعضا من شروط المفتى ذكرها الشيخ صلاح أبو إسماعيل فى كتاب الشهادة فقال :

« وقد روى عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: « لاينبغى أن يجيب المفتى فى كل

مايستفتى فيه ، ولاينبغى للرجل أن يعرض نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال :

إحداها : أن يكون له نية أى أن يخلص فى ذلك لله تعالى ولايقصد رياسة أو نحوها .

الثانية : أن يكون على علم وحلم ووقار وسكينة ، وإلا لم يتمكن من بيان الأحكام الشرعية .

الثالثة : أن يكون قويا على ماهو فيه وعلى معرفته .

الرابعة : الكفاية وألا يبغضه الناس ......

الخامسة : معرفة الناس أى يجب عليه معرفة نفسية المستفتى ، وأن يكون ذا بصيرة نافذة يدرك بها أثر فتواه وانتشارها بين الناس .

هذه الخمس ذكرها صاحب الشهادة ، ونسبها إلى الإمام أحمد رحمهما الله ، وقد أفاض الشاطبى صاحب الموافقات فى بيان مايجب أن يكون عليه المفتى ، وكذلك ابن القيم فى أعلام الموقعين ، والقرافى فى الإحكام ، والدكتور سعد العنزى فى أحكام المفتى والمستفتى وغيرهم ، لكن أين دعاة العنف والإرهاب من ذلك؟ إن أهل التدين الحقيقي : «يصبرون ولا يتعجلون».

المبحث التاسع

حوارية لا حرورية

الحوار والمناقشة ، والنظر والمناظرة من أعظم آليات الإسلام لإنهاء الخصومات وفض المنازعات ، ولاحرج على أحد ولاتثريب أن يحاور ويناقش ويناظر مادام يلتزم قواعد الحوار وآداب المناظرة ، لامانع أن نتحاور ونتناقش وكلنا يسعى إلى الحق ويتحرى الصواب ويبتغى بذلك وجه الله ورضاه ، لقد امتلأ القرآن الكريم بحوارات الرسل مع أقوامهم ومناظرة الأنبياء لأممهم ، وكذلك جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، تحكى حوارات القوم مع رسولهم الأعظم ، يستوى فى ذلك أن يكون المحاور من أتباع هذا الدين أو من المترددين فى قبوله أم من الرافضين له ، بل والمحاربين إياه .

مادام المرء يفتح باب الحوار والمناقشة فلا مانع من ذلك ، ومادام المرء يحسن السمع والإصغاء للحديث فلا مانع فى الإسلام من إسماعه ومحاورته ومناظرته ، فمن يدرى فرب كلمة فتحت مغاليق القلوب ، وإن الحوار والمناقشة يفتحان أكثر مما تفتح السيوف والحروب ، إن أثر الكلمة يستقر فى العقل ويرسخ فى القلب ومتى ملكت من إنسان عقله وقلبه فقد ملكت بذلك جوارحه وسعيه ، وقد أمنت بلا شك مكره وكيده ، وهذا مايسعى إليه الإسلام أن ينجذب إليه الناس عن قناعة وحب ، عن رضا وقبول ، طواعية بلا إكراه ويقينا بلا تردد .

لقد سار عظماء الإسلام على هذا المنهج عبر تاريخهم الطويل ، وامتلأت الكتب بالمناظرات والحوارات بين العلماء والمصلحين وبين المخالفين والمعاندين بما لايدع مجالا للشك أن هذا الدين عبر عصوره كلها قام على الحجة والبيان وليس على السيف والسنان ، ونكتفى هنا بذكر حادثة واحدة استخدم

الخلفاء والعلماء فيها الحوار إلى أبعد مدى ، ولم يلجؤوا إلى السيف إلا بعدما فرض عليهم السيف حقيقة لا ادعاء ولاتهاونا ، إنها فتنة الخوارج ، واعتصام الحرورية ، وعنف أصحاب النهروان فى عهد أمير المؤمنين على ﷺ ، لقد ناظرهم الخليفة بنفسه ، وبعث إليهم بترجمان القرآن ابن عباس ﷺ فناظرهم وحاورهم فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الصلاة وقد كتب الأستاذ معن عبد القادر على موقع «الإسلام دوركوم»يقول:

« أصيبت الأمة الإسلامية في القرون المتأخرة في أعز ما تملك وهو عقيدتها الصافية النقية التي جاء بها الرسول ﷺ من عند الله عز وجل، وسار عليها صحابته رضوان الله عليهم، وتبعهم في ذلك ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، ولا تزال طائفة من الأمة سائرة عليها كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

وهذه المصيبة العظيمة لها جذور تاريخية ترجع إلى القرون الأولى. فقد بدأت هذه المصيبة بمقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- على يد مجوسي حاقد، ثم قتل ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ، بمؤامرة دنيئة، ثم ظهر القول بنفي القدر، ثم أوقدت الفتنة بين المسلمين، ودار القتال بينهم، ثم خرجت الخوارج بمقولة شنيعة، ثم ظهر التشيع، وازداد أهله غلواً وبعداً عن الدين، وانتشر الرفض في بقاع شتى من العالم الإسلامي.

وفي كل مرة كانت هذه الانحرافات تجد من يتصدى لها من الرجال الأفذاذ الذين جمعوا بين العلم والعمل، والجهاد في سبيل الله، وكان هؤلاء يعملون على تنقية الأجواء الإسلامية من كل انحراف ومن كل دخيل.

وفي الأسطر التالية أثر يتحدث عن نموذج لانحراف خطير ظهر في هذه الأمة، وكيف تصدى لهذا الانحراف رجل تخرج من مدرسة الرسول ﷺ التي تخرج منها أعظم الرجال.

وهذا الأثر فيه فوائد شتى، لم يكن المقصود استخراجها جميعاً، بل ترك ذلك

للقارئ الكريم، وإنما حسن التنبيه على بعض فوائده على وجه الاختصار.

وطريقة عرض هذا الأثر هي: عرض جميع رواياته التي وقفت عليها ومن ثم إدراج الزيادات على السياق الأصلي، وقد أسوق نصًا غير النص الأصلي - في بعض المواطن - لأن في ألفاظه زيادة فائدة.

وسياق الرواية الأصلي هو لمتقدم المخرجين لهذا الأثر من أصحاب مصنفات الحديث.

وهذا نص الأثر:

عن ابن عباس ﷺ قال: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار - على حدتهم - وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب وأصحاب النبي ﷺ معه، قال: جعل يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين أن القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتى يخرجوا فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين: أبرد عن الصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله تعالى وكنت حسن الخلق لا أوذي أحدًا. قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال أبو رميل: كان ابن عباس جميلاً جهيرًا. قال: ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة. قال: فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود، عليهم قمص مرحضة، ووجوههم مسهمة من السهر. قال: فدخلت. فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس! ما جاء بك؟ وما هذه الحلة، قال: قلت ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» قالوا: فما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله -ﷺ- ومن عند صهر رسول الله ﷺ عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله تعالى يقول:

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم.

قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنِه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثاً.

قال: وما هنّ؟

قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل.

قال: قلت وماذا؟

قالوا: وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم.

قال: قلت وماذا؟

قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين. فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قال: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون [ينقض قولكم] أترجعون؟

قالوا: نعم.

قال: قلت أما قولكم: حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾. وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾. أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحق أم

في أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة. وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم.

قال: أخرجت من هذه؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، أن الله يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾، فأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؛ فنظر بعضهم إلى بعض.

قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، فإن رسول الله -ﷺ- دعا قريشًا يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فكاتب سهيل ابن عمرو وأبا سفيان. فقال: اكتب يا علي هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: والله إني لرسول الله حقًا وإن كذبتموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله ، فرسول الله -ﷺ- كان أفضل من علي رضي الله عنه وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه. أخرجت من هذه؛ قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة.

هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في (المصنف ، باب ذكر رفع السلام ١٠/ ١٥٧ رقم ١٨٦٧٨) ومن طريقه - بنفس اللفظ تقريبًا -أخرجه أبو نعيم في (الحلية ١/ ٣١٨)، وأخرجه البيهقي في(السنن الكبرى ٨/ ١٧٩)، وابن عبد البر

القرطبي في (جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١٠٣ طبعة المنيرية)، ويعقوب بن سفيان البسوي في (المعرفة والتاريخ ١/ ٥٢٢)، والحاكم في (المستدرك ٢/ ١٥٠-١٥٢)، وأخرج بعضه الإمام أحمد في(المسند ١/ ٣٤٢،٥/ ٦٧ رقم ٣١٨٧، طبعة شاكر) كلهم أخرجوه من طريق عكرمة بن عمار ثنا أبو زميل الحنفي ثنا ابن عباس به، ولكل منهم لفظ مختلف وزيادات أثبتنا منها ما كان فيه زيادة معنى.

وهذا الأثر نسبه الهيثمي في (مجمع الزوائد) إلى الطبراني وأحمد في المسند، وقال: رجالهما رجال الصحيح، وأشار إليه الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٢٨٢)، وابن الأثير في (الكامل) وابن العماد الحنبلي في (الشذرات)، وذكر غيرهم سياقات أخر لهذه القصة ولكنها عن غير ابن عباس من غير هذا الطريق، وإنما مقصودنا رواية ابن عباس فقط..

وقال أحمد شاكر في تعليقه على (المسند ٥ / ٦٧ رقم ٣١٨٧): إسناده صحيح .ا.هـ

أصول ودروس مستفادة من الأثر:

أولاً: لقد أتى الخوارج من قبل فهمهم السقيم لنصوص الشرع، ويرجع ضلالهم إلى أسباب أهمها:

١ - فهم النصوص ببادئ الرأي، وسطحية ساذجة، دون التأمل والتثبت من مقصد الشارع من النصوص، فوقعوا في تحريف النصوص وتأويلها عن معناها الصحيح.

٢-أخذهم ببعض الأدلة دون بعض، فيأخذون بالنص الواحد، ويحكمون على أساس فهمهم له دون أن يتعرفوا على باقي النصوص الشرعية في المسألة نفسها، فضربوا بعض النصوص ببعض (وبهذا أسكتهم ابن عباس رضي الله عنه، فقد كان يأتيهم بباقي الأدلة في الموضوع نفسه، فلا يجدون لذلك جواباً).

وسبب ضلال الخوارج هو سبب ضلال طوائف عديدة من المسلمين. يقول الشاطبي ﷺ أن أصل الضلال راجع إلي (الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم).

ثانياً: الحرص على وحدة المسلمين وجماعتهم، وتوحد صفهم، وهذا ظاهر من موقف علي -رضي الله تعالى عنه- ابتداء حين (جعل يأتيه الرجل فيقول يا أمير المؤمنين: أن القوم خارجون عليك فيقول: دعهم حتى يخرجوا، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوا وسوف يفعلون) فكان ﷺ حريصًا على أن لا يأتي إلى الخوارج بشيء من القتال ونحوه يفرق به المسلمين، ويضعف شوكتهم، ما لم يخرجوا هم عليه، أو يؤذوا المسلمين ببدعتهم.

وهذا الأصل متمثل أيضًا في موقف ابن عباس ﷺ في حرصه على الخروج إليهم وانتدابه نفسه للتفاهم معهم، وتفنيد شبهتهم وإرجاعهم إلى الحق.

فهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلمون من الامتناع عما يضعف شوكتهم، ومن بذل الجهد في جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم، ولابد أن نُتْبِع هذا الأصل بأصل آخر وهو:

ثالثًا: ولعله من أصل الأصول وأعظمها لكثرة ما تشتد إليه حاجة المسلمين ألا وهو (السبيل إلى وحدة المسلمين وجمع صفهم).

إن وحدة المسلمين أصبحت مقولة يقولها كل مسلم، وكل جماعة، فالكل ينادي بالوحدة والكل يزعم أنه ساعٍ إليها حريص عليها، ولكن ما هو السبيل الحق إلى تحقيق هذه الوحدة، هنا موضع الخلاف، وهنا تزل الأقدام، وتضل الأفهام، وتنحرف الأقلام.

إن وحدة المسلمين مطلب شرعي ومقصد عظيم من مقاصد الشريعة، فلا بد أن تكون الوسيلة إليه شرعية. إن وحدة المسلمين يجب أن تكون عبادة نتقرب بها

إلى الله عز وجل، والله لا يعبد إلا بما شرع، وكل عمل ليس عليه أمر الشرع فهو رد كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

إن وحدة المسلمين بمعناها الشرعي الصحيح، تعني أن يعودوا جميعًا إلى الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- على فهم السلف الصالح، هكذا وهكذا - فقط - يمكن أن نتحد، وهذا هو السبيل الوحيد لوحدة الصف، وهذا الذي سلكه ابن عباس وأقره عليه علي -رضي الله تعالى عنهما-.

ذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى الخوارج حتى يعيدهم إلى الصف الإسلامي، فبين لهم أولاً وقبل أن يناظرهم المنهج الصحيح، فقال: (أرأيت إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ مالا تنكرون ...) إذن هو الكتاب والسنة والعودة إليهما، وقد كان صرح لهم قبل ذلك بالفهم الذي ينبغي أن نفيء إليه إذا اختلفت أفهامنا فقال: (جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهره، عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله) الله أكبر! ما أنصع هذا المنهج وما أشد وضوحه، الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

وبعد أن بين لهم المنهج شرع يدحض حجتهم، ويفند شبهتهم، ويوضح فساد منهجهم فمن عاد منهم وتنازل عن معتقداته وآرائه، واعتقد اعتقاد جماعة المسلمين فقد عاد إلى الصف، ومن أبى وأصر على معتقده فهو خارج على الصف ولا سبيل للوحدة معه، بل عندما آثار بقية الخوارج الفتنة، قام إليهم علي رضي الله عنه فقاتلهم ولم يتحرج في ذلك.

إن السبيل إلى وحدة المسلمين هو الاتحاد على الأصول الثابتة من الكتاب والسنة وكل سبيل آخر للوحدة لا تقره الشريعة، ولا يجوز لنا - ونحن عباد الله سلمنا أمرنا إليه - أن نجعل منها صنمًا نستجيز من أجله كل وسيلة غير مشروعة.

إن الوحدة التي تنشأ عن ضم الطوائف المختلفة في الأصول في دائرة واحدة، وإعطائها مسمى واحد على اختلاف عقائدها، هي وحدة غير شرعية، وإن الصف

الذي ينشأ عنها ليس مرصوصًا.

ولنتأمل في قول الله عز وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ ، ثم قال: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ ، يقول الشاطبي رحمه الله تعليقًا على الآية: (تبين أن التأليف إنما يحصل عند الائتلاف على التعلق بمعنى واحد، وأما إذا تعلقت كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخرى فلابد من التفرق وهو معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ إذن فتضييع الأصول من أجل الوحدة سبيل غير شرعي ، بل هو فوق ذلك عمل لا يقره العقل، وإليكم التوضيح.

إن التفرق بين المسلمين حاصل ولابد، فكلام الله حق ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ وكلام رسوله حق «تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة» ... وقال:«سألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» فإذن فإنه يستحيل في الواقع أن يزول الاختلاف تمامًا وأي مسلم يوقن بمعاني هذه النصوص، ليس عنده طمع في ذلك فهذا أمرٌ قضى الله به، ولكنه ستبقى طائفة على الحق.

فإن كان الأمر كذلك فهل يعقل أن نفرط في أصولنا-ونحن معاقبون أن فرطنا - من أجل السعي في حصول أمر مستحيل.

إن كل مسلم مخلص صادق غيور يحزن على حال المسلمين، ويغتم له ويتأسف عليه أسفًا شديدًا، ولكن ليس الحل أبدًا أن نفرط في الأصول من أجل تحقيق أمر قد قرر الشارع أنه لا يكون، كيف وقد أمرنا الله بقتال طائفة من المسلمين إن بغت وهل يكون القتال إلا تفرقة؟ بل وفيه ما هو أشد من ذلك، ولكنه أمر الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وعذرًا أخي القارئ أن أطلنا في هذا الأصل، فلقد فحش فيه الخطأ والانحراف.

رابعًا: الحكم في تقييم الرجال: إن أحوال الخوارج من كثرة العبادة والاجتهاد فيها غير خافية على أحد، فلقد قال الرسول ﷺ: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم..) وقال ابن عباس في وصفهم كما في هذا الأثر: (...لم أر قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود...) ومع كل هذا فلقد أتوا ببدعة خطيرة، ووضعوا بذور الخلاف بين المسلمين، وليس من مسلم سليم العقيدة إلا ويذكرهم في معرض الذم، ولم يذكرهم العلماء في مصنفاتهم إلا للتحذير من بدعتهم وبيان فساد معتقدهم دون أدنى فخر واعتزاز بعبادتهم.

إن المنهج الإسلامي الواضح، يدلنا على أنه يجب تقييم الرجال أولاً من منطلق معتقداتهم وتصوراتهم، وجميع السمات الأخرى - إذا أقرها الشرع - تأتي بعد ذلك لا قبله. فلو انطلقنا في الحكم على الخوارج من خلال شدة اجتهادهم في العبادة، وجعلنا ذلك هو المقياس الأول في الحكم عليهم، لكان ينبغي أن نجلهم ونحترمهم، فنرفع درجتهم حتى فوق درجة الصحابة، إذ يقول الرسول، ﷺ، لصحابته في شأن الخوارج: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم) فكم يكون هذا التقييم سخيفًا ؟

ولكن الأمر يختلف تمامًا، ويعود إلى نصابه الصحيح، عندما يحكم عليهم من خلال معتقداتهم وتصوراتهم فنرى أنهم قد ابتدعوا في دين الله بدعة خطيرة فاحشة، فوضعوا بذور الخلاف والفتنة.

إن الاعتقاد الصحيح، يليه العمل الصالح، هو الذي يميز المسلم الحق المنتمي إلى أهل السنة والجماعة، أما كل الاعتبارات الأخرى فإنه يشترك فيها المسلم الحق مع غيره من أهل البدع والضلال. فلا ينبغي أن تكون معيارًا أساسيًا.

ونتيجة لانحراف هذا الأصل عند كثير من الإسلاميين -فضلاً عن عامة المسلمين -وجدنا من غالى في الثناء على جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده

وغيرهما، وذلك أنه حكم عليهم من منطلق ظنه بأن لهم جهدًا مشكورًا في نشر الإسلام والدفاع عنه، ولم يضع للاعتبار الأساسي وزنًا، فلم يضع في حسابه أن الأول كان شيعيًا، وأنه كان عضوًا بارزًا في الماسونية ومؤسسًا لبعض فروعها في البلاد العربية، وأن الثاني - مع إخلاصه في الدفاع عن الإسلام - قد أوَّل المعجزات وقدم العقل على النقل، وكانت له علاقة مشبوهة مع المستشرقين.

لقد شاع تعظيم بعض الرجال وتقديسهم على ما هو أقل من ذلك، مثل قدمه في مجال الدعوة، أو كثرة الأفراد الذين اهتدوا على يديه، أو شدة التعذيب الذي لاقاه من الطغاة، أو طول فترة السجن في زنزاناتهم. ولا نعني بكلامنا أبداً أن مثل تلك الأعمال لا وزن لها، بل لها فضل عظيم إن صح الأصل الأول، وحتى لو لم يصح فنحن نعترف بالحق، ونثبت الفضل لكل صاحب فضل، ولكن المحظور هو الانسياق وراء العواطف، فنعظم الرجال ونتحمس لهم، ونشهد بعدلهم وصدقهم ونزاهتهم، بل وكثيًرا ما نسمع من يشهد لهم بالجنة !! لأجل اعتبار من تلك الاعتبارات.

خامسًا: أن تبني الخوارج لموقفهم ابتداء لم يكن عن تثبت وتمحيص ونظر ولذلك فقد زالت شبهتهم، ودحضت حجتهم بعد دقائق معدودة من بداية المناظرة، وإن كان القسم من الخوارج الذي فاؤوا إلى الحق يمدحون على ذلك لتجردهم وإخلاصهم، وعودتهم إلى الجادة الصحيحة حينما تبين لهم ذلك دون مماراة ولا مماطلة، وإن كانوا يمدحون على ذلك فإنهم ينتقدون على سرعة تبنيهم للفكرة ابتداء دون تثبت وتمحيص.

إن الذين لا يعتنقون الفكرة عن اقتناع عميق بالفكرة ذاتها، وبعد تثبت من أدلتها الشرعية الصحيحة بمنهج سليم، يكثرون التنقل.

إن الدعوة المعاصرة تواجه تحديات ضخمة، ومشاكل عدة، من الداخل والخارج، فما لم يكن أصحابها على قناعة شرعية قوية بأفكارهم، وبأدلتها فإنه لا

يؤمن عليهم التذبذب بين الصف والصف أن بقي عندهم الحماس للإسلام، أو الانتكاس أن فقدوا حماسهم لدينهم.

وإنه لمن المؤسف حقًا أن نرى كثيرًا من أتباع الدعوات، أذهانهم خواء من كل فكرة أصيلة، مليئة بتاريخ دعوتهم وسيرة عظمائهم فقط هي زادهم في الطريق، ودافعهم إلى العمل، فنصيحتنا إلى كل مسلم مخلص، أن يستوثق من أصوله، ويطلب عليها الأدلة الشرعية وأن يفهمها بالمنهج الصحيح، وأن يفتش بتجرد عن قناعته بالأفكار التي يؤمن بها ويدعو إليها، وينظر هل هي أصيلة أم أنها موجودة بوجود المؤثر والمرغب، فإن زال المؤثر زال التأثير، ولنأخذ درسًا عظيمًا من الصحابي الجليل كعب بن مالك- أحد المخلفين الثلاثة-وقد هجرهم الرسول ﷺ وترك المسلمون السلام عليهم، ثم جاءته الدعوة للجوء إلى من يعززه ويكرمه فلم يتذبذب أو يتردد، بل قذف رسالة ملك غسان إلى التنور لشدة إيمانه بأنه على الحق، ونصيحة لإخواننا الدعاة: أن الذي يتبنى فكرة بسرعة ولظروف معينة عرضة لأن يتخلى عنها بنفس السرعة، لظروف أخرى.

سادسًا: أن مخالفة ابن عباس التامة للخوارج في جميع الأفكار والتصورات لم تمنعه من العدل في القول، فقد كان بمقدوره السكوت لكن العدل مع المخالفين جعله يصفهم بما وجد فيهم -وإن كان في هذا الوصف مدح لهم -قال:(فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادًا منهم في العبادة...) فعلى العاملين في حقول الدعوة إلى الله الاتصاف بالعدل مع مخالفيهم، وعدم الامتناع من ذكر محاسنهم، بل ويحرصوا على أن يستفيدوا منها.

سابعًا: وما كان هذا الدرس بحاجة إلى أن يذكر لظهوره ووضوحه وكثرة الأدلة عليه، لولا أن التفريط فيه قد وقع من كثير من العاملين للإسلام فضلاً عن عامة الناس، ألا وهو الحرص على صلاة الجماعة.

ولقد سمعنا حوادث عديدة عمن يفرطون في حضور الصلاة جماعة مع

المسلمين في المساجد بحجة انشغالهم بطلب العلم، أو ببعض البحوث الهامة، أو أنه وإخوانه يتداولون أمرًا يهم المسلمين، فيعتذرون بذلك عن تفويتهم الجماعة.

فعلى هؤلاء وغيرهم، أن يتأملوا في حال ابن عباس، وقد انتدب نفسه لمهمة عظيمة، لا شك في أن فيها مصلحة للمسلمين، ومع ذلك فحرصه على صلاة الجماعة شديد إذ يقول لعلي رضي الله عنه: (أبرد عن الصلاة، فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم...).

فهل نفقه هذا الأمر، ونعلم أن التمسك بأحكام الدين جميعها واجب على كل فرد، وهو من أبرز سمات المسلم، وهو من تعظيم حرمات الله، فلم نتهاون ونتساهل في أوامر الله يا عباد الله؟

ثامنًا: ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل، من أصحاب المنهج الصحيح ألا ييأسوا من عودة الطوائف المنحرفة إلى المنهج القويم ممن أمعنوا في الضلال، فهاهم الخوارج على شدة بدعتهم وتمسكهم بها (حتى أن عبد الرحمن بن ملجم - أحدهم - قد قتل عليًا تقربًا إلى الله بقتله) ومع ذلك فقد عاد منهم كثير إلى الحق بعد أن تبين لهم، فلا ينبغي أن نيأس من عودة تلك الطوائف المنحرفة إلى الحق، خاصة وأن كثيرًا من المنتسبين إليها هم من الأتباع حجبهم مشايخهم ومتبوعوهم عن الاستماع للمخلصين خوف تذبذب موقفهم وتخليهم عنهم، فلم يصل الحق إلى كثير من الأتباع حتى تحصل لهم المقارنة بينه وبين ما هم عليه.

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على الوصول إلى الأتباع بعيدًا عن الملأ والمشايخ والقادة.

هذا، ولا يزال في القصة دروس عظيمة، منها أسلوب المناظرة والجدل مع أهل البدع.........»

وقد ورد فى موقع ملتقى أهل الحديث بحث قيم حول الفوائد والدروس

المستفادة من مناظرات ترجمان القرآن مع الخوارج بقلم الاستاذ حسن عبد الحي كتب يقول : « فوائد من مناظرة ابن عباس للخوارج».

وهذه المُناظَرة فيها فوائدُ كثيرةٌ جدًّا لِمَن يَتَدبَّرها، فوائد تَنفَع الدُّعاةَ والعاملين لدين الله - عزَّ وجلَّ - في واقِعنا المُعاصِر، لا سيَّما وأنَّ صاحبها حبر الأمَّة وعالمها عبدالله بن عباس ﷺ الذي دعا له رسولُ الله - ﷺ - بالفقه في الدين.

الفائدة الأولى: حرْص أهل الحقِّ على هداية مَن ضلَّ الطريق، كما حرَص ابن عباس على هداية الخوارج؛ بل وأرجع معه ألفين منهم إلى الحقِّ.

الفائدة الثانية: مُشاوَرة أهل الحقِّ من الحكَّام الشرعيين والعُلَماء الربَّانيين، كما فعل ابن عباس مع علي - ﷺ جميعًا - قبل أن يأتي الخوارج.

الفائدة الثالثة: جَواز مُناظَرة أهل الباطل، من المُبتَدِعة والكفَرَة؛ بل واستِحباب أو وجوب ذلك، إذا كان ثَمَّ مصلحة مُتَحقِّقة.

الفائدة الرابعة: نصحُ الدُّعاة بعضهم بعضًا، وحرصُهم على إخوانهم، كما قال علي لابن عباس - ﷺ -: إني أخافُهم عليك، وكان قد اشتَهَر عن الخوارج استِحلال دماء المسلمين، كما وصَفَهم رسول الله ﷺ بقوله: «يَقتُلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان»؛ متفق عليه، وقد قتلوا عبدالله بن خباب وبقروا بطن أمِّ ولده.

الفائدة الخامسة: حسن توكُّل الداعِيَة إلى الله، واستِحضار مشيئة الله القاضية على كلِّ شيء، كما قال ابن عباس لعلي ﷺ لما قال له علي: أخافُهم عليك، قال ابن عباس: كلاَّ إن شاء الله.

والداعية إلى الله لا يزال يتعرَّض في دعوته للمَخاطِر والمَتاعِب، فإن لم يُحسِن التوكُّل على الله وتَفوِيض الأمور له، ويحسن الظنَّ بخالقه، فربما عاقَته نفسه الأمَّارة بالسوء عن الخير.

الفائدة السادسة: أهميَّة التخطيط والتنظيم والتفكير في الدعوة إلى الله، فابن عباس ﷺ تعمَّد لبس أحسن الحُلَل وأجملها قبل أن يأتي الخوارج، لحكمة تصبُّ في مصلحة دعوته، كما سيأتي.

الفائدة السابعة: خلخلة موقف أهل الباطل وتشكيكهم في مُعتَقداتهم وتصوُّراتهم، حتى يَسهُل اقتيادهم للحقِّ، كما تعمَّد ابن عباس قبل مناظرة الخوارج لبس أحسن الحُلَل وهو يعلم أنهم سيَستَنكِرونه، فيبيِّن لهم أن النبي ﷺ فعَلَه، وأنَّ القرآن أنكر على مَن حرَّمه، وبهذا تَضعُف ثقتهم بمَواقِفهم، والمرء قد تحرِّكه كثرةُ الصدمات من موقفه أحيانًا، ولهذا لبس ابن عباس الفَطِنُ أحسنَ الثياب وترجَّل.

الفائدة الثامنة: تَرسِيخ الداعِيَة أصول الحقِّ الذي يَحمِله لِمُخالِفه، كما قال ابن عباس للخوارج: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عمِّ النبي - ﷺ - وصهره، وعليهم نزَل القرآن، فهم أعلم بتأوِيله منكم، وليس فيكم منهم أحد.

فالذين صَحِبُوا النبي ﷺ أَوْلَى بفَهْمِ الحقِّ ومعرفته من غيرهم، وهم الذين مدَحَهم الله في القرآن الذي تتلونه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨، ٩].

فوصَف المهاجرين بالصدق، والأنصار بالفلاح، فأنَّى لكم كيف تُخالِفونهم؟ ثم مَن تُناصِبُونه العداء هو علي ابن عمِّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة التي هي بَضعة منه! وهؤلاء جميعًا هم مَن نزل عليهم القرآن، فهم أَوْلَى منكم بمعرفة تفسيره وأحكامه، ولم ينحز واحدٌ منهم إليكم، ولا فهم الذي فهمتم من القرآن.

وبهذا يُرَسِّخ الداعية للحقِّ الذي يحمله مع مُخالِفه، فيجعله أكثر قابليَّة للحق.

الفائدة التاسعة: استِعمال عامَّة أهل البِدَع والضَّلال نصوص الوحيَيْن في غير موضعها، كما استدلَّت الخوارج على ترك السماع من ابن عباس لأنه قرشيٌّ؛ والله يقول عن قريش: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]

فالآية نزلت في مُشرِكي قريش الذين يُخاصِمون بالباطل، وابن عباس إنَّما جاءهم ليَرُدَّهم إلى الحقِّ، ويُكلِّمهم بكتاب الله وسُنَّة النبي - ﷺ - فكيف يجعَلونه من أهل هذه الآية؟

وفي هذه المُناظَرة الكثير من جهل الخوارج بنصوص كتاب الله - تعالى - وتنزيلها غير موضعها، أو عدم فهمها ابتِداءً.

الفائدة العاشرة: عدم الاغتِرار بصَلاح الحال أو السَّمْت؛ لأنَّ الدين مَبناه على العلم والعمل جميعًا، لا العمل على جهل كحال الخوارج هنا، ولا العلم دون عملٍ كحال كثيرٍ من الناس، فابن عباس رضي الله عنهما يقول عن الخوارج: وما أتيتُ قومًا قطُّ أشدَّ اجتِهادًا منهم، مُسهِمة وجوههم من السهر! كأنَّ أيديهم ورُكَبهم تثنى عليهم، لكنَّهم مع ذلك «يقرؤون القرآن لا يُجاوِز حَناجِرَهم»؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث المتَّفَق عليه، فكيف تُؤثِّر فيهم القراءة، وكيف يَفقَهُون ما يقرؤون؟!

وكثيرٌ من أهل الزيغ والضلال يَغترُّون بطاعتهم أو بأعمالهم ويغترُّ بهم الناس، ويُطاعُون بلا أهليَّة، فتقع الفِتَن والمِحَن.

الفائدة الحادية عشرة: التِماس تَحَرِّي الخير في بعض المُخالِفين؛ كما وقع من بعض الخوارج هنا، إذ قالوا لبعضهم: لنُكَلِّمنَّه ولنَنظُرَنَّ ما يقول، وهذا منهم تحرٍّ للخير.

الفائدة الثانية عشرة: حُسْنُ سياسة الداعية للمُناقَشات والمُناظَرات، ويَظهَر هذا جليًّا من أسئلة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج، فهو يقول لهم أولاً: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمِّه؟

وهذا لكي يضبط ابن عباس الحوار معهم فلا يَتَشعَّب، وقال لهم: هل عندكم شيء غير هذا؟

ثم قال لهم ابن عباس كذلك مُشترِطًا: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله - جلَّ ثناؤه - وسنَّة نبيِّه ﷺ ما يردُّ قولكم، أترجعون؟ وهذا أيضًا من حُسْنِ سياسة ابن عباس في حوارِه، فهو سألَهم بدايةً ما يُنكِرونه على أصحاب النبي، ثم اشترَط عليهم الرُّجوع إلى الجماعة إذا ما ردَّ عليهم قولهم من كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ.

وبعد كلِّ تفنيد شبهة يسألهم: أخرجتم من هذه؟

الفائدة الثالثة عشرة: إيضاح ومناقشة الداعية لشُبَه المُخالِفين، مهما رآها ضعيفة، وإن كانوا من أهل البِدَع أو الكفر، وعدم الاكتِفاء بالاستِخفاف بها وازدِراء أصحابها؛ بل الواجب مُناقَشة كلِّ مَن ضلَّ عن الحقِّ وإن تهافَتَتْ شُبهاته؛ لأن تَوضِيحها بالحكمة واللين مَظِنَّة رُجُوع أصحابها عنها، وترْك ذلك مَظِنَّة تَمَسُّك أصحابها بها.

وابن عباس لم يَتعالَ عن مُناقَشة عقولٍ بهذه البَلادَة، وشبهات بهذه السَّذاجَة، وهذا هو واجب الدُّعاة إلى الله في كلِّ زمان.

الفائدة الرابعة عشرة: تنوُّع أحوال أهل البِدَع، فمنهم مَن هو صادِق في مَوقِفه وإن أخطَأَه، ومنهم مَن هو مُتَّبِع لهواه، كما انقَسَم الخوارج هنا فريقَيْن؛ أحدهما رجع إلى الحقِّ والجماعة، والآخَر أبى إلا القتلَ على البدعة.

الفائدة الخامسة عشرة: تذكير الداعِيَة لِمُخالِفِيه بالله، حتى يَلِين قلبُهم للحقِّ ولا يُكابِرون، كما كان يقول ابن عباس للخوارج: أنشدكم بالله، أحكم الرجال في صَلاحِ ذات البَيْنِ وحَقْنِ دمائهم أفضل، أو في أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل.

فالعبد يحتاج للتذكير بالله في خصوماته دومًا، ليُصَحِّح نيَّته، ويرضى بالحقِّ ويقبله.

الفائدة السادسة عشرة: الحاجة إلى العُلَماء الربانيِّين وطلاب العلم النابِغين، الذين يَرُدُّون الناس إلى الحقِّ، ويَأْخُذون بأيديهم إلى السنَّة، فابن عباس جعَلَه الله سببًا في هِدايَة ألفَيْن من رجال الخوارج، الله أعلم بمصيرهم إذا لم يرجعوا معه.»

محاورات علي بن أبي طالب ﷺ للخوارج

وقعت بين الإمام علي وبين الخوارج -قبل نشوب المعركة- عدة محاورات، وحينما طلب منهم علي ﷺ بيان أسباب خروجهم عنه أجابوه بعدة أشياء منها:

لماذا لم يبح لهم في معركة الجمل أخذ النساء والذرية كما أباح لهم أخذ المال؟

لماذا محى لفظة أمير المؤمنين وأطاع معاوية في ذلك عندما كتب كتاب (الهدنة في صفين)، وأصر معه على عدم كتابة (علي أمير المؤمنين)؟

قوله للحكمين: أن كنت أهلاً للخلافة فأثبتاني . بأن هذا شك في أحقيته للخلافة.

لماذا رضي بالتحكيم في حق كان له.

هذه أهم الأمور التي نقموا عليه من أجلها كما يزعمون، وقد أجابهم عن كل تلك الشبه ودحضها جميعاً حيث أجابهم عن الشبهة الأولى والتي تدل على جهلهم بما يلي:

أباح لهم المال بدل المال الذي أخذه طلحة والزبير من بيت مال البصرة، ثم هو مال قليل.

والنساء والذرية لم يشتركوا في القتال وهم أيضاً مسلمون بحكم دار الإسلام ولم تكن منهم ردة تبيح استرقاقهم.

وقال لهم: لو أبحت لكم استرقاق النساء والذرية فأيكم يأخذ عائشة سهمه فخجل القوم من هذا ورجع معه كثير منهم .

وأجابهم على الشبهة الثانية:

- بأنه فعل كما فعل رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وذكر -إن صحت الرواية- أنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ أن لي منهم يوماً مثل ذلك.

والله أعلم بصحة هذه الرواية التي يتناقلها المؤرخون، ذلك أن معاوية رضي الله عنه ما كان يطالب بالخلافة حتى يحق له أن يطلب محو كلمة (أمير المؤمنين). ومعاوية كذلك كان يعرف أسبقية علي وفضله، وإنما النزاع حول أمر آخر غير الخلافة، اللهم إلا أن يكون هذا الفعل من صنيع المفاوضين دون علم معاوية بذلك.

وأجابهم عن الشبهة الثالثة على افتراض صحة الرواية عنه: بأنه أراد النصفة لمعاوية ولو قال: احكما لي؛ لم يكن تحكيماً، ثم استدل بقصة وفد نصارى نجران ودعوة الرسول ﷺ لهم إلى المباهلة لإنصافهم.

وأجابهم عن الشبهة الرابعة: بأن رسول الله ﷺ حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة في حق كان له.

ثم نشبت المعركة مع من بقي منهم على عناده وهزم الخوارج شر هزيمة ولم ينج منهم إلا القليل .

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

المبحث العاشر

من هؤلاء التائهون؟

إنهم يدلون على أنفسهم ، ويدل عليهم أهل العلم والدين ، ولقد قعد السلف قاعدتهم « رئاسة السوء مثلبة » و« سوء الرؤساء باب لفساد الأتباع » وإنما تعرف الدعوات بقادتها فالقيادة هى التى تختار الأفراد ، وهى التى توجه ، وهى التى تخطط ، وهى التى تربى ، وهى التى تنظم ، وقلما يصلح صف قيادته فاسدة . لقد قالها سعد بن أبى وقاص وقد خرج إلى طرقات المدينة فرأى النخعيين يحاصرون عثمان بن عفان فى بيته فأعلنها « والله إن أمرا هؤلاء رؤوسه لأمر سوء » ولقد عرفت جماعات العنف والقتل نفسها ، وفى هذا المبحث نعرض لأقوال ثلاثة من الأهمية بمكان أن نتعرف على أقوالهم ونقف على توصيفهم لجماعات العنف وأول هؤلاء الثلاثة هو العلامة المحدث أحمد شاكر ﷺ القاضى الشرعى بالمحاكم المصرية يومها فماذا يقول عن جماعات العنف والاغتيالات ؟ تحت عنوان : «الإيمان قيد الفتك» .

كتب يقول :

روع العالم الإسلامي والعالم العربي بل كثير من الأقطار غيرهما باغتيال الرجل ، الرجل بمعنى الكلمة ، النقراشي الشهيد نحسبه غفر الله له وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين.

وقد سبقت ذلك أحداث قدم بعضها للقضاء وقال فيها كلمته ، وما أنا الآن بصدد نقد الأحكام ، ولكني كنت أقرأ كما يقرأ غيري الكلام في الجرائم (السياسية) وأتساءل : أنحن في بلد فيه مسلمون ؟وقد رأيت أن واجبا علي هذا الأمر من الوجهة الإسلامية الصحيحة ؛ حتى لا يكون هناك عذر لمعتذر ، ولعل

الله يهدي بعض هؤلاء الخوارج المجرمين ؛ فيرجعوا إلى دينهم قبل أن لا يكون سبيل إلى الرجوع .وما ندري من ذا بعد النقراشي في قائمة هؤلاء الناس .إن الله سبحانه توعد أشد الوعيد على قتل النفس الحرام في غير آية من كتابه

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣] هذا من بديهيات الإسلام التي يعرفها الجاهل قبل العالم ، وإنما هذا في القتل العمد الذي يكون بين الناس في الحوادث والسرقات وغيرها ؛ القاتل يقتل وهو يعلم أنه يرتكب وزرا كبيرا .أما القتل (السياسي) الذي قرأنا جدالا طويلا حوله فذاك شأنه أعظم ؛ وذلك شيء آخر.

القاتل (السياسي) يقتل مطمئن النفس راضي القلب يعتقد أنه يفعل خيرا ، فإنه يعتقد بما بث فيه من مغالطات أنه يفعل عملا حلالا جائزا إن لم يعتقد أنه يقوم بواجب إسلامي قصر فيه غيره ، فهذا مرتد خارج عن الإسلام ، يجب أن يعامل معاملة المرتدين وأن تطبق عليه أحكامهم في الشرائع ، وفي القانون هم الخوارج كالخوارج القدماء الذي كانوا يقتلون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويدعون من اعترف على نفسه بالكفر ، وكان ظاهرهم كظاهر هؤلاء الخوارج ، بل خيرا منه ، وقد وصفهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، بالوحي قبل أن يراهم ، فقال لأصحابه: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ؛ يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) حديث أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم ج١ ٢٩٢/ ٢٩٣ وقال أيضا صلى الله عليه وعلى آله وسلم :(سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية ؛ يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ؛ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة) حديث علي بن أبي طالب في صحيح مسلم ج١ ٢٩٣ ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة متواترة ،

وبديهيات الإسلام تقطع بأن من استحل الدم الحرام فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه .فهذا حكم القتل (السياسي) وهو أشد من القتل العمد الذي يكون بين الناس ، والقاتل قد يعفو الله عنه بفضله ، وقد يجعل القصاص منه كفارة لذنبه بفضله ورحمته ، وأما القاتل (السياسي) فهو مصر على ما فعل إلى آخر لحظة في حياته ، يفخر به ويظن أنه فعل فعل الأبطال .وهذا حديث آخر نص في القتل (السياسي) لا يحتمل تأويلا فقد كان بين الزبير بن العوام وبين علي بن أبي طالب ما كان من الخصومة (السياسية) التي انتهت بوقعة الجمل فجاء رجل إلى الزبير بن العوام فقال: أقتل لك عليا ؟ قال: لا وكيف تقتله ومعه الجنود ؟ قال: ألحق به فأفتك به ، قال: لا إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: إن الإيمان قيد الفتك ، لا يفتك مؤمن. حديث الزبير بن العوام ١٤٢٩ من مسند الإمام أحمد بتحقيقنا.

أي أن الإيمان يقيد المؤمن على أن يتردى في هوة الردة فإن فعل لم يكن مؤمنا.

أما النقراشي فقد أكرمه الله بالشهادة نحسبه فله فضل الشهداء عند الله وكرامتهم ، وقد مات ميتة كان يتمناها كثير من أصحاب رسول الله ، تمناها عمر ابن الخطاب حتى نالها ، فكان له عند الله المقام العظيم والدرجات العلى .وإنما الإثم والخزي على هؤلاء الخوارج القتلة مستحلي الدماء ، وعلى من يدافع عنهم ويريد أن تتردى بلادنا في الهوة التي تردت فيها أوروبة بإباحة القتل (السياسي) أو تخفيف عقوبته ، فإنهم لا يعلمون ما يفعلون ، ولا أريد أن أتهمهم بأنهم يعرفون ويريدون ولكن الهدى هدى الله.

جريدة الأساس ٢/ ١/ ١٩٤٩م

قلت أما قوله : أما من استحل الدم الحرام فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه فهذا صحيح لكن لابد أن نوضح بأن الاستحلال لايكون إلا بعد العلم بالتحريم ثم القاتل بعد ذلك يقول أو يعتقد بحل القتل رغم معرفته بتحريمه ، أما إن عرض

له عارض من العوارض فقد يمتنع إطلاق الكفر عليه وذلك لانتفاء الاستحلال فى حقه مع القول بأنه ارتكب كبيرة من أكبر الكبائر والعياذ بالله .

* ثانى هذه الأقوال لمؤسس جماعة الإخوان الأستاذ حسن البنا برغم أن الجماعة مارست العنف فى زمنه وبمعرفته وتوجيهاته نجده كتب تحت عنوان :

«هذا بيان للناس»

«كان هدف دعوتنا حين نشأت، العمل لخير الوطن وإعزاز الدين، ومقاومة دعوات الإلحاد والإباحية، والخروج على أحكام الإسلام وفضائله؛ تلك الدعوات التي دوى بوقها وراجت سوقها في تلك الأيام.

وإذا كان ذلك كذلك، فما كانت الجريمة ولا الإرهاب ولا العنف مِن وسائلها؛ لأنها تأخذ عن الإسلام، وتنهج نهجه، وتلتزم حدوده، ووسيلة الإسلام في الدعوة مسجلة في كتاب الله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، والقرآن الكريم هو الكتاب الذي رفع مِن قدر الفكر، وأعلى مِن قيمة العقل، وجعله مناط التكليف، وفرض احترام الدليل والبرهان، وحرَّم الاعتداء حتى في القتال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠]، والإسلام الحنيف هو دين السلام الشامل، والطمأنينة الكاملة، والروحانية الصافية، والمُثُل الإنسانية الرفيعة، ومِن واجب كل مسلم ينتسب إليه أن يكون مظهرًا لهذه الحقيقة التي صوَّرها النبي -ﷺ- بقوله: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (متفق عليه).

ولقد حدث أن وقعت أحداث نُسبت إلى بعض مَن دخلوا هذه الجماعة دون أن يتشربوا روحها أو يلتزموا نهجها؛ مما ألقى عليها ظلاً مِن الشبهة فصدر أمر بحلها، وتلا ذلك هذا الحادث المروع حادث اغتيال دولة رئيس الحكومة المصرية «محمود فهمي النقراشي باشا» الذي أسفت البلاد لوفاته، وخسرت بفقده عَلَمًا مِن أعلام نهضتها، وقائدًا مِن قادة حركتها، ومثلاً طيبًا للنزاهة الوطنية

والعفة مِن أفضل أبنائها، ولسنا أقل مِن غيرنا أسفًا مِن أجله، وتقديرًا لجهوده وخلقه.

ولما كانت طبيعة دعوة الإسلام تتنافى مع العنف، بل تنكره، وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها، وتسخط على مَن يرتكبها؛ فنحن نبرأ إلى الله مِن الجرائم ومرتكبيها... ولما كانت بلادنا تجتاز الآن مرحلة مِن أدق مراحل حياتها مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار، وكان جلالة الملك المعظم -حفظه الله- قد تفضّل فوجه الحكومة القائمة -وفيها هذه الخلاصة مِن رجالات مصر- هذه الوجهة الصالحة، وجهة العمل على جمع كلمة الأمة وضم صفوفها، وتوجيه جهودها وكفاءاتها مجتمعة لا موزعة إلى ما فيه خيرها وصلاح أمرها في الداخل والخارج، وقد أخذت الحكومة مِن أول لحظة تعمل على تحقيق هذا التوجيه الكريم في إخلاص وأدب وصدق، وكل ذلك يفرض علينا أن نبذل كل جهد، ونستنفذ كل وسع في أن نعين الحكومة في مهمتها، ونوفر لها كل وقت ومجهود للقيام بواجبها، والنهوض بعبئها الثقيل، ولا يتسنى لها ذلك بحق إلا إذا وثقت تمامًا مِن استتباب الأمن واستقرار النظام، والعمل على استتباب الأمن واستقرار النظام واجب كل مواطن في الظروف العادية؛ فكيف بهذه الظروف الدقيقة الحاسمة التي لا يستفيد فيها مِن بلبلة الخواطر، وتصادم القوى، وتشعب الجهود؛ إلا خصوم الوطن، وأعداء نهضته....

لهذا أناشد إخواني -لله وللمصلحة العامة- أن يكون كل منهم عونًا على تحقيق هذا المعنى، وأن ينصرفوا إلى أعمالهم، ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الأمن وشمول الطمأنينة حتى يؤدوا بذلك حق الله وحق الوطن عليهم، والله أسأل أن يحفظ جلالة الملك المعظم، ويكلأه بعين رعايته، ويسدد خطى البلاد حكومة وشعبًا في عهده الموفق إلى ما فيه الخير والفلاح، آمين».

وبعد هذا البيان الذى أدان الأستاذ البنا العنف من خلاله نجده قد أصدر بيانه التالى يتبرأ ممن ارتكب هذه الجرائم ويصفهم بأشنع الصفات ، بل وينزع عنهم

صفة الإسلام ، ويطردهم من جماعة الإخوان فكتب يقول :

«ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين!»

«وقع هذا الحادث الجديد -حادث محاولة نسف مكتب سعادة النائب العام- وذكرت الجرائد أن مرتكبه كان مِن الإخوان المسلمين، فشعرتُ بأن مِن الواجب أن أعلن أن مرتكب هذا الجرم الفظيع وأمثاله مِن الجرائم، لا يمكن أن يكون مِن الإخوان ولا مِن المسلمين؛ لأن الإسلام يحرمها، والإخوان تأباها وترفضها، ومِن المرجح -بل مِن المحقق- أنه أراد به أن يتحدى الكلمة التي نشرت قبل ذلك بيومين، تحت عنوان: (بيان للناس).

ولكن مصر الآمنة لن تروعها هذه المحاولات الآثمة، وسيتعاون هذا الشعب الحليم الفطرة مع حكومته الحريصة على أمنه وطمأنينته في ظل جلالة الملك المعظم على القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة، وليعلم أولئك الصغار مِن العابثين أن خطابات التهديد التي يبعثون بها إلى كبار الرجال، وغيرهم، لن تزيد أحدًا منهم إلا شعورًا بواجبه، وحرصًا تامًّا على أدائه، فليقلعوا عن هذه السفاسف، ولينصرفوا إلى خدمة بلادهم، كل في حدود عمله، أن كانوا يستطيعون عمل شيء نافع مفيد.

وإني لأعلن أنني منذ اليوم؛ سأعتبر أي حادثٍ مِن هذه الحوادث يقع مِن أي فرد سبق له اتصال بجماعة الإخوان، موجهًا إلى شخصي، ولا يسعني إزاءه إلا أن أقدِّم نفسي للقصاص، وأطلب مِن جهات الاختصاص تجريدي مِن جنسيتي المصرية التي لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء... فليتدبر ذلك مَن يسمعون ويطيعون، وسيكشف التحقيق ولا شك عن الأصيل والدخيل، والله عاقبة الأمور». انتهى من موقع أنا السلفى ، وسواء كان الرجل صادقا في قوله هذا أم غير صادق فيكفى إدانته لهذه الجماعات ولأفعالها الإجرامية ، ونكل حقيقة موقفه إلى الله تعالى ، وحسبنا شهادته على أتباعه وأفراد جماعته، «وشهد شاهد من أهلها».

ويفرد الشيخ محمد الغزالى رحمه الله

وقد عاش فى هذه الجماعات مايزيد عن العشرين سنة ثم نراه يلخص حقيقتها فى كتابه من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث ط الرابعة سنة : ١٤٠٥ ه ١٩٨٤ م عن دار الصحوة بالقاهرة ص : ٢٠٦ ٢٠٧ وغيرهما ونكتفي ببعض ماقاله الشيخ رحمه الله يقول :

« ولقد عجبت لخلاف وقع بين شباب الإخوان المسلمين أثاره بعضهم بتشاؤم هو : هل نحن جماعة المسلمين ، أم جماعة من المسلمين ؟ والإجابة على هذا السؤال لها نتائج ذات بال .بل نتائج ترتبط بها صيانة دماء وأموال ! .فإن الذين يحسبون أنفسهم جماعة المسلمين يرون مخالفة الأستاذ حسن الهضيبي ضرباً من مخالفة الله ورسوله ، وطريقاً ممهدة إلى النار وبئس القرار ! وقد كنت أسير مع زميلي الأستاذ سيد سابق قريباً من شعبة المنيل ، فمر بنا اثنان من أولئك الشبان المفتونين وأبيا إلا إسماعنا رأيهم فينا وهو أننا من أهل جهنم ! .وصادف ذلك منا ساعة تبسط وضحك فمضينا في طريقنا وقد سقط طنين الكلمة النابية على الثرى قبل أن يتماسك في آذاننا ... إلا أنني تذكرت بعد أيام هذا العداء المر والأوامر التي أوحت به ، فعزَّ عليَّ أن يلعب بالإسلام وأبنائه بهذه الطريقة السمجة وأن تتجدد سياسة الخوارج مرة أخرى ، فيلعن أهل الإيمان ويترك أهل الطغيان .وبم؟ باسم أن الرئيس «المرشد» وبطانته هم وحدهم أولو الأمر ! وأن لهم حق السمع والطاعة ؟ وأن الخارج عليهم يصدق فيه قول رسول الله ﷺ » : مَن رأى مِن أميره شيئاً فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية » وقوله: « من خلع يداً من طاعة لقي الله لا حجة له . ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » ..وهذه الأحاديث وأمثالها وردت في منع الفتوق الجسيمة التي يُحدثها الشاغبون على الدولة ، الخارجون على الحكام .وقد عانى المسلمون وعانت خلافتهم الكبرى أقسى الآلام من ثورات الحانقين والناقمين.وربما كان سقوط الحكم الإسلامي في الأرض بسبب هذه الانتفاضات الهائلة أما أن جماعة

أنصار السنة أو جماعة الشبان المسلمين أو جماعة أهل الصفة يجرون هذه الأحاديث إلى دورهم ويطبقونها على من يبقى معهم أو يخرج عليهم فهذا جنون بيد أن تعليم هذا الجنون كان أسلوب تربية وتجميع عند بعض الناس !! فمن المضحك أو المبكي أن يخطب الجمعة في مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يؤكد أن الولاء للقيادة يكفر السيئات ، وأن الخروج عن الجماعة يمحق الفضائل ، وأن الذين نابذوا القيادة عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة .. ورئي الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة يخلُص بالخطيب جانباً ليقول له : أي إسلام هذا ؟ومَن مِن علماء الأولين والآخرين أفتى بهذا اللغو ؟ وكيف تُلبسون الدين هذا الزي المنكر ؟وهيهات فقد تغلغل هذا الضلال في نفوس الناشئة حتى كتب بعضهم لأخ له من قبل يسأله : هل تظن نفسك مسلماً بعد ما خرجت من صفوف الجماعة ؟

ولنفرض أن «مرشد الجماعة» هو «أمير المؤمنين» وأن له حقوق «الخليفة الأعظم»! فهل هذا يؤتيه على أتباعه حق الطاعة العمياء؟!

إن رسول الله ﷺ لم يؤت هذا الحق! ففى بيعة النساء يقول الله له: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ إلى أن قال:

«لقد كان الراسخون فى العلم يدعون إلى الله ويتجردون للدعوة، فكان الناس يرون طاعتهم من طاعة الله لأنهم تلقوا دروس معرفته عنهم.

ثم جاء الراسخون فى الجهل! يطلبون «حقوق القيادة» ويتحدثون عن «قانون السمع والطاعة ولست أعنف دعيا من هؤلاء على مزاعمه ومطالبه فالأمر كما قيل البعض طغاة لأننا نركع لهم ،

وقال: وقد رأيت جمعًا غفيرًا من شباب «الإخوان المسلمين» ينظرون إلى «مرشدهم «نظرة يجب أن تُدرس، وأن تُحذرْ يقول أحدهم في اجتماع ضخم للهيئة التأسيسية «إن المرشد لا يخطئ !! وكان بهذه القولة العجيبة يريد أن

يخذلني وأنا أعارض المرشد في بعض تصرفه ، وقد خذلت فعلا ، ومزقت ملابس الرجل الذى وقف يناصرنى ، ومع أن كلمة المرشد لايخطىء وجدت امتعاضا من أغلب الأعضاء إلا أنه امتعاض المذنب عندما يواجه بجريمة لايجد منها فكاكا ، ويكره أن تلصق به لظهور معرتها ، والقوم يخلطون بين توقير القائد وتوفير المهابة له وبين الخنوع لرأيه والمسارعة في هواه .

إن أول مانشب الخلاف بيننا وبين الأستاذ الهضيبى كان على أسلوب الحكم في مصر هل تكفل الحريات العامة ويصان الدستور القائم وتنقذ البلاد من استبداد فرد أو أفراد ؟ أم نتجاهل هذا الموضوع كله ونطوى حكم الإسلام فيه وتشغل جماعة الإخوان بشؤون أخرى ؟ كان الرجل شديد الحرص على مرضاة رجال القصر ، قليل الاكتراث بحقوق الأفراد والطوائف ، وقد ألفت كتابى الإسلام والاستبداد السياسى استنكارا لهذه السياسة القاصرة ، ودفاعا عن تعاليم الإسلام الصحيحة ، ولعل الأستاذ الهضيبي ومن معه عرفوا الآن الحق الذى خاصمناهم عليه ، وكرهونا من أجله ، قال لى ذات يوم واحد من أقرب رجال المرشد إليه ، إن الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدعوة ألا ترى أن الله ضم الإيمان بالرسول إلى الإيمان بذاته جل شأنه . ذلك لأن المظهر العملى للطاعة والأسوة هو اتباع القائد اتباعا مطلقا ، ثم استدرك محدثي يقول : لا أعنى بهذا أن أسوى بين المرشد والرسول في حقيقة الطاعة وإنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو الرجل الذى يحمل راية الدعوة أن أضرب مثلا فحسب .

وبمثل هذا الأسلوب رسم مجرى المعاملة بين الإخوان والجماعة فلما استغربناه وتأبينا عليه ورأينا أنفسنا نبصر الحقائق القريبة والرجل لايحسها ونعامله مخطئا أو مصيبا غير مقرين هذه الهالة التى أضفاها الأغرار عليه مقتنا الرجل أشد المقت ، مقتنا كما يمقت الكفار والفساق ن ثم صار بمن معه يقتحم العثرات والمزالق لايلوى عى شيء ، ولايلام على شيء ، ثم قال الشيخ ص ٢٦٦ « فألف يعنى حسن البنا » مايسمى النظام الخاص وهو نظام يضم شبابا مدربين

على القتال كان المفروض من إعدادهم مقاتلة المحتلين الغزاة من الإنكليز ويهود وقد كان هؤلاء الشباب الأخفياء شرا وبيلا على الجماعة فيما بعد، فقد قتل بعضهم بعضا، وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب في يد من لافقه لهم في الإسلام ولاتعويل على إدراكهم للصالح العام وقد قال حسن البنا فيهم قبل أن يموت إنهم « ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين » . انتهى ماقاله الغزالى نقلا عن كتاب « السياسة الشرعية عند علماء أنصار السنة المحمدية لكاتبه عادل السيد .

هل عرفنا الحقيقة ؟ هل انكشف المستور وسقطت الأقنعة ؟ فماذا ننتظر من هذه الجماعات ؟ وماذا سيقدم هؤلاء القادة للدعوة وللإسلام بينما فاقد الشيء لايعطيه ؟ أرأيت ماذا فعلت هذه الجماعات وأمهاتها بالإسلام والمسلمين قديما وحديثا ؟ أرأيت كيف تعاملت مع اتباعها من العامة والبسطاء وعرضتهم للعنت والمهالك ؟

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته ج١ ص٢٨٠ « ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة ومن الفقهاء فإن كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهى عنه، والأمر بالمعروف رجاء الثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغاء والدهماء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم .».

ويكفى انحرافهم وزيغهم أنهم ينظمون أمورهم في الخفاء ، ويتناجون بعيدا عن المجتمع المسلم وحسبك بهذا دليلا على أنهم إنما يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، وأنه لاخير في كثير من نجواهم ، فقد ورد في شرح أصول أهل السنة عن عمر بن عبد العزيز قوله « إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة » ، وورد في نكت القرآن على دلالة البيان «ج١ ص ٥٢٣- قال الحافظ محمد بن على الكرخى : « ....وكل ماكان على شيء

يزعم أنه من الدين وهو يستره ولايظهره خشية إنكاره فقد عرف بطلانه قبل أن يسأل برهانه ، واستوى في معرفة تزييفه العالم والجاهل .... فإن احتج محتج بما روى عن رسول الله ﷺ « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » قيل ليس فيه وقت مؤقت يعود فيه ، ولو كان أيضا مؤقتا لعلمنا أن غرباء الدين كانوا يسترونه عن الكفار وعبدة الأوثان ، ومن كان يقاتلهم عليه ، وترى المبتدعين يسترونه عن أهل القبلة ومن هو مستعمل عليهم » ، وكما قيل : « النجوى طريق البطالة ». ولكن لايترك الله تعالى دينه وأولياءه نهبة للصغار والصبيان ، ولا للجهلة العميان ، ولا للمتآمرين بالعصيان، كما لا يدعهم لأهل الجبروت والطغيان ، وإنما كما نقل الذهبى في سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٥٥٤ عن وهب بن منبه قوله «إنى قد أدركت صدر الإسلام فوالله ما كانت للخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالاتهم ، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه ، ولو مكن الله لهم من رأيهم لفسدت الأرض وقطعت السبل والحجج ولعاد أمر الإسلام جاهلية ، وإذا ماقام جماعة كل منهم يدعو إلى نفسه الخلافة مع كل واحد منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضا ن ويشهد بعضهم عى بعض بالكفر حتى يصبح المؤمن خائفا على نفسه ودينه ودمه وأهله لايدرى مع من يكون قال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة :٢٥١] وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٥١] فلو كانوا مؤمنين لنصروا وقال: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣] .

الله أكبر ما أحكمك يا وهب بن منبه كأنك تعيش بيننا اليوم ، حقا ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أن مثل هذه الجماعات التكفيرية الإرهابية مع مجتمعاتها كمثل رجل أصاب ثوبه بعض قطرات من الخمر فبدلا أن يغسله أحرقه زاعما أنه يطهره، أو كمثل عامل في مسجد رأى فيه بعض الأتربة ففكر في تنظيفه فأغرق المسجد بدماء المصلين ، فهل هناك حماقة أشد من ذلك ؟ رأوا في مجتمعاتهم بعض الانحرافات والتقصير فعمدوا إلى هدمها وتخريبها بنية إصلاحها وتعميرها ، وقد

سبق أن نقلنا عن على بلحاج كلاما يفيد هذا المعنى .

وقال الشيخ الشعراوى في حواره مع سلسلة كتابك العدد ١٤٢ عن الذين قتلوا السادات : « ......إن هؤلاء ليسوا أنصار إسلام ، ولكنهم أعداء نظام ، آخر شيء في تفكيرهم الإسلام » وقال : « ...يجب أن أكرر أنه لاخالد الإسلامبولى ولا أى واحد من زملائه أبدا أنصار الإسلام ، وإنما هم كما قلت لك أعداء نظام ، حركتهم شهوة الحكم والوصول إلى السلطة ، فدبروا مادبروه مستغلين الدين والإسلام ، وخذها قاعدة لو كانوا حقيقة أنصار إسلام ماخذلهم الله ......ولكن لأنهم ليسوا كذلك هزمهم الله قبل أن يهزمهم البشر ....» رحمك الله ياشيخ لقد قالوها بألسنتهم « تغدينا بالسادات قبل أن يتعشى بنا » إنها حقا عداوة نظام وليست دعوة إسلام ، والغريب أنهم عندما قتلوه قالوا« رأينا الرسول في المنام وأشار إلينا بقتل السادات » وبعد أكثر من ربع قرن جاءوا يقولون « لقد رأينا الرسول في المنام يوصينا بإطلاق مبادرة وقف العنف ويشجعها » ثم قالوا « لقد أخطأنا في قتل السادات ، وسنتقدم بالاعتذار لأسرته ، والسادات قتل شهيدا » .

ويقول الدكتور ناجح إبراهيم في لقائه مع الإعلامى مجدى الجلاد على قناة c-b –c extra المذاع بتاريخ ١٣ / ٥ / ٢٠١٦م « إن الرئيس الراحل محمد أنور السادات كان أفضل من تولى حكم مصر، رغم قيام الجماعة باغتياله في حادث المنصة الشهير».

«- إن السادات ظلم كثيراً ليس فقط من جانب الإسلاميين ولكن كذلك من قبل اليساريين والناصريين، ....لقد تم تشويهه وتحويله من بطل إلى خائن.

إن حسنة نصر أكتوبر الذي حققه كانت كفيلة لمحو كل أخطائه مهما بلغت، إلا أن الجماعة كانت في غفلة عن ذلك» .

ويا للعجب ، يقتلون الرجل بزعم رؤيا رأوها ، ويوقفون العنف كذلك برؤيا رأوها ، ويصفون السادات مرة بأنه طاغوت ، ومرة أخرى بأنه شهيد ، وفى كل مرة

يوزعون صكوكا للعصيان أو صكوكا للغفران ، فيمنحونه وسام الشهادة التى لايملكونها لأنفسهم ولا لغيرهم ، وللأسف وجدونا نصدقهم فيما زعموا ، وإن كنا نوافقهم فيما ذهبوا إليه من نبذ العنف ، هكذا يفعل الظلم والظلام بأهله وجماعاته ، ويهوى الهوى بمن امتطى صهواته ، والعياذ بالله . وحسنا أن عادوا إلى رشدهم ، وفاؤوا إلى ربهم ، والله يفرح بتوبة العبد ويقبلها مالم يغرغر .

وفى حوار له مع جريدة الحياة اللندنية بتاريخ ٢٨ / ٢ ١٩٩٨ قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى الذى قتله الإرهاب داخل المسجد أثناء إلقائه درسا دينيا في دمشق ، وقد سألته الجريدة : هناك حكومات عربية مثل مصر والجزائر تطالب لندن بإبعاد بعض الإسلاميين الذين يتبنون العمل العسكرى ما رأيكم في ذلك ؟ أجاب الشيخ : من حيث المبدأ وبغض النظر عن واقع التفاصيل والأشخاص فإن الحق في جانب الدول المطالبة ، ووجهة نظرهم في هذا المطلب سليمة ، غير أن تفصيل القول في ذلك يتوقف على معرفة هؤلاء الأشخاص الذين يطلب إبعادهم ، فربما كانوا محل اتهام جائر ، وربما كانت هناك ملابسات أخرى .فسألت الجريدة هل تضم صوتك إلى صوت هاتين الحكومتين اللتين تطالبان بريطانيا بإبعاد أولئك الذين تورطوا في العمل العسكرى ؟ قال : من حيث المبدأ وبغض النظر عن أولئك الأشخاص الذين لا أعرفهم لايحق لبريطانيا ولالغيرها ، ولاسيما تلك التى تعلن محاربتها الإرهاب أن تؤوى على أراضيها من يمارسونه ، ومن المؤسف أن هذا الازدواج المتناقض موجود .

وردا على سؤال الجريدة حصلت مجازر كبيرة كما تعلم في الفترة الأخيرة وهناك من يلقى المسؤولية الكاملة على بعض المنظمات الإسلامية ، وهناك من يرى رأيا آخر إلى أى حد تعتقد أن الإسلاميين مسؤولون عن ذلك ؟ قال البوطى : في اعتقادى أن مسؤولية الجماعات الإسلامية عن هذه المجازر التى تشير إليها تنحصر في أنها مدت غطاءا كثيفا يسر لفئات لا إسلامية أن تتسرب تحت هذا الغطاء ، وأن تمارس هذه الجرائم والفظائع ، كل منها مدفوع بالدافع الذى يحركه

ويتفق مع مذهبه وتطلعاته ، أى أن هـذه المجـازر الوحشـية إنمـا بـدأت بأعمـال عسكرية قام بها الإسلاميون من الجزائر باسم الجهاد الإسلامى ، ثم إنهـا اتسـعت وتنامت وكان طبيعيا أن تنتهزها - فرصة ذهبية نادرة - كـل الفئـات التـى تضـمر الشر ، وتسعى إلى التخريب ، وتطرق أبواب الفتنة من دون أن تمتـد إليهـا أصـابع الاتهام ، فضلا عن أن تضبط بالجرم المشهود .إذن فإن الجماعات الإسلامية التى طاب لها قبل سنوات أن تمد هذا الغطاء هى التى تتحمل مسـؤولية هـذه الـذيول والنتائج الإجرامية الفظيعة التى ترتكب اليوم ، والتى لايشك عاقل في أن الإسلام والمسلمين بريئون منها ، وهذا ماقد حذرت منه مرارا في محاضرات وكتابات . ثم يناشد البوطى جميع الدعاة الإسلاميين إلى نبذ العنف والتبرؤ منه فيقول وقد سـألته الجريدة مالذى تقترحه كعلاج للعودة عن هذا الخط ؟ فيجيب : لاسبيل إلى ذلـك إلا أن تلتقى كل الفئات التى تعمل في حقل الدعوة الإسلامية عـلى مسـتوى العـالم العربى كله فتصدر بيانا واحدا تعلن فيه عن براءتها وبراءة الإسلام من هذه الفظائع الوحشية التى تقشعر لها الأبدان ، وعندئذ سينقشع هذا الغطـاء ويتمـزق وتتعـرى الجرائم التى تتحرك تحته وقد التصقت بأصحابها الذين لاشـأن لهـم بالإسـلام ، ولسوف يختفون عندئذ ويغيبون عن الساحة كلها . ثـم يتوجـه البـوطى بنصـيحته الذهبية إلى من يريد خدمة الإسلام فيقول ﷺ : ....

إن المسلمين الذين يريدون خدمة دين الله عز وجل بالـدعوة إليـه وتحبيبـه إلى قلوب الناس ، ينبغى أن يتساموا به فوق العواطف السياسية ، وأن يحذروا الوقـوع في جاذبية أيٍ من أفلاكها المتنوعة والمتشاكسـة ، إن مـن يمـارس مهمـة الـدعوة الخالصة إلى الله عز وجل متعاليا فوق التيارات السياسـية يفـوز بتقـدير الأطـراف السياسية كلها ، ومن ثم يتهيأ الكل لقبول نصحه والتأثر بكلامه ، أما الذى يخوض غمار هذه التيارات فلابد أن يجد نفسه في وقت مـا مضـطرا إلى التحيـز إلى بعـض منها، ومن ثم محاربة بعضها الآخر لا لدافع دينـى ولكـن لأن المصـير السياسـى يستدعى ذلك .

رحمك الله أيها الشيخ كأنك تعيش بيننا الآن ، كأنك تحكى ماتراه في أوطاننا من صراع وقتل وقتال وجلهم باسم الإسلام ينادى ، لقد عرفت الآن لماذا قتلوك ؟ قتلوك لأنك قلتها لهم هذه صراعات سياسية ، وتنافس على الكراسى ، ليست من الإسلام في شيء .

ترى كيف تعاملت الدولة مع جماعات العنف والتكفير التى ظهرت في زمن العدل ؟ وماذا جرى بينهم وبين الدولة زمن الخلافة الراشدة ؟ وهل تحققت فيهم سنة الله ووعده على أيدى رجال صالحين وليس على أيدى حكام زماننا المقصرين؟ هل حاربهم الصالحون؟ وكيف كانت نهايتهم في زمن الخير كما قلنا؟ ولابد أن أؤكد نحن نرفض التكفيريين والخوارج ودعاة العنف امتثالا لديننا أولا وحرصا أن يسود الحق والعدل فينا ثانيا ، ولانستبدل ظلم الخوارج بظلم الجبابرة فالظلم كله ظلمات يوم القيامة ، وشر الظلم ماوقع باسم الله أو النبى أو الإسلام .

المبحث الحادي عشر

فض اعتصام الخارجين في عهد أمير المؤمنين

اعتصم الخوارج في عهد علي بن أبي طالب وجرت أحداث بينهم وبين الدولة نعرفها في عدة نقاط:

أولا : مقدمات الاعتصام... انتهى على بن أبى طالب ﷺ من القتال ضد معاوية ﷺ وجيش الشام فى معركة صفين بالاتفاق على وقف القتال ، والتحكيم لفض النزاع .

اعترض عليه نفر من جيشه يعرفون بالقراء ، ورفضوا قبول التحكيم مع أنهم هم من أشاروا بقبوله قبل ذلك .

ثانيا : بدء الاعتصام... اعتزل هؤلاء القوم عليا وجيشه ، ونزلوا فى مكان بالقرب من الكوفة يقال له حاروراء ، ونصبوا على أنفسهم أميرا للحرب وآخر للصلاة ، وطلبوا البيعة له وقالوا : - إنها لله وإن أميرهم هو الأمير الشرعى.

ثالثا : أسباب الاعتصام... لجأ الحرورية للاعتصام بدعوى أن على بن أبى طالب كفر وخرج عن الشريعة وذلك لعدة أمور يرونها :

أ-أنه قبل تحكيم الرجال عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى ، وهو بذلك قد خالف القرآن القائل: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

ب- أنه قاتل فى معركة الجمل وصفين ولم يسب نساءهم ، ولم يغنم أموالهم ، فإن كان خصومه كفارا فنساؤهم لنا حلال ، وإن كانوا مسلمين فلا يحل له قتالهم، ولا سبيهم ، ولا أخذ أموالهم.

ج- أنه خلع نفسه من الخلافة ، وقال على بن أبى طالب ، ولم يقل أمير المؤمنين ، وبالتالى إن لم يكن أميرا للمؤمنين فهو أمير للكافرين.

رابعا : مطالب المعتصمين فى حاروراء :

١- أن يرجع على عن التحكيم بينه وبين معاوية وجيشه .

٢- أن يمضى لحرب أهل الشام.

٣- أن يفسر لنا كيف يقاتل ولا يسبى النساء ، ولا يأخذ الأموال.

٤- أن يعترف بخطئه ويتوب عنه ، ويقوم بتصحيح الأخطاء التى وقع فيها. ويشهر إسلامه من جديد بعدما كفر .

خامسا : سياسة أمير المؤمنين تجاه المعتصمين

.. لقد حزن على لأمر المعتصمين وسعى لإعادتهم إلى الدولة والمجتمع وذلك بطريقتين:

- الأولى..أرسل إليهم الرسل للمفاوضات معهم ، وكان من بين الرسل عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة ، فذهب إليهم ابن عباس وكانوا عدة آلاف.

- استمع ابن عباس إليهم وإلى مطالبهم ، وتمت المناقشات فرجع منهم عدد كبير ، ولم يتبق فى الاعتصام إلا ألفان فقط من هؤلاء القراء الخارجين .

- لما رأى على الموقف وتأزمه جمع الصحابة ، وأعلمهم بموقف المعتصمين، ورد على شبهاتهم وبين خطأهم حتى يكون الناس على بصيرة من أمرهم ، وكان ذلك بمثابة بيانا عاما للأمة وتعريفًا بمجريات الأحداث.

الثانية -.. بعدما تبقى ألفان داخل الاعتصام ذهب إليهم أمير المؤمنين بنفسه ، وناقشهم ، وأقنعهم بخطأ موقفهم ، وعادوا معه إلى الكوفه ، وانفض الاعتصام بالحوار والإقناع .

خامسا - الإعلام ودوره فى تجدد الاعتصام مرة ثانية :

أ - بعض من ضعاف النفوس جعل يروج أن أمير المؤمنين اعترف بخطئه ، وشهد على نفسه بالكفر وأنه تاب من كفره و ممافعله ، وأنه رجع عن التحكيم ، فبلغ الأمر عليا بن أبى طالب فجمع الناس فى المسجد ، وخطب فيهم وبين للناس أنه لم يكفر ، ولم يشهد على نفسه بالكفر ، وأنه ماض فى إنفاذ اتفاق التحكيم ، فقاطعه بعض من كانوا بالاعتصام وقالوا له وهو على المنبر «....الحكم لله ....» ، وقال آخر مثله ، وثالث ، ورابع ، وهاجوا ضد الخليفة فى المسجد ، فجعل أمير المؤمنين يسكتهم ويقول : - «الحكم لله حق أريد به باطل» .

أى أن كلامكم صحيح - الحكم لله - ولكنكم تقولونها فى غير موضعها ، وإنما بقصد الفتنة والسوء .

ب -... خرج المعترضون من المسجد ، وتواعدوا على الخروج إلى بعض المدن والسيطرة عليها وبسط نفوذهم فيها ، واجتمعوا فى بعض دورهم لذلك ، ولكن أحدهم قال لهم :

« إن المدن بها جيوش كبيرة وسلاح كثير ، ولا طاقة لكم بها ، وسوف يقاومكم أهلها ، ولكن ابحثوا عن مكان آخر تنزلون فيه .

ج -.. اتفقوا على الاعتصام فى مكان يسمى النهروان ، بالقرب من النهر ، وتواعدوا الخروج فرادى غير مجتمعين ، حتى لايشعر بهم أحد فيمنعهم ، وكتبوا إلى أنصارهم فى المدن والأمصار للحاق بهم عند النهروان ، وأعادوا ترتيب صفوفهم ، ونصبوا عليهم الأمراء واعتزلوا الدولة والخلافة .

د -..أ درك أمير المؤمنين أنه لا أمل فى رجوعهم ، فأرسل إليهم يشترط عليهم شروطا منها- .

١ - لاتقتلوا مسلما ولا ذميا .

٢- لاتروعوا الناس الآمنين.

٣- لاتقطعوا طريقا على الناس .

٤- لانمنعكم مساجدنا ، ونعطيكم نصيبكم من الفيء مادمتم على هذه الشروط.

٥- أما إذا أخللتم بالشروط فإنى منابذكم بالحرب والقتال .

يعنى بلغة العصر لكم حق المواطنة كاملا مادمتم معتصمين سلميين ، لا تهددون أمن الأمة ولا تروعون الناس .

سادسا – رد فعل المعتصمين السلميين

.. نظرا لأن المعتصمين السلميين يكفرون أمير المؤمنين ومن كان معه ، ومن وافقه ، ومن أيده فى سياساته ، بل ويكفرون كل من خالفهم ، وكل من لم يعتصم معهم فإنهم لم يلتزموا بالشروط السابقة .

أ- لقد قتلوا المسلمين المدنيين ومنهم عبد الله بن خباب بن الأرت ، صحابى رسول الله ﷺ.

ب – قتلوا امرأة كانت معه وبقروا بطنها وقتلوا جنينها .

ج – أثارت هذه الحادثة الرعب بين الناس ، وجعل المعتصمون فى النهروان يختبرون الناس ، من وافقهم تركوه ومن خالفهم قتلوه ، بل كانوا يقتلون المسلمين ويتركون غيرهم من أتباع الديانات الأخرى ، واضطربت الأمور غاية الاضطراب.

سابعا -أحداث فض الاعتصام..

لما رأى أمير المؤمنين ما حدث أرسل إليهم يطلب منهم الرجوع عماهم فيه ، والعودة لصف الخلافة خاصة وقد فشل التحكيم مع جيش الشام ، فقالوا لا نرجع حتى تشهد على نفسك بالكفر ، وتتوب مما فعلت ، فقال والله ما كفرت منذ أسلمت مع رسول الله ﷺ، وما أنا بفاعل.

- ثم قال لهم الإمام على : إذن فسلمونى قتلة ابن خباب ، وامرأته وولده ، حتى يحاكموا محاكمة عادلة على جرائمهم ، لكن المعتصمين رفضوا تسليم أحد، وقالوا جميعنا قتله ولن نسلم أحدا.

- .هنا لم يجد الخليفة الراشد مفرا من فض الاعتصام بالقوة ، ومعاقبة الجناة ، فجهز جيشه وزحف إليهم ، وأرسلت الرسل بين الفريقين ، إلا أن المعتصمين قتلوا الرسل أيضا ، كما قتلوا المدنيين من قبل.

- رفع أمير المؤمنين راية ، وقال من انحاز إليها فهو آمن ..، ومن انصرف فهو آمن ، وهكذا أعطاهم الفرصة للانصراف سلميا ، فلم يفعلوا .

- هجم أمير المؤمنين بجيشه بعدما بدأه المعتصمون بالهجوم ، وحاولوا عبور النهر لقتال الخليفة ، وكانت المعركة الحاسمة .

- فى شهر صفر تم فض الاعتصام الذى أرق الدولة طويلا ، وقتل وروع الناس، وتم قتل جميع الخوارج الذين كانوا داخل الاعتصام ، لم ينج منهم إلا أقل من عشرة أشخاص ، تفرقوا فى البلدان هاربين لكن للأسف.

نشروا فكرهم التكفيرى الخارجى ليعود اتباعهم من جديد ، يحملون نفس الشر والانحراف ، ويهددون الدولة الإسلامية من حين لآخر ، .. وأضمروا الشر فى أنفسهم حتى قتلوا أمير المؤمنين ﷺ وهو خارج لصلاة الفجر .

حقا إنهم يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، وصدق رسول الله ﷺ «كلما خرج منهم قرن قتلهم الله»

. ومن الغريب أن الرسول ﷺ فى بعض أحاديثه أشار إلى العراق والشام ، وقال يخرجون : « من هنا » وانتهى الاعتصام القديم ، وظهرت الرايات السوداء، والرايات الصفراء التى حذرت منها الآثار عن على بن أبى طالب ، وإنا لنستبشر بهلاكهم قريبا كما ورد عن النبى ﷺ وهو الصادق المصدوق .

ذات الرداء الأصفر

ولقـد رأيتـكِ فى الـرداء الأصـفر … فى ساحة الميدان جئتِ تزمجري

تبغـين سـحق القـوم ثـم تـدمري … باسـم الإلـه تفسـقين تكفّـري

أو تـزرعين المـوت ثـم تكبـرى ؟ … أو تقتلـين النشـأ حتـى تغمـري ؟

ولقـد رأيتـك للأعـادي مِغـولاً … وبمقْـدم الكفـار قمـتِ تبشّـري

وزعمـت أن الله يحمـي جمعكـم … حتى الرسول بصفكم فاستبشرى !!

وإذا الملائك حومـت مـن حـولكم … أين البتول الحق ؟.جاءت فاظهرى

أو تشـعلين البيـت شـر حريقـة ؟ … أو تظهـرين الـدين ثـم تفجّـرى ؟

وإذا المسـاجد مسـرح لفعـالكم؟ … وعـلى دمـاء الـوادعين أتعبـرى ؟

أمـن الـبلاد بـأن نحطـم جيشـها؟ … وابن الدواعش تنصرين تظاهرى ؟

ياكذبـة الأكـوان..تعلـو..أرضـنا.. … يا لمـة الشـيطان عـودى واقصـرى

فـالله يبغـى الأمـن فى عليائـه … ويكفـك السـوداء قمـت تُزعِّـري

رعبـا وشـرا والخـراب بـدارنا … حقـدا وحمقـا تغرسـين وتبـذرى

الله يرجـو السـلم يغمـر أرضـنا … وبرأسكِ الحمقـاء رحـتِ تفكّـري

والله يمنـع أن تقطّـعَ نخلـة … ولمصـرنا الخضـراء أنـتِ تـدمّري

الله يمنع أن تروع آمنًا بـالمؤمنين .. … الصـائمين ... أتمكـري؟

دقـت طبـول الكفـر تبغـى مجـدنا … وعـلى الصـفا وربوعنـا تتـآمري

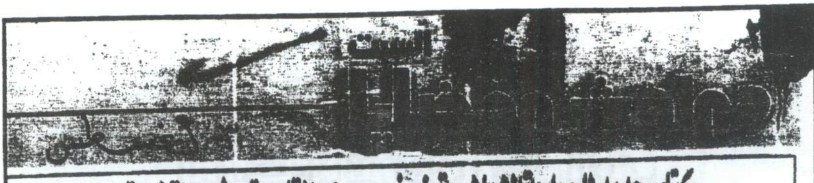
الله يبعـث نـوره فى صـبحه … ولمصدر الأنوار صـرتِ تكسّـري؟

الله مهـد للمسـير طريقنـا … كـلَّ الـدروب تقطّعين لتزهـري ؟

سـحقا لنــاس قـد أقــاموا بيننــا   خلــوا كتــاب الله خلــف الأظهــرِ
سـحقا لقـوم أظهـروا حـبَّ النبـي   قتلــوا الطفولــة والنـدى بمفجّـرِ
سـحقا لقــوم قــد تســاموا غايــة   فإذا الكراسى فـوق دينـى فـاعبرى
ياغــارة الجبــارِ جِــدّي واســرعي   صوب الجمـوع الكائـدين فـدمّري
صــوني بـــلاد الله أرض الأنبيـــا   واحمــي بـلاد النيـل مصـر الأزهـرِ

***

الملاحق



كتاب جديد للجماعة الإسلامية ينسف حصون «القاعدة» ويفجر القضية (٣)

الامتناع عن تطبيق بعض أحكام الشرع لا يعد كفرا

تقرير يكتبه

أحمد موسى

■ يميل كثير من المصنفين إلى التفريق بين ترك الحكم بالشرع في صورته البسيطة التي عرفت أيام بني أمية وبني العباس، وبين صورته المركبة التي شهدتها عصورنا المتأخرة لأن ترك الحكم بالشرع في أيامنا هذه قد أصبح مختلفا ومقترنا بأقوال وأفعال ما عرفتها العصور المتقدمة مثل سن قوانين مغايرة وجعلها هي المرجع عند التحاكم، ونحن نرخي معهم العنان في هذا فنقول الحكم بغير الشرع في عصرنا هذا مع ما ينضم إليه من أمور يمكن تقسيم جملته إلى ثلاثة أفعال رئيسية:

الأول: فعل المشرع الذي يسن قانونا مخالفا للكتاب والسنة

الثاني: فعل القاضي الذي يحكم به

الثالث: فعل عامة المسلمين الذين يتحاكمون إليه

● فأما العامة: فلا يخفى أحد أن فعلهم ليس كفرا مخرجا عن الملة بل قد يكون معصية، وذلك إذا تحاكم إلى المواد التي تخالف الشرع الحنيف مع علمه بذلك وبحرمته على المعدول عنه ولا يكون عاصيا إن كان مضطرا إلى هذا التحاكم أو جاهلا بما يحتوي عليه القانون من مخالفة للشرع الرباني أو إذا تحاكم إلى المواد التي لا تخالف الشرع

يقول ابن تيمية في حديثه عن قول الله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال رحمه الله «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين: أحدهما أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل [illegible] فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحلال وتحريم الحرام ثابتا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب».

● وكذا القضاة وغيرهم من أصحاب الولايات الذين يحكمون بهذا القانون لا يكفرون بمجرد الحكم بغير الحق ما لم ينضم إليه تكذيب الله ورسوله أو جحد حكم الله ورسوله أو رده أو استحلال الحكم بغيره.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل وقد يكون [illegible] دون حجر خاص من كبيرها لكبيرها فعل ذلك جحودا أو استحلالا أو عنادا لله ورسوله فهذا كافر.

ويقول فريق آخر: بل هذا الفعل في حد ذاته ينطوي لا محالة على تفضيل غير الشرع الرباني على الشرع الرباني فيكون الفعل في حد ذاته كفرا، وإن كان الفاعل - أي المشرع - لا يكفر إلا بعد إقامة الحجة الرسالية عليه والتي يكفر جاحدها.

وهذا معترك صعب يترك الخوض في غماره ولجته لأهل العلم، ولا يصح فتح باب البحث في مثل هذا لا للعامة ولا للمبتدئين من طلبة العلم الشرعي، بل ينهون عن ذلك نهيا جازما، فإن من زل منهم فيه كان غير معذور ومن أصاب كان غير مأجور، والسلامة لا يعدلها شيء، وأيضا الحكم على المسلم بالردة بعد إسلامه والتكلم في هذا ليس ذلك من الضروريات أو من أبواب الطاعات.

وفي الحديث «من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا حارت عليه» أي رجعت عليه. ويقول الشيخ أبو حامد الغزالي - رحمه الله - «والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلا فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة دم من مسلم فإن التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه» أ. هـ

ليس مجرد الامتناع كفرا

ويكشف الكتاب عن مسألة أن الامتناع عن شريعة من شرائع الإسلام العملية ليس كفرا مخرجا عن الملة ذلك أن الامتناع عن شريعة من شرائع الدين إما أن يكون عن شريعة علمية أو شريعة عملية والممتنعون عن [illegible] مختلفون في تكفيرهم على قولين: يذهب إلى القول بكفرهم أهل الحديث ويذهب إلى القول بأنهم فساق عامة الفقهاء.

أما الممتنعون عن شريعة عملية كمانعي الزكاة والقتال ونحوهم فهم على أقسام

الأول: الممتنعون عن التلفظ بالشهادتين وهؤلاء كفار باتفاق العلماء.

الثاني: الممتنعون عن أحد أركان الإسلام الأربعة بعد الشهادتين وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج فالأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي لا يقولون بكفرهم بل هم عندهم فساق، أما الإمام أحمد فله روايتان في تكفيرهم.

[illegible] عدا أركان الإسلام الخمسة المذكورة سابقا. وهذا القسم الثالث لم ينقل عن أحد من علماء الأمة - فيما نعلم - القول بكفرهم لمجرد الامتناع.

وهذا ابن تيمية رحمه الله وقد تكلم وأفتى كثيرا بشأن التتار وغيرهم من الطوائف الممتنعة عن بعض شرائع الإسلام لم ينقل عن أحد من الأئمة المتبوعين حرف واحد في كفر الممتنع عن شريعة من الشرائع العملية دون جحود أو استحلال. وهو وإن كان يفتي بقتالهم إلا أنه لا يقول بكفرهم. وقتالهم عنده من جنس قتال أهل القبلة لا من جنس قتال أهل الردة. نعم هو يقول إنهم - أي الممتنعين عن شريعة عملية - أسوأ حالا من البغاة. ويجعل قتالهم من جنس قتال الخوارج ومانعي الزكاة لكنه لا يجعلهم كالمرتدين بحال من الأحوال ويستجهل الحديث عن القتال وما يجوز منه وما لا يجوز إلى الفصل القبل [illegible] وننظر في فتاواه التي توضح بجلاء أن الامتناع عن [illegible]

وكذلك إن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة وكذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق، وكذلك إن امتنعوا عن تحريم الفواحش أو الزنا أو الميسر أو الخمر أو غير ذلك من محرمات الشريعة. وكذلك إن امتنعوا عن الحكم في الدماء والأموال والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة» أ. هـ

فجعل الامتناع عن الحكم بالكتاب والسنة كالامتناع عن غيره من شرائع الدين، لا يوجب كفر فاعله إذ قال رحمه الله «كلام علي رضي الله عنه وغيره في الخوارج يقتضي أنهم ليسوا كفارا كالمرتدين عن أصل الإسلام وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره [illegible] ليسوا مع ذلك حكمهم كحكم أهل العدل وهؤلاء [illegible] نوع ثالث» أ. هـ

وهذا صريح في أن الممتنع عن شريعة من شرائع الدين ليس كافرا مرتدا. ويقول رحمه الله في موضع آخر «إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة أو الزكاة أو صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم ونحو ذلك من شرائع الإسلام فإنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله» أ. هـ

والكلام على القتال وما يصح منه وما لا يصح سيأتي في محل آخر إن شاء الله تعالى لكن المقصود هنا تأكيد أن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن الامتناع عن الحكم بالشرع كالامتناع عن غيره من شرائع الدين لا يوجب الكفر

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى «لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - يشترط على من جاءه يريد الإسلام أن يلتزم الصلاة والزكاة بل قد روي عنه أنه قبل من قوم الإسلام واشترطوا ألا يزكوا وأخذ الإمام أحمد بهذه الأحاديث فقال: يصح الإسلام على الشرط الفاسد ثم يلزم بشرائع الإسلام كلها» أ. هـ

ولو كان الامتناع عن شيء من شرائع الدين [illegible] ولما قبل النبي صلى الله عليه وسلم منهم ذلك. وإنما الامتناع كبيرة ولا تنقض الإسلام.

كفر الإباء والاستكبار

وقد توهم بعض طلبة العلم الشرعي أن الامتناع المجرد هو كفر الإباء والاستكبار الذي ذكره بعض أهل العلم في مصنفاتهم وليس هذا الظن صحيحا

وقد ذكر العلماء أن الكفر الأكبر أنواع، منها كفر التكذيب وهو كفر من جاءه الرسول بالهدى والبينات فكذبه، وكفر الإعراض وهو كفر من أعرض عن سماع الرسول أصلا. وكفر الشك وهو كفر من استمع إلى ما جاء به الرسول ثم شك فيما قاله هل هو صادق فيه أم لا وهل هو مرسل من عند الله أم مفتر على الله الكذب فلم يؤمن به ولم يجحد في دينه الشك في أمره. وكفر الإباء والاستكبار وهو كفر من استمع إلى الرسول وعلم أنه مرسل به من عند الله ولم يشك في أمره ولا في صدقه ولكنه أبى أن يدخل في دينه أصلا استكبارا وعنادا، ثم كفر النفاق وهو كفر من أظهر تصديق الرسول ودخل في دينه ظاهرا مع انطواء [illegible]

> المتحاكمون الذين يتحاكمون بالقوانين المكتوبة لا يعد فعلهم كفرا.. ولا معصية طالما كانوا مضطرين لذلك التحاكم وكانت مواد القوانين لا تخالف شرع الله

> المشرع كالقاضي ينظر في حاله وقرائن أحواله ولا يعد تشريعه كفرا ما لم ينطو على جحود أو استحلال أو عناد لله ورسوله



هل يعيدنا مائة سنة إلى الوراء؟

التشكيك في مبادرة وقف العنف

كرم زهدي: لو عاد بي الزمان ما اشتركت في قتل السادات

ناجح إبراهيم: التشكيك في المبادرة يعمق الهوة بين شباب الجماعة والمجتمع

كما أن أحدا لا يملك التكهن بما يمكن حدوثه في المستقبل فلا أحد - أيضا - يملك التشكيك في حسن النوايا أو سد باب التوبة. وما يزعج حقا هو تلك التحذيرات شديدة اللهجة من تصديق مبادرة وقف العنف التي أعلنتها الجماعة الإسلامية منذ سنوات ومازالت تصر عليها وتدعمها يوما بعد يوم إما بإصدار كتب مراجعة المناهج التي اعتمدوها سابقا أو ببيانات واعتذارات مؤيدة داخل أو خارج السجون.

وإن كنت لا أشك في حسن نية أصحاب تلك التحذيرات ... فإنني لا أشك كذلك في حسن نية أصحاب المبادرة.



كرم زهدي



ناجح إبراهيم

... البحوث الفكرية والفقهية ومنها كتب المراجعة التي ستشكل المرجع الأساسي لتوجيه الشباب ... والملاحظ أن كرم زهدي ...




كتاب اليوم
زوجة أمير الجماعة الإسلامية
مى عزام
تقديم: وجيه أبو ذكرى

ـاء الاسلام قبل القــاء البيــان

مصر دولة الاسلام وليست دولة الكفر كما يزعمون

الاسلام يقوم على الثقافة والعلم وليس على الصياح والغوغاء

دينـنا يدعونا للعمل والانتاج والتقوى وليس تكفير المسلمين

نص بين علماء المسلمين الثلاثة

نائب المؤتمر
محمد عرفة
مديحة عزب
فاطمة عبد الباسط

... الشيخ متولى الشعراوى ... البيان الذى صدر عن علماء المسلمين شارك فى اعداده الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد الطيب النجار . وفيما يلى نص البيان .

بسم الله الرحمن الرحيم

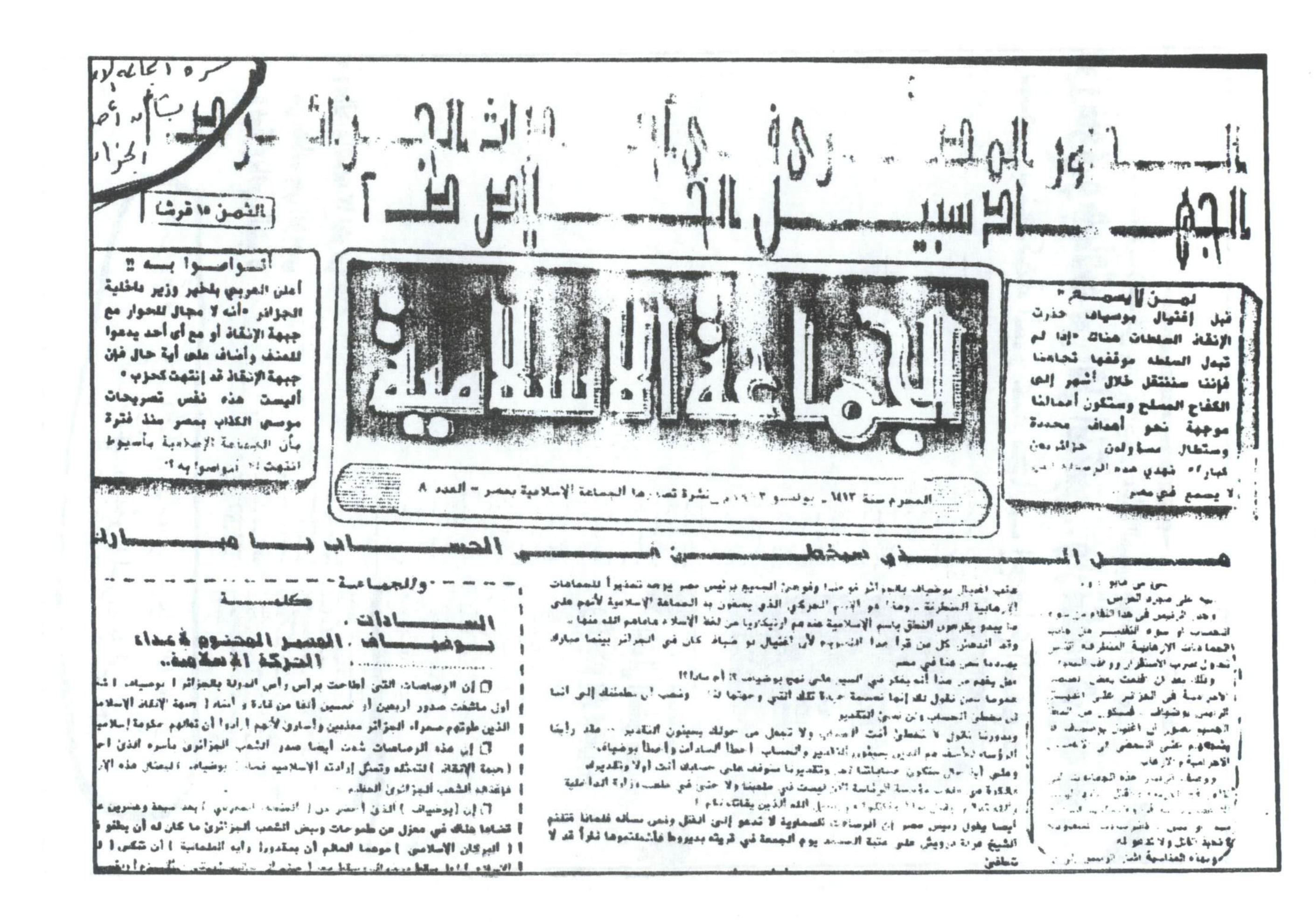
ان الاصلاح الذى ينشده الاسلام للمجتمع فى شئونه كلها يعتمد اول ما يعتمد على الاقناع والتربية والحوار العقلى والبرهان ... الى العنف او الارهاب او استباحة حقوق الاخرين باسم الدين

وقد وضعت الشريعة الغراء طرقا واضحة لتغيير ...

شروط تغيير المنكر باليد

المقاولون العرب

صورة لمؤتمر الأزهر والبيان الثلاثي



الجماعة الإسلامية

المحرم سنة ١٤١٣ - يوليو ١٩٩٢م - نشرة تصدرها الجماعة الإسلامية بمصر - العدد ٨

الثمن ١٥ قرشا

لمن لا يسمع

قبل إغتيال بوضياف حذرت الإنقاذ السلطات هناك «إذا لم تبدل السلطة موقفها تجاهنا فإننا سننتقل خلال أشهر إلى الكفاح المسلح وستكون أعمالنا موجهة نحو أهداف محددة وستطال مسئولين جزائريين كبار» .. نهدي هذه الرسالة لمن لا يسمع في مصر

أتواصوا به ؟!

أعلن العربي بلخير وزير داخلية الجزائر «أنه لا مجال للحوار مع جبهة الإنقاذ أو مع أي أحد يدعوا للعنف وأضاف على أية حال فإن جبهة الإنقاذ قد إنتهت كحزب» أليست هذه نفس تصريحات موسى الكذاب بمصر منذ فترة بأن الجماعة الإسلامية بأسيوط انتهت !! أتواصوا به ؟

من الذي سيخطئ في الحساب يا مبارك

عقب اغتيال بوضياف بالجزائر تو جه وفوجئ الجميع برئيس مصر يوجه تحذيراً للجماعات الإرهابية المتطرفة - وهذا هو الإسم الحركي الذي يصفون به الجماعة الإسلامية لأنهم على ما يبدو يكرهون النطق باسم الإسلامية [illegible] الإسلام عاملهم الله منها - وقد اندهش كل من قرأ هذا التصريح لأن اغتيال بوضياف كان في الجزائر بينما مبارك يهددنا نحن هنا في مصر

هل يفهم من هذا أنه يفكر في السير على نهج بوضياف ؟ أم ماذا ؟!

عموما نحن نقول لك إنما نصيحة [illegible] تلك التي وجهتها لنا [illegible] ونحب أن نطمئنك إلى أننا لن نخطئ الحساب ولن نسيء التقدير

وبدورنا نقول لا تخطئ أنت الحساب ولا تجعل من حولك يسيئون التقدير .. فقد رأينا الرؤساء للأسف هم الذين يسيئون التقدير والحساب أخطأ السادات وأخطأ بوضياف

وعلى أية حال ستكون حساباتنا [illegible] وتقديرنا سيتوقف على حساباتك أنت أولا وتقديراتك [illegible] الرئاسة الآن ليست في طلبنا ولا حتى في طلب وزارة الداخلية [illegible] الذين يقاتلونكم !

أيضا يقول رئيس مصر إن الرسالات السماوية لا تدعو إلى القتل ونحن نسأله فلماذا قتلتم الشيخ عرفة درويش على عتبة المسجد يوم الجمعة في قريته بديروط فأشعلتموها ناراً قد لا تنطفئ

والجماعة

كلمة

السادات .

بوضياف . المصير المحتوم لأعداء الحركة الإسلامية..

إن الرصاصات التي أطاحت برأس رأس الدولة بالجزائر (بوضياف) [illegible] أول ماشفت صدور أربعين أو خمسين ألفا من قادة و أبناء (جبهة الإنقاذ الإسلامية) الذين طوحتهم صحراء الجزائر معذبين وأسارى لأنهم أرادوا أن تظلهم حكومة إسلامية

إن هذه الرصاصات شفت أيضا صدور الشعب الجزائري بأسره الذي [illegible] (جبهة الإنقاذ) لتحكمه وتمثل إرادته الإسلامية فجاء بوضياف ليصادر هذه الإرادة [illegible] الشعب الجزائري المظلوم

إن (بوضياف) الذي أحضر من (المنفى المغربي) بعد سبعة وعشرين عاما [illegible] قضاها هناك في معزل عن طموحات ونبض الشعب الجزائري ما كان له أن يطفو [illegible] (البركان الإسلامي) موهما العالم أن بمقدوره وأيه العلمانية أن تكسر [illegible]



الأهرام

حوادث

...الإسلامية في بيان لها حول اغتيال السفير إيهاب الشريف:

الزرقاوى وجماعته من أهل التكفير .. وارتكبوا جريمة كبرى

ما يسمى بالمحكمة الشرعية يخالف إجماع الفقهاء والأمة

جماعة الجهاد

اغتيال السفير عمل ...
والإسلام يحرم قتل ...

...رع سائق وإصابة ١٢ آخرين في تصادم بين أتوبيس وميكروباص بالجيزة

صورة من بيان الجماعة الإسلامية وبيان جماعة الجهاد بعد مقتل السفير المصري بالعراق

بيان هام وعاجل من الجماعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان هام وعاجل من الجماعة الإسلامية

الجماعة الإسلامية

اجتمع مجلس الشورى بتاريخ ٢٥ / ٣/ ٢٠١١ واتخذ القرارات الآتية:-

لقد أطلقت الجماعة الإسلامية مبادرتها الشهيرة لوقف العنف ..وسجلت معها عودتها إلى وسطية الاسلام وواقعيته ..

وتركت إلى غير رجعة بهذه المبادرة أمرين هما :

العنف عملا .. وفكرا

واليوم ثبت لدينا بالدليل القاطع سعي قلة من الجماعة للعودة إلى فكر ما قبل المبادرة .. ومحاولة ... فكر الآخرين إلى مرحلة ما قبل المبادرة عن طريق عقد لقاءات مع عدد من الاخوة .. و... فكر المبادرة . ولذا قررنا الآتي:-

فصل الأخ/ صفوت عبدالغني من الجماعة الإسلامية.. وكذلك كل من يثبت عليه عودته إلى ... المبادرة.

وقف الشيخ عصام دربالة من عضوية مجلس شورى الجماعة الإسلامية لحين التحقيق معه.

وقد صرح الشيخ عبود الزمر بتصريحات كثيرة هذه الأيام تخالف فكر المبادرة.. وهذه الآراء لا ... الجماعة الإسلامية.. ولكنها تمثل في المقام الأول أصحابها مع تقديرنا الشخصي لهم .

والجماعة الإسلامية غير مسئولة عن أي أحد يطرح فكراً مخالفا لفكر المبادرة .. كما ننصح ... الأوفياء من أبناء الجماعة الإسلامية بعدم نقض العهود التي عاهدوا الله عليها.

تشكيل لجنة من القيادات الوسطى لتنفيذ سياسات المرحلة التي يضعها المجلس في المرحلة ... والاعداد لانتخابات حرة نزيهة في المرحلة القادمة من القاعدة إلى القمة.

المبادرة لم تكن صفقة مع نظام.. ولم تكن دورانا حول حكومة.. ولكنها دوران حول الشريعة ... وتجارة مع الله في المقام الأول والأخير..

والجماعة الإسلامية ستظل على عهدها مع الله سبحانه ثم مع مجتمعها الذي يحبها وتحبه وتتواصل ... ويتواصل معها.

وستظل متمسكة بكل سبل الدعوة السلمية فكرا وسلوكا .. وستكمل مسيرتها في هداية الخلائق وإصلاح المجتمع وفق ما جاءت به الشريعة الغراء.. متمسكة بشمولية الإسلام ووسطيته واعتداله.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

مجلس شورى الجماعة الاسلامية

صورة من بيان فصل صفوت عبد الغني من الجماعة الإسلامية.

[illegible]

الأولى
مصر
المحافظات
الوطن العربي
العالم
تقارير المراسلين
تحقيقات
قضايا وآراء
اقتصاد
رياضة
حوادث
[illegible] الثقافة
المرأة والطفل
يوم جديد
الكتاب
الأعمدة
ملفات الأهرام
بريد الأهرام
الأخيرة

اتهم الشيخ كرم زهدي رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية بعض قيادات الجماعة بالسعي للنكوص بمبادرة وقف العنف والعودة إلى ما قبلها.

مما يعطي المبرر للقيام بعمليات تخريبية تجاه المجتمع. وقال زهدي إن القيادي في الجماعة صفوت عبدالغني، والذي كان مسئولا للجناح العسكري يقود هذه المجموعة [illegible] مما دفع مجلس الشورى لإصدار قرار بفصله مع وقف القيادي عصام دربالة [illegible] التحقيق.

واعتبر زهدي أن ما يحدث الآن من عمليات تحريض من جانب بعض قيادات الجماعة [illegible] هدفه السير وراء التصريحات غير المسئولة والتي أطلقها عبود الزمر، وأدت إلى حالة من البلبلة في قطاعات عريضة من المجتمع سواء الأقباط أو غيرهم، والذين يخشون العودة لممارسة العنف من جديد. ونفى زهدي أن تتراجع الجماعة عن مبادرتها [illegible] مستمرة وملتزمة بها نحو المجتمع والوطن. فالمبادرة لم تطلق لمصلحة شخصية [illegible] في السلطة، وإنما للحفاظ على حقن الدماء والعمل على استتباب الأمن مثلما كان [illegible] السنوات الماضية.

وكشف زهدي النقاب عن قيام صفوت عبدالغني بتحريض شباب من الجماعة [illegible] إلى ما يعتبرونه مواقع جهادية مثل ليبيا ودول أخرى للقتال هناك. وقال علمنا [illegible] الأنباء التي تدفعنا للوقوف [illegible] واحدة ضد من يخرج علينا بهذه الأفكار لدرء الفتن في مهدها، مشيرا إلى أن عصام دربالة يدعم صفوت عبدالغني في توجهاته المخالفة [illegible] الجماعة الإسلامية ومجلس الشورى، وهو الأمر الذي أدى لاتخاذ إجراءات سريعة ضد العناصر التي تخالف المبادرة، وستتم مواجهة أي عنصر يحاول الالتفاف على وقف العنف. ولا نريد ترك المراجعات لمن يهدف لإضاعتها لمصالح خاصة.

واستدرك كرم زهدي بالقول: إن الذين أعلنوا أن المبادرة انتهت لا يعبرون سوى عن أنفسهم ولا يمثلون رأي الجماعة الإسلامية. فالمبادرة مبدأ وعقيدة وشرع [illegible] تعلمه [illegible] هذا العمل كان لوجه الله والوطن ولا [illegible] على عائد مادي من ورائه.

وعبر رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية عن مخاوفه من محاولة بعض العناصر التي كانت محسوبة على الجماعة مخالفة المبادرة والعودة للفكر السابق، مطالبا بأن يكون المجتمع على دراية بهؤلاء الذين لا يريدون سوى القيام بعمليات [illegible] أحد يتمناها. وهذا يتطلب أن يكون الجميع على قلب واحد لمواجهة هذه العناصر.

وانتقد زهدي عبود الزمر ووصف تصريحاته وحواراته الإعلامية بأنها [illegible] وكذلك للرأي العام. وإن الذين تبنوا مواقفه أرادوا نقل صورة غير واقعية عما [illegible] السنوات الماضية. فقد طالبنا بالإفراج عنه عدة مرات وتحسين وضعه في السجن وزيادة الزيارات إليه. وكل هذا حدث إلى جانب خروج آلاف المسجونين من الجماعة بناء على هذه المبادرة. لكن ما فعله الزمر هدفه إحداث انشقاقات داخل الجماعة والمجتمع. وكان يجب ألا تصدر التصريحات منه والخاصة بالحديث عن الدولة والمجتمع والأقباط وغيرهم. فكل ذلك كان له تأثير سلبي وأثار المخاوف من جديد جميعا.

كرم زهدي يتهم صفوت ودربالة والزمر بتشجيع العنف .

صورة حوار الشروق مع الزمر حول أسباب العنف

• [illegible] الثورة [illegible] أخرى [illegible] الساحات بالسلاح أم بالثورة [illegible] مع الوضع في [illegible] ٢٥ يناير؟

[illegible] الآن اختلف هناك مجتمع دولي [illegible]، فهي المظاهرات السلمية وهناك [illegible] أخرى كالإعلام والإنترنت [illegible] مظاهرات [illegible] ولا يتحرك أحد [illegible] والمظاهرات السلمية في هذا الوقت [illegible] تكفي وحدها لتغيير النظام.
[illegible] من جسد لم يكن هناك [illegible] تدعمك. لذلك أنا أعتبر أن ثورة [illegible] يناير لم تكن سلمية فقط فهذه الثورة استخدمت فيها القوة، بدأت سلمية لكن في [illegible] ما قام النظام باستخدام السلاح [illegible] والناس [illegible] وواجهت بالطوب والحجارة واستعملوا القوة [illegible] إضافة إلى [illegible] للثورة، وهي القوة التي [illegible] أن يستخدمها مبارك ضد الثوار [illegible] تلك القوة رفضت [illegible] إلى [illegible] لا أستطيع أن أجزم أن الثورة [illegible] وحدها تستطيع أن تحدث تغييرا. [illegible] خطير عندما اجتمع المجلس العسكري [illegible] مبارك وكانت هذه [illegible] أنا [illegible] معا [illegible] وقد يكون [illegible] مبارك أراد أن يستخدم [illegible] ضد الثوار إلا أن قيادات المجلس [illegible] لم يكن لديه [illegible] ضد الناس، وقبل [illegible] ضد القوات المسلحة.

• [illegible] في أعمال العنف [illegible] هذا الوقت، وهل كان [illegible] أعضاء الجماعة [illegible]؟
[illegible] ذلك الوقت [illegible] الأعمال [illegible] في الخارج، وكان [illegible] على الموقف على الأرض، وكان [illegible] في [illegible] تلك الأثناء [illegible] كان النظام [illegible] في صفوف [illegible] وهتك أعراضهم في السجون، [illegible] فعنف الجماعة كان رد فعل على عنف النظام، وقام النظام بعد ذلك [illegible] الدعوة، وبناء عليه [illegible] غير المطروح حمل السلاح في [illegible] الحكومة الحالية فهي تسمح بالعمل السياسي السلمي.

• [illegible] مفاوضات حول وقف العنف في مطلع التسعينات ما حقيقتها؟
[illegible] لم تدع [illegible] وهو أنا [illegible] اتصالات مع مبارك عام ١٩٩٣ عن طريق أحد الوسطاء وهو أحد أركان النظام في هذا الوقت - رفض الكشف عنه - وحملته [illegible] إلى مبارك [illegible] من الدولة والمجاهدين لوقف العمليات [illegible] مطلب واحد فقط وهو [illegible] أحكام الإفراج عن المعتقلين، وجاء الرد [illegible] وقال مبارك للوسيط لا تردوا عليه بالإجابة أو [illegible] ولم [illegible] من الأيام أن مبارك كان مهتما بمصلحة [illegible]، وقال في إحدى المرات [illegible] أن يضحي بـ ١٠ آلاف منا للقضاء على الإرهاب، وأضاف [illegible]: «قاتلنا إسرائيل على [illegible] مراحل فقدنا فيها ١٠ الاف».
[illegible] مدى غباء مبارك السياسي.

[illegible] بدأت المفاوضات مع وزير الداخلية حينها عبد الحليم موسى، واستدعاني [illegible] مصلحة السجون في مكتبه [illegible] وقال موسى [illegible] الحوار عبر [illegible] وكررت نفس العرض وأعجب موسى [illegible] الأمر لم نطلب أسماء كثيرة، [illegible] بعد ١٠ أيام وبعد [illegible] جاء الرد بأقحام [illegible] من الإخوة، [illegible] موسى من الوزارة [illegible] إقالته بسبب موافقته على [illegible].

[illegible] في مبادرة وقف العنف [illegible] وأطلقنا بيان وقف العنف عام [illegible] للأسف [illegible] الأقصر [illegible] بسبب عدم معرفة الإخوة في [illegible] وقف العنف وكانوا [illegible].

• [illegible] الإسلامية؟

بيان هـــام



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا بيان من لجنة الوفاق والإصلاح المكونة لإصلاح ذات البين بين مجلس شورى الجماعة الإسلامية نعلن فيه الآتي:

١- الجماعة الإسلامية ليس من بينها من يدعو بالقول أو العمل إلى إعادة الجماعة إلى أفكار عنف أو مخالفة لما انطوت عليه مبادرة وقف العنف من مبادئ وعهود على مستوى القاعدة والقمة كما أنها على كافة مستوياتها أفراداً وقيادات تقر الإصلاح والتغيير في إطار الشرعية.

٢- الجماعة الإسلامية تكن كل الحب والتقدير لكل قيادات الجماعة وأعضاء مجلس الشورى مهما حدث بينهم من خلاف.

٣- أن لجنة الوفاق تسعى بكل ما تملك من جهد لإصلاح ذات البين والقضاء على أسباب الشقاق والخلاف.

٤- كما أنها تهيب بقياداتها أن يبتعدوا عن التراشق الإعلامي لإتاحة الفرصة لجهود الإصلاح.

٥- أن على أبناء الجماعة أن يتجاوزوا هذا الخلاف العارض وأن يقفوا موقف المخلص العامل لتفويت ... التحول في شقاق وخلاف وأن يتقوا الله تعالى في كل ما يقولون وما يصنعون.

٦- أن على الشيوخ الكرام الذين تنازعوا جميعاً من أجل مصلحة الدين أن يعطوا الفرصة للجنة الوفاق لتقوم بدورها في إصلاح ذات البين وجمع الكلمة وألا يعطوا فرصة لكل متربص بالجماعة الإسلامية.

٧- ونهيب بكل أبناء مصر أن يعلموا أن الجماعة الإسلامية جماعة سلمية تعمل للتنمية وإصلاح المجتمع وتحرص على سلامة وأمن ومستقبل مصر.

٨- هذا واللجنة في حالة انعقاد دائم حتى يوفقها الله إلى تحقيق أهدافها ورأب الصدع وإصلاح ذات البين.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

لجنة الإصلاح والوفاق بالجماعة الإسلامية برئاسة

الشيخ عبد الآخر حماد

٢٠ مارس ٢٠١١

بيان لجنة الوفاق والإصلاح لاحتواء الخلافات بين قيادة الجماعة الإسلامية

الأهرام — الاثنين ١١ يوليو ٢٠٠٥

مقالة الدكتور احمد ابو المجد بعد مقتل السفير المصري

قضايا

رسالة مفتوحة

إلى الذين قتلوا السفير المصرى إيهاب الشريف

[illegible] أبو المجد

[illegible]

الخاتمة

يقول الدكتور محمد المشطاوى فى مقاله بمجلة الوعى الإسلامى العـدد ٥٦١ مارس وإبريل ٢٠١٢م :

« من الملاحظ أن مادة «نصح» بلفظها المباشر- ودلالتها المباشرة أيضا- كانت أكثر ورودا وحضورا في سورة الأعراف ٦ مرات من عدد ١٢ مرة بالقرآن كله .

وهذه السورة ذكرت قصة غواية الشيطان لآدم وزوجه ، وقصة عدد من الأنبياء كنوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام ونصحهم لقومهم، كما عنيت بقصص بني إسرائيل من عبادتهم العجل ، وتعاملهم مع يوم سبتهم وغيرها من القصص، وكان دور النصح في هذه القصص حاضرا بما لا يخفى:

فنصح الشيطان الكاذب أردى آدم وزوجه ، ونصح بني إسرائيل ذهب أدراج الرياح في عبادة العجل وفى يوم السبت، إلا أن الله نجّى من نصحوا بخير أو انتصحوا، كما أن اسم السورة نفسه يوحي بالمفاصلة والمفارقة بين من نصح وانتصح فكان جزاؤه الجنة وغيره ممن لم ينصحوا أو ينتصحوا...» إلخ

ثم إنها توحي أيضا بحضور ما لمعنى النصح والانتصاح لدى الفرد والمجتمع، كما أشارت السورة إلى أن العلاقة بين الناصح والمنصوح علاقة حرص وحب من الناصح، وأحيانا إعراض واتهام من المنصوح له ، وتشويه لصورته وللحقائق .

ومن منطلق نصيحة الأعراف كانت رحلتى هذه بهتافاتها وصرخاتها الأربع «نصيحة للميدان» و« العاشر من رمضان بين الأمس واليوم» و« النداء الأخير» ثم ختمتها بالصرخة الرابعة « دماء على المصحف » ، ولكل صرخة كانت

ملابسات وظروف ، لكن جمعها كلها الخطر المحدق بأ متنا ودينا وأوطاننا ، وكذلك الخطر المحدق بشباب الإسلام الطاهر النقى البرىء، الذى ماقام أكثره إلا للخير ونشدانا لمصلحة الدين والإنسان والأوطان ، نحسبه كذلك ، غير أن ثمة ظروف قد تكون حرفته وانحرفت به ، من دعاة للفتن ، يقفون على أبواب جهنم ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويضعون السيف في غير أهله ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان في كثير من الأحيان ، فصرخت فيهم صرخاتى الأربع واتبعتها بصيحات أخر وشفعتها بقصص وأحداث من التاريخ ، وآثرت أن أنقل عن العلماء والفقهاء مهما كانت طويلة ، ولم أتكلم إلا في أقل القليل ، عسى أن تبلغهم ، عسى أن يتضح أمامهم الطريق ، عسى أن يستمعوا ، عسى أن ينتفعوا. عسى أن يسلكوا الجادة ويثبتوا عليها ، عسى أن يضعوا أقدامهم على طريق النور ، ويخلفوا وراءهم ظلمات الجهل والهوى والتعصب والعاطفة الغير منضبطة ، عسى أن يشملهم نور السنة المحمدية ، ويفارقوا ظلمة البدع التكفيرية والإرهابية ، إنها فصول توضح المسائل وتجلى الحقائق ، وتضع أيدينا على خيوط الأزمات التى تعصف بأمتنا وأوطاننا .وتسلط الأضواء على حقيقة الداء ، وتشخيص الدواء ، من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، بفقه وحكمة الفقهاء الثقات من المعاصرين والقدماء ، إنها إشراقات النصيحة تبدد ظلام المجاملات والممالأة والانقياد الغير صحيح ، وتفتح الأبواب أمام العقل الحر ليخرج من أسر ومعتقلات جماعات العنف التى تحبس وتعتقل أفكار وعقول واختيارات أتباعها ، هى صدى وجدانى أخرجتها ، وصرخت بها بصوت عال لعلها تصل . دفعنى للبوح بها حب الله ثم حب الناس وحب الإسلام وحب الوطن.

ربما قسوت فى بعضها ، ربما أصبت حقيقة الإسلام وصحيح الدين ، ومصلحة الوطن ، ربما أخطأت فى بعض ماقصدت ، غير أنى يعلم الله ما أردت إلا الله وحده ، وما ابتغيت إلا نصرة الحق والدين ، وحقن الدماء من جميع الأطراف ، وتفويت الفرصة على خصوم الأمة الذين يمكرون بها ليل نهار ، وما

انتصرت لطائفة على حساب أخرى ، ولا على حساب الحق الذى أراه ، ولا على حساب الدين الذى أعتقده ، ويعلم الله أنى لم آوى إلى فئة أراها مبطلة ، ولم أرفع راية أظنها خاطئة أو مخطئة ، وإنما الحق أردت ، ورضا الله قصدت ، وكونى أكثرت الكلام إلى فئة لايعنى التبرئة التامة لغيرها ، وإنما كلنا أخذ من الخطأ بنصيب يتفاوت فيما بيننا ، ولكن كما نعلم أن من أقبح الذنوب وأكبر المعاصى أن يأتى الإنسان الخطأ ثم ينسبه إلى الله والى الإسلام ، ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لقد رأيت دعاة العنف تحركهم العواطف قبل العقول ، ويحملهم الهوى قبل داعى الهدى ، ورأيتهم في كل مرة يتشددون ثم في كل مرة يخسرون ، وكذلك في كل خسارة لايعقلون فتذكرت مارواه اللا لكائى في أصول أهل السنة بسند صحيح عن ابن سيرين انه قال « لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء » وفى صحيح ابن ماجة للألبانى برقم ١٤٤ وقال الألبانى حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « ينشأ نشء يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع » قال ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « كلما خرج قرن قطع » أكثر من عشرين مرة : « حتى يخرج في عراضهم الدجال » هكذا جماعات التكفير والغلو هم أتباع الدجال ، ويمهدون بفتنتهم لخروجه ، وقانا الله شر الفتن ماظهر منها ومابطن .

هذا ورجائى كل رجائى أن تتوحد الصفوف على طاعته سبحانه ، وتتكاتف السواعد على نصرته ، وتصفو النفوس في عبادته ، وتستقيم الأعمال وفق رسالته، و أن تزول هذه المحنة ، وتنتهى تلك الأزمات ، وتنكشف هذه الغمة عن كاهل الأمة ،وتتخلص أمتنا من عدوها الحقيقى الذى تكالب عليها تكالب الأكلة على قصعتها وزرع بينها الفرقة والفتن ، وساقها من بلية إلى أخرى ، فما نزل العدو بلاد المسلمين يحتلها إلا بفتنة حدثت بين أهلها ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ... وعندنا نوران قرآن وسنة مابالنا في حالك الظلمات ؟ وهذا كتابى يارب قدمته بعد استخارة واستشارة ، فباركه يارب وطيب ثماره ، وأحسن آثاره،

واجعله لنا « مخرجا من الفتن ، ومنجاة من الأزمات ، ونقلة كبيرة من الظلمات إلى النور »

« ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، إن أريد إلا الإصلاح ، ما استطعت وماتوفيقى إلا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم».

والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

دكتور / أحمد عبد الرحمن

(حمادة عبد الرحمن)

القاهرة ١٥ من مايو لعام ٢٠١٦م

م: ٠١٠٦١٠٤٨٩٩٠

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.

٢-بعض من كتب السنة .

٣- إستراتيجية وتفجيرات القاعدة :عصام دربالة.

٤- أسيوط مدينة النار :أحمد عمر.

٥- أضواء البيان :الشنقيطى.

٦ -أنا نادية :مى عزام.

٧ -الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام :القرافى.

٨ - الإسلام ليس لعبة الصغار :حامد سليمان.

٩ - الحد الفاصل بين الإيمان والكفر : عبد الرحمن عبد الخالق.

١٠ - الحوار بين الجماعات الإسلامية : د / محمد المسير.

١١ - الرقائق : محمد أحمد الراشد .

١٢ - السراب : جمال سند.

١٣ - الشهادة : صلاح أبو إسماعيل.

١٤ - الطريق إلى الجماعة الأم : عثمان عبد السلام .

١٥ - القتل المقدس : محمد حميدة .

١٦ - المتشددون : د / على جمعة .

١٧ - المخرج من الفتنة : مقبل بن هادى الوادعى .

١٨ -تخليص العباد من فتنة أبى القتاد : عبد الملك بن احمد المبارك.

١٩ --- تسليط الأضواء: ناجح إبراهيم – حمدى عبد الرحمن .

٢٠ ---تفجيرات الرياض : د / ناجح إبراهيم.

٢١ -حوار لا مواجهة : د كمال أبو المجد.

٢٢ -داعش السكين الذى يذبح الإسلام : هشام النجار – ناجح إبراهيم.

٢٣ -ذكريات لا مذكرات : عمر التلمسانى.

٢٤ -شيوخ وجنرالات : مجموعة من الخبراء.

٢٥ -شيوخ بلا خناجر : عبد العاطى محمد .

٢٦ -فصول عن السياسة الشرعية : عبد الرحمن عبد الخالق.

٢٧ - فرسان تحت راية النبى : أيمن الظواهرى.

٢٨ قبسات من الرسول : محمد قطب.

٢٩ لا إله إلا الله منهج وشريعة حياة : محمد قطب.

٣٠-ما هكذا يا سعد تورد الإبل : سيد العفانى.

٣١-معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة : عبد السلام بن برجس.

٣٢-مبادئ التعايش السلمى : عبد العظيم المطعنى.

٣٣-ميثاق العمل الإسلامى : الجماعة الإسلامية.

٣٤-مبادرة لا مقامرة : مكرم محمد أحمد .

٣٥-مدارك النظر في السياسة الشرعية : عبد الملك بن أحمد بن آل حمد المبارك.

٣٦-مبادرة وقف العنف : الجماعة الإسلامية .

٣٧-محاسن الإسلام : ساعد غازى.

٣٨ مجلة الأزهر وهديتها : الأزهر الشريف.

٣٩-نازلة العراق بين ظلم السياسة وفجور البدعة : همام عبد الرزاق.

٤٠--نبى الإسلام في مرآة الفكر الغربى : عز الدين فراج.

٤١-نظرات في التفكير والتكفير : احمد عبد الرحمن.

٢٢-نهر الذكريات : الجماعة الإسلامية .

٤٣-واقعنا المعاصر : محمد قطب.

٤٤-وقفات مع كتاب للدعاة فقط : محمد بن سيف العجمى .

٤٥-جريدة الأخبار

٤٦-جريدة الأهرام.

٤٧-جريدة الحياة اللندنية.

٤٨- جريدة الشرق الأوسط .

٤٩-مجلة لواء الإسلام.

٥٠-مجلة المصور.

٥١-مجلة الحقوق السنة ٢٣ العدد ٣ : مجلس النشر العلمي الكويت.

٥٢-مجموعة مواقع وصفحات إليكترونية.

٥٣- مراجع أخرى :

١- إغاثة اللهفان: لابن القيم.

٢- الغوغائية هي الطوفان : حمد بن إبراهيم.

٣- العوائق : لمحمد الراشد.

٤- المنطلق : لمحمد الراشد.

٥- الإسلام والغرب المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٦- عقيدتنا : الجماعة الإسلامية بمصر.

٧- ذهنية التكفير : حسن حماد.

٨- على بن ابى طالب : للصلابى.

٩- السياسة الشرعية والحاكمية عند جماعة أنصار السنة المحمدية : عادل السيد .

١٠- مجلة التفاهم : الأردن.

١١- النبى المسلح : لرفعت سيد أحمد.

١٢- حتمية المواجهة : الجماعة الإسلامية بمصر.

الفهارس

